

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأمة الإسلامية والتحديات

مجموعة مقالات المؤتمر الرابع

تجراً لمنظمة المؤتمر الإسلامي

اعداد: المعاونة الثقافية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية

صدر بمناسبة مرور ٢٥ عاماً على انتصار الثورة الاسلامية في ايران

مؤتمر لخبراء منظمة المؤتمر الاسلامي (جهارمين : ١٤٢٤ هـ - ١٣٨٢ : تهران)
الامة الاسلاميه والتحديات / مجموعه مقالات المؤتمر الرابع لخبراء منظمه المؤتمر الاسلامي، اعداد
معاونيه الثقافيه للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلاميت - تهران : مجمع جهاني تقريـب
مذاهب اسلامي، مديريت انتشارات ومطبوعات، ١٣٨٢.
٣٣٤ ص.

ISBN 964 - 7994 - 30 - 3 : ١٨٠٠٠ ريال

عربي.

فهرستنويسی بر اساس اطلاعات فيبا

١. وحدت اسلامي -- كنكره ها . الف . مجمع جهاني تقريـب مذاهب اسلامي . معاونت فرهنگي . ب .
مجمع جهاني تقريـب مذاهب اسلامي، مديريت انتشارات ومطبوعات.

ج. عنوان.

٢٩٧ / ٢٨٢

BP٢٣٣/٥/م٨

٢٩٣٥٥ - ٨٢ م

کتابخانه ملی ایران



المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

الامة الإسلامية والتحديات

اسم الكتاب:

مجموعة مقالات المؤتمر الرابع لخبراء منظمة المؤتمر الإسلامي

المعاونية الثقافية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

الإعداد:

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية — مديرية النشر والمطبوعات

الناشر:

الأولى، ١٤٢٤ هـ . ق — ٢٠٠٤ م

الطبعة:

٢٠٠٤ نسخة

الكمية:

١٨٠٠ تومان

السعر:

ISBN 964 - 7994 - 03 - 3

الجمهورية الإسلامية في إيران / طهران

ص . ب : ٦٩٩٥ — ١٥٨٧٥

جميع الحقوق محفوظة للنشر

الفهرس

ص	العنوان	ت
٧	المقدمة	١
٩	التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين وكيفية مواجهتها عبدالرحمن محمد حسن سوار الذهب	١
٢٣	أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين الدكتور فتحي مرعي	٢
٢٩	الحملة الإعلامية ضد الإسلام والمسلمين الدكتور صالح بن سليمان الوهبي	٣
٤٣	تقرير وتحذير الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة	٤
٦٥	الحوار والتحدي الحضاري الأستاذ إبراهيم الربو	٥
٧٧	الإسلام بين الاجتهاد والجهاد الدكتور محمد محمد الشحومي	٦
٨٥	الحدائفة الشيخ محمود محمدي عراقي	٧
٩٧	العولمة ومخاطرها، الخطر المحدود الدكتور أصغر الفخاري	٨
١٣٩	النظام العالمي الجديد والعولمة والتكتلات الإقليمية وأثرها قرار رقم ١٣٤ للاجتماع الرابع عشر لجمع الفقه الاسلامي	٩

١٤٥	أقلمة وتدويل المجالات الاجتماعية - الاقتصادية في عصر التقنية العالمية الدكتور احمد شعبان	١٠
١٦٣	العولمات .. غربنة العالم وأسلمته الدكتور سعيد رضا عاملي	١١
١٩٥	الإسلام والعولمة الدكتور عماد أفروغ	١٢
٢٢٣	أنموذج السياحة الإسلامية في عصر العولمة الدكتور محمد هادي همامون	١٣
٢٥٧	العولمة من منظور إسلامي الأستاذ كامل خريف	١٤
٢٧٧	جامعة الأمة الإسلامية البروفيسور حميد مولانا	١٥
٢٩١	العولمة والتعاليم الإسلامية .. الفرص والأخطار الدكتور غلام علي افروز	١٦
٣٠٣	تقارير وترصيات	١٧
٣٠٥	تقرير الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي بشأن التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين	١٨
٣١٣	القرارات الصادرة عن لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة بمنظمة المؤتمر الإسلامي	١٩
٣٢٧	تقرير وتوصيات الاجتماع الرابع للجنة الخبراء المكلفة ببحث واستقصاء أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين	٢٠
٣٣٧	آراء حول عالمية الإسلام والعولمة - تقدمه اللجنة العلمية للمؤتمر السادس عشر للوحدة الإسلامية الى الاجتماع الرابع للجنة الخبراء	٢١

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

في اعقاب انهيار النظام الالحادي الشرقي وانتهاء فترة الحرب الباردة شهدت المعادلات السياسية السائدة في العالم تحولاً اساسياً. وقد وضع الرئيس الأميركي الأسبق من خلال اعلان النظام العالمي الجديد وطرح نظام القطب الواحد موضوع سيطرة النظام الاستكباري الأميركي على العالم اجمع في جدول اعماله.

وكان الهدف من هذه الخطة المشؤومة فرض الهيمنة الأميركية على المناطق الاستراتيجية في العالم ونهب مصادرها وثرواتها. وحظيت مناطق الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا و آسيا الوسطى وشمال افريقيا التي تتمتع بأكثر مصادر الثروة العالمية والنفط والغاز خاصة والذين يشكلان العصب الحيوي للاقتصاد العالمي باهتمام المخططات السياسية والعسكرية والاقتصادية للاستكبار.

ويشير عقد الاحلاف العسكرية مع دول المنطقة والسيطرة على القواعد العسكرية ومرابطة قوات الجيش الأميركي فيها وحضور الاسطول البحري والسفن العسكرية في الخليج الفارسي وبحر عمان والبحر الأحمر ومهاجمة افغانستان والاحتلال العسكري للعراق وتقديم الدعم الشامل للحكومة الاسرائيلية الغاصبة وجرائمها الوحشية في الاراضي الفلسطينية المحتلة الى جانب الهجمة الاعلامية والثقافية واستخدام احدث التقنيات المعلوماتية والفضائية وشبكة الانترنت العالمية تشير الى جدية الاستكبار في تنفيذ مخططاته المشؤومة لبلوغ اهدافه العدوانية التي تدور في مخيلته.

وتشكل العولمة بمعنى تنفيذ الادارة الموحدة في الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية للعالم اجمع بقيادة اميركا احدث ظاهرة يتم طرحها في عالم السياسة. وتنوي هذا الظاهرة اضعاف الحدود الجغرافية بل انعدام تأثيرها مع الاعتماد على تكنولوجيا المعلومات وسرعة الاتصالات وغيرها تتجه بسرعة نحو تفويض كافة مواقع المقاومة وفتح الميادين الجديدة في المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية في العالم.

ينبغي على العالم الإسلامي أن يكون أكثر وعياً في هذه الأمور ويتدارس تنوعيات هذه المعادلات والتطورات الجديدة وأن يستعد للاستفادة من كافة الطاقات الموجودة لمواجهة التهديدات وأن يستفيد بما يلزم من الفرص المحتملة التي تتاح في هذا الجانب.

وتعمل منظمة المؤتمر الإسلامي باعتبارها أكبر مؤسسة رسمية ودولية في العالم الإسلامي على تشكيل لجنة مؤلفة من الصفوة والمفكرين في العالم الإسلامي لدراسة هذه الظروف في بداية القرن الواحد والعشرين الميلادي وذلك من خلال عقد اجتماعاتها بشكل منظم لتستفيد من علوم وخبرات باقي المفكرين والخبراء لتقديم النتائج الحاصلة من بحوثها.

وعقد الاجتماع الرابع للجنة الخبراء لدراسة التحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية في القرن الواحد والعشرين باستضافة مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية في الفترة ١٣ - ١٤ يوليو / تموز ٢٠٠٢ بظهران بحضور الأعضاء الرسميين والأساتذة ورؤساء الجامعات وسفراء البلدان الإسلامية وجمع من الخبراء في الشؤون السياسية والثقافية.

ويتولى الأمين العام لمجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية أية الله التسخري رئاسة هذا الاجتماع كما تولى تنظيمه التنفيذي المساعد الدولي لأمين عام المجمع وافتتح وزير الثقافة والارشاد الإسلامي أحمد مسجد جامعي رسمياً هذا الاجتماع.

وتدارس الاجتماع مواضيع العولمة والعولمة الإسلامية والهجمة الإعلامية الغربية ضد الإسلام والمسلمين والتحديات السياسية والاقتصادية والثقافية التي يواجهها العالم الإسلامي وسبل مواجهتها والحداثة والتعليم والتربية والإصلاح الفكري والتربوي وغيرها من المقالات المقدمة للاجتماع من جانب المشاركين.

وكان حصيلة هذه البحوث والدراسات في المقالات التي جاء تجميعها وتنظيمها بجهود التعاونية الثقافية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية وتقدم إلى القراء الكرام. وإننا نأمل أن يسهم هذا الجهد العلمي النخلص في انارة طريق الوعي الإسلامي امام كافة سالكيه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مسؤول لجنة اقامة الاجتماع

**التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن
الحادي والعشرين وكيفية مواجهتها**

عبدالرحمن محمد حسن سوار الذهب

رئيس جمهورية السودان الأسبق

ورئيس مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية

الحمد لله الذي جعل القرآن شاهداً على الكتب السماوية السابقة، ومحققاً الاكتمال والكمال لتاريخ النبوة، مؤكداً لوحدها، مصوباً لمسيرتها، ومبيناً علل التدين التي لحقت بأصحابها وكانت سبب سقوطهم. ليكون ذلك بياناً وهدى وموعظة وتقوى للامة الخاتمة.

والصلاة والسلام على النبي الخاتم، الذي انتهت اليه تجربة النبوة التاريخية واصول الرسالات السماوية، فكانت رسالته في قمة التجربة البشرية، قال تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) .. الشورى (١٣).

اما بعد ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

وتحياتي وتقديري الخالص للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية .. هذا الصرح العظيم لما يقوم به من جهود عظيمة لاصلاح ذات البين وتوحيد الرؤى وجمع الكلمة .. لتكون كلمة الله هي العليا ..

والتحية موصولة لفعاليات الاجتماع الرابع للجنة الخبراء المكلفة ببحث اوجه التحديات التي تواجه الامة الاسلامية في القرن الحادي والعشرين .. والذي يأتي في محاولة لمعاودة إخراج الأمة المسلمة، وإحياء رسالتها الانسانية، والمساهمة في استرداد الدور المنوط بها من الوعي بذاتها، والعودة بالأمة الى موقع الوسطية بكل مدلولاته وأبعاده الايجابية غير المنحازة، التي تعيد التوازن، وتحمل ميزان الاعتدال، استجابة لقوله تعالى، (وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً). (البقرة ١٤٣).

هذا الجعل من الله، او هذا الموقع الحضاري والثقافي الوسط، وهذه النبوات التاريخية التي توحدت بالرسالة الخاتمة (وإن هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاتقون) (الؤمنون: ٥٢). والتي اكدت وتمحورت حول الوحدانية لله عز وجل، التي ألغت الآلهة المزيفة وأوقفت تسلط الإنسان على الإنسان.

هذا الجعل الوسط، بكل آفاقه وأبعاده ومقتضياته، هيأ الأمة المسلمة لأهلية تحمل الشهادة

على الناس وأهلية أديانها لهم، ليستقيم أمرهم .. إن أعباء هذا الجعل الوسط ومسؤولياته وما يتطلبه من القوامة المستمرة على حماية قيم الأمن والعدل واحترام حقوق الانسان، لقوله تعالى: (ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) (الاسراء، ٧٠).

الامة الاسلامية هي امة العقيدة، وكل من يؤمن بهذه العقيدة فهو الامة الوسط، الشهيدة، مهما كان جنسه او لونه او قومه او موقعه الجغرافي، بعيداً عن الانغلاق والتعصب والتميز. وحسبنا أن نقول ان القيم التي نعتبر الخيار وعدم الإكراه مرادفاً لأنسانية الإنسان وكرامته، والقيم التي استوعبت الحركة الحضارية التاريخية، وانتهت اليها اصول النبوات السابقة، هي قيم مؤهلة للحكم والشهادة على الذات وقيادة الناس.

إن الأمة المسلمة بمجرد ان تتمكن من اعادة التعامل مع عالم أفكارها، وتقييم واقعها بقيم الكتاب والسنة، وتحديد مواطن الخلل واسبابه، لا تلبث أن تعاود النهوض، الأمر الذي لم يتحقق لسائر الحضارات البشرية التي سادت ثم بادت وتحولت من شاهد الى مشهود.

والحقيقة التي لا بد من التذكير بها هنا، هي أنه يجب ان يتحول الكلام - في تقديرنا - الى كيفية الشهادة على الذات التي تؤهل للنهوض والشهادة على الآخر، والى دراسة التحديات التي تواجه أمتنا الإسلامية. التحديات الداخلية ذات العمق الاستراتيجي الروحي الفكري والنفسي والمادي والتحديات الخارجية التي تهدد مجتمعاتنا الاسلامية على حد سواء.

إن تحديد مواطن الخلل، ومبعث الخطر، وأسباب التهديد ومصادره، وإعادة تقييم الذات بقيم الإسلام، ووضع البرامج والآليات لذلك، اصبح ضرورة حضارية، ذلك أن عظمة هذه القيم لا تتناسب مع خيبة واقع الأمة التي تنسب الى هذه القيم.

ومعلوم أن الغياب الفكري الحضاري، او الأزمة الحضارية التي يعاني منها مجتمعنا الاسلامي اليوم ليس الفقر في القيم التي اكملها الله، وتعهد بحفظها في الكتاب والسنة، وليس بسبب الفقر الاقتصادي فالعالم الاسلامي يزخر بموارده الغنية .. إن الإنحسار الحضاري الذي يعاني منه العالم الاسلامي اليوم هو أزمة فكر اولاً وقبل كل شيء.

إن قضية التحديات التي تواجه العالم الاسلامي المعاصر، لا بد من التوقف عندها بما تسمح به هذه العجالة .. هناك قضايا اخرى لا بد من لفت النظر اليها ايضاً قبل ان نشرع في الإحاطة بتلك التحديات..

أولها، سؤال أساسي وجوهري .. ما هو العالم الإسلامي .. وهل هنالك أمة إسلامية بالعنى الأكاديمي والسياسي لمصطلح الأمة؟

والإجابة على السؤال ليس من نتائج فرضيات هذا البحث، وإنما جاءت الإجابة من فوق سبع سموات (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) .. ويجدر بنا أن نشير إلى الحقائق التالية:

. إن المسلمين هم خمس سكان العالم.

. بلاد المسلمين تفوق مساحتها ربع مساحة الكرة الأرضية بأكملها.

. العالم الإسلامي هو الأول في إنتاج النفط ومشتقاته وهو السلعة الاستراتيجية الأولى في عالم

اليوم .. وكذلك الكثير من المنتجات الزراعية والصناعية الأخرى.

تقول الاحصاءات المتوفرة حتى العام ١٤٢٢ هـ إن العدد الإجمالي لسكان العالم الإسلامي يفوق

المليار نسمة بخلاف الاقليات المتفرقة التي تعيش في دول غير إسلامية أو خارج العالم الإسلامي.

وتقول الاحصاءات ان ما يزيد عن ثلثي سكان العالم الإسلامي يعيشون في قارة آسيا حتى

الآن هي ست وعشرون دولة، ويعيش حوالي اربعمائة مليون نسمة من سكان العالم الإسلامي في

قارة افريقيا في ثمان وعشرين دولة مستقلة.

فإذا أضفنا إلى سكان العالم الإسلامي، المسلمين المقيمين متفرقين كاقليات في قارات أوروبا

والأمريكيتين والمناطق الأخرى من العالم وهي أعداد لا يتوافر الإحصاء الدقيق لها حتى الآن،

فإنه يمكن ان تصل القوى البشرية لنحو المليار ومائتي مليون مسلم.

هذه القوى تمثل نحو خمس سكان الكرة الأرضية .. وهذه القوى يجمعها كلها دين واحد

ونسق ثقافي وقيمي واحد ومستقبل ورائة الأرض من بعد الذكر.

يملك العالم الإسلامي إمكانيات ضخمة من عناصر القوى الاقتصادية وهي الثروات الزراعية

والحيوانية والمعدنية وخامات الصناعة .. وتتضح أهمية هذه الإمكانيات الهائلة والطاقات

التوفرة في العالم الإسلامي، خاصة في هذا الموقع الفريد الذي يحتله في قلب العالم إذ يربط بين

القارات القديمة الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا بطرق لتواصلات البحرية والجوية مع قارات العالم

الجديد، فيكاد لا يوجد خط بحري أو جوي في العالم إلا ويمر بالعالم الإسلامي، فهو ملتقى طرق

العالم وتجارته.

هذه الأهمية القصوى للعالم الإسلامي من حيث الموقع والطرق ووفرة الخامات، هي التي

جعلته مطمع الدول الكبرى ومجال صراعاتها وهدف سيطرتها. وهذا أول التحديات التي واجهت وستواجه عالمنا الإسلامي خلال القرن الحادي والعشرين.

ثانيها: قوله تعالى: (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل..) (الروم: ٤٢).. إن دعوة السير في الأرض، التي حث عليها القرآن تنبؤنا بأنه قد يكون الحاضر نتيجة لمقدمه في الماضي، وقد يكون لنتيجة لا تظهر إلا في المستقبل، قد يكون المطلوب اليوم، أكثر من أي وقت مضى، في مجال الدراسات الإنسانية التي بلغت عند غيرنا شأوا بعيدا، أن نتوجه صوب فقه القصص القرآني، بالقدر الذي توجهنا به إلى آيات الأحكام، لنكتشف فيها حضاريا في إطار علوم الإنسان، والقوانين الاجتماعية.

ثالثها: مهما كانت التحديات فإن مواثيق الله سبحانه وتعالى وما وعد به الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم من أن تسليط الأعداء على الأمة الإسلامية ليس تسليط استئصال، وإن أصابتهم للمسلمين وإضرارهم بهم، ما هو إلا أذى، وليس إنهاء لهم، لأنهم أمة الرسالة الخالدة الخاتمة، والشواهد التاريخية دليل على ذلك، فالأمة المسلمة تمرض وتضعف، لكنها تستعصي على الموت الذي لحق بالكثير من الحضارات السابقة لها واللاحقة عليها.

رابعها: إن الأمة المسلمة لا تجتمع على الخطأ والضلالة، فلا تزال عصمة الأمة بعمومها قائمة ومستمرة، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

خامسها: رغم مظاهر الضعف البادية وكثافة التحديات وتعقد المشكلات إلا أن هناك طائفة من الأمة الإسلامية لا تزال قائمة على الحق تحرسه، وتحول دون الإنحراف عنه، وتضمن سلامة التواصل الثقافي بين الأجيال، لا يضرها من خالفها حتى يوم الدين، والتي تشكل النواة دائما للنهوض والإمكان الحضاري.

سادسها: أن الإمساك بالإيمان واق من آثار الهزيمة، وما تورثه من الوهن والحزن، وداع إلى الاستعلاء وعدم السقوط، والمعاودة للشهود الحضاري بعد الإنحسار والتراجع.

إن هذا البحث ليس إلا إضافة متواضعة للأبحاث والدراسات التي سبقته في تناول الأزمة الحضارية والتحديات التي تعيشها اليوم امتنا الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها. ولعلي لشير إلى العدد الكبير من الدراسات والأبحاث التي ظهرت في غضون السنوات القليلة الماضية في ساحة الفكر الإسلامي وقد شعرت من خلال مطالعتي لتلك الأعمال القيمة أنها على تفاوت بينها. قد أولت موضوع (التحديات التي تواجه عالمنا الإسلامي في قرن الألفية الثالثة) اهتماماً خاصاً، لذلك

لم أجد ضرورة للتفصيل، ولكنني أوردت أكبرها وأخطرها لأهميتها من ناحية وإمكان السيطرة عليها وإمكانية مواجهتها من ناحية أخرى. وربما كانت الإضافة الحقيقية في هذا الاستقصاء أنه يقدم دراسة تحليلية لطبيعة السنن الربانية، التي تحكم كل صغيرة وكبيرة في هذا الوجود وربطها بالتحديات الماثلة اليوم والمتوقعة في المستقبل القريب.

أهم التحديات

ها نحن نجابه الواقع الأليم الذي نعيشه، ولا يحتاج منا إلى كثير شرح وبيان. والكل منا يحياه ويراه، وإن كان بعضنا أشد احساساً بوطأته من بعض. الآن نأتي إلى السؤال الذي قدمنا هذه المقدمة الطويلة من أجله، ما هي الأسباب التي أوصلتنا إلى ما نحن عليه؟ وما هي التحديات الحقيقية التي تواجه عالمنا الإسلامي؟ وكيف الخروج من المشكلات التي تجابه امتنا الإسلامية وتعرض سبيل نهضتها؟ وللجواب على هذه الأسئلة .. نقول: هناك الكثير من التحديات والمشكلات التي تعرض سبيلنا وتحول بيننا وبين الوصول إلى الغايات السامية في وحدة الصف والكلمة والمصير والنهوض الحضاري .. ولكن أهمها ما يلي:

أولاً: ضياع الهدف والغاية

إن أول أسباب الفشل والضياع الذي أصاب مجتمعنا الإسلامي، وأضعف امتنا وشتت شملها هو ضياع الهدف والغاية التي من أجلها برزت هذه الأمة إلى الوجود .. وكانت خير أمة أخرجت للناس .. فالأمة الإسلامية أمة العقيدة، أمة الدعوة، أو بلغة المعاصرين .. أمة الفكرة. والفكرة التي جمعت هذه الأمة ليست فكرة أرضية بشرية، لكنها كلمة إلهية ربانية .. لا إله إلا الله، محمد رسول الله .. كلمة تملأ القلوب والوجدان وتغذي الفكر والعاطفة .. وهي تعني باختصار أن الله خالق هذا الكون ومدبره، وأنه الإله الواحد الذي يجب على جميع الخلائق توحيده وعبادته، وأن كل ما يعبد من دونه باطل، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو المختار المصطفى للدلالة على هذا الرب العظيم، ودعوة الناس جميعاً إلى مرضاته، وتحذير العالمين من مغبة معصيته، وعلى أساسها اجتمع الأسود والأحمر، والعربي والأعجمي .. ونخلص إلى القول أن الأمة الإسلامية تجمعها عقيدة ودعوة قبل أن يجمعها جنس ولون، أو أرض ووطن، أو قوم

ونحلة.

ولكن هذا الهدف الأسمى، والغاية العظمى قد نافستها في أرضنا غايات متواضعة تحولت بها الأمة الى أمم .. فلقد زاحمت هذه الغاية غايات دنيوية هزيلة، وذلك بعد أن قسمت بلاد المسلمين الى دويلات صغيرة وقام في كل إقليم حاكم غايته في الغالب الأعم أن يرقى بشعبه في سلم الماديات والحياة .. ونسى الهدف الأسمى للأمة، والغاية العظمى التي خرجت من أجلها .. (كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله ..) (آل عمران: ١١٠) ..

وباختصار.. لقد ضاع منا الهدف كامة لها رسالة وغاية في الوجود، وعلاج هذه المشكلة والتحدي الكبير الذي يواجه امتنا الإسلامية هو أن نعود من جديد الى أول الطريق، والى الصراط المستقيم، ونمسك مرة ثانية بطرف الحبل، حبل الله المتين، فنوجه الافراد الوجهة التي خلقهم الله من أجلها، وتعلم الأمة الغاية التي أخرجهم الله لها .. لتكون خير أمة أخرجت للناس ..

ثانياً: التفرق والخلاف

التحدي الثاني الذي يواجه مجتمعنا وامتنا هو التفرق والاختلاف .. وذلك لضياح الهدف أولاً . كما ذكرنا . ثم لضياح حقيقة الدين، او بالأحرى الاختلاف على حقيقة الدين الذي يريده الله منا، ونعني بحقيقة الدين، نموذجة الأسمى، وصورته الصحيحة .. لقد وقع بين المسلمين خلاف يفرقهم الى مسلم وكافر، وموحد ومشرك، ومتبع ومبتدع، وسني وشيعي، والى غير ذلك الثنائيات العقيمة.

وحقيقة الشريعة كذلك .. اضحى فيها خلاف بين المسلمين، ليس في فرعيات بعينها فقط، بل ايضاً وفي الأصول التي يرجع اليها عند الاختلاف .. ومناهج التربية ايضاً امتدت اليها الاختلاف والتفرق، فنجد التربية التي تدعو الى الانزواء عن مقارعة الباطل، ونجد التربية الحزبية الضيقة، التي جعلت كل مجموعة من المسلمين امة براسها، وحزباً منفرداً يوالي أهل حزبه وجماعته فقط، ويعادي ما دون ذلك، ولا يرى حقاً إلا مع نفسه وجماعته، ونشأت التربية الوطنية او الاقليمية الضيقة، فعمقت الاختلاف والتفرق، وزرعت الفتنة والبغضاء .. ولقد تجاوزت التربية الاقليمية والوطنية التحزب للوطن كجزء من الأمة الإسلامية الى الاعتزاز بماضي هذه الأوطان قبل الإسلام .. فمجدت لذلك الجاهلية الفرعونية، والأشورية، والبابلية،

والفينيقية، واليعربية الجاهلية .. ونشأت كذلك الحزبية السياسية فاخرعت ايضاً عقائد خاصة، ومناهج خاصة في التربية والتنشئة والولاية والتشريع.
وباختصار .. تفرق المسلمون في حقيقة الدين أولاً .. فكانوا شيعياً واحزابياً .. وافترقوا كذلك باسباب اخرى تعصباً للوطن او الجنس او الحزب الذي يخترع عقيدة مناهضة للإسلام وبعيدة عنه.

وهذه في الحقيقة مشكلة المشاكل أمام الأمة الإسلامية والمجتمع الإسلامي.. مشكلة المشاكل التي هدت قوى هذه الأمة، وأذهبت ريحها، وشتت شملها، ولا نتصور أن يقوم للمسلمين قائمة في الأرض، أو تبنى لهم أمة صالحة إلا بعلاج هذه المشكلة ومواجهة هذا التحدي الكبير، ولا علاج له إلا بالتنادي للالتفاف من جديد حول الكلمة التي وحدتهم، والتشريع الذي جمعهم .. ولاشك أن الوصول لذلك مستحيل إلا بالرجوع الى مصادر الدين الأساسية .. الكتاب والسنة.

وكذلك فلا بد من محاربة المصيبة أيضاً كان لونها وشكلها .. عصبية الوطن او القوم، او المذهب، او جماعة الدعوة، أو أي مسمى من المسميات الجاهلية أو الإسلامية .. ولا شك أن هذه التربية تقتضي أن نبحث عن حقيقة الدين التي يريد الله منا، العقيدة والإيمان، الذي يريده الله، والشريعة والصراط الذي يحبه الله ويرضاه.

ولاشك ايضاً أن الجهاد والاجتهاد ليكون هذا المنهج في التربية معمولاً به في جامعاتنا، ومدارسنا، ومحاضراتنا ومؤتمراتنا الفكرية والتربوية، هو بداية الطريق للتأسيس والبناء، وذلك لينشأ لنا بعد زمن قصير بإذن الله الجيل للوحد الذي يتناسق ويتفق في توجهاته وأفكاره، بدلاً من الجيل الضائع المشتت بين الانماط المختلفة والأشكال المتباينة من العقائد والأفكار والآراء.
وتختفي بإذن الله مظاهر الإنفصام والاعتراب والتذبذب الفكري، وإزدواج الشخصية، هنا المرض الذي بات يهدد شبابنا ورجالنا ونسائنا على حد سواء وعلى طول عالمنا الإسلامي وعرضه.

ثالثاً: وقوع كثير من بلدان العالم الإسلامي تحت النفوذ السياسي والهيمنة الاقتصادية والثقافية للحضارة الغربية

لقد نشأ في أرض الإسلام واقعاً جديداً من الأنظمة السياسية، والاحزاب، والحدود السياسية، والقوانين والتوجهات الاقتصادية والاجتماعية .. وغرست انماطاً من السلوك والتقاليد والعادات

والميل تتفق في الكثير من مظاهرها مع واقع الهيمنة للحضارة الغربية المعاصرة على الكثير من بلدان عالمنا الاسلامي.

هذا الواقع يتمثل في القوانين الوضعية، والمناهج التربوية، والكثير من أوجه الفكر والثقافة وآداب السلوك، والعادات والتقاليد.

إن الحضارة الغربية المعاصرة هي إحدى حلقات التراكم المعرفي والقيمي والإنساني، ويفرض علينا فقه ورائة الأرض بما ينفع الناس أن نحلل الغرب بحضارته وإنسانيته وعلومه وتقنياته فالغرب ليس كتلة صماء .. وليس للمسلمين مشكلة مع إنسان الغرب ولا مع العلوم والمعارف والتكنولوجيا، وإنما يتحفظ المسلمون تجاه (المشروع الغربي) الساعي إلى الهيمنة وفرض النفوذ والأحادية القطبية.

والتحدي الذي يواجه امتنا الاسلامية في المستقبل المنظور هو مدى القدرة على تفكيك عناصر الحياة في المشروع الغربي وإعادة تركيبه من جديد على هدى من الله ورضوان، ووفقاً لقيم وتعاليم الحنيفية السمحاء .. ويفرض علينا هذا التحدي اتخاذ الموقف الوسط بين تيارات انعزالية متطرفة ترفض الغرب ككله جملة وتفصيلاً ولا ترى فيه خيراً وبين تيارات اندماجية متطرفة أيضاً تسعى إلى تذويب الهوية والذاتية وتفتح الباب أمام اختراق السيادة .. نحتاج وبشكل عاجل لمنهجية واضحة للتعامل مع الغرب والحضارة الغربية.

إن العالم الاسلامي اليوم في حاجة إلى منظمات عالمية تهدف إلى إنتاج الأدب الاسلامي القومي الجديد الذي يعيد الشباب المثقف إلى قوة الايمان وعزة الاسلام بمعناه الحضاري الواسع من جديد، ويحررهم من ريقه الفلسفات الدخيلة.

رابعاً: أخطاء مناهج الإصلاح

بالرغم من تحديات الواقع الاجتماعي والفكري والثقافي الجديد، الذي تعيشه امتنا .. وبالرغم من كثافة التيارات والاتجاهات الفاعلة الداعية للتغيير والناشطة في مجالات الإصلاح بجوانبه المختلفة .. إلا أن هناك الكثير من الأخطاء في التقديرات وفي التحليل والتطبيق .. فهناك من يعتقد ويظن أنه يستطيع تغيير هذا الواقع بمجموعة من القوانين .. أو كما يقولون: يمكن تغيير هذا الواقع بجرة قلم وهذا بعيد جداً عن الصواب .. فالإيمان لا يفرض بقانون، نحن نحتاج أولاً إلى وجود الحقيقة الايمانية في عامة شعوب عالمنا الاسلامي .. ونحتاج إلى غرس

الفضيلة، ونشر الوعي، والانتقال خطوة نحو الكمال والاصلاح.

خامساً: تحدي العلمانية والتيارات اللادينية

(العلمانية) هذا المصطلح الذي تحول في عالمنا الحاضر من مجرد رؤية فكرية الى منهج حياة تتبناه العديد من الأنظمة والشعوب، بل اتسعت رقعة تطبيق العلمانية لتصبح شبه قانون تريد أقلية تسيطر على مقاليد القرار في العالم فرضه كنمط شامل للإنسانية جمعاء، ولم تسلم الأمة الإسلامية من هذا التحدي الفكري والسياسي. وفي هذا الإطار فإن الأقليات الإسلامية في الغرب تواجه تحديات أكبر لأنها تعيش النمط العلماني.

وتعيش باعتبارها مجتمعاً إسلامياً له ملامحه الخاصة في محيط غير إسلامي وسواء أكانت هذه الأقلية المسلمة متمتعة في البلد الذي تعيش فيه بحقوق المواطنة دون تمييز أو اضطهاد، وبالحرية والحقوق التي كفلتها المواثيق الدولية، أو كان مركزها في المجتمع مركز الأقلية المضطهدة أو المستضعفة أو المحرومة أو غير المرغوب في وجودها.

والمتتبع لتطور الفكرة العلمانية وخلفياتها الأيديولوجية والتاريخية، يلاحظ أن النشأة كانت في ظل توتر كبير بين الكنيسة والحياة العامة وبالتحديد الدولة. ولم يكن الإسلام والمسلمين طرفاً في ذلك التوتر والصراع بين الدين والدولة في يوم من الأيام، وإنما هي امراض الحضارة والمجتمعات الغربية.

لقد تزامن الضغط النفسي على المسلمين المقيمين في بلاد الغرب مع بداية صحوة في صفوف هؤلاء، وبداية وعي بهويتهم وثقافتهم وعودة الى دينهم ..

ومن ذلك (الحجاب الاسلامي) بدأ في الانتشار، ليميز المرأة المسلمة عن غيرها، كما ان للساجد تكتظ بالمصلين يوم الجمعة والأعياد وكثر التعلق بالأداب الإسلامية والتحري في أكل اللحم الحلال، وعقد المؤتمرات الكبيرة، وتزايد الجمعيات الثقافية.

وامام هذه الظاهرة اصبح العلمانية سلاحاً مشهوراً ضد مظاهر الصحوة الإسلامية، وأصبح التعليم هو ميدان الصراع الرئيسي.

سادساً: تحدي مواجهة آلة الإعلام الغربي والمفهوم الحديث لصراع الحضارات

منذ أن نشر صموئيل هانتفوتون كتاب (صدام الحضارات) كتب آلاف المقالات تناقش هذا

للموضوع الحساس لما له من صلة بمجريات الأحداث في المسرح العالمي عموماً وفي عالمنا الإسلامي على وجه الخصوص.

فلم يكن ظاهراً من ناحية موضوعية ومجردة أن الإسلام - الذي تعايش مع الغرب اليهودي والمسيحي منذ أكثر من خمسة عشرة قرناً - قد أصبح فجأة عدواً خطيراً يهدد كيانه ومصالحه الحيوية، ولكن أصبح من الواضح الآن استغلال آلة الإعلام الغربية العملاقة لتصوير الإسلام كعدو للغرب، وأصبح ذلك يمثل واقعاً، ومن هنا برزت ظاهرة الخوف من الإسلام في الغرب وجندت له الأقلام والصحف والإذاعات والسينما لتصوير كل صراع يجري على الحدود الإسلامية الغربية على أنه يمثل حلقة من حلقات الصراع مع الغرب وأن هذه الحلقات تتكامل وتزداد يوماً بعد يوم حتى يصير الأمر صراعاً شاملاً بين الإسلام والغرب في المنظور المستقبلي.

وكانت مهمة هانتغنتون أن يوحى بأن الصراع والصدام بين الحضارة الإسلامية وبين الغرب اليهودي / المسيحي أمر حتمي وأن هذه الحتمية تأتي من طبيعة الإسلام الديموية الأراهبية. بل وذهب هانتغنتون إلى القول بأن الإسلام سوف يتحالف مع الحضارة الصينية لتهديد الغرب، وأن هذا التحالف قد بدأ بالفعل في باكستان والسودان.

لقد دعا الإسلام إلى حوار الأديان والحضارات منذ أكثر من خمسة عشر قرناً واعترف بكل الأديان التي كانت معروفة: اليهودية والنصرانية والصابئة والمجوس، ودعا إلى حوار بالتي هي أحسن وبالْحكمة والوعظ الحسن وبالجدل العقلي الرصين (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والوعظ الحسن ..).

لقد دعا فخامة الرئيس محمد خاتمي رئيس جمهورية إيران الإسلامية إلى حوار الحضارات في مقابل دعوة هانتغنتون إلى صدام الحضارات، وجاءت دعوة فخامة الرئيس خاتمي ممثلة لكل مشاعر المسلمين في الشرق والغرب.

ولعل أروع ما أورده فخامة الرئيس خاتمي في خطابه الفذ أمام منظمة اليونسكو في باريس أكتوبر ١٩٩٩م قوله (وبمثل ما نتناول يومياً خبزنا وماءنا من الأرض يجب أن نتناول حصتنا اليومية من العقيدة طازجة من السماء، فيجب على العقيدة أن تناسب كالنهر كيما تبقى لا أن تكون كالستنقع الراكد، فبالعقيدة سنجعل ثمار الأخلاق والسلام تنساب باستمرار، وبالعقيدة تصيح أي لحظة تجديداً يدفع الفرد لحب الإنسانية والعالم)..

سابعاً: قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر

لقد افتقدت الشخصية المسلمة الكثير من فاعليتها ومنهجيتها وصوابها، وانتهت الى صور من التدين محزنة، بعيدة عن التبصر بحركة التاريخ وسنة التداول الحضاري، تفتقر لأبسط مستلزمات عمارة الأرض، تحاول تعويض مركب النقص أمام التحدي الحضاري العالمي بالإحتماء بالتاريخ والتراث، والافتخار بانجاز السلف في العلوم والفنون.

ولن نتكلم عن الأسباب الكثيرة التي سببت تخلف العالم الإسلامي العلمي والتقني، ولكن السؤال المطروح: هل يستطيع المسلمون اليوم وهم في بدايات القرن الحادي والعشرين - ان يقدموا إسهامات تنقذ حضارة الازمة او تعالج ازمة الحضارة؟

ان هجرة الكفاءات من بلاد المسلمين تكلف مئات الملايين من الدولارات سنوياً من رأسمالها، عدا الخسارة الدائمة من عائد هذا الاستثمار، والتخلف الذي يورثه على مختلف الاصعدة.

وكما تشير الاحصاءات فإن ٥٠% من الأهلبياء المهاجرين الى الغرب و٢٣% من المهندسين ٢٠% من الفيزيائيين هم من عالنا الإسلامي، وغيرهم كثير في مختلف التخصصات. ولسنا بصدد الكلام عن عوامل الطرد هنا، والجذب هناك، وإنما لنعطي مؤشراً ولو بسيطاً على أن التقدم العلمي هناك يمتص الخبرات والعقول كلها لبقى العالم الإسلامي متخلفاً. ولنا أن نتصور عندما يتحول الخزون العقلي لأمة من الأمم الى ميادين الإنتاج في أمة أخرى، فالعقل المتفوق والساعد والمال والواد الأولية للعالم الإسلامي تصب في الحضارة الغربية، فكيف يمكن النهوض والتقدم، والحالة هذه؟

وهو في ذلك، فإن باب الإبداع والإنتاج موصود تقريباً أمام النخبة في العالم الإسلامي. وهناك آلاف القصص عن العلماء الذين بلغوا أو جأ في التحصيل العلمي، لكنهم لم يستطيعوا الاستمرار في أوطانهم، لهذا السبب أو ذلك، وقس على ذلك للمهندسين والتقنيين وللوهابيين، هؤلاء غالباً ما يتحولون الى موظفين جالسين وراء الكاتب يوقعون الاوراق، او يلقون المحاضرات النظرية.

يضاف الى ذلك ان هامش الحرية في العالم الإسلامي ليس من السعة بحيث يستوعب المستوى العقلي، والإبداعي، على الرغم من أن العقل العلمي ليس سياسياً دائماً بالضرورة. فالعقل العلمي مشغول بإبداعه واختراعه، ولا يتطلب أكثر من مناخ مقبول من حرية الفكر، والحوار، والناقشة، وتبادل الرأي للقيام بالتجارب والدراسة، وهذا مع الاسف، مفقود في كثير من بلدان

العالم الإسلامي، بسبب من تحكم الدول المتقدمة التي تفرض هذا المناخ من الاستبداد السياسي على عالم المسلمين ليصب رصيده من النوايغ والعقول في نهاية المطاف في مصلحتها.

لذلك فأولى الخطوات في هذا الأمر حل المعادلة الصعبة بين العلم والحكم، أو بين الثقافة والسياسة في العالم الإسلامي، وإلا تبقى الجهود مبعثرة، والإغتراب واقع، سواء كان الإغتراب عن الوطن، أو الإغتراب في الوطن. ولا أمل في النهوض.

وأخيراً.. فإن هذه الكلمة.. وهذا البحث والاستقصاء تذكرة شخصية لكل مسلم يخفق بين جنبه قلب يحب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يقيم وزناً لغير سلطان الحق الإلهي ولو أن الدنيا قد اجتمعت على غير ذلك..

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . . .

**أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية
في القرن الحادي والعشرين**

الدكتور فتحي مرعي

من أشد التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية مع بداية القرن الحادي والعشرين هي الهجمة الشرسة التي ظهرت بوادرها ووضحت نواياها إثر غزو العراق واحتلالها بواسطة دولتين.. واحدة منهما . وهي بريطانيا . دولة ذات تاريخ عريق في الاحتلال والاستعمار ، بحيث كانت توصف بأنها الامبراطورية التي لا تغيب عن ممتلكاتها الشمس.. والأخرى هي الامبراطورية العظمى الجديدة والتي لا تنازعها قوة أخرى على وجه الأرض، وهي الولايات المتحدة الأمريكية، والتي حطت جيوشها على أرض العراق لكي تبقى هناك ماشاءت أن تبقى لتحقيق مآربها التي تتجاوز حدود العراق الجغرافية، لتطويق وتطويع العدو الذي اختارته بعد انهيار الشيوعية – وهو الاسلام والمسلمين – تحت ذريعة محاربة الارهاب والتطرف..

هذا الاحتلال الذي شرعته الأمم المتحدة ممثلة في مجلس الأمن بقرار رقم ١٤٨٢ والذي يعطي الولايات المتحدة وبريطانيا غطاء قانونيا يكون لهما بموجبه حق التصرف في ثروات العراق النفطية وإدارة البلاد الى حين يكون الشعب العراقي قادرا على حكم نفسه بنفسه.. وهذا الحين تقدره الولايات المتحدة وحليفها بريطانيا.. وكان التقدير المبني ستة أشهر زيدت الى سنتين ثم زيدت مرة أخرى الى خمس سنوات، ثم رفع الحد الأقصى لاقامة قوات التحالف في العراق، واصبح الى حين يكون الشعب العراقي قادرا على أن يحكم نفسه بنفسه.. متى؟ هذا لا يعلمه الا الغيوب..

وال جانب الهيمنة على نفط العراق ذو الاحتياطي الاستراتيجي الذي يعد أكبر احتياطي في العالم، والذي يوفر للولايات المتحدة ميزة استراتيجية كبرى، ليس اقلها التأثير في اسعار النفط عالميا، واضعاف منظمة الأوبك.

أقول أن ذلك، ليس هو الجائزة الوحيدة لاحتلال العراق وإنما حسب تصريح كولن باول مؤخرا، فإن التواجد في العراق يضمن أمن اسرائيل وهي ربيبة الولايات المتحدة..

كما أنه يتواجدها في قلب العالم العربي – العراق – أصبحت أمريكا جارة لكل من ايران وسوريا والأردن وتركيا.. والحجوة هي التعبير الذي استخدمه الأمين العام للجامعة العربية في كلمته التي ألقاها امام المجلس المصري للشؤون الخارجية بتاريخ ٢٠٠٢/٦/١٨ ونشرت مقتطفات منها في جريدة الشرق الأوسط في عندها الصادر بتاريخ ٢٠٠٢/٦/١٩ حيث قال (انه فيما يتعلق بالوضع في العراق فإنه لا يوجد ضوء محدد في نهاية النفق نؤسس عليه توقعا واضحا بأن هناك حكومة عراقية قادمة قريبا) إن أمريكا أصبحت موجودة في قلب المنطقة وأن جوارها قد

يستمر وستكون له تداعيات ينبغي التعامل معها عن طريق الحوار..

كما كتب . توماس فريدمان مقالا نشرته جريدة الشرق الأوسط في عددها الصادر بتاريخ ٢٣/٦/٢٠٠٢ بعنوان «إشتر واحدة وخذ الأخرى مجانا»^(١) قال فيه «إن غزو أمريكا للعراق أخذ اثنتين بشراء واحدة». وهو يعني - كما جاء في المقال - أن إيران أخذوها ماجانا بغزوهم للعراق .. هكذا يفكرون.. ونراهم يتحرشون بإيران في العلن وخلف الستار.. وقد صرح جون بولتون مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشؤون الأمن والتسلح بقوله «إن الولايات المتحدة تحتفظ لنفسها بحق اتخاذ عمل عسكري ضد إيران بشأن الاتهامات الموجهة لطهران حول تطويرها أسلحة نووية، وأن استخدام القوة المسلحة ضد إيران يجب أن يكون خيارا مطروحا».. كما لم يخف الرئيس جورج بوش أن الولايات المتحدة تشجع المظاهرات في إيران.. واسرائيل تحرض أمريكا على إيران كما حرضتها على العراق.. فهي تخشى إيران كما كانت تخشى العراق.. والولايات المتحدة تفعل ماتريده اسرائيل وترفض على أنغامها..

وسوريا خضعت وتخضع لضغوط متزايدة من جانب الولايات المتحدة، ويقول كولن باول انها لا تفعل ما فيه الكفاية بالنسبة لما يطلبونه منها!!
وقد بدأت لعبة الدومينو تسير سيرها.. وكل البلاد العربية أصبحت في غير مامن مما يخططونه للمنطقة.. ومن الكلمات المشهورة لكولن باول أمام لجان المصالح الأمريكية.. قالها علنا ودون موارد..

والله وحده يعلم ما في جعبتهم .. ولقد شهدت حوارا تلفزيونيا في قناة LBC اللبنانية بين اثنين.. واحد منهما دانييل بايبس وهو باحث في السياسة الخارجية الأمريكية، وكان يتحدث من فيلادلفيا، والثاني هو الدكتور خالد الدخيل استاذ علم الاجتماع السياسي في المملكة العربية السعودية، وكان ذلك في برنامج «الحدث» الذي تدير الحوار فيه المذيعة شدا عمر.. والذي يعيننا في هذا المقام أن السيد دانييل بايبس ذكر صراحة أن هناك تيارن في الولايات المتحدة ازاء المملكة العربية السعودية.. الأول يتبنى فكرة «إبعاد» النظام الملكي القائم.. وهذه الكلمة أنقلها بنصها، والثاني يتبنى فكرة التعامل مع النظام الملكي وتشجيع هذا النظام على ادخال اصلاحات دستورية بما يحقق الديمقراطية والشفافية في الحكم.. وأنه هو شخصيا يتبنى الرأي الأخير.. هذا نمط مما يدور في أذهان الدوائر الأمريكية تجاه بلد صديق.. فما بالكم لو كان بلدا غير صديق؟!

صدام الحضارات تحول للأسف من نظرية الى تطبيق على أرض الواقع، وهم يعتبرون ان الاسلام أصبح هو الخصم الذي ينبغي منازلته بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وانحسار الشيوعية.. وأنه ينبغي تصويق الاسلام وتطويعه وكسر شوكتة.. وفي هذا السياق قال مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا ان الغرب اتخذ احداث ١١ سبتمبر ذريعة للهجوم على المسلمين..

ماذا نحن فاعلون؟! أنا لست من انصار المواجهة مع أمريكا أو غيرها.. بل أدعو - كما يبدو أمين عام الجامعة العربية- إلى الحوار معها.. ولكن من يقوم بالحوار من جانبنا؟! ليس للعرب ولا للمسلمين مرجعية.. بل نحن مشتتون.. متفرقون.. قلوبنا شتى.. ولو كنا متوحدين لاختلف الأمر اختلافا كبيرا.. ولما تجرأ علينا الآخرون.. لا أمريكا ولا إسرائيل.. ولا أي كائن من كان.. وهذه نبوءة خاتم النبيين محمدا صلى الله عليه وسلم «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها.. قالوا أمن قلة نحن يا رسول الله؟ قال لا.. ولكنكم يومئذ غناء كغناء السيل».. النبوة تحققت.. فعدد المسلمين في العالم اليوم يتراوح ما بين ١٢٠٠ إلى ١٥٠٠ مليون مسلم.. ولا يعمل أحد لنا حسابا.. في حين أن عدد اليهود في العالم لا يتجاوز أحد عشر مليون ويعمل الكل لهم ألف حساب!

وإن لم يكن هناك ما يدفع عنا المصير الحالك الذي ينتظر أمة الإسلام إلا بان نتبع ما أمرنا الله به، وهو أن ننبذ الفرقة والخلافات فيما بيننا «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا» (آل عمران ١٠٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا».. هذه هي الوصفة التي إن اتبعناها وغئبنا ما بأنفسنا من الشكوك فيما بيننا وعدم الاحساس بالمصير المشترك.. إن غئبنا ذلك غير الله حالنا إلى أفضل مما نحن عليه «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» (الرعد ١١)..

ولكن كيف نفعل ذلك؟! أمامنا مثل الاتحاد الأوروبي.. له مفوضية وله برلمان وله رئاسة دورية بالتناوب بين دول الاتحاد كل ستة أشهر.. وهم الآن بصدد اعتماد دستور جديد ينص على أن يكون للاتحاد رئيس منتخب ووزير خارجية، حتى يتكلم الاتحاد بصوت واحد، ويكون صوتا مسموعا يمثل ٢٥ دولة، ابتداء من العام القادم..

اعتقد أننا - سواء الدول العربية أم الدول الإسلامية - مازلنا بعيدين جدا عن وضع كهذا.. برغم أنه كانت لنا في الماضي مرجعية واحدة هي دولة الخلافة..

ولكن - وكما يقول المثل «ملا يدرك كله لا يترك جله» فالحل الوسط هو تقوية نظام الجامعة العربية وتطويره بما يلائم المرحلة التي نمر بها.. وقد حضرت منذ أسابيع قليلة مؤتمرا عقده الأمين العام للجامعة العربية على مدى يومين، وضم عددا من الشخصيات المهمة بمنظومة العمل العربي المشترك، وجرى تداول الأفكار المتخلفة التي تم الاعراب عنها.. ومنها إعطاء صلاحيات أكبر للأمين العام للتحدث باسم المجموعة العربية، وهامش أكبر للحركة.. كذلك اعتقد أن شيئا مماثلا ينبغي أن يكون بالنسبة للأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي التي تضم سبعة وخمسين دولة إسلامية، حتى يمكننا أن نقول أن هناك مرجعية للعالم الإسلامي.. وليس هذا هو التطوير الوحيد الذي ينبغي دراسته والتفكير فيه، وإنما مجال التطوير - بغرض تأكيد المرجعية - مفتوح ويمكننا الاستفادة بتجارب الآخرين..

لأن الأمور لو تركت لحالها هكذا فلن تقوم للدول الإسلامية قائمة .. وسيتم افتراسنا دولة بعد الأخرى.. وتكفي فلسطين وأفغانستان والعراق..

والخلاصة ان مشكلة الأمة الإسلامية هي الفرقة بين دولها، ولا حل لما هي فيه من ضعف وقلة حيلة الأبان نعى للمخاطر المحدقة بها، والتي لم تعد مخاطر محتملة بل مخاطر حالة وحاضرة، وستجهز على الأمة، مالم تفعل شيئا لتوحيد الكلمة ونبذ الخلاف.

والى جانب ماتقدم، مازلنا نرى تخاذلا اذا ماتطرق الأمر الى اتخاذ اجراء عملى ما.. فقد اجتمع مؤخرا وزراء الاعلام لدول الجامعة العربية، وكان مطروحا انشاء قناة فضائية عربية ووكالة انباء عربية، وللأسف لم يتم اقرار انشاء أيا منها! هكذا نتعامل مع الأمور.. ولو كان الأمر بيانا يصدر لما تأخر أحد(١) لأنه في النهاية «الكلام ببلاش» كما يقولون.

فانا لم نحس بالخطر المشترك فسوف نظل هكذا.. قانعين بالكلام والكلام فقط.. وسنظل ننتظر بسلبية مطلقة دورنا في أن نؤكل دولة بعد الأخرى.. متمنين ألا يحدث ذلك.. ولكن هيهات.

فالمطلوب أن نتكاتف ونكون يدا واحدة في مواجهة الأخطار المحدقة بنا من كل جانب، وأن تكون وسيلتنا هي الحوار مع الآخر وليس الصدام.

وأقول انه بالرغم من أن جسد الأمة الإسلامية اليوم منخن بالجراح فانه لن يمزق أبدا.. بل سيستعيد عافيته.. ويسترد هيئته.. بالعزم والتصميم والتغلب على الشعور باليأس والاحباط «ولاتهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين» (آل عمران ١٣٩).

وفي هذا السياق اشير الى ماكتبه المفكر العربي المسلم الدكتور رشدي فكار ونشر في كتاب «الاسلام والمستقبل» الصادر عن اللجنة التحضيرية العليا لمؤتمر القمة الاسلامي الخامس (الكويت عام ١٩٧٨م) يقول فيه انه على العقلية المسلمة ان تتحرك الآن.. فهناك رغبة هائلة لخلق هذه الأمة تماما، فلنعطها الفرصة (أي العقلية المسلمة) لكي تتحرك في مواجهة الصدمات الكبرى التي تهدف في النهاية الى شل حركة هذه الأمة وتجزئتها والتها مها جزئية تلو الأخرى (هذه نبوءة سبقت الأحداث الحالية بستة عشر عاما!) ويقول الدكتور رشدي فكار في الختام إن المواجهة الذهنية قدر محتوم على الأمة الإسلامية.. وأنه أن الأوان لأن نقول: نحن في مركب واحد، ولنا شاطئ أمان واحد..

هذا النداء الموجه الى أهل الفكر الإسلامي أحسبه موجه الى لجنتم الموقرة..

وفقكم الله.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الحملة الإعلامية ضد الإسلام والمسلمين

الدكتور صالح بن سليمان الوهيبي

الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد..

فقد أصبح من المألوف لدى كل المسلمين وغير المسلمين أن يسمعوها بشكل دائم ما تردده وسائل الإعلام الغربية عن المسلمين من أنهم إرهابيون وهمجيون ومتطرفون ومتآمرون وأعداء للحضارة ومتخلفون، وجميع ما في قاموس الشتائم من تعبيرات. وإذا كان المسلمون يعلمون حقيقة دينهم وما دعا إليه من أخلاق فاضلة ومبادئ عظيمة، فإن كثيراً من غير المسلمين قد وقع في شرك هذه الحملة الضلّلة، وصدق ما تدعيه، وعادى الإسلام من دون أن يعرف عن حقيقته شيئاً إلا ما تردده هذه الوسائل، واستسلم لها استلاماً كاملاً، وجعلها عقلاً تفكر له بالنيابة عن عقله، لما لها من خبرة وباع طويل في تفتيق الأكاذيب بصورة بارعة ومحترفة.

وإذا كنا نحن المسلمين جادين وصادقين في الدفاع عن ديننا وقضايانا فلابد لنا من وقفة جادة ورجعة صادقة للوقوف في وجه تلك الحملة الإعلامية المغرضة، من خلال رصد هذه الحملة، ومعرفة من يشارك فيها، ومن يقف وراءها، ومن المستهدف منها، وأهم أهدافها، وكيف نواجهها. وهذا ما سعيت لبيانته من خلال هذه الدراسة.

أولاً: رصد الحملة

قبل الحديث عن الحملة الإعلامية ضد الإسلام والمسلمين التي يمارسها الإعلام الغربي وعملائه في العالم الإسلامي، علينا أن ندرك حقيقة أكيدة وهي أن الإعلام المعاصر مكرس منذ بدايته في الدول الغربية والإسلامية لخدمة الغربيين ومبادئهم وأفكارهم ونشر ثقافتهم وتعميم رنائيل أخلاقهم، ولا أحد يقول إن إعلامنا - في حملته - يمثل الإسلام أو ينشر أخلاقه وفضائله أو يذيع مبادئه، بل يحاربه بكل الوسائل الإعلامية المتاحة، إلا ما رحم ربتك.

والحملة الإعلامية ضد الإسلام والمسلمين هي جزء من عمل الإعلام الضلل، ونارها تقوى وتخبو تبعاً لمصالح القوم وخططهم وأهدافهم.

وعلى هذا الأساس، يمكن تقسيم الحملة الإعلامية ضد الإسلام والمسلمين إلى فترتين

زمنيتين:

١. الحملة الإعلامية قبل أحداث ١١ سبتمبر

لعل التصنيف الذي كان سائداً قبل أحداث سبتمبر في الحملة الإعلامية هو تقسيم العالم الإسلامي إلى قوى اعتدال، وقوى رفض. فقوى الاعتدال يدخل فيها عدة دول إسلامية بما فيها إسلاميو تلك الدول، وقوى رفض أو قوى إرهابية أو راديكالية يدخل فيها عدة دول إسلامية بما فيها إسلاميو تلك الدول مثل الجماعات الجهادية في الجزائر ومصر، بالإضافة إلى دخول الحركات الجهادية داخل الأرض الفلسطينية المحتلة مثل حماس وغيرها، بل حتى الجمعيات الخارجية التي تدعم الفلسطينيين داخل الأراضي المحتلة.

ويؤكد هذا ما نقله بول فندي في كتابه «لا سكوت بعد اليوم» (ص ٩٣) عن أمرسون قوله «إن كل المنظمات الإسلامية تقريباً في الولايات المتحدة، التي تعتبر نفسها إسلامية وواقعة في قبضة العناصر الراديكالية يتعاون بعضها مع بعض عبر الدول، فسلسلة الأصوليين الإسلاميين تمتد من القاهرة والخرطوم حتى بروكلين، ومن غزة إلى واشنطن».

وعلى الرغم من قولنا بهذا التقسيم فإننا نؤكد أن التغطية الإعلامية الغربية عن الإسلام والمسلمين سيئة ومغرضة حتى قبل أحداث سبتمبر، وهناك أصوات كثيرة كانت تندد بالإسلام وتجعله العدو الأول للغرب. وهذا واضح في كتابات كثير من الغربيين أمثال هانتينغتون وفريدمان، وكذلك زعماء اليهود. يقول الصحفي روبرت فيسك «إن إسرائيل عملت على تشجيع خلق صورة من المطابقة والتماثل بين الإرهاب والإسلام، وذلك عن طريق ربط استخدام الكلمتين معاً في تصريحات زعمائها العلنية» (القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب، د. محمد السلومي، ص ٢٩٥).

وكذلك حال القضية الأفغانية التي لم تال الحكومة الأمريكية في دعمها مادياً ومعنوياً إبان الحرب الأفغانية الروسية وكان الإعلام الأمريكي يصف المجاهدين الأفغان بالأبطال، أما بعد الحرب فقد أصبحوا أهل قتل وسفك دماء واعداء للسلام والخير. يضاف إلى ذلك تبني الدول الغربية للكتاب الذين يسيئون للدين الإسلامي أمثال سلمان رشدي وتسليمة نسرين وغيرهما، وإساءة رجال الدين الغربيين أنفسهم إلى رسول الإسلام محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام وإلى القرآن الكريم أمثال بات روبرتسون وفرانكلين غراهام وغيرهما.

٢- الحملة الإعلامية بعد أحداث سبتمبر

وهي ما يمكن تسميته بالحملة الشعواء الظالمة التي أتت على الأخضر واليابس وكشرت عن أنيابها، وعادت كل ماهو إسلامي، ووصفته بالإرهاب والتطرف والهمجية، ورمته بشتى التهم الباطلة والألفاظ المستهجنة وجعلته العدو الأول والخطر الأعظم الذي يجب مهاجمته من خلال حروب صليبية تزيل الشر وأهله، بل تعدى الأمر إلى اتخاذ خطوات عملية خطيرة تهدد بلاد المسلمين، وقد تمهد لحرب عالمية، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأصبح الكلام عن الإرهاب الإسلامي يذكر في كل نشرة وكل صحيفة وكل مجلة وكل لقاء وكل مناسبة بشكل يومي.

وهذا يدل دلالة قاطعة على أن المستهدف الحقيقي من هذه الحملة هو الإسلام وأهله الصادقون وليس الإرهاب. وهذا ما صرح به ولي العهد السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز بقوله: «جميع المسلمين وليس السعودية وحدها مستهدفون في الحملة الإعلامية الغربية».

حتى إن بعض النصفين من الغربيين قد ساءت لهم هذه الحملة وردوا عليها من خلال كتاباتهم، يقول مدرس التاريخ الأمريكي السابق والكاتب مارك جلين في مقالته التي نشرت بموقع «أون لاين جورنال» الأمريكي وترجمها موقع «إسلام أون لاين».

«أكثر شيء أكرهه في هذه الحقبة الزمنية التي نعيش فيها حالياً، والتي أطلقت عليها (حقبة التاريخ المزيف كالخرقة) أن أرى المجتمع الأمريكي وطريقة تفكيره الساذجة تجاه بعض الموضوعات بعينها، نظراً إلى ما يتلقاه يومياً من أكاذيب ملفقة بصورة بارعة ومحترفة، فهل أصبح الشعب الأمريكي طيب النية إلى هذه الدرجة التي يصل فيها حد الاستسلام الكامل لوسائل الإعلام التي تسيطر عليها الحكومة، وللحد الذي يجعلون من تلك الوسائل عقولاً تفكر لهم بالنيابة عن عقولهم الحقيقية.

ومن أبرز هذه الموضوعات التي تظهر اختفاء عقول الشعب الأمريكي للأفكار التي تروجها آلة الإعلام الأمريكية براعة منذ أحداث ١١ سبتمبر عن الإسلام وكونه عدو الحضارة الغربية، حيث إن هذه الحقبة من التاريخ المزيف يعمل على صياغتها بدقة واقتدار عدد من المعماريين والمؤلفين الذين قرروا أن يكون الإسلام والمسلمون هما وسيلتهم لتنفيذ أهدافهم من تعقيب عقول الشعب الأمريكي، فوسائل الإعلام والحكومة تضع أمامنا يوماً وجبة كاملة من الأكاذيب عن الديانة الإسلامية وتاريخ علاقة الحضارة الإسلامية بالحضارة الغربية،

ورسالتهم واضحة للغاية وهي (الديانة الإسلامية تحض على كراهية باقي الأديان، وبخاصة المسيحية واليهودية)».

ثم ذكر بعض الحقائق عن الإسلام والمسلمين التي توصل إليها من خلال بحثه وهي غير موجودة لدى النصارى أنفسهم، ثم قال، «وأقول لمن يقولون الآن إن هنا الكلام لم يعد ضروريا فقد انتهت بالحرب الأمريكية على العراق، إن الحرب لم تنته بل بدأت لتوها، وحتى إذا كانت قد انتهت الأشياء فإن مجرد عدم الرغبة في معرفة الحقائق هو ما يسعى إليه مروجو الدعايات الفاسدة لهدم هذه الأمة الأمريكية، فهجومنا على دولة أخرى وتدميرها لسبب مزيف مثل العناء الكاذب بين الإسلام والمسيحية لا يجعل فقط هذه الحقبة الزمنية تاريخا مزيفا بل تاريخا من القمامة.

وفي النهاية أتوجه بالنصح لكل المسيحيين بالولايات المتحدة أن يفكروا بعقولهم مرة واحدة على سبيل التغيير، وأن يبدؤوا في إغلاق أجهزة التليفزيون ولا يشاهدوا أو يستمعوا لأمثال بيتر جينجنز، وقالوال، وروبرتسون، حيث إنهم نماذج للدعاية الكاذبة، وأن يبحثوا عن كتب تاريخ محترمة ويبدؤوا في أعمال عقولهم».

وقد سوغ الغرب لنفسه بعد أحداث سبتمبر أن يلقي بالتهمة على الإسلام والمسلمين جزافا، وكما يحلو له من دون إنصاف أو موضوعية. فمن تصريحاتهم الشهيرة أن من ليس معنا فهو ضدنا. كما أن الدول الإسلامية مقسمة عندهم إلى فئات كالدول الداعمة للإرهاب، ودول محور الشر، وهذا مايسوغ لهم خوض حروب عارية عن الغطاء الشرعي الدولي يكون ضحيتها آلاف الأبرياء مع احتلال الأراضي والأوطان والتهمة لأي دولة إسلامية - لها فيها مآرب - جاهزة، والجيوش مستعدة والأسلحة الفتاكة مهياة.

ثانياً: المشاركون في الحملة

جاء في بروتوكولات حكماء صهيون (إذا كان الذهب قوتنا الأولى للسيطرة على العالم فيجب أن يكون الإعلام قوتنا الثانية) وقد نجحت الصهيونية العالمية بلا شك في امتلاك وسائل الإعلام في العالم والتحكم في بث برامجها فيما يخدم مصالحها.

وفي هذه الحملة نجد تأثير اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة، وفي وسائل إعلامها لخدمة اليهود الغتصبين في الأراضي الفلسطينية، والسعي لكسب تعاطف الناس معهم، وبالأخص

الأمريكيين.

كما أننا نجد المسؤولين في الحكومة الأمريكية ساهموا بشكل كبير في الحملة الإعلامية على الإسلام وأهله، وهذا ما تطالعنا به وسائل الإعلام بشكل مستمر في تصريحات المسؤولين الأمريكيين التي يفتقر كثير منها إلى الموضوعية ومراعاة الأدب. ومنها على سبيل المثال قيام سناتور أمريكي يدعى غاي غلوديس بتمرير مذكرة مسيئة للإسلام إلى زملائه في مجلس الشيوخ تقول (إن الهجمات الإرهابية يمكن وقفها عبر دفن المتطرفين المسلمين الذي يدانون في أعمال إرهاب مع احشاء الخنازير) جريدة الشرق الأوسط، ٢٩ يونيو ٢٠٠٢م) بالإضافة إلى اتهام الدول الإسلامية بدعم الإرهاب في كل مناسبة من قبل المسؤولين الأمريكيين. ومن الغريب أن التهم الموجهة للأشخاص لا تربط بدياناتهم إلا إذا كانوا مسلمين، أما غير المسلمين فيشار إلى بلدانهم وجنسياتهم. ولاشك أن القصد من ذلك هو وصم الإسلام بالإرهاب.

والتأمل في وسائل الإعلام الأمريكية يرى عدم الموضوعية، والهجوم السافر من قبل تلك الوسائل على الإسلام وأهله، حتى أهل الإنصاف من الأمريكيين أنفسهم. وقد أصبح الأصوليون المسيحيون والجمهوريين المتطرفون من الأمريكيين بالإضافة إلى اليهود يحاصرون البيت الأبيض، ويدعمون إسرائيل ويشوهون صورة المسلمين والعرب، ولا أدل على ذلك من قانون الأدلة السرية الذي ابتدعه الأمريكيون لمحاكمة المسلمين من دون وجود أدلة تدنيهم.

وقد انضم إلى هذه الحملة الإعلامية دول من أوروبا كبريطانيا وفرنسا وروسيا، ولتطالع لوسائل الإعلام الأوروبية لايحتاج إلى كثير عناء لكشف هذه الحملة الغاشمة، خاصة فيما ينشر عن المراكز الإسلامية في الدول الأوروبية، وإيوائها للمتطرفين الإسلاميين، حتى وإن كانوا من خيرة الدعاة. بالإضافة إلى محاربة الأقليات المسلمة في البلاد الغربية والتضييق عليهم وسلبهم حقوقهم والاعتداء الجسدي عليهم في بعض الأحيان.

وإن مما يؤسف له أن تشارك في هذه الحملة وسائل الإعلام في الدول الإسلامية، مستغلة أي خطأ يحدث لإلصاق التهم بالإسلاميين، مطالبة بإسكات الأصوات النزيهة وإقصاء الدين، مقللة من خطر الأعداء ومكرهم. ولعل تفجيرات السعودية والغرب وما صاحبهما في وسائل الإعلام الإسلامية خير شاهد على ذلك.

ثالثاً: أهداف هذه الحملة

١. تشويه صورة الإسلام والمسلمين واتهامهم بالتعصب وعدم التسامح

وهذا ما تكرره وسائل الإعلام الغربية اتباعاً للقاعدة الإعلامية القذرة (اكذب واكذب حتى يصدقك الناس) ، فهي لا تتوانى في تشويه صورة الإسلام بمناسبة وغير مناسبة. فالإسلام في وسائل الإعلام الغربية متطرف، وقام بالسيف، ولا يعرف إلا الدم، وكبت الحريات، ومصادرتها، والمسلمون إرهابيون، ومصاصو دماء، ولا يسمحون لأحد بممارسة عبادته في بلدانهم.

وهذا ما صرح به كثير من المهتمين الغربيين الذين بحثوا عن حقيقة الإسلام بانفسهم. يقول الأستاذ / احمد بادويلان في مقالة له نشرتها مجلة (المستقبل الإسلامي) العدد (١٣٠)، التقيت دبلوماسياً غربياً، وعندما سنحت لي الفرصة للحديث معه سألته كيف ترى الإسلام والمسلمين الآن، وقد عشت بيننا رداً من الزمن، قال انتم رائعون، والإسلام ديانة جديرة بالاحترام قلت له لماذا ينظر الغرب إلينا بغير تلك الرؤية التي ذكرتها؟ فقال لأنكم غائبون.. الصورة التي قدمت لنا منذ الصغر في وسائل إعلامنا عن الإسلام أنه دين إرهاب وقتل ونهب وسفك دماء.

ويقول د. مراد هوفمان في تحقيق أجرته مجلة (المستقبل الإسلامي) العدد (١٣٦) : يجب ان نعلم ان العقلية الأوروبية الكاثوليكية لم تغير وجهة نظرها السلبية تجاه الإسلام بصورة كاملة، والإعلام الغربي يلعب دورا كبيرا في تشويه صورة الإسلام ومهاجمته، والغربيون ينساقون وراء هذا الإعلام، ويخافون على حضارتهم الغربية من حضارة الإسلام.

٢. اتهام المسلمين بدعم الإرهاب الدولي الموجه للغرب بالذات

وهذا ما اصبح يردد كبار المسؤولين في أمريكا والغرب عن الدول الإسلامية وقادتها وشعوبها، من دون احترام لسيادة الدول وحقوقها القانونية بعدم إلقاء التهم من دون أدلة، وسوف أسوق بعض العبارات التي رددتها عدد من أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي وبعض المسؤولين الأمريكيين عن السعودية، ونقلها موقع الجزيرة بتاريخ ١٤٢٤/٤/٢٨ هـ :

قال رئيس اللجنة القضائية في مجلس الشيوخ السيناتور الجمهوري عن أريزونا جون كبل أثناء جلسة استماع برلمانية: (إن المشكلة التي نواجهها هي قيام دولة برعاية وتمويل أيديولوجية

متطرفة توفر مكان التجنيد والبنى التحتية والمصدر المالي لإهابيين دوليين).
 - وذكر أعضاء آخرون في مجلس الشيوخ وخبراء في شؤون الإرهاب ورئيس قسم الشؤون القانونية في وزارة الخزانة الأمريكية ديفد أوفهاسر (أن مسؤولين ومؤسسات سعودية تنفق مبالغ طائلة لتمويل مدارس قرآنية ومساجد حيث يجري تلقين عدم التسامح الديني وأيديولوجية معادية للغرب).

- واتهم السيناتور الديمقراطي تشارلز شومر من ولاية نيويورك ما سماها الإيديولوجية الوهابية بالدعوة للحقد والعنف وعدم التسامح حيال الإسلام المعتدل والعالم اليهودي المسيحي. ووصف شومر العلاقة بين الحكم السعودي وعلماء الدين بأنها (عهد مع الشيطان).

- واعتبر ديفد أوفهاسر أن (المملكة العربية السعودية تشكل من نواح عدة مركز تمويل لتنظيم القاعدة الذي يتزعمه أسامة بن لادن إضافة إلى منظمات إرهابية أخرى) وأضاف أن (الوهابية ومواقفها المتطرفة هي من هذا المنطلق عامل مهم جدا يجدر أخذه بالاعتبار في مكافحة تمويل الإرهاب).

- وأعلن الكس الكسييف، الخبير في شؤون الإرهاب في معهد مركز السياسة الأمنية الخاص في واشنطن، نقلاً عن أرقام الحكومة السعودية أن الرياض أنفقت ٧٠ مليار دولار بين الأعوام ١٩٧٠ و ٢٠٠٢ بصفة مساعدات للخارج من دون احتساب الهيئات الخاصة. وأوضح أن تنظيمها خاصاً يقوم سنويا بطباعة ١٣ مليون نسخة من الكتب الإسلامية ويمول ثلاثة آلاف رجل دين وأكثر من ألف مدرسة ومسجد. وقال الخبير إنه وبفضل هذا التمويل يمتد نفوذ الحركة الوهابية إلى الولايات المتحدة ويدخل حتى المنظمات الإسلامية الكبرى في البلاد والمدارس والجيش كما ذكر السيناتور شومر. ورأى السيناتور أن أحد أنصار الوهابية نجح هكذا في السيطرة على التعاقد مع كل المرشدين في نظام السجون في ولاية نيويورك قبل أن يتم استبعاده.

٣. القيام بأعمال عسكرية ضد البلاد الإسلامية

طريقة الغرب وبالأخص أمريكا في حرب الدول الإسلامية التي لها فيها مآرب ومصالح دائماً تبدأ عبر وسائل الإعلام، وليس عبر قرارات السلطة الدولية، أو هيئة الأمم المتحدة، وحرب أفغانستان والعراق خير شاهد على ذلك.

فالحرب على أفغانستان بدأت بهالة إعلامية كبيرة رمت أفغانستان بالأرهاب، وإيواء

الإرهابيين وتدريبهم وتصديرهم إلى دول الغرب، بالإضافة إلى رجعية حكومة طالبان وتشددها، وأنها المسؤولة عن أحداث سبتمبر. وهكذا اعتدت أمريكا على شعب أفغانستان الأعزل ودمرت القرى والمدن والمساجد وقتلت الشيوخ والنساء والأطفال قبل التحقيق في أحداث سبتمبر. والحرب على العراق أخذت الطريقة نفسها، فالعراق يمتلك أسلحة نووية وفتاكة لم يكتشفها فريق التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل (ولم تجدها قوى الاحتلال الأمريكية والبريطانية حتى الآن)، ولا بد لأمريكا من التدخل بكل قوتها العسكرية الفتاكة حتى تجد هذه الأسلحة، ولكن هذا يتطلب تدمير كل العراق واحتلالها لسنوات غير محددة بالإضافة إلى قتل الأبرياء، وبعد ذلك ستجد أمريكا الأسلحة الفتاكة، أو قد لا تجدها لأن نظام صدام قد تخلص منها قبل سويغات من بدء الحرب!!

٤ محاصرة العمل الإسلامي والتضييق على الأقليات الإسلامية في البلاد الغربية

فقد كثفت وسائل الإعلام الغربية حملتها الظلمة على المراكز الإسلامية والجمعيات الخيرية، واتهمتها بدعم الإرهاب والإرهابيين، وطالبت بإغلاقها سواء الوجود منها في الدول الإسلامية أو في الدول الغربية، بدون وجود أدلة إدانة، وقد قامت الحكومات بالفعل بإغلاق عدد من الجمعيات الإسلامية والتضييق على بعض منها استجابة للمطالب الغربية التي ترغب في إيقاف أي عمل إسلامي إنساني يدعم ضحايا الإرهاب الذي تقوم به الدول الغربية ويصوره على أنه عمل إرهابي.

وعلى سبيل المثال فقد أغلقت بعض الجمعيات الإسلامية في أمريكا مثل مؤسسة النجدة الإسلامية ومؤسسة الأرض المقدسة للإغاثة والتنمية وفروعها، ومؤسسة جمعية الأقصى الخيرية بالمانيا، وبنك الأقصى العالمي في فلسطين، وبعض فروع مؤسسة الحرمين الخيرية في خارج المملكة.

كما نالت الحملة الإعلامية الأقليات المسلمة في البلاد الغربية، حتى أصبح الغربيون يتخوفون من الزيادة المطردة للمسلمين في الغرب، بل أصبحوا يضايقونهم، ويسيتون لهم، ويتعرضون لهم بالسب والشتم، وقد يصل الأمر إلى الإساءة الجسدية. يقول الأستاذ/ عبد الرحمن العمودي المدير الإداري للمجلس الأمريكي الإسلامي، في ندوة شارك فيها ضمن فعاليات المؤتمر العالمي التاسع للندوة الذي عقد في الرياض خلال المدة من ٢٢ - ٢٦ شعبان ١٤٢٢ هـ، (إننا

نتعرض للأذى في أمريكا بشكل دائم بعد أحداث سبتمبر).

ومع ان تلك الدول الغربية تدعي الديمقراطية والحرية فإن المعايير مع المسلمين تختلف تماماً. والازدواجية الغربية في التعامل مع الهيئات العاملة واضحة تماماً فإن مجلس الكنائس العالمي والفاتيكان ومن ورائهما الحكومات الغربية يدعمون الهيئات التنصيرية بأضعاف ماتدعم به الهيئات الإسلامية، وما تقوم به الهيئات التنصيرية في قارة إفريقيا وغيرها خير شاهد على ذلك، بل إن بعض الهيئات لها دور كبير في دعم حركات التمرد في بلاد العالم الإسلامي، ومع ذلك فلا أحد يستطيع أن ينبس ببنت شفة، بل الأمر أخطر من ذلك فهناك العديد من الجمعيات الغربية والأمريكية تدعم بأموالها وتبرعاتها دولة الكيان الصهيوني وتعزز من احتلاله وقضائه على الشعب الفلسطيني المفقور صاحب الحق والوطن. وهنا يحق لنا ولكل منصف أن يسأل من الذي يدعم الإرهاب؟ ومن هم الإرهابيون؟

٥. التغطية على المشكلات الداخلية

والمقصود بهذه القضية الدولة التي تولت كبر الحملة الإعلامية أمريكا، فإن هذه الدولة لها مشكلاتها الداخلية منها ما يتعلق بالانتخابات القادمة، والمناقشة السياسية، ولذلك فهي تبحث عن الخارج من خلال استغلال الدول الأخرى. والكل يعلم حجم الخسائر والمشكلات الاقتصادية والفضائح المالية لدى الشركات الكبرى في أمريكا، وقد بلغت خسائر الأسواق المالية في أمريكا قرابة ٨ تريليونات. أضف إلى ذلك فشلها في حربها على أفغانستان، وربما العراق كذلك الذي لم تتضح فيه النتائج بعد.

كل هذه المشكلات توارت خلف الحملة على الإرهاب، واشغل المواطن الأمريكي بمتابعة الخطر الأعظم الإرهاب، وكيفية مواجهته حتى لا يتكلم في الأمور والقضايا التي تهمه فعلاً والتي تحدد مصيره.

رابعاً : كيف نواجه الحملة

١. الصبر والثبات على مبادئ الإسلام

إن أي منصف يقرأ التاريخ ويعرف الأديان لابد أن يقر بأن الإسلام هو أفضلها وأنفعها للناس،

فهو دين الفطرة، وهو الدين الخاتم الذي يعترف بالأديان السماوية كلها ويؤمن برسالتها وأنبيائها وأصول كتبهم، وهو الدين الذي لا يرضى الله ديناً سواه، وهو دين الوسطية والمنهج المعتدل، وهو دين الشمولية فهو يتسع لجميع جوانب الحياة، وهو دين العدل والمساواة والسماحة.

فالإسلام دين الحق وأهله أهل الحق وأعرف الناس بالحق، وأعدل الناس بين الناس، وأرحم الناس بالناس. أما أهل الأديان الأخرى فقد فعلوا الأفاعيل، وخير شاهد على ذلك، الحروب الصليبية والاستعمار، ومجازر و جرائم الاحتلال الصهيوني في فلسطين ولبنان.

ولذلك فإن علينا الصبر والثبات على مبادئنا الإسلامية، وأن نسعى لنشرها بين الناس، وأن لا نوقفنا الترهات التي ينشرها المغرضون عن ديننا الإسلامي حسداً من عند أنفسهم . والله غالب على أمره ومتم نوره ومعل كلمته.

٢- توحيد الجبهة الإسلامية

إن ما يعصف بالأمة الإسلامية من فتن، وما يخطط لها أعداؤها ، وما نراه من تكالب الأمم الكافرة عليها يوجب علينا توحيد جبهتنا الداخلية، وأن نجتمع الصف ونلم الشتات تحت مظلة أهل الإسلام المنطلقة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن نفتح المجال لحوار إسلامي إسلامي مبني على الحق والصدق والعدل، وإن كان ثمة اختلاف في الآراء فلا يؤدي إلى اختلاف في نصرة الأمة وجمع كلمتها، فقد اختلف أعداؤها فيما بينهم ولكنهم توحدوا ضدنا فعلياً أن نتوحد ونواجه المصاعب على قلب رجل واحد، امتثالاً لأمر الحق تبارك وتعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) (سورة الأنفال، الآية ٤٦).

وهذا الأمر يقتضي تفعيل المنظمات الرسمية وشبه الرسمية ودعمها ومن ذلك منظمة المؤتمر الإسلامي والهيئات التابعة لها.

٣- دعم الأقليات الإسلامية

إخواننا في دول الأقليات يجدون حرباً من بعض حكوماتهم غير الإسلامية ومن بعض شعوب تلك الدول، مع ما هم فيه من غربة، ومع ذلك فهم قد قاموا بواجب الدعوة على قدر استطاعتهم وبما يتوافر لديهم من إمكانيات.

فهم رسل الإسلام في تلك البلاد، وهم قدوات ونماذج حية، وهم صوت الإسلام، والمدافعون

عنه في تلك البلاد ولهم تأثير على أهلها. فالواجب علينا نصرتهم ودعمهم في برامجهم الهادفة لنشر الإسلام والدفاع عنه وبيان مبادئه العظيمة، خاصة في هذا الوقت ومع هذه الحملة الشعواء، التي يقوم بها أعداء الإسلام كما تكون نصرتهم بإعانتهم على تنظيم مجتمعاتهم وتقوية منظماتهم، وتقوية فهمهم لأنظمة بلدانهم وكيفية التعامل معها.

٤- استعمال مالمدى الدول الإسلامية من قوى ضغط سياسة أو اقتصادية

بلاد العرب هي المستفيد الأكبر من خيرات بلدان المسلمين، وهذه قضية يمكن استغلالها لصالح المسلمين، ويمكن ان تمثل قوى ضغط على تلك الدول، ولكن هذا يحتاج إلى مصداقية ووقفة جادة من حكام الدول الإسلامية وأصحاب القرار فيها، من خلال ربط تزويد الغرب بهذه الخيرات مع قضية العدل والساواة والإنصاف في طرح القضايا التي تخص المسلمين. كما ينبغي تفعيل منظمات البلاد الإسلامية مثل منظمة المؤتمر الإسلامي، وجامعة الدول العربية، حتى تتولى الدفاع عن حقوق البلاد الإسلامية. ويضاف إلى ذلك دعم القطاع الأهلي (غير الحكومي) معثلا في المنظمات الإنسانية والخيرية والحقوقية.

٥- تحسين وضع وسائل الإعلام الإسلامية

إعلامنا لازال تابعاً في كثير من الأحيان لوسائل الإعلام الغربية، ولذلك فإن الإعلام الإسلامي يحتاج إلى جهد كبير لتفعيل دوره في طرح هادف يخدم قضايا المسلمين ويدافع عنهم ويطرح الإسلام النقي وهذا يحتاج إلى أمور عدة أهمها:

- رصد ميزانيات مالية كبيرة.
- بناء مؤسسات إعلامية مستقلة لها صفة اعتبارية، وأنظمة فاعلة، وإدارات ناجحة وأهداف محددة وخطط واضحة وآليات مدروسة.
- امتلاك مؤسسات للإنتاج البرامجي، ومطابع، ومؤسسات صحفية، ومراكز ترجمة، ووكالات انباء، ومنحها حرية كافية للتحرك.
- استغلال جميع وسائل الإعلام المتاحة محليا وعالميا يشتمل اللغات العالمية، لنشر الإسلام ومبادئه السامية والدفاع عن قضاياها.
- وإذا كان لدينا المهمة الكافية لتفعيل الدور الإعلامي الإسلامي فلن نعدم الخطط والأفكار وأهل الخبرة والكفاءة.

خاتمة

وبعد فإن الحملة الظالمة على الإسلام وأهله وسبيله من وسائل الأعداء الذين ما فتئوا يبتدعون الوسائل والطرق لحرب الإسلام وأهله، منذ بزوغ فجره وإشراق شمسهِ مع أول كلمة صدع بها الرسول الكريم (ص) في تبليغ رسالة الله تعالى إلى عباده، وهذه هي سنة التدافع في أرض الله تعالى التي توجب علينا مدافعة أعداء الله تعالى بكل وسيلة شرعها لنا، فإن الأمر خطير والخطب جلل والمسلمون يتعرضون لحملة لا مثيل لها عبر التاريخ الإسلامي، فإين المشمرون؟ وإين للدافعون عن حمى الإسلام والعقيدة؟

نسال الله عزوجل أن يجعلنا صفاً واحداً في مواجهة أعدائه، وأن يجمع كلمة المسلمين على الحق، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تقرير وتحذير

الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة
الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي

إن الله جل جلاله خلقنا فأحسن خلقنا، وهدانا إلى الإيمان والإسلام، ووضعنا بين أيدينا كريمتين، آية بشرى وتقرير هي قوله عز وجل: (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)^(١)، وآية نذارة وتحذير هي قوله سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين. وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم)^(٢).

فمن يتدبر الآية الأولى، ويمعن النظر في دلالاتها يجد الرحمن الرحيم قبل دعوته إيانا إلى الحق وهدايتنا إلى أقوم السبيل قد فطرنا على فطرته، وأقام وجوهنا لدينه، وأكد ذلك بإرساله الرسل من قبله يدعون الناس إلى الخير، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، مبشرين ومنذرين، لتلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

وقام المرسلون والنبيون بالهداية إلى الرشيد، إلى الإيمان بالله إيماناً صادقاً، وتوحيده توحيداً خالصاً. وعبادته حق العبادة، باتباعهم منهج السلوك الإسلامي السوي، المستحق للتقديم والتقدير، فإذا هم عارفون بحقائق الإسلام الثابتة، مدركون لنعمة الله عليهم، مبتهجون بما أعلى سبحانه من شأنهم، ورفع من منازلهم، وأسبغ عليهم من الطافه ونعمانه حين خاطبهم من فوق العرش، وبشرهم بقوله: (اليوم أكملت لكم دينكم) ، جاعلاً عناوين البشرية من هذه الآية في المقاطع الثلاثة التي ورد بها الخطاب: إكمال الدين، وإتمام النعمة، وعطفه تعالى عليهم ورحمته بهم بما اختاره لهم من هذا الدين الخاتم، ورضيه لهم ووقفهم إليه. (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً)^(٣).

وإكمال الدين يومئذ إلى ما بين الإسلام وسائر الأديان من توافق وتفاضل ، كلها يدعو إلى التوحيد ويهدي إلى الحق.

وتميز الإسلام بتشريعه ومنهاجه، ورسالته إلى الناس كافة. فهو يتناول حياة الإنسان من جميع أطرافها، وكل جوانب نشاطها، ويضع للمؤمنين المبادئ الكلية والقواعد الأساسية التي تحكم كل التطورات والتغيرات زماناً ومكاناً، دون تغيير أو تبديل، ويضع لهم إلى جانب ذلك أحكاماً تفصيلية وقوانين جزئية ثابتة مبنية على توجهات وضوابط وتنظيمات وتشريعات

تخدم مصالح الناس، وتحقق مقاصدهم. تشمل كل للعاملات الاجتماعية والسياسية ونحوها، وتنفذ إلى الميادين النفسية، وإلى ميادين الحياة الشاملة للجماعة المسلمة، «لتكون مع تحقيق العدل والنصفة بينهم سبيلاً إلى تصفية النفوس وتخليصها من غبش التصور، وتحريرها من ربة الشهوات، وسلطان المطامع، وظلام الأحقاد، وظلمة الخطيئة، وضعف الحرص، والشح».

ويكشف المقطع الثاني من الآية الكريمة، الخاتمة للوحي الإلهي، عن فضل الله على المؤمنين، إذ وضعت لهم المثال الحي الذي صاغه الخلاق العليم للإنسان الذي لا يستكمل حقيقة وجوده إلا بمعرفة خالقه على الوجه الذي قرره الإسلام، ولا يبلغ منزلته السامية من الإيمان حتى يرسم خطى شريعة ربه ويلتزم بها حكماً ومنهجاً. فهو بذلك يعرف حقيقة نفسه، ويتصور دوره في هذه الحياة، وتؤكد له كرامته على ربه.

فالإنسان لم يكن شيئاً مذكوراً قبل تحرره من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، وقبل إقباله على شريعة الله يستنبط من أصولها ويلتزم بها، ويقف عند حدودها. فمن منن الله عليه أن جعل العزيم الشريعة الطريق الواضح والمنهج الربيع الذي يواكب الإنسان، يمد عليه من ضلاله ولا يفارقه في كل مراحل العمر.

فخلق الله الإنسان على أكمل صورة، ووضع الشريعة له، قصداً أن يكون بالحق متبصراً ومهتدياً، جعله شاعراً بالنعمة، صحيح العقيدة، بعيداً عن الأساطير والخرافات في التقاليد والعادات والأخلاق والعلاقات الاجتماعية. لا يستبد به سلطان، ولا يرتد عن دينه إلى حياة الجاهلية، ولا يقيم وزناً للفوارق الطبيعية ولا للعادات الزرية، ولا يزعه استبداد الماكرين، الذين يمارسون ألوان الظلم والقهر، رغم ما عندهم من سلطان قليل. فتوة الإيمان والصبر يمكنان المؤمن من المواجهة والصمود والثبات.

والمقطع الثالث من هذه الآية هو أعلى ما يتوق إليه المؤمن، وخير ما يرغب فيه في هذا الوجود، وهو اختيار الله الإنسان ليكون عبداً مؤمناً، مخلصاً له الدين في توحيد، وحسن عبادته، وأي شيء أعظم وأوفق بأحوال الناس من اختيار الرؤوف الرحيم لهم.

وإن المؤمنين بما أنشأهم الله عليه من تربية دينية، وعقيدة صحيحة، وزكاء نفس، وكمال خلق، ومعرفة كاملة بالخير والنشر لنتفحون دون شك على العالم، قادرون مع توفر الجانب الديني الروحاني لديهم، على ابتلاء الحياة للمادية، بما يمكنهم من مواجهة الكينونة البشرية والوقوف على دقائقها وأسرارها.

انطلق المسلمون في هذا العالم يحملون مشاعر النور والهداية بما حياهم الله به من تعاليم

إسلامية تتلخص في جملة من المبادئ والأصول، نعد منها حرية الرأي والتعبير، وحرية الاجتهاد والبحث العلمي، واستعمال العقل الذي هو من نور الله والاحتكام إليه، واستخدام العلم ومناهجه. وإنهم بما اكتسبوه من ذلك هياوا أنفسهم للاستخلاف في الأرض، والقيام بإصلاحها وإعمارها، كما أسهموا إسهامهم العظيم في نشر العلوم الدينية والشرعية واللغوية والآداب والعلوم الاجتماعية، والعلوم الطبيعية والتجريبية. اتخذوا طريقهم إلى الابتكار والتصنيع في العلوم المختلفة الطبيعية والرياضية والفلكية والطبية والهندسية ووضعوا قوانينها. فنشروا في أطراف العالم ما ضبطوه من أحكام، واكتشفوه من نواميس، وما قاموا به من اختبارات وتجارب.

قال مؤرخ علم المنطق برانتل في معرض حديثه عن الفكر العربي والإسلامي: إن باكون ورت عن علماء العرب والمسلمين ما توصلوا إليه من أن التجربة هي أساس البحث في العلوم الطبيعية. وقد صنف علماء المسلمين كتباً متنوعة في مختلف العلوم، وكتبوا بحوثاً كثيرة ودراسات، وقاموا بإجراء تجارب واختبارات في القرون الوسطى. وإنها للنقلة النوعية الحضارية من الإغريق واليونان والهند والسرمان، اكتسبوها بالبحث عنها والوقوف عليها، وبالدرس والاكتشاف في العصر الحديث. وما من تطور وتقدم علمي وتجريبي توصلوا إليه في تلك المجالات إلا كانت أصوله راجعة إلى جهود أسلافهم الحضارية من العرب المسلمين.

وحين يملكنا الأسى لما فقدناه من تقدم فكري، وازدهار علمي، وتفوق حضاري نجد أن سبب ذلك هو التحول عن القيم والمبادئ الإسلامية، والتفريط في مقومات وحدتنا وأساس نظامنا. وإن الصدوف عن مقوماتنا الذاتية قد لمسناه في الفتن والصراعات التي استمرت دهراً طويلاً. والولايات التي دكت صروحنا مع تعددها وتجديدها، فكان بسببها الإهمال للعقيدة، والانصراف عن التربية الذاتية، ونبد القوانين والأحكام الشرعية، وترك أسباب التقدم والرفق، والاحتكام إلى العقل والعلم. وهذا ما بنت العلمانية عليه مذهبها، وقام به الفلاسفة من قبل.

وفي هذا يتمثل التحدي العقدي للهدى الديني، ونشر المذاهب الإلحادية. وهل التحدي إلا إلقاء إحدى قوتين للأخرى، بما يكون لها من سلطان تحمل معها الثانية على الانكماش، والشعور بالضعف وعدم القدرة على المزاومة والمنافسة.

وفي هذا تكمن أشد صور المحادة والتحدي وهي المباراة في الأمر، والحديا والمنازعة. يظهر بها القوي على الضعيف، فيجوله عن طريقه ويملي عليه سلوكاً ومنهجاً آخرافضله ويرضاه. فخصوم الإسلام ليسوا الإلحاديين أو العلمانيين وحدهم، بل ومن انضم إليهم من جهلة، ضلوا الطريق، وغابت عن مداركهم حقائق الإسلام، عقيدة وتشريعاً وسلوكاً، وإن كان

بعض هؤلاء معدوداً في أهلنا، لكن ذلك لم يتم لهم إلا عن طريق الوراثة والانتماء الوهمي المعطل.

والعلمانية التي تتحدى جميع الأديان، وفي مقدمتها الإسلام منها لينتجاً وصلبة في نشر تعاليمها بين كل الأمم والشعوب، تحقيقاً لأن تصبح الأداة الفاعلة في تدمير العقائد وسلب أصحاب الديانات أي مظهر من مظاهر القيادة للإنسان.

فاللينة هي التي يستند أصحابها في بعض الحالات إلى النصوص الدينية. وهي التي تدعو إلى إقامة دولة لا دينية على أساس اعتبارات اجتماعية أو نفسية أو سياسية أو تاريخية. والصلبة أو الأصلية هي التي تؤكد أن المعرفة الاجتماعية لا يمكن أن نجد انطلاقاً أساسها في المعرفة الدينية.

ولإدراك جوهر العلمانية وآثارها نعود إلى المحاور التي أصلها دعائها. فجوهر العلمانية هو رفض لوجود أي وضع تشرعي سوى العقل الإنساني، وإن طريق انتهاكها للحدود الدينية وزعزعتها للنظم، وما تقوم عليه مبادئها وأصولها من قيم وفلسفات، ليجعل دوافع الخير في هذا العالم متقلصة، ونوازع الشر متحكمة، والوزعة الجبلية والدينية والسلطانية متهاوية. وقالوا في الإسلام: إنه لم يأت إلا بتوجيهات عامة وكليات المراد منها غرس الإيمان بالمبادئ المعيارية في النفوس.

ويمكن أن ترد أسس المذهب العلماني إلى جملة من المحاور اقتضتها السياسة المادية ومناهجها الخطرة. ومن أهم هذه التجاوزات: محاذاة الدين، والنزاع بينه وبين العقل، وتنويع المعرفة، وقصور الفقه الإسلامي.

أما محاذاة الدين فمظهرها:

الأول، التشكيك في القرآن الكريم وفي الاعتقاد بنصوصه، إذ كان من الواجب العمل بها وفق إطلاقها من غير تأويل يؤدي إلى تقبيدها أو نسخها.

الثاني، اعتبار العلمانية الوحي بعامة ليس من مقولة الحسن ولا من مقولة الحسن، ولكنه تجربة داخلية عند النبي، فلا ينبغي أن يتخذ مرجعاً. ويكون من اللازم الرجوع إلى الاعتبارات العقلانية في عمليات التشريع كلها.

الثالث، تحكيم العقل الذي يقتضي رفض أن يكون الدين والحقائق الدينية أساساً للنظام الاجتماعي، وقدرة الإنسان قائمة بمفردها بتحديد موقفه من الحياة بعيداً عن الدين. والرابع: إن الالتزام السياسي يجب أن لا يتأتى إلا من العقل الإنساني بعيداً عن الدين.

وان العقل يسبق الوحي، بل يعتمد عليه الوحي، وان الدين يعرفنا بواجباتنا الأولوية لا بواجباتنا بالفعل وهي مقترنة بالظروف الزمانية والمكانية، وان الاستجابة للنصوص بإطاعة الأحكام التي اشتملت عليها أو نهيت إليها لا تكون مفيدة ولا نافعة إلا إذا تطابقت هذه الأحكام مع الاعتبارات العقلانية.

وفرقوا بين المعارف، فجعلوا منها الدينية وهي لا تكون إلا ضرورية، والعرفة العلمية الاجتماعية ولا تكون إلا جائزة تحتل البدائل المتنوعة، والعرفة العملية العلمية الجامعة بين الجانب العلمي والأخلاقي والعياري.

وأضافوا إلى هذا بيان مواقف العلمانية من بعض الأحكام الشرعية والفقهية. وأمثلة ذلك كثيرة منها، القول بأسبقية العقل على النص، وجواز تجاوز النص بالنظر والاجتهاد فيه، والتفريق بين إطلاق النص وإطلاق مضمونه، واعتبارهم المصالح المرسله نقضاً لإطلاق الأحكام الإلهية، وتفريقهم الاعتباطي بين القواعد العامة كحرمة القتل وحرمه شهادة الزور، وبين أحكام أخرى كجلد الزانية، وإرث الأثني، وقولهم بإمكان ثبات العمل بالأولى دون الثانية.

هذه بعض الدعوات العلنية القولية والفعلية التي أصابت المجتمع الإسلامي فحصلت بها الاضطرابات الفكرية والعقدية والسلوكية. وكان المروق عن الدين والتفسخ والانحلال الفردي والاجتماعي المقنن. وأصبح أكثر من تراه مرددا لهذه التصورات مبهوراً بها، مقبلاً مديراً في حياته العلمية عليها، بقدر اختلاطه بأصحابها وتأثره بهم. وربما ازداد الوضع سوءاً بتبني بعض مؤسساتنا العلمية لها، باعتبار أنها الفلسفة الراجحة، والمظهر البارز للتقدم. وترك الناس الواجبات واتبعوا الأهواء والشهوات، غير منتهين لصوت الحق يدعوهم لما يحييهم، ولا إلى سبيل الإيمان والاستقامة الذي يخالف سبيل الضلال والكفر، ولا إلى التحذير الإلهي الوارد في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون. واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب^(٢)).

وهل بعد الهدى إلا الضلال، يملأ الجوانح والقلوب هزيمة نفسية داخلية نكراء، ويحمل الرهط المنحرف عن دينه على الشك في كفاية المنهج الإلهي لقيادة الحياة وتنشيطها والسير بها سعدا إلى طرق الإنماء والارتقاء.

فالؤمن اليوم في أمس الحاجة إلى مواجهة تحدي المنحرفين. وهو التحدي الأخطر والأكبر. وذلك بالنهوض بتكاليف الدين ومقتضياته، وتحقيق نصوصه وأهدافه في حياته اليومية

كأها.

ولا يتسنى ذلك إلا بالتغلب على التبعية والتهميش والفقر والجهل والضلالات والأوهام والزيغ والكفر. وهذه هي التحديات التي تقصم الظهر. ولا يتحقق التغلب عليها إلا بإزالتها وتحكيم النهج الإلهي في الأمر كله، واعتبار هذا التحكيم هو غاية الجهاد وسبيل الانتصار. وإلى هنا نبه آية الله محمد علي التسخيري في رده عن الأسس الفلسفية للعلمانية لعادل طاهر.

وأما التحدي الثاني. وهو تحدي العلم والتقانة في عصرنا الحاضر فهو تحدي القوى الغربية والمجتمعات الصناعية المالية والاقتصادية لنا. وهذا له شأن آخر لا يمكن تحديده إلا بعد أن ندرك الفرق القائم بين أوضاع تلك القوى وأوضاع الدول النامية. ويكون هذا بالتوصل إلى معرفة المشاكل العقدة وقضايا الساعة التي ينبغي بحثها من خلال موضوعات المال، والديمقراطية، والاقتصاد الحر، وانفجار طاقة علوم الإعلام والاتصال. وبغير هذا العمل الجهد المكلف، وغير المستحيل، لا يمكن بحال ملاحقة الدول الكبرى الصناعية ولا القرب منها.

ولعل الطريق إلى ذلك يتمثل في الدراسات العلمية الدقيقة والبحوث التي كتبها المتخصصون، والتي يمكن أن نعتد منها ما نشره مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت في أعمال ندوته عن العرب والعولمة.

* وأول هذه البحوث، التي رجعنا إليها، بحث الدكتور إسماعيل صبري عبد الله، رئيس منتدى العالم الثالث، ووزير التخطيط السابق في مصر، عن (العرب والعولمة، أو العولمة والاقتصاد والتنمية العربية).

* والبحث الثاني للدكتور أنطوان زحلان، الخبير العربي في العلوم والتقانة، وموضوعه (العولمة والتطور التقاني).

* والبحث الثالث للأستاذ نبيل علي، نائب رئيس مجلس إدارة صخر لبرامج الحاسب الآلي بمصر، وموضوعه (ثورة المعلومات والجوانب التقانية).

وهذه البحوث جميعها تكشف عن الواقع القائم المتعلق بالتحديات والواجبات في العالمين الشرقي والغربي.

وتمهيدا للإتيان لاختلاف جوانب البحث يكون لزاماً أن نعرّف بعض المصطلحات أو الأسماء والاستعمالات لجديتها، أو اختلاف دلالاتها من عصر إلى آخر ضيقاً واتساعاً، سببه خضوعها للتيارات الفكرية الجديدة. فمن ذلك اخترنا أن نقف إزاء بعض العناوين التي تحتاج إلى تعريفها، استكمالاً لتصوير مفاهيمها. وهذه العناوين أو الاستعمالات خمسة:

- ١) الدول الصناعية الكبرى واطراد الإنفاق على البحث العلمي.
- ٢) أيدولوجية السوق.
- ٣) التنمية والدول النامية.
- ٤) مستويات الدخل القومي في الدول النامية.
- ٥) الفقر وأسبابه.

١- الدول الصناعية الكبرى

الدول الصناعية الكبرى السبع هي: الولايات المتحدة الأمريكية، واليابان، وللمانيا، وفرنسا، وبريطانيا، وإيطاليا، وكندا. فهذه الدول تضم المقاز القانونية لـ ٤٢٦ شركة من أكبر ٥٠٠ شركة عالمية^(٥). وهكذا تكون الدول السبع الصناعية متمثلة ولو شكليا في القوى الاقتصادية الفاعلة التي يجتمع رؤساءها كل عام مرة. وهي تعزز دورها الاقتصادي العظيم بالإنفاق الواسع على استمرار أعمال البحث والتطوير الذي بلغ سنة ١٩٩٦ مقدار ٢٤٥ مليارا من الدولارات مقاسمة بين تلك الدول والقطاعات الخاصة بها. ويضاف إلى ذلك كله هيمنة هذه الدول على القطاع المالي. وهو ما يزيد من نصيب قطاع الخدمات في تكوين الناتج المحلي في الدول الصناعية. ويقوم في نشاطاته على جملة من المؤسسات مثل:

- ١- شركات تشتغل بالأعمال المالية.
 - ٢- ٤٧ شركة في نشاط التأمين بأنواعه. توجد منها ٣٤ شركة في مجموعة الدول السبع.
 - ٢- ٤ شركات في مجال التخصص في عمليات الاستثمار وأدواته. ٢ منها في الولايات المتحدة، والرابعة يهونج كونج.
 - ٤- ٢٢ شركة كوكبية، ١٩ منها مقارها في دول مجموعة السبع.
 - ٥- ٩ شركات منتجة للحاسوب وما يلزمه من برمجيات، ست منها بالولايات المتحدة الأمريكية، والثلاثة الأخرى باليابان.
- ومن العلوم أن النشاط المالي يقوم بدور جوهري في تجميع المدخرات، وتوزيع الاستثمارات، وأسواق صرف العملات، والأسواق النقدية العالمية، والبورصات الكبرى^(٦).

٢- أيديولوجية السوق

هي تحول علاقات العرض والطلب والتمن من مجرد آلية اقتصادية إلى عقيدة قوامها إيمان بحرية السوق التي يؤمل من ورائها نشر التقدم وتصفية التخلف والقضاء على الفقر.

٣- التنمية والدول النامية

تختلف النظرة إلى السوق في البلاد النامية وفي أقطارنا عن هذا التصور، إذ لابد من تحديد موقعنا من خلال العالم الثالث الذي لم تعرف دوله إلا تنمية جزئية مشوهة وموجهة للخارج، كما أن شعوبها في الغالب تعيش مستويات متفاوتة من الفقر.

٤- مستويات الدخل القومي في الدول النامية

بناء على تقرير التنمية الصادر في العام ١٩٩٧ عن البنك الدولي، المحدد لمستويات الدخل المتوسط نجد بين الخمس عشرة دولة العالية الدخل أكثر من ٩٠٠٠ دولار في السنة ٢ دول عربية هي: الكويت، والإمارات، وقطر. وبقية أقطارنا بما فيها أكبر مصدري النفط حدها البنك الدولي كالتالي:

* ٥ أقطار ليس لديها بيانات كافية للتعرف على حجم الناتج المحلي، وهي: ليبيا، والعراق، والسودان، والصومال، وجيبوتي.

* عدن اليمن وموريتانيا من بين الدول الأقل دخلاً في العالم، أقل من ٧٧٠ دولار في العام، بنوب متوسط الدخل في اليمن ٣٦٠ دولاراً، وفي موريتانيا ٤٦٠ دولاراً.

* تعتبر بقية الدول العربية في عداد مجموعة الدخل المتوسط الذي يتفاوت بين ٧٩٠ دولاراً في مصر، ٧٠٤٠ دولاراً في السعودية.

ويعلق الدكتور إسماعيل صبري عبد الله على هذا البيان بقوله: فأقطارنا تتفاوت في الفقر أكثر مما تتفاوت في الثراء^(٧).

٥- الفقر وأسبابه

دفع هذا الوضع البنك الدولي إلى محاولة حصر أعداد الفقراء وتصنيف درجات الفقر، وأعلن في تقريره ١٩٩٥ أن عدد العدميين في العالم بلغ إحدى عشر ومائة وعشرة مليون نسمة. وهذه الفئات من البشر، التي وصلت هذا الحد أو هي في طريق الوصول إليه، موزعة بين إفريقيا

والشرق الأوسط وآسيا وأمريكا اللاتينية. وقد صدر عن الأمم المتحدة برنامج إنمائي أوائل الستينات من القرن الماضي قصد تغيير هذا الوضع. وهو ما أوجب تقديم مساعدات التنمية التي تقوم بتقديمها الحكومات الغنية، والمؤسسات المتعددة الأطراف كالبنك الدولي، وبنك التنمية الإفريقي، وبنك التنمية الآسيوي، وبنك التنمية للدول الأمريكية، والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي^(١).

ودول العالم الثالث، أو الدول النامية هي الدول الضعيفة الفقيرة. وأساس ظهور جوانب التخلف فيها يرجع إلى التحدي الغربي لها بما هيأه لنفسه فيها عن طريق الاحتلال والاستعمار من استغلال وتبعية ومحاكاة.

فالاستغلال هو خروج جزء كبير من الفائض الاقتصادي للتحقق من عمل أهل القطر ليذهب إلى الدول الصناعية المتقدمة من خلال التجارة غير التكافؤ، وتحويل فوائد القروض وأرباح الاستثمار الأجنبي المباشر، وأخيراً استثمارات أبناء العالم الثالث إلى خارجه. والتبعية هي قيود خارجية على حرية الإرادة الوطنية في صنع قراراتها والتأثير الإعلامي والإعلاني المكثف في تغيير القيم الحضارية وأشكال السلوك في اتجاهات كثيرة ما تضر بقضية التنمية.

والمحاكاة في العالم الثالث، وكان من أول من نبه إليها ابن خلدون في مقدمته، وهي في عصرنا هذا عبارة محاولة الأخذ بأنماط الاستهلاك المبدد التي تسود في المجتمعات الغربية. وللقضاء على هذا الوضع والسير فيه تتأكد دراسة موضوعات ثلاثة على الأقل، تفتح السبل، وتبني الطريق للخروج من هذه الأحوال المأسوية، وهي:

* التفرقة والمقارنة بين الغرب والشرق، بين الدول الغنية والدول الفقيرة.

* الثورات الصناعية وأثرها في العالم.

* ثورة للعلوم.

والوقوف عند هذه القضايا وحدها يتطلب جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً. ولذلك ترانا في هذا المقام مكتفين بالملاحظات صغيرة توضح لنا الصورة.

فقد أصبح من المقرر عند العلماء والباحثين وجمهور المفكرين أن تحولاً كبيراً حدث في العالم الغربي في بداية النهضة، وأن انتكاساً شديداً حصل في العالم العربي والإسلامي من ذلك العصر إلى الآن.

فازدهر الغرب، وتقدم الفكر به، لأخذه بكل أسباب التطور والرفق، وداهمت الشرق العربي

والإسلامي أهوال ونكبات فرضت استقرار الأوضاع، بل تجميدها به، وتوقفت بسببها ريادته العلمية والفكرية عن العطاء.

وهكذا بُعدت الشقة بين العالمين واتسعت الفجوة، وتزايدت بين الشمال والجنوب، وكان من المؤمل أن تضيق. ولعله من الأجدى والأحوط في تقدير هذه الظاهرة الرجوع إلى تقارير لتنمية في العالم، مثل التقرير الاقتصادي الغربي الموحد لسنة ١٩٩٦. فقد بلغ في تلك السنة مجموع الناتج المحلي الإجمالي للدول الغربية ٥٢٨/٧ مليار دولاراً. وهذا مما يصعب تحديد النسبة معه على الوجه الصحيح إذا ما قارنا بين هذا الواقع وبين نسبة عدد السكان للوطن العربي كله. وهي ٤،٤٪ من إجمالي سكان العالم.

وإلى جانب هذا سيطرة الدول السبع الكبار في مجال أيديولوجية السوق على البنك الدولي. وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية. ويقابل هذا التدبير الماكر ماتعانيه شعوب العالم الثالث على يد هذه المؤسسات مما ساءت به سمعتها بين الشعوب، وكثر نقدها بسببه فيما نشر عنها من مقالات وكتابات.

وإن العلوم والتقانة عمل متغير ذاتي أصيل. فهما المحرك الرئيس للاقتصاد العالمي المتحرر من المادة. وهما بالعكس في بلاد العالم الثالث عمل متغير عرضي أو دخيل.

وإذا كانت العلوم والتقانة بالنسبة للأولى منبثاً لكل النشاطات مثل تأسيس بيئة يمكن النشاطات العلمية والتقانة أن تزدهر بها، كما أن للحكومات المنظمة إلى النادي الصناعي أن تتبنى هياكل مؤسسية تعزز تطبيق التقانة وانتقالها واكتسابها وتراكمها. فإن قيام منظومة وطنية للعلوم والتقانة كفيل بتكوين الأداة الحاسمة لتمكين أي بلد من أن يصبح منتجاً اقتصادياً.

أما المجتمعات النامية كالبلاد العربية فقد استوجبت مخططاتها استيراد منتجات العلوم والتقانة من الخارج. فهي في نظرها ليست من الأهمية بمستوى العناية بها وتطويرها في الداخل. والقضايا الأساسية التي تجابه الوطن العربي إنما تنبت من داخل بلاد هذا الوطن.

والتحديات التي تواجهها في علاقاتها التجارية هي ذاتية جوهرية ونتيجة لسياساتها الاقتصادية.

وهكذا تغير ميزان القوة في العالمين، وظهرت التقدمات العلمية والتقانية في البلاد الغنية. تشهد بذلك:

* إحلال قوة البخار محل قوة العضلات.

- * اختراع وتطوير وسائل آلية النقل.
 - * اكتشاف توليد الطاقة الكهربائية.
 - * تقدمات في الكهرومغناطيسية.
 - * ظهور الطبيعيات الجديدة.
 - * تحول في الممارسات الزراعية عن طريق اكتشاف الأسمدة واستخدام آلات زراعية.
 - * حلول منتجات الكيمياء الجديدة محل الصباغات والغزول.
 - * تقدم العلوم الطبية وإدخال آلات طبية لا حصر لها.
- ويقابل هذه الفتوح والإنجازات المطورة للإنتاج ودعائمه ما أكده الدكتور أنطوان زحلان من أن اكتساب الدول العربية لشيء من التكنولوجيا لم يحقق لها شيئاً من طموحاتها. وذلك لأن اقتصادات الدول العربية لا يظهر أي شاهد منها على أن هناك في الطريق تغييراً في الأحوال الاقتصادية العربية السائدة، وأن هذه الدول باعتمادها على استيراد قدرات تقنية لم يؤد الأمر فيها إلا إلى زيادة عدم استقلالها التقني والاقتصادي.
- وبالرغم مما دخل مجال التطورات العلمية والتقنية من تسهيل تدريجي بعد سنة ١٩٥٠، فإنك لا تجد الدول العربية قد استفادت من الفرص التي أتاحت لها لتطوير اقتصادياتها. توالت في الغرب الثورات الصناعية التي كانت تستجيب لأوضاعه الحياتية وتطوراتها. فكان للثورة الاقتصادية الأولى أثر ضخم في البيئة التحتية لنقل البضائع وأنظمة التجارة. وادخلت الثورة الصناعية الثانية زيادة دراماتيكية في مجال المنتجات والخدمات، وأصبحت هذه متوفرة ولها شعبية، وعليها الطلب في مختلف أطراف العالم.
- وفي عام ١٩٩٥ ظهرت الثورة الصناعية الثالثة المحققة للتقدمات في تقانة والمعلومات وبدأ هنا واضحاً وذا جدوى في الإنتاج الصناعي.
- وما من شك في أن هذه الثورات كانت وليدة حاجات، وإن الأحداث الكبرى النافعة في العالم لهي التي تضيف مساعي جديدة إلى مساعٍ سابقة. وتستمر الجهود بذلك متواصلة من أجل تحقيق الرقي والتكامل وإنجاز النقلة النوعية في كل مرة.
- والذي ينبغي التأكيد عليه هو أن الإنجازات والاختراعات والابتكارات الحاصلة عن طريق التقانة وتطوراتها لا تظهر بالصدفة ولا يحصل عليها بالتمني، ولكنها تستند إلى علم وتدبر وصبر وإصرار.
- قال نوربرت فيتر وغيره من العلماء ينصح المجتمعات والبلدان بتجاوز أوضاعها إلى ما هو

خير، وذلك بالاعتماد على الدور الاستراتيجي للبحث العلمي، وعلى غياب حدود واضحة المعالم بين البحث الأساسي والبحث التطبيقي. وهو من أجل هذا يصرح بقوله: إن بلدا لا وجود فيه لأسرة علمية وطنية تعنى بالنظر في التقدمات العلمية في تقانة المعلومات لهو بلد لا دقة فيه في الأساس. وإن مجتمعا لا يستفيد من البحث والتطوير لا يفشل فقط في الإبداع والاكتشاف بل يخفق كذلك في الاستعداد لتأثير إبداعات الآخرين، والجالبيات غير الواعية لأنواع التقدم العلمي في العالم محكوم عليها أن تظل واقعة في شرك فجوة تقانية دائمة التوسع^(٤).

وقد كان لهذه الصيحة أثرها في تحسين التعليم والتدريب، وتمكّن الناس من التحول إلى وظائف مُبدعة، واستمرت البلاد الصناعية في تطوير أنظمة استمرارية التعليم بمساعدة قواتها العاملة على التكيف مع آثار التغيير التقني السريع^(٥).

ويزداد المرء اقتناعاً بهذه الحقيقة عندما ينظر إلى منظومة العلوم والتقانة في الغرب، من نحو مائة وخمسين عاماً، كيف تطورت تطورها البديع من حيث الهيكلية والتكامل والتشابك. وظهرت في شتى صورها:

- * تعليم القوة البشرية العلمية.
 - * نشاطات البحث والتطوير.
 - * تطوير منظمات استشارية للهندسة والتخطيط وتأمين مساهمتها الفعالة.
 - * تطوير خدمات المعلومات.
 - * تأسيس وتعزيز خدمات المقاييس والقواعد القانونية والاختبارات
 - * الجمعيات الحرفية.
 - * الأطر القانونية اللازمة لدعم مجمع النشاط الفكري.
 - * تطوير خدمات مالية فعالة للصناعة والمؤسسات الاستشارية الوطنية.
 - * إدخال العلوم والتقانة في الاقتصاد الوطني والتقانة القومية^(٦).
- فالتقانة هي وسيلة تطبيق الاكتشافات أو الأساليب العلمية أو المعرفة المنظمة لإنتاج أدوات معينة، أو القيام بمهام معينة من أجل حل مشاكل الإنسان والبيئة، في أوقات السلم والحرب. وربما تجاوزت هذا الحد لتكون العملية التي لا بد من أن تنسج لتشمل الظروف الاجتماعية، والجوانب المختلفة للسلوك الاجتماعي. وبذلك تمتد إلى أبعاد ثلاثة: البعد الفني، والبعد التنظيمي، والبعد الثقافي الأخلاقي.
- وقد قام الأستاذ نبيل علي برسم جدول للأجيال التي تعاقبت على نشأة تقانة المعلومات

واستخدامها، فكشف عما امتازت به كل مرحلة من مراحل التقنية، أو ظهر في كل جيل من أجيالها.

ففي الجيل الأول عام ١٩٤٨ كان ظهور الكمبيوتر أو استخدام الصمام الإلكتروني وحدة البناء الرئيسية لتطوير حسابات ضخمة يقدر وزنها بالأطنان، وتشغل الصالات الكبيرة، وتستهلك طاقة كهربائية عالية.

وشهد الجيل الثاني عام ١٩٥٨ ولادة الترانزستور فحل محل الصمام الإلكتروني، وأصبح الكمبيوتر أصغر حجماً وأكثر كفاءة، ويقبل إلى حد كبير معدل استهلاكه للطاقة الكهربائية.

وفي الجيل الثالث عام ١٩٦٤ كان بدل استخدام شرائح الدورات المتكاملة وتعويضها بشريحة سليكون واحدة تقوم مقام العديد من وحدات الترانزستور والعناصر الإلكترونية الدقيقة الأخرى من المقاومات والكثفات وغيرها.

وفي الجيل الرابع عام ١٩٨٢ ظهرت بكثافة العناصر الإلكترونية التي تم دمجها في رقيقة السليكون.

ويتمثل الجيل الخامس في هيمنة القطب الأمريكي على صناعة الكمبيوتر عبر الأجيال الأربعة السابقة. ولما ازدادت الهوة اتساعاً بين إمكانات العتاد وقدرة البرمجيات، شهد هذا الجيل نفسه مراهنة اليابان في تقانة المعلومات على هندسة المعرفة وأساليب الذكاء الاصطناعي، وفرض هيمنته على تقانة المعلومات. وتم تطوير حاسب ذكي قادر على التحليل والتركيب، وعلى الاستنتاج المنطقي، وحل المسائل، وبرهنة النظريات، وفهم النصوص، وتاليف المقالات.

وقد عقب أحد الباحثين على أجيال التقنية هذه ومميزاتها بتصوير الخريطة الجيومعلوماتية، ناكراً ومنبهاً إلى ثلاثة مشاريع، متميزة في أدوارها وهي:

* المشروع الياباني لحوسبة العالم الواقعي.

* والمشروع الأمريكي لتطوير نظم الكمبيوتر، والاتصالات العالية الأداء.

* والمشروع الأوروبي البارز دوره بالخصوص في برنامج البحوث الاستراتيجية في مجال تقانة المعلومات.

وهكذا أصبح لتقانة المعلومات أثر جذري في الإنتاج الصناعي والتوظيف. وحل الحاسوب بآلته الحاسوبية، محل عدد كبير من مديري البنوك وموظفيها^(٣).

وأصبح بإمكانه:

* القيام بتسجيل حجوزات السفر بالطائرة.

* والقيام بقراءة وترجمة النص من وإلى جميع اللغات الأوروبية.

* ومراقبة واسعة للتجهيزات.

* وإجراء الحسابات الكثيفة بسرعة ودقة.

* وإشراف رقمي على الآلات الدارة.

* وإنتاج قطع آلات بمستويات عالية، دهانات، سيارات.

* وتصميم وصناعة واختبار برمجيات جديدة وشرائح دقيقة.

* وحتى إجراء عمليات جراحية بالتحكم عن بُعد عن طريق استخدام الإنسان الآلي.

وبالنظر إلى ما تتطلبه هذه الوظائف والأعمال من علم وتقانة، صار من الملاحظ انحسار عدد الوظائف المتوفرة للعمال غير المهرة، الذين بدأوا يختفون بسرعة. وهناك إحصائيات تؤكد أنه يوجد اليوم أكثر من ثمانمائة مليون عاطل عن العمل في العالم.

وتولدت عن العلم والتقانة، بما بلغا إليه من نظريات دقيقة وسريعة وإبداعات وابتكارات عالية، ما يرهن على أن المعرفة قوة، وأن العلم لم يبق اليوم إبداعاً يقوم به فرد، بل هو مشروع ضخم لا تقدر على القيام به غير المؤسسات. فهي التي بانطلاقها من العلوم والمعرفة التقنية قادرة على تحقيق كل جوانب القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية. ومن أجل ذلك خضعت تلك المؤسسات وما تقوم به من جهود إلى مراقبة مقبّدة بضغط السلط بأنواعها.

وإذا التفتنا إلى الجانب الثاني جانب ثورة الاتصالات فإن عنوانها ودليلها الإنترنت. فهو من وسائل التقنية الساحقة، الذي أقامته وكالة المشاريع المتقدمة ARPANET من نحو ما يزيد على ربع قرن، للربط بين الجامعات ومراكز البحوث الأمريكية، تحقيقاً من جهة لاستمرار التواصل بين العلماء ومتخذي القرار العسكري والسياسي، وثانياً من أجل إقامة نواة شبكة بين المركز الدولي للبحوث التابع لجامعة ستانفورد وجامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس، وجامعة كاليفورنيا بمدينة سانتا باربارا، وجامعة ولاية يوتا. وأصبحت هذه الشبكة تعرف بالشبكة الأم أو شبكة الشبكات. والإنترنت هو حالياً بمثابة تحقيق فعلي للقرية الإلكترونية، كما أنه خطوة عملية لإدبات مفهوم مجمع المعلومات. وقد دلت التطورات على أننا بصدد وضع اقتصادي جديد هو اقتصاد عصر المعلومات، وأن موارد المعلومات على العكس من الموارد المادية لا تنقص بل تزيد مع زيادة استهلاكها. وقد اتخذ المتحمسون للإنترنت شعاراً يقول، للمعلومات في كل وقت وكل مكان ولكل الناس.

وفي نهاية هذا العرض الموجز لبعض الأحوال القائمة والمتفاوتة إلى حد كبير في العالمين الصناعي والنامي، لابد أن تكون لنا رجعة للتصدي للتحديات وبيان طريق مواجهاتها. أما التحديات الأولى فهي هدم الإسلام، ومناقضة الشريعة، وطمس حقائق الإيمان، وإطفاء سرجه، (يريدون ليطفؤوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) ^(١٣).

وهكذا انتشرت ألوان من الغواية والضلالة، وصدوف عن القيم والبادئ الإسلامية، وإعراض عن الذكر، وتمسك بما لا يرضي الله من عادات غير عادتنا وأفكار مستوردة غير الأفكار التي غرسها الهدي الإسلامي قينا، وتعطلت كما ذكر حجة الإسلام الإمام العزالي القطب الأعظم في الدين، وهو المهتم الذي ابتعث الله به النبيين أجمعين، فلو طوى بساطه لتعطلت النبوة. واضمحلت الديانة، وهشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد. وكان الذي خفنا، فإننا لله وإنا إليه راجعون، إذ قد اندرس من قطب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عمله وعلمه، وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه، فاستولت على القلوب مدهانة الخلق، وانمحت عنها مراقبة الخالق، واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم، وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم. فمن سعى في تلافى هذه الفترة وسد هذه الفتحة إما متكفلاً بعملها، أو متقلداً لتنفيذها، مجدداً لهذه السنة الدائرة، ناهضاً بأعبائها ومنتشراً في إحيائها، كان مستأثراً من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إمامتها، ومستبداً بقرينة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها ^(١٤).

ومن أخذ بهذا المسلك أوفى بحق الله عليه وهو الأمانة. قال تعالى: (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً) ^(١٥). والأمانة هي كما ورد في البحر المحيط: كل ما يؤتمن عليه من أمر ونهي، وشأن دين ودنيا.

والذي ينشئ النفس ويزكيها ويمدها بما هي في حاجة إليه من إيمان وتقوى وعلم يقدرها على محادة الكفار والنحرفين، هو كتاب الله والتأدب به والاستمداد منه في كل الأحوال العقيدة والتشريعية والسلوكية. وهذه المواجبة لا تكون إلا بدين وعلم ومعرفة الأحكام. والدين وحي من الله وهو خطابه لعباده جاء بالشريعة الصادقة التي تدعو إلى العدل والرحمة وإلى إشاعة الحرية والتسوية بين الناس.

ومقصد الشريعة من التشريع، كما فصله الإمام الأكبر الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور،

هو حفظ نظام العالم، وضبط تصرف الناس فيه على وجه يعصم من التفساد والتهالك، وغرضها إقامة نظام الأمة على وجه تكون به قوية مرهوبة الجانب مطمئنة البال. ذلك أنها تقدم للأمة نظاما يقوي شوكتها، ويدعم عزتها، ويجعل لها من المنتسبين إليها ولاة يسوسون مصالحها، ويقومون العدل فيها، وينفذون أحكامها. وأهم المقاصد لتهينة إقامة الشريعة وتنفيذها بث علومها، وتكثير وعلمائها وحملتها، بمقدار مايسد حاجتها ويكفي مهماتها.

فهذا هو العمل الأساس في مواجهة كل انحراف عن الدين، أو تغيير حقائقه مما يحصل بسبب التحرر من مصادره، وسوء التأويل لأحكامه ومقاصده. ومن مقاصد الشريعة تغيير الأحوال الفاسدة وإعلان فسادها وتقرير الأحوال الصالحة السماة بالعرف مما يتبعه الناس.

وفي هذه المواجهة نفي لاتباع الهوى وصرف النفس عن الشهوة والانقياد لها فيما تدعو إليه من معصية الله عزوجل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)^(١١)، (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين)^(١٢).

فتحدي المسلمين كان بإبطال الحق بينهم، وبالنزوع بالناس إلى الباطل، وبنشر كل صور الانحلال والتفسخ. وإن مواجهة ذلك تكون قطعاً بالرجوع إلى الدين والاهتداء بأصوله، والسير على منهجه، وسلوك طرق الخير والسلام التي دعا إليها الله. فالتشريع الإسلامي في المرحلة الأولى من مراحلها كان علاجاً لما كان عليه الناس من مفاصد اعتقادية وخلقية وعلمية. فوضع الله لذلك دستوراً محكماً، يسر على هديه عباد الله المؤمنون الذين أسلموا، ويكشف للناس طرق إصلاح الحياة العملية وتنظيمها ليسعدوا في حياتهم، كما ضبط لهم أحكاماً في أحوالهم الشخصية وحياتهم الدنية، وفي معاملاتهم، وفي تصرف الأوضاع بهم بين حالي السلم والحرب (ما فرطنا في الكتاب من شيء)^(١٣)، (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم)^(١٤).

أما القسم الثاني من التحدي للمسلمين فهو تعجيز وإلزام للناس بكافة بما يعتبره للتحدي رقباً وتقدماً لا يستطيع كثير من الناس بلوغه، ولا التوصل إليه، أو لا يقدر على التخلص منه، ولا الخروج عن هيمنته وسلطانه غير أهل العلم بمختلف مجالات الحياة السياسية وبعلمي

الاقتصاد والصناعة، وبالعلوم التجريبية، الطبيعية والرياضية، والنظرية والتطبيقية. فالعالم اليوم يقوده العلم والتقانة. وما يلمس فيه من نمو ورفي هو نتيجة لا استخدام العقل، واحترام الإنسان، والسعي إلى التقدم. وفقدان هذه الدوافع والضمانات في كل مجتمع هو السبب في الفجوة الكبيرة التي تحصل بين الأغنياء والفقراء، سواء بين الدول، أو في داخل الدولة الواحدة. ولا بد من ملاحظة أن تحكم الدول الصناعية الكبرى وسيطرتها على الصناعة والمال قد قادا الدول النامية الفقيرة للمستضعفة إلى الفشل في الحفاظ على استقلالها، وإلى خضوعها للتبعية، وهروب أموالها إلى مراكز الاستثمار في الدول الصناعية.

ومن العالم الثالث ظهرت هجرة العقول إلى الخارج، وليست لنا مع أهمية هذا الموضوع قائمة توضح الأسباب والاتجاهات، كما أنه لا وجود لأي خدمات إحصائية رسمية متخصصة لمراقبة هذا الدفق الخارجي.

وتشهد الدراسات حول الأوضاع الاقتصادية في بلادنا العربية أن تطبيق ثقافة المعلوماتية مازال عندنا في مرحلة الطفولة، وأن واقعنا ليجتاح إلى جهود كبرى ليخرج عن التخلف. ولا يتم هذا إلا بتأسيس آليات النمو والمؤسسات التي تسهل تحويل الكفاءة العلمية إلى نشاطات اقتصادية منتجة تشكل تحدياً سياسياً في الانتقال من مجتمع زراعي وريفي إلى مجتمع صناعي موجه.

ولا يمكن للبلاد الضعيفة البقاء حية في اقتصاد عالمي من دون الاستفادة من سياسات وطنية للعلوم، موضوعة بعد إمعان في التفكير، لتوجيه منظومة العلوم والتقانة.

والحاجة أكيدة إذن لكثير من العلماء من مؤرخين واقتصاديين وفقهاء وباحثين في استراتيجية تطوير العلوم والتقانة في الوطن العربي.

وإذا كانت الدول الصناعية دائمة المراقبة والتوجيه في مجالها الاقتصادية، من أجل تطوير أنظمتها لمساعدة قواتها العامة على استمرارية التعليم، فالأمر بالنسبة إلينا أكثر حاجة واشد طلباً مما هو قائم بتلك البلاد المتقدمة.

وقد حاولت كثير من الدول النامية سلوك منهج الدول الصناعية باتخاذ الأسباب إلى ذلك واعتماد الصناعة الفاعلة، لكن اقتصادياتها لم تظهر أي إشارة على أن هناك في الطريق تغييراً في الأحوال السائدة في البلاد العربية. وهي رغم تجاوبها المتأخر مع مضامين ثورة ثقافة المعلوماتية لم تأخذ بعد بمنهجها في المجال العلمي والتقني وبناء على ذلك لاتجد الحصص العالية للخدمات في البلاد العربية تعكس اقتصاداً علمياً في نشاطها. فإن عملها حتى الآن غير مركز على ثقافة

للمعلوماتية بل هو على العكس قائم على بيروقراطية حكومية غير كفافة. ومما يعوق الجهود المبذولة في سبيل النهضة العلمية الاقتصادية درجة التحصيل العلمي للعمالة العربية التي لاتعدها لمنافسة دولية. ولابد من الاقتناع بأن الإنتاج الحديث للسلع والخدمات لا مكان فيه لعامل غير مؤهل علميا، وأنه من الضروري بناء قاعدة صلبة وتقانة وطنية قادرة على تطوير المستورد من التقنيات، وتحديث ما هو قديم عندنا، وإبداع حلول تقانية جديدة.

كما أنه لا يستطيع أي بلد المنافسة في حلبة التقانة دون الاستفادة من منظومة للعلم والتقانة. وإن البلدان العربية سعت منذ استقلالها إلى التخلص من علامات التبعية والبنى التحتية، غير أنها أخفقت في تطوير أنظمتها الوطنية للعلم والتقانة.

وقد اتجهت مصانع تجميع أجهزة الراديو والترنزيستور إلى تخطيط مشاريع اقتصادية لها. فلم تكن جهود المصانع قادرة على مجاراة التغيير السريع في نوعية أجهزتها وتقويمها. وسعت المصانع ذاتها في الوطن نفسه إلى ضمان أسواقها عن طريق الحماية الضريبية بدلا من المنافسة على أساس النوعية والإبداع والكلفة، فأخفقت في إرضاء المستهلك العربي. وعلى البلد النامي اليوم التطلع إلى الاندماج في الاقتصاد العالمي الجديد، وأن يبحث لنفسه عن مشكاة ضمن صناعة الإلكترونيات، يبنى عليها تقانته المعلوماتية. وعلى كل بلد تطوير منظومة العلوم والتقانة الخاصة به.

والقدرات التقانية المتوفرة لدينا تتطلب ٧ ملايين وظيفة جديدة تكون كفيلة بتوسيع القطاع المالي العربي وإثرائه، ويمكن لها أن توفر على الوطن العربي حوالي من ٧٠ إلى ٨٠ مليار دولار سنويا. وهذا يوفر يمكن أن يستخدم في العلوم والنهوض بها وتجديدها والانتقال منها إلى التقانة.

وبحث الاقتصاديون من قبلنا جوانب كثير ومختلفة تخضع فنظروا في التجارة وفي منظومة العلوم والتقانة وفي ثورة المعلومات وثورة الاتصالات.

واعتقادي أن الأخذ بهذا الهاجس الدافع إلى التحرك والعمل الأصلي الدعوي والعلمي التقني يتطلب عدة أمور نفسية وعلمية واجتماعية، من أجل مواجهة الخطرين العظيمين المتمثلين في التحدي العقدي والتحدي العلمي.

فالتحدي العقدي يقتضي حماية العقيدة والدفاع عنها. وهذا أمر معروف غير منازع فيه. ويكون ذلك بإبطال المعتقدات الضالة التي أكره دعاة الضلالة أتباعهم ومريديهم على اعتقادها

بدون فهم ولا هدى ولا كتاب منير. وهذا ما تؤيده الآية الكريمة (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون. ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)^(٢٠).

والتخلص من أوضاع التأخر والتخلف يضعنا أمام تطوير في مجاله الشرعي والعلمي الرياضي والتقني. فإن الحاجة إلى ذلك شديدة، والدعوة إليه ملحة.

فالأخذ بالعلوم النافعة الكفيلة في هذا العصر، بضمنان الرقي والقوة والعزة، تخني عن الالتفات إلى أمجاد الماضي والاعتزاز بها. فليس إلا الكد واختيار الأيدي الصانع والأفكار المبدعة لإنجاز التحولات والتطورات الصالحة والمفيدة.

وكذلك التخلص من أوهام ثراء مواردنا المادية. فمعظم بلاد الوطن العربي صحراء. ومن الضروري تطوير مواردنا، لإننا نعد بحق من الدول الفقيرة بالمقاييس الاقتصادية المتعارف عليها.

وبذل الجهود اللازمة لتحقيق التنمية. فإن عمل إرادي يرمي إلى إحداث التغييرات التي تحول المجتمعات من وضع التخلف إلى وضع أحسن وأفضل، هو حال النمو المطرد.

والحرص على التكامل الاقتصادي ببناء الوحدة المنشودة بين البلاد العربية والإسلامية، وتجاوز الأطر القطرية دون إهمال خصائص كل قطر وظروفه.

وتوحد الوطن والأمة بمشاركة العرب والمسلمين أفراناً وجماعات، أحزاباً وعلماء، رجال أعمال وأكاديميين، مثقفين ومصلحين في الأعمال الإيجابية التي تستهدف تحقيق الوحدة.

وتحقيق الوحدة الاقتصادية بتوافر الإيرادات السياسية والاقتصادية العربية والإسلامية للنهوض بالتنمية من خلال المشروعات المتعددة.

فهذان السبيلان من المواجهة للتحديات العقدية والاقتصادية هما الواجب الحتمي الذي يتعين على الأمتين الإسلامية والعربية الأخذ به، وهو الذي ينبغي أن يكون موضع عناية وعزم بين الشعوب وحكامها وقادة البلاد ومواطنيها. فتتظافر كل الجهود من أجل تحقيق قوله عز وجل: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)^(٢١).

هذا قدرنا وما يحملنا عليه من واجبات في مجالات التحدي المختلفة الذي من الضروري أن تتظاهر عليها جهود امتنا.

والله يهدي إلى الحق، وإلى سواء السبيل. وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش

- ١ - المائدة، ٣.
- ٢ - آل عمران، ١٠٠ - ١٠٢.
- ٣ - البقرة، ١٤٢.
- ٤ - الأنفال، ٢٤ - ٢٥.
- ٥ - المحبة الأمريكية FORTIUNE MAGAZIN.
- ٦ - د. إسماعيل صبري عبد الله، العرب والعولمة، ٣٦٤.
- ٧ - العرب والعولمة، ٣٦٢.
- ٨ - العرب والعولمة، ٣٦٤.
- ٩ - د. انطوان زحلان، ٨٢.
- ١٠ - د. انطوان زحلان، ٨٥.
- ١١ - د. انطوان زحلان، ٩٢.
- ١٢ - د. انطوان زحلان، ٨٤.
- ١٣ - الصف، ٨.
- ١٤ - إحياء عموم الدين، ٢/ ٢٠٦.
- ١٥ - الأحزاب، ٧٢.
- ١٦ - النساء، ٥٩.
- ١٧ - الأنفال، ٤٦.
- ١٨ - الأنفال، ٢٨.
- ١٩ - الأعراف، ١٥٧.
- ٢٠ - آل عمران، ١١٤ - ١١٥.
- ٢١ - المنافقون، ٨.

الحوار والتحدى الحضاري

الأستاذ إبراهيم الربو

تقديم

لقد تعمدت القفز فوق الكثير من الحقائق والمفاهيم التي تدور حول موضوع الحوار وشواهد الدعوة إليه في الكتاب والسنة وفي ممارسات الصحابة وتاريخ التابعين، والمعنى الذي يكتسبه في الثقافة والحضارة الإسلاميتين وما يدل عليه من قيم ومبادئ هي ركن أساس في ثقافتنا وحضارتنا، لا لأن تلك الحقائق والأسس والمفاهيم ليست بذات أهمية، ولكن لأنكم جميعاً تدركونها وتعاون دلالاتها وتعرفون قدرها في الشريعة الإسلامية والمكان الذي تتبواه في الثقافة الإسلامية. فقد قيل عن ذلك الكثير وكتب ما هو أكثر... وحسبنا في هذا التقديم التأكيد على أن الحوار قيمة من قيم الحضارة الإسلامية المستندة أساساً إلى مبادئ الدين الحنيف وتعاليمه السمحاء، وهو موقف فكري وتعبير عن أبرز سمات الشخصية الإسلامية السوية.

سمة التسامح لا بمعنى التخاذل والضعف بوازع من الهزيمة النفسية ولكن بمعنى الترفع عن الصغائر والتسامي على الضغائن والتجافي عن الهوى والباطل.

ولا أراني أيضاً بحاجة إلى التذكير بأهمية الحوار على كل المستويات في التفاهم البشري وحل مشكلات الإنسانية ونشيدان الحق والخير والعدل والتسامح والحيلولة دون الفساد في الأرض، وكيف أكون في حاجة إلى ذلك والله سبحانه وتعالى وهو الحق العليم حاور دعاة الخير ودعاة الشر على حد سواء واستمع إليهم، وحوار الأنبياء والرسل والملائكة والشياطين، واستمع إلى إبليس وهو يشق عصا الطاعة عليه وأعطاه الفرصة لإعلان موقفه، وكفى بذلك مثلاً على أهمية الحوار.. واحترام رأي المحاور.

ورغم أن الحوار كمصطلح ومفهوم وممارسة يضل عمره في الإسلام إلى أربعة عشر قرناً، إلا أنه مفهوم جديد في الفكر الغربي السياسي والثقافي، ولعل ما يدل على ذلك هو خلو جميع المواثيق والعهود الدولية التي صدرت بعد إنشاء الأمم المتحدة من الإشارة إلى «الحوار» حتى كلفظ وهو ما يعني أنه ليس مصطلحاً قانونياً، لكنه مصطلح أو مفهوم سياسي ثقافي حضاري جديد التداول نسبياً في قاموس السياسة الدولية الذي خص حيزاً مناسباً لمصطلحات أخرى مثل: «التسامح والتعاون والتعايش وإنماء العلاقات الودية بين الأمم وتحقيق التعاون الدولي،

والدفع بالرقي الاجتماعي قدماً والرفع من مستوى الحياة في جو أفسح من الحرية»^(١)، فلم يرد للحوار ذكر كمفهوم قانوني في ميثاق الأمم المتحدة ولا في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ولا في العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية ولا في العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية ولا في إعلان مبادئ التعاون الثقافي الدولي.

وتزامن ظهور هذا المصطلح في الفكر والثقافة الغربية مع تنامي حدة الخلاف خلال فترة الحرب الباردة التي شهدت منا وجزراً بين القوتين العظميين في العالم، حيث طرح الغرب بزعامة الولايات المتحدة مبدأ «الحوار» مقابل شعار «التعايش» الذي رفعه للعسكر الشرقي بزعامة الاتحاد السوفيتي يومئذ.

أما في إطار الحوار مع الديانات الشرقية وفي مقدمتها الإسلام، فقد نادى الغرب بالحوار بين الأديان ثم بين الثقافات والحضارات... ويلاحظ في هذا السياق أن الحوار الذي كان الغرب يدعو إليه بهذا المفهوم وهذه الدلالة استند في أول الأمر على الهدف الديني، حيث وقع التركيز على الحوار الإسلامي المسيحي ولازال هنا النمط من الحوار هو المسبطر، حتى أن السامع أو القارئ ينتبه إليه دون سواه من الحوارات بمجرد ذكر كلمة «الحوار»... والجدير بالذكر ونحن نتحدث عن هذا النمط من الحوارات أن نشير إلى أنه ولأول مرة في تاريخ الكنيسة الغربية «الكاثوليكية» ناقش المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥ م) على مستوى مذهبي عقائدي إشكالية العلاقة بين المسيحية والديانات غير المسيحية، حيث صدر عن الكنيسة تصريح خاص حول علاقة الكنيسة بتلك الديانات ولقد أولى ذلك المجمع المسكوني اهتماماً خاصاً بالإسلام «فلأول مرة منذ أربعة عشر قرناً من وجود المسيحية والإسلام يتحدث مجمع مسكوني كاثوليكي بصورة ايجابية عن الإسلام، معترفاً بوضعه الديني المتميز»^(٢)، وفي سنة ١٩٦٤ م أعلن البابا بولس السادس عن إنشاء سكرتارية لشؤون الديانات غير المسيحية وهي التي تولت فيما بعد التنظيم والإشراف على اللقاءات الحوارية التي نظمتها حاضرة الفاتيكان مع جمعيات وهيئات إسلامية كان من بينها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي نظمت مع المجلس البابوي للحوار بين الأديان ست ندوات حول موضوعات مختلفة ولازال موضوع الحوار الإسلامي المسيحي رغم تنامي فعالياته وتزايد لقاءاته محل تساؤل من بعض الباحثين حول الأهداف البعيدة لهذا النهج الذي اختطته الكنيسة للحوار مع المسلمين.

١ - من ديباجة ميثاق الأمم المتحدة.

٢ - الإسلام والمسيحية، اليكس جورافسكي - ترجمة د. خلف محمد الجراد - نوفمبر ٩٦.

وإلى جانب ذلك النمط من الحوار ظهرت حوارات أخرى «كالحوار العربي الأوروبي» الذي ظهرت الدعوة إليه عقب حرب الأيام الستة خاصة بعد ظهور دعوات عربية لوقف ضخ النفط إلى أوروبا وأمريكا وازدياد أسعاره بدرجة كبيرة عقب حرب رمضان... وكالحوار للتوسطي أو حوار الشمال والجنوب أو لقاء خمسة + خمسة أو ما إلى ذلك من الحوارات التي وإن اختلفت حجم المشاركات فيها إلا أن أهدافها الاقتصادية والسياسية من الجانب الأوروبي كانت واضحة.

من الحوار بين الأديان إلى الحوار بين الحضارات

وخلال العقدين من الألفية النصرمة، تطور مفهوم الحوار من الحوار بين الأديان إلى الحوار بين الحضارات والثقافات، وتم التركيز عليه على مستوى عالمي حيث صدرت عن الأمم المتحدة قرارات وتوصيات بهذا الشأن نذكر منها:

* قرار رقم ٢٢/٥٣ بتحديد سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات صادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الثالثة والخمسين نوفمبر ١٩٩٨.

* قرار رقم ٢٢/٥٥ المعنون: (سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات) والصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة نوفمبر ٢٠٠٠.

* الوثيقة العالمية للحوار بين الحضارات الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة سبتمبر ٢٠٠١.

وقابل ذلك من الجانب الإسلامي عدة بيانات وإعلانات حول الحوار الحضاري والثقافي على المستويين الرسمي والشعبي، فعلى المستوى الحكومي الرسمي يمكن أن يصنف إعلان طهران حول الحوار بين الحضارات الذي أقر إثر اجتماع لممثلي رؤساء دول وحكومات الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي في طهران في شهر مايو ١٩٩٩ بأنه أحدث وثيقة إسلامية رسمية حول الموضوع، أقرت على أعلى مستوى رسمي إسلامي متمثلاً في مؤتمر القمة الإسلامي الثامن، وقد رأيت هنا أهمية أن اثبت المبادئ الأساسية للحوار كما حددها ذلك البيان، ليست فقط لأنها متبناة من أعلى هيئة إسلامية رسمية، بل لأنني رأيت في تلك المبادئ من العمق والشمولية ما يجعل الحوار بحق عملاً إنسانياً مثمراً إن بني على هذه المبادئ وتم احترامها من قبل أطراف الحوار، وهي:

١. احترام الكرامة الإنسانية بين جميع البشر وعدم التمييز بينهم أياً كان نوع هذا التمييز

- وكذلك بين الدول سواء كانت صغيرة أو كبيرة.
- ٢- القبول الفعلي بالتنوع الثقافي بوصفه أحد اللامح الثابتة للمجتمع الإنساني ومصدرا غاليا لتقدم البشرية وازدهارها.
- ٣- الاحترام المتبادل والتسامح في مجال وجهات النظر والقيم الخاصة بمختلف الثقافات والحضارات وحقوق الأفراد المنتمين إلى جميع الحضارات في الحفاظ على تراثهم وقيمهم الثقافية، ورفض تدنيس القيم الأخلاقية والدينية والثقافية وانتهاك الحرمات والمقدسات.
- ٤- الاعتراف بتنوع مصادر المعرفة في كل زمان ومكان وضرورة الاعتماد على مجالات القوة والثراء والحكمة لكل حضارة في إطار عملية قوامها الإنراء للتبادل.
- ٥- رفض محاولات الهيمنة والسيطرة الثقافية والحضارية والتصدي للمناهج والممارسات الرامية لخلق الصراع والصدام بين الحضارات.
- ٦- السعي لإيجاد أرضية مشتركة بين مختلف الحضارات وداخلها حتى يمكن مواجهة التحديات العالمية المشتركة.
- ٧- القبول بالتعاون والسعي للتفاهم كآلية مناسبة لتعزيز القيم العالمية المشتركة ووضع حد للتهديدات العالمية.
- ٨- الالتزام بمشاركة جميع الشعوب والأمم دون أي تمييز في عمليات صنع القرار وتوزيع المنافع على المستوى المحلي والعالمي.
- ٩- التمسك بمبادئ العدالة والإنصاف والسلام والتضامن وكذلك بالمبادئ الأساسية للقانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة.
- أما على المستوى الإسلامي الشعبي فقد صدرت عدة توصيات وبيانات نذكر منها:
- * بيان كوالنلبور حول الحوار الحضاري - فبراير ١٩٩٨.
 - * بيان برلين حول الحوار والتعايش بين الحضارات - يوليو ٢٠٠٠.
 - * بيان الرباط حول الحوار بين الحضارات - يوليو ٢٠٠١.
 - * نداء تونس حول الحوار بين الحضارات - نوفمبر ٢٠٠١.
- هذا إضافة إلى عشرات الندوات والدراسات والمؤتمرات التي نظمت في أرجاء العالم الإسلامي حول هذا الموضوع خاصة عقب ظهور دراسات ونظريات لمن يعتبرون من أئمة الفكر الغربي تدعو صراحة إلى الصراع بين الحضارات وتنبيه إلى أن حضارة الإسلام هي الحضارة الوحيدة المؤهلة لتحدي الحضارة الغربية والقادرة على الوقوف في وجهها.

ويستشف من كل هذه المواقف الرسمية والشعبية حماس إسلامي منقطع النظير للحوار كمبدأ إسلامي أساسه نشدان الحق والبحث عنه والسعي إلى الحقيقة والتماسها والقصد إلى ما فيه الصالح العام. وإلى الحوار الحضاري بصفة خاصة في هذه الظروف التي يمر بها العالم باضطرابات سياسية واقتصادية واجتماعية يمكن أن تكون لها آثارها السلبية إذا لم تتح الفرصة لحوار حضاري وثقافي جاد وهادف وصادق ينتج عنه تفاعل حضاري يقوم على قاعدة الاحترام المتبادل بالمعنى الأخلاقي الرفيع وباللؤلؤ الحضاري السامي.

وإذا كنا نؤكد على كل ما ورد في إعلان طهران من مبادئ يجب أن يقوم عليها الحوار فإن ثلاثاً منها نكتسي أهمية فائقة باعتبارها ركائز لا يتم أي حوار هادف بدونها وهي:

١- الاحترام المتبادل.

٢- الإنصاف والعدل.

٣- نبذ التعصب والكرهية.

فالأولى تقتضي وجود قواسم مشتركة تكون إطاراً عاماً وأرضية صلبة للحوار تتمثل في القيم الدينية والمبادئ الإنسانية والقواعد القانونية التي يجب أن يكون احترامها والتحرك في نطاقها أمراً أساسياً حتى لا يتحول الحوار إلى ساحة لجدل عقيم أو تناول على أقدار الناس أو مساً بمكانة الشرائع والمعتقدات.

والثانية تقتضي وجود العدل والإنصاف باعتباره الشرعية الحضارية التي ينبغي أن تكون منطلقاً للحوار أياً كان مستواه ومهما كانت أهدافه، والعدل يقتضي المساواة بين الناس وبالإقرار بالحقيقة وهو إضافة إلى ذلك روح الشريعة الإسلامية وجوهر القوانين الوضعية. والثالثة تحتم البعد عن التعصب للمذهب الديني أو السياسي تعصباً يمسد العيون عن حقيقة الآخر وطبيعته، وكذا التخلص من الكراهية المناقضة أصلاً للحوار والتي غالباً ما تكون سبباً في صراعات دموية.

مستهدفات الحوار

وإذا كان ماتقدم يمثل اسماً ومبادئ لإقامة أي حوار فاعل هادف، فإن للحوار أهدافاً كثيرة لا يمكن التفصيل فيها في مقام كهذا، وحسبنا هنا أن نقف عند قوله تعالى (يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً ولقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم). ونقف في هذه الآية على مصطلح «التعارف» وهو غاية الحوار بين الأمم والشعوب

بما يحمله من معان التعاون والتعاضد وكل ضروب العمل الإنساني المشترك لما فيه الخير والمنفعة لبني البشر، ذلك بصفة عامة إذ لا يمكننا أن نحصر أهداف الحوار في عدد محدد من القضايا فأهدافه عن الكثرة بحيث يتعذر حصرها، وقد كتب حولها الكثير، غير إننا للتدليل على بعضها يمكن الإشارة إلى الأهداف الواردة في إعلان مبادئ التعاون الثقافي الدولي الصادر عن المؤتمر العام للمنظمة اليونسكو لسنة ١٩٩٦ والذي حدد أهداف الحوار في:

- ١- نشر المعارف وحفز المواهب وإثراء الثقافات.
- ٢- تنمية العلاقات السلمية والصداقة بين الشعوب والوصول إلى جعل كل منها أفضل فهما لطرائق حياة الشعوب الأخرى.
- ٣- تمكين كل إنسان من اكتساب المعرفة والمشاركة في التقدم العلمي الذي يحرز في جميع أنحاء العالم والانتفاع بثماره والإسهام من جانبه في إثراء الحياة الثقافية.
- ٤- إبراز الأفكار والقيم التي من شأنها توفير مناخ صداقة وسلام واستبعاد جميع مظاهر العداء في المواقف وفي التعبير عن الآراء.
- ٥- تحسين ظروف الحياة الروحية والوجود المادي للإنسان في جميع أرجاء العالم.

أحداث سبتمبر وتأثيراتها على الحوار

لقد مثلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر منعطفاً في العلاقة بين بعض القوى السياسية في الغرب وفي مقدمتها الولايات المتحدة وبين المسلمين كامة وحضارة، ففي الوقت الذي لم تقم أي دولة أو هيئة أو مؤسسة أو حزب إسلامي بتأييد أو بدعم ذلك العمل أو تبنيه أو مباركته، بل إن الصوت الإسلامي كان في مقدمة الأصوات التي أدانت ذلك العمل واعتبرته عملاً إرهابياً أودي بحياة الآلاف من الأبرياء.. شأنه شأن العمل الإرهابي الذي ارتكب في أو كلاهما قبل ذلك بعدة سنوات، ورات في مرتكبيه انحرافاً في العقيدة الإسلامية وتناقضاً مع جوهر الدين الإسلامي الحنيف.. وأنهم وحدهم كأفراد يتحملون مسؤولية القناعات التي جرتهم إلى اختيار الموت بهذه الطريقة مع الآلاف من الأبرياء.. إلا أن ردة الفعل الأمريكية الغاضبة لم تستطع أن تدرك تلك الحقيقة إدراكاً يفصل بين الإسلام كعقيدة وبين تصرفات بعض من ينتسبون إليه، فشهدنا عقب تلك الأحداث خلطاً متعمداً لكثير من الأوراق شجعت بعض الأصوات على التجني على الإسلام ذاته واتهامه بأنه يزرع في نفوس الناشئة بذور العنف والتطرف... ورات بعض الدوائر ذات النفوذ القوي في توجيه السياسة الأمريكية والتي تحمل عداء تاريخياً للإسلام في ذلك

العمل فرصة للدفع بالموقف الأمريكي الرسمي لأبعد مدى ممكن في التهجم على المسلمين والنبل من الإسلام.

وهكذا تخطت إدانة ذلك العمل بضعة أفراد من السلمين، لتتألم من السلمين كاملة وهوية، ثم لتتخطاهم أيضاً لتتألم من الإسلام ذاته عقيدة وحضارة، وبالغت أمريكا في النفخ في مصطلح الإرهاب حتى أصبح اليوم مادة نبرة للتندر خاصة بعدما حددت أمريكا علاقاتها بغيرها حيال ما تسميه إرهاباً وفق مقولة (من ليس معي فهو ضدي). وبعثت ذلك أحداث دموية تمثلت في احتلال أفغانستان واحتلال العراق وتاجح الصراع الدموي في فلسطين وهي أعمال لم تحظ في جلها بغطاء الشرعية الدولية ولم تتم في إطار القوانين والأعراف المتفق عليها دولياً، الأمر الذي أزعج كل دعاة الأمن والسلام والعدل في العالم. وكان الموقف الأوروبي من العدوان على العراق خير مؤشر على ذلك الانزعاج.

غير أن الشعور المشترك بين دعاة السلام في العالم بأنه لا حل لكل بؤر التوتر في العالم بغير الحوار والتفاهم هو الذي حدا بكثير من المؤسسات الإسلامية إلى إعلان استعدادها للحوار على كل المستويات، لا لينسجم مع ما يريده هذا الطرف أو ذلك، وإنما لينسجم بالدرجة الأولى مع الروح الجديدة التي تسود العالم اليوم، ومع مبادئ الشرعية الدولية القائمة على قرارات الأمم المتحدة وأسس القانون الدولي في احترام كامل للخصوصيات الدينية والنوابت الثقافية ومرتكزات الهوية القومية. ويبدو أن ذلك هو الذي أدى إلى ارتفاع الدعوات إلى اللقاءات الحوارية على مختلف المستويات خلال السنتين الأخيرتين، وهو شيء إيجابي لكنه - في اعتقادي - لن يؤدي إلى النتيجة المرجوة ما لم تراعى فيه ثلاثة عناصر أشرت إليها في مقالة نشرتها صحيفة الدعوة الإسلامية منذ فترة تحت عنوان: «رأي في الحوار». نظراً لارتباط تلك المقالة بموضوع هذه الورقة. فها أنا ذا أوردتها بالنص:

شهد العقد الأخير من القرن الماضي أكثر من عشرين مؤتمراً وندوة حول الحوار بين الأديان والحضارات، وعجت المكتبات بكم غير مسبوق من أدبيات الحوار دينياً كان أو ثقافياً أو حضارياً .. وتسارعت وتيرة ذلك الحوار بعد ظهور كتاب «صمونيل هانينغتون» حول حتمية صراع الحضارات واشتدت الوتيرة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر حتى أنه لا يكاد يمر يوم أو أيام إلا وتقرأ أو تسمع عن لقاءات حوارية هنا أو هناك.. ولعل من أولى الدلالات التي تفسر تلك الظاهرة هي القلق الذي يسود العالم، والخوف من المستقبل نتيجة استحواذ قوة واحدة على مقدرات كل البشر وتعاملها مع المجتمع الإنساني وفقاً لمصالحها ورؤيتها وبما يتفق

مع سياساتها وأهدافها. وفي ضوء هذه الحقيقة لا يمكن لأحد أن يصنف هذا الكم من اللقاءات الحوارية سوى أنها ظاهرة ايجابية من حيث انها جاءت استشعاراً لخطورة الوضع العالمي وشعور سكان هذا الكوكب بالخوف والقلق حيال مستقبلهم الذي تهدده مخاطر دلت عليها مؤشرات تواترت في الظهور واحداً بعد الآخر منذ ان تعرضت موازين القوى العالمية للأضطراب بالانهيار ماكان يعرف بالاتحاد السوفيتي.

ولكن المتأمل في ذلك الكم الكبير من الأدبيات الحوارية، يلاحظ أنها ظلت تحوم فوق تخوم أكاديمية متخصصة دون أن تضم جناحيها للنزول وسط الشارع الجماهيري، وظلت تسبح في بحر المثاليات دون أن تنجح إلى الشاطئ لتلامس حياة الناس، وقبل كل ذلك طغى عليها جميعاً الجانب النظري، فلم تلامس الواقع إلا على استحياء.

وبقيت الندوات والمؤتمرات الحوارية في جزئها الغالب مناسبة يقوم فيها كل جانب بسرد البراهين والدلائل العقلية والتاريخية على أن الحوار أمر أصيل في دينه وثقافته، وان بذور التسامح والتعايش نمت وترعرعت في تربته الدينية والثقافية.. وبقي المتحاورون عصافير تغرد في وجه بعضها بعضاً داخل قاعات مغلقة دون أن تشعر من هم خارجها بشيء يذكر من الطمانينة أو النشوة أو الارتياح.

وقد تفاجأ إذا ما حضرت بعض الأنشطة الحوارية بنقاط التلاقي التي تكاد تتحول إلى تطابق في الكثير من الوجوه التي تنطلق جلفاً من نوابت دينية وأسس عقيدية - ولا اعتقد بان في ذلك غرابة - حيث إنه من الناحية النظرية فإن كل الأديان السماوية - بل حتى الوضعية - تدعو إلى الخير والعدل وتعتمد الحوار أسلوباً أساسياً لتحقيق تلك القيم على أرض الواقع.. ولكن ما إن تخرج من القاعة لتتابع نشرة اخبار حول أحداث العالم حتى تصدم بصورة الحقيقة المغايرة تماماً للمثاليات التي كنت منتشياً بها داخل القاعة.

إذن نحن أمام مشكلة حقيقة يبرز ملامحها هذا التناقض بين المثالية النظرية التي تسفر عنها حل اللقاءات الحوارية وبين ممارسات عملية رسمية غير مسؤولة تقود إلى صراع بين الحضارات وربما إلى صدامها.

وإذا كان الأدب الحواري يكاد ينحصر هذه الأيام - وخاصة بعد أحداث سبتمبر - في علاقة الحضارة العربية الإسلامية بالحضارة الغربية خاصة في أنموذجها الأمريكي، فإنني اعتقد بان لا سبيل إلى أي حوار جاد وهاذف ومثمر بين الحضارتين إلا بمراعاة ثلاثة عناصر:

أولاً : تحديد المفاهيم وتحرير المصطلحات

يقال إن الحكم على الشيء فرع من تصوره، وتأسيساً على تلك القاعدة فإذا كان التصور حيال أمر ما خاطئاً أو منحرفاً، فإن الحكم عليه بالضرورة سيكون كذلك. . . ومن هنا تبدو الحاجة ملحة إلى تحديد دقيق لمصطلحات ومفاهيم استعملت في الهجوم الذي يتعرض له الإسلام اليوم ويأتي مصطلح أو مفهوم الإرهاب في مقدمة تلك المفاهيم الذي لازال يتخذ ذريعة بحق وبغير حق في التدخل في شؤون الدول والجماعات الإسلامية، ولذلك فما لم يحدد مفهوم الإرهاب تحديداً يضع خطوطاً واضحة بينه كظاهرة إجرامية ندينها جميعاً ونتبرأ من مرتكبيها وبين الدفاع المشروع عن النفس والأرض والعرض، وهو الأمر المقدس الذي نقره وتدعمه والذي نقره وتدعمه كل الديانات والأعراف والوثائق الدولية إضافة إلى تحديد وتعريف عدد آخر من المصطلحات التي بدأت الإدارة الأمريكية تطلقها جزافاً على كل من يخالفها في الرأي أو التوجه، فجعلت للشمر محوراً وللمروق كتلة.. قبل أن يتم الاتفاق على ماهية الشر، فما هو الشر؟ وعلى أي شيء يكون المروق!!

ثانياً : طي صفحة الماضي

وهو أمر وإن كان ضرورياً للحوار يرسم صورة للمستقبل، إلا أنه لا يمكن أن يتم دون تسوية عادلة لكل المظالم المشينة التي حملتها تلك الصفحة، فتعويض الدول التي استعمرت ومساعدتها على محو آثار الاستعمار ودعم خططها التنموية والعمل على إعادة كبنوزها الثقافية والتاريخية، والاعتذار الرسمي عن عمليات القتل والنهب إبان الحقبة الاستعمارية أمور أساسية للوصول إلى اتفاق على طي صفحة الماضي، وبدون ذلك فستبقى عاملاً أساسياً في تشكيل صورة الغرب في أذهاننا حتى ونحن نحاوره حول المستقبل.

ثالثاً : الحل العادل والشامل للصراعات ذات التأثير السلبي المباشر على الحوار الحضاري

وإذا كنا نؤكد بأن كل صراع إنساني مهما كانت أسبابه ومساحاته الجغرافية يمثل جرحاً في جسم البشرية تجب مداواته والتقليل من آلامه، إلا أن هناك صراعات لا تحمل بذور تصادم حضاري كبعض الصراعات في إفريقيا أو جنوب شرق آسيا على سبيل المثال.. بينما هناك صراعات أخرى تفجرت أصلاً على خلفيات حضارية تاريخية، ولعل الصراع الإسلامي الصهيوني حول فلسطين يتصدر قائمة تلك الصراعات، فلسطين رمز للحضارة العربية

الإسلامية، ومالم يحل الصراع حولها بطريقة تكفل الحقوق الكاملة للشعب الفلسطيني بمسلميه ومسيحييه وعودة للشردين واللاجئين إلى ديارهم فسببى أي حوار مع الحضارة الغربية في نموذجها الأمريكي - الذي يدعم ذلك الكيان الغتصب ويمكن له في أرض ومقدسات الإسلام - بلا معنى مهما كانت المواقف الرسمية متهاونة ، ومهما تبادلنا الكلمات العسولة في لقاءاتنا الحوارية الرسمية.

الإسلام بين الاجتهاد والجهاد

الدكتور محمد محمد الشحومي

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد

أيها الأخوة الأعزّاء، يقول الله عزّ وعلا قديماً ولم يزل قائلاً عليماً بعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم (والعصر، إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) صدق الله العظيم.

أيها الأخوة، إن التأمّل في هذه الآيات الكريمة لن يغيّب عن بصيرته، إختصارها لحالة الواقع الإنساني في هذا العصر، كحالها في كل العصور السابقة والأحقّة، حيث تبدأ بالقسم بالعصر من الله العليّ القدير المنزه عن الحاجة للقسم ولكنه كان لتأكيد أهمية ما يرد بعده، والعصر هو اللحظة الإنسانية في التاريخ الكوني وفي العمل بالقيم (أنه الحضور المعاصر للحظة زمنية محددة)، وتصف الآية الثانية الإنسان الموجود في تلك اللحظة أمام الخيار بين الخسر والاستثناء منه، ثم شرطي هذا الاستثناء بالإيمان الشخصي الذاتي أو الجماعي الموضوعي وذلك بالتواصي بالحق، ثم الإصلاح العملي شخصياً ذاتياً بالعمل الصالح والجماعي الموضوعي بالتواصي بالصبر.

ولما كان التواصي بالحق هو عينه الاجتهاد بالعلم حسب معايير إجماعية وهو معنى المشاركة في التواصي بالحق، وكان التواصي بالصبر هو عينه الجهاد بمعنى بذل الجهد بالعمل حسب معايير إجماعية (وهو معنى المشاركة في التواصي بالصبر) أصبح من الواجب أن نبحث عن معرفة الشروط للوجبة والسالبة (الأوامر والنواهي) التي يضعها القرآن الكريم لعمل هاتين المؤسستين (الاجتهاد والجهاد) في النظر والعمل سواء كان الموضوع طبيعياً كونياً أو شرعياً تاريخياً بوصفهما الأصل الذي يستمد منه العقل السلم خبرته النظرية وتجربته العملية.

والقرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً فعندما نقرأ في الآية السابعة من آل عمران (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشبهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يقولون ءأمنّا به كلّ من عند ربّنا وما يتككّر إلا أولوا الألباب) ومن ذلك تكون العلة الأساسية التي لاجلها يمكن لتحريف المعرفة الإنسانية أن يحصل، إنها محاولة تأويل المتشابه في أهم موقف نظري من مواقف الحياة والإيمان، وتحدد الآية ١٥٤ من نفس السورة العلة الرئيسية التي لاجلها يمكن تحريف العمل الإنساني أن يحصل إنها محاولة التعلل بالقدر في أهم موقف عملي من مواقف الحياة في مواجهة الموت خلال الجهاد من أجل القيم الروحية (ثم أنزل عليكم من بعد الغمّ أمنةً نعاساً يغشى طائفةً منكم وطائفةً قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحقّ ظلنّ

الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء ، قل ان الامر كله لله ، يخفون في انفسهم مالا يبدون لك، يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما فتلنا هاهنا، قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور). ومن ذلك نفهم بصريح النص:

* إن الرسوخ في العلم لا يمكن أن يكون إلا معرفة اجتهادية تتحرر من وهم تاويل المتشابه.

* والرسوخ في العمل لا يمكن أن يكون إلا عملاً جهادياً يتحرر من وهم تحليل القدر.

ايها الاخوة، إن المتأمل في تراكمات الفكر الاسلامي وموروثه التاريخي لابد أن يدرك الحاجة لتعلم سنن الحياة والتاريخ والجهد المطلوب لتوحيد الفكر الاسلامي ودراسة التاريخ بتنقية التراث من الموروث، والتوحيد الذي نقصده غير ذلك الذي ينفي التعدد ويصادر الاختلاف الذي ينتجه العقل السوي بقراءته الواعية للنص (القرآن) وفهمه (السنة) وشرعيته (الاجماع) وعلاقتها بوقائع التاريخ، وإنما المقصود إدراكه في كليته وجدليته هو يتبصر مساره حول محور التوحيد العقدي، وتنقيته من النزاعات والاختلافات ورؤيتها في سياقاتها التاريخية والمكانية والزمانية .

وهذا لن يكون إلا باعتبار التوحيد هو قلب الفكر الاسلامي ، أما تاريخ الأمة الاسلامية الذي سمح للعقل المسلم بالتنوع والاجتهاد في النظر الشرعي والخيار الواقعي نقيسه بمقاييس النص نقبل ونرد دون تقديس لاحد سوى من اوحى له النص وفهمه (صلى الله عليه وسلم) فهو وحده العصوم باعتبار حتى فهمه وحي وهو لا ينطق عن الهوى بصريح النص وهنا يسمح لنا أن نعيد النظر في موروثنا الفكري والتاريخي بضرورة تجاوزية تعلقو على الاقتراب التنازعي لفهم التاريخ الذي صار عقيدة لدى البعض يستمد منها شرعية فكره ويقرأ بها الاجتهادات والوقائع الامر الذي يدفعنا الى التنازع على الحقيقة يكفر كل طرف غيره باعتباره من الفئة الضالة الامر الذي يختلف عن التدافع المشروع في اطار الحقيقة باعتبارنا جميعاً نكون الفئة الناجية دون إفراط او تفريط ومن قال بغير ذلك يكون قد آساء فهم المقصود بالجماعة التي اشار اليها الحديث والتي لا يكون الا مجمل الأمة المستقيمة على التوحيد مع قبول التعدد والاختلاف بين الرؤى والاتجاهات على أرضية المرجعية الاسلامية الجامعة ومن ذلك نتأكد بأن الجماعة هي الأمة أو السواد الاعظم من الأمة والجماعات الوجود لا تستند في تأسيسها إلى نصوص إلا على سبيل الاستئناس، واستنادها الأساس للنصوص العامة التي تحض على البر والتقوى وتنها عن الفشل والتنازع وفي هذا السياق علينا جميعاً أن نسعى بكل طاقاتنا للتعاون والتكامل والتعاقد والابتعاد كل البعد عن التقاتل والتنازع والتخاصم.

ايها الاخوة، إن التفكير والنظر أصبح واجباً يفرض على العقل المسلم تبين سبل استكمال المشروع الحضاري اللازم لتحقيق شروط الخيرنة وصولاً للاستخلاف في الارض والشهادة على

الناس وهذه هي المهمة الأساسية لكل المفكرين للمسلمين المؤمنين بضرورة تجاوز خلافات الماضي والشروع الفعلي في تحقيق شروط الفعل الحاضر على ثوابت الدين وأصوله وقواعده باثبات الوحدة العميقة وراء الخلاف الفكري المذهبي في الماضي وهنا ندرك أن فكر المسلمين لا يمكن أن يصبح فكراً بحق إلا إذا تعالَى على التحديد المذهبي والطائفي بل يتعين بطبيعة الموضوع (سياسي، طبيعي...) الذي يحدد المنهج (علمي، تقني... الخ) والمنهج يوجه القصد العرفي (تفسيري، تأويلي، نقدي...) عندها فقط يكون الحوار يجمع ولا يفرق ويثمر فكراً ناجحاً دون افراط أو تفريط، يواكب العصر على قواعد ثابتة أصلية، ويساهم في الحضارة المعاصرة بقيمتها الأساسية (الذوق والأخلاق والمعرفة والتشريع والحضور) ونؤثر فيها خدمة للقيم الأخلاقية السامية (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) التي يحددها الإسلام بالشرائع والطبائع وما بينهما من تبادل في الاتجاهين ثم حضوراً متعالياً عليهما وعلى تفاعلاتهما لتكون بحق شهداء على الناس ونحقق الخيرية الموصلة للاستخلاف.

إن الموقف الذي نرى وجوب تأكيده هو الذي يؤمن بوحدة الفكر الإسلامي متجاوزاً الانتماء العرقي (عرب - فرس - ترك...) والطائفي (سنة، شيعة، خوارج...) والمذهبي (حنفي، مالكي، جعفري، زيدي...) إنه موقف الرشد واعادته إلى عقل الأمة بعد طول غياب وهذا يدفعنا إلى إعادة النظر في تاريخنا السياسي والمذهبي وبحث سيطرة الاستبداد وعصور الغلبة وتحليل الازمات التي سيطرت على التاريخ الإسلامي ككله لأدراك مواقع الزيف وتأثير الجاهلية (باعتبارها الموضوعي المستمر وليس التاريخي المنتهي) ومعالجة ما تولد عنهما من فتن وصراعات حددت مآل الفكر الإسلامي ككله محدداً للواقع السياسي إجمالاً الأمر الذي جعله محكوماً بشراك الاستبداد خلافاً لما تقتضيه عقيدة التوحيد ونصوص الرسالة، وفي هذا الجانب قرأت ملخصاً جميلاً للدكتور مرزوقي عن كتاب (الدين والفكر في شراك الاستبداد) للمفكر الإسلامي السيد محمد خاتمي يربط فيه العلاقة بين الخلافات المذهبية التي طابقت الخلافات الشعبوية خاصة بين أقوام الإسلام الأساسية الخمسة ويرى أن العرب هم الأصل الأول لكون الرسالة بلغتهم والفرس يبرزون حضارياً والترك سياسياً ولأنهم يشكلون القلب والهنود والافارقة (وردت في الكتاب البربر وهم عرب ولكن الافارقة اعم) الجناحين ولن ينطلق صقر الإسلام محلقاً إلا بكل هذا الخمس الذي يمثل قاعدة الانطلاق التي فتحت العالم بكل اقوامه مع اعتبار سفراء الإسلام المنتشرون في كل بقاع الدنيا.

إن هذا الاستنتاج الذي وصل له السيد خاتمي فيه بصيرة صافية يدركها المفكرون بدرجة متزايدة تتضح في الحوارات والمتابعات والجهود المشتركة، ومن ذلك يقتضي الواجب دعم مشروع الحوار والتعاون والتضامن لتحقيق هذا الهدف بطلب الحقيقة ومناقشة شروطها وشروط صمودها أمام روايب الصراع الطائفي والمذهبي والشعوبي، وتأويلات تاريخ تلك

الصراعات وما خلفته من نظريات ترسخ مناخاً ثقافياً وتعليمياً سلبياً ، الامر الذي يلزمنا بان ندقق البحث في المسائل المطروحة قديمها وحديثها بما يمكننا من الاجابة عن اسئلة كبرى اصبحت تحدياً يتحفظ غيرنا للاجابة عنها بما يخدم مصالحه وعقيدته مثل:

هل نستطيع ان نقدم علاجاً عملياً لواقع الاستبداد الذي ترزخ تحت وطائه شعوب الامنة ومؤسساتها؟ يواكب العصر ويؤكد الاصاله ويرسخ الهوية . أم أن التقابل الطائفي والمذهبي ما يزالان في الحقيقة فاعلان الامر الذي لاشك انه بسبب الاعاقه المعرفية الحاجبه للحقيقة ويعمق الفراغ السياسي في عصر غير مسموح فيه بوجود فراغات ، وهل يمكن تحقيق مشروع يوحد الامة الاسلامية وهو مشروع نتفق عليه ونطلبه بكل ايمان وثقة باعتباره الاطار الوحيد الذي يمكن ان يمارس الفرد فيه شعائر الدين كاملة بل هو المجال الوحيد لتحقيق الدين الذي لا يمكن تحقيقه خارج الجماعة الاجتماعية وهذه حقيقة ربما يتناساها الكثيرون من الذين يعتبرون أن الدين يمكن تحقيقه على الصعيد الفردي المحض ولا يجب أن ينسأها انصار الدولة الاسلامية الذين يعطون الاولوية للدولة على الامة وهو الوضع الذي يحاكي النظام الغربي باكثر مما يستكمل مسيرة الامة بمؤسساتها المالية والاهلية والسياسية والتعبدية الحية والقوية عبر التاريخ.

البيت الصالحة مطلوبة للاجابة على هذه الاسئلة الكبرى ومعرفة سبب عدم تحقيقها حتى الآن، وماذا ننتظر وعند اية نقطة من الانحدار نتوقف ونبدأ الصعود، الا يشترط ذلك البحث عن الحقيقة التاريخية وشروط المعرفة العلمية للظواهر المختلفة في التاريخ الاسلامي بل والانساني باعتبار الاسلام هو دين كل الديانات قبل تحريفها.

إن وحدة الفعل الاسلامي ضرورة لن تتحقق إلا بازالة العوائق أمام اندفاع حركتها المباركة وأهم تلك العوائق.

* العائق المنهجي الذي يتصور التاريخ مجرد قوالب يحصل فيه ما حصل بمقتضى ارادة البشر المتحررة من كل مؤثر موضوعي والاستسلام لهذا المسار دفع الطوائف والمذاهب نحو المواجهة والمقابلة السالفة لتاريخ السلف مع التاكيد على ان ليس كل السلف صالحاً ولا أحد منهم يدعي عصمة اجتهاده وعدم قابليته للنقد بل كل منهم يؤخذ منه ويرد إلا الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذي أوحى له النص وفهمه وتطبيقاته.

* العائق العقدي الذي يعرض التاريخ باعتباره صراعاً على الحقيقة وينتج عنه تكفير الآخر وهو غير التدافع في اطار الحقيقة الذي يؤكدها ويثريها دون الخروج عن اصولها ونوابتها. ومن ذلك يصبح التغيير الذاتي بالقيادة الاجتماعية الشورية ممتنعاً للأسباب التالية.

١. سبب منهجي وعلته سوء تاويل فكرة التغيير باعتباره غلبة لدلالات قرآنية منطبطة بممارسة السنة الايجابية ادرجت ظلماً ضمن النظريات التبريرية للاستبداد وليس لتحقيق المعرفة العلمية التي هي شرط التغيير دون عنف بالضرورة.

٢. السبب العقدي الذي يدعو الى التمييز بين علم العمران وعلم الايمان (علم الخلق وعلم الخلق) ذلك ان العالم التاريخي (العمران) مثل العالم الطبيعي (الفيزيائي) يشترط قوانين (اسباب) معلومة للتحكم فيه وتغيير نتائجه بتغيير اسبابها على قواعد من ايمان واجب بالمعرفة والعمل.

والوسيلة الوحيدة لتحقيق هذه الغايات السامية لا تكون إلا بتوحيد الموقف من الاستبداد الامر الذي لا يحققه التوحيد الظاهري والتصالح الظرفي السطحي الذي يبقى على عمق الخلاف واسباسه البنيوي، بل لايد من البحث المعرفي لابرار الحقيقة ناصعة نقية مرآة من شوائب التاريخ وتراكمت الزيف، وذلك لن يكون إلا بالعودة إلى الاصول والتأسيس عليها بما يكفل الاحابة على اسئلة عصرنا الحاضر واستنباط احكام تخدم مصالحنا المرسله بما يحقق لنا الخيرية والشهادة والعودة إلى التسمية الاصلية الاساسية (امة الاسلام) دون طائفية او مذهب واسماء لا معنى لها ولا توافق دلالاتها فالسنة لا تعني ان الشيعة لا تؤمن بالسنة والشيعة لا تعني ان غيرهم لا يحب اهل البيت ويعتقد وجوب محبتهم واهل الراي لا يعني انهم ليسوا من الجماعة وهكذا...!

الاسلام فطرة ولا نتصور المسلمين خارجين عن سنن الفطرة والتاريخ البشري لذا فاعادة قراءة منطوق الخلاف في سياقه التاريخي هام جدا فالفتن التي نخرت العقل للمسلم لا يجب ان تعرض عرضاً عقدياً باعتباره صراعاً بين الخير والشر، والاسلام وضده او صراعاً بين التنويريه والظلامية بمنطق العصر، بل إن الانصاف يقتضي ان نقرأ التاريخ بعين نافذة موضوعية لا تعيدنا إلى الفتنة ولكن تجعلنا ندرك اسباب الخلاف وتجنبه وايقاف مبدأ العصبية الذي تحول إلى جاهلية اتسعت دائرتها ليصبح عصبية عرقية ومبدأ العصبية السياسية الذي اتسع ليصبح مبدأ عصبية عقديية الامر الذي اضعف الامة وأخر قيامها كما اراد لها الله ان تكون. خير امة اخرجت للناس. وهذا الحال لايرتضيه أحد لها إلا عدوها.

إن الاسلام الذي قوم انحراف الدينين المتقدمين عليه صراحة وعاد بهما إلى اصولهما الحقيقية قام كذلك باصلاح فطرة العقل الفلسفي الانساني في الفلسفتين المتقدمتين عليه (اليونانية والفارسية) واعادهما إلى الموضوعية الفطرية ومن هنا نفهم ان اساس الفكر الاسلامي ليس (ربوبياً) ثيوقراطياً والا تعذر عليه فهم ختم الوحي لاحتياجه الدائم لتوالي الانبياء او ايجاد مؤسسة الاوصياء مثل (اباء الكنيسة ورهبان الشعب) وليس اساسه بشرياً (انثروبوقراطياً) كما هو الشأن في الفلسفات المادية والا اصبح الايمان بالوحي غير قابل للفهم إذ ان شرط التفكير الانثروبوقراطي ان يكون العقل مكتفياً بتوالي العقلاء او بمؤسسة الحكماء التي

تنوب عن الأمة (الجمهورية، البرلمان، الجماعة العقلية، الحزب) إنما أساس الفكر الإسلامي أمر فريد النوع وهو تنظيم الرابطة بين المنقول والمعقول وبذلك يكون الديني غير مستثنى للسياسي والسياسي غير مستثنى للديني وكلاهما على أرضية إنسانية فطرية عقلانية على هدى من الوحي، وهذا يقتضي أن تكون الأمة كلها مشاركة في السلطانين الديني والعقلي (بالشورى الملزمة) تحديدا للغايات والادوات وقياماً بالأميرين قياماً ذاتياً لا ينوب فيه أحد عن غيره والمشاركة فيهما بالآليات ومؤسسات واجراءات مع ترك تحديدها للاجتهاد البشري كفرض عين (الشورى مقرونة بالصلاة والزكاة لا تجوز فيها الانابة والكفاية).

والتأمل سيكتشف أن كل تحريف للفكر والنظام الحاصل في تاريخنا كان مصدره جعل المشاركة فرض كفاية وعجزاً عن تصور المؤسسات والآليات التي تحقق فرض العين هنا . (البهجة والحسبة والشورى...) أي الديمقراطية المباشرة الكاملة الحقيقية، تلك هي الصيغة التي طرحها الإسلام لتجاوز الحرفين السابقين الديني العراني (اليهودي المسيحي) المستند على الاستبداد الذي تبرره النخبة الدينية، والحل الفلسفي المادي المستند على الاستبداد الذي تبرره النخبة العقلية (من ابوقراط الى فاكوياما) وما يشهده عالمنا المعاصر اتحاد الطرفين المحرفين الصهيوني (اليهودي المسيحي) (دين) والراسمالية الليبرالية (نظام) نتج عن تفردهما بأسباب القوة المادية طغيان لن يتوقف الا إذا واجهته قوة قادرة على ابقائه والأمة الاسلامية قادرة دون شك على ذلك لو تمكنت من تجاوز خلافاتها التي لم يعد لها ما يبررها فالاستهداف الاسلام بكل طوائفه ومذاهبه وشعوبه ولذلك لن نتوقف عن الدعوة لتكاتف الجهود لتأسيس مؤسسات شورية تكون جوهر التغيير الذي سعت اليه الرسالة الحمديّة من خلال ما حددته سورة (العصر) وهي وحدها الصالحة لحل مشاكل هذا العصر وهما.

١) مؤسسة الاجتهاد على مبدأ التواصل بالحق بمعرفة كفرض عين على كل مسلم ومسلمة.

٢) مؤسسة الجهاد العادل على مبدأ التواصل بالصبر والعمل بالحق فرض عين على كل مسلم ومسلمة. ولا نملك إلا أن نختم بآيات من سورة الكهف عليها توفيق من فقد وعيه (وأتل ما أوحى اليك من كتاب ربك..... حتى وحسنت مرتفقاً).

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وأدعوه أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون احسنه وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله.

الحدائث

الشيخ محمود محمدي عراقي

رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه
كثيرة هي المصطلحات الغربية التي تناقشنا طويلاً حول الفاظها، دون ان ندخل في
محتواها، وندرسها على ضوء الفطرة المشتركة بين جميع البشر. والوقوف السطحي عند هذه
المصطلحات يؤدي غالباً الى تعامل انفعالي معها، فإما الرفض التام بحجة المحافظة على الأصالة،
وإما التمسك الأعمى بدليل ضرورة مواكبة العصر. وهكذا كتنا فريقين في قضايا الحرية
والديمقراطية والمجتمع المدني وامثالها .. ومنها (الحدائنة) وكان بالإمكان في هذه جميعاً ان
ندرسها دراسة مستوعبة على ضوء تراثنا، ونجعلها رافداً من روافد اغناء مسيرتنا الحضارية
كما فعلنا ذلك في عصور الإسلام الذهبية حين انفتح العالم الاسلامي على الثقافات اليونانية
والفارسية والهندية. لكن توقف الحركة الحضارية في هذه الأمة خلال القرون الأخيرة جعلنا
نقف من الرأي الآخر موقفاً انفعالياً يتسم كما قلت إما بالتحجر او بالذيلية والالتقاط.
صحيح ان الحدائنة مصطلح جاءنا من الغرب، وظهر هناك على اثر الاصطدام بين المفاهيم
اللاهوتية ومقتضيات المعرفة الحديثة⁽¹⁾، لكنه في الواقع كان موجوداً على امتداد كل حركة
حضارية في تاريخ البشرية.

فالحركة الحضارية تتطلع دائماً الى الجديد، دون أن تفرط بما حققته في تاريخها الحضاري
ودون ان تلغيه، لأنها حركة واحدة مترابطة الخصلة متواصلة الحلقات، ولو القينا نظرة على
تاريخ الفلسفة والطب والفلك والهندسة بل على تاريخ النحو والبلاغة والشعر والكتابة في
حضارتنا الاسلامية إبان ازدهارها لرأيناها ترفض التقليد والجمود، وتتجه دائماً الى التجديد في
الفكر والفن، ولكن بالوقوف على القاعدة الرصينة التي أرساها السلف من العلماء.

إن الحركة الحضارية في التاريخ الاسلامي شقت طريقها وسط أمواج من الفتن
والاضطرابات وعمليات القمع التي ظهرت في المجتمع الاسلامي نتيجة انحراف الحكم في كثير
من ادواره عن النهج الاسلامي الصحيح وتولي الحكام الجهلة الصالحين شؤون الأمة، غير أن
الطاقة الهائلة التي أودعها الاسلام في هذه الأمة امتدت الحركة الحضارية بزخم كبير جعل

الإبداع متواصلًا والانتاج العلمي مستمرًا والذوق الفني والأدبي متدفقًا على مر العصور. وفي إطار هذه الحركة الحضارية كان هناك تمييز واضح بين البدعة والإبداع، وبين (الحديث) الحقيقي و(الحديث) المزيف. البدعة لا تستند إلى جذور فهي الكلمة الخبيثة المائلة للشجرة الخبيثة اجتثت من فوق الأرض ماله من قرار، والإبداع ينطلق من فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهو سبحانه بديع السماوات والأرض، والإبداع كلمة طيبة كالشجرة الطيبة أصلها ثابت في فطرة الإنسان، وفرعها في السماء يباركه الله دائماً لتؤتي ثمارها باستمرار. والفرق بين البدعة والإبداع هو الفرق بين الحديث المزيف والحديث الحقيقي. وبعد توقف السيرة الحضارية لأمتنا لأسباب لا مجال لذكرها توقفت أيضاً حركة الإبداع فيها. من هنا فإننا نبدل الإبداع والانتاج العلمي. وقعنا في جدل عقيم حول ما يردنا من اصطلاحات غريبة، هذا يرفض، وهذا يقبل، وكل ذلك على مستوى الكلام والكتابة دون أن يكون لذلك غالباً ارتباط بحركة الأمة نحو مستقبل أفضل. التحدي الكبير الذي واجه أمتنا في العصر الحديث هو أنها أمة جامدة راکدة حضارياً وقد انفتحت على عالم الغرب المتحرك في جميع مجالات الحياة.

الفطرة الإنسانية تحب الحركة والتحول والتطوير، وكان خطر الذوبان في الغرب كبيراً لولا تصدي القادة الفكريين المبدائين الذين حافظوا على تماسك الأجيال بالخطاب الإسلامي المستند إلى إيضاح حقائق دين الفطرة وإلى بيان عظمة ما قلنمه الإسلام إلى الحضارة الإنسانية جمعاء، وإلى شد الشعوب الإسلامية بعودة حضارية مستقبلية.

لكن هذا الخطر لا يزال قائماً إذا لم تتظافر الجهود على إعادة دورنا الحضاري على الساحة البشرية. لا يزال جماعة من أنصار (الحدائنة) في الآداب والفنون والتراث يستهينون بماضينا الحضاري ويدعون إلى الانقطاع عن الجذور تماماً. وهذه الدعوة تشكل بالدرجة الأولى أكبر خطر على مستقبلنا الحضاري، لأن الأمة لا تستطيع أن تتحرك إذا فقدت جوهر حضارتها وشخصيتها التاريخية.^(١٦)

لا أزعج أن كل أنصار الحدائنة وقعوا في فخ الإعراض عن شخصيتنا الحضارية، فأكثر من عرف بالتطرف منهم في هذا المجال له رؤية واضحة في الفرق بين الحديث الحقيقي والحديث الزائف، أو بين الحديث والجديد كما يسميه ادونيس.^(١٧)

وادونيس يقف عند الفرق بين البدعة والإبداع في مجال الشعر - وهو المجال الذي دارت فيه غالباً بحوث العدالة دون غيرها من مجالات الفكر والفن - يقول:

(كل إبداع هو إبداع عالم، فالشاعر الحق هو الذي يقدم لنا شعره عالماً شخصياً خاصاً، لا مجموعة من الانطباعات والتزيينات. إذن كل إبداع تجاوز وتغيير.

حين ندرك هذا لا يعود صعباً أن نميز بين الجديد والمزوم جديداً، بين الجدة والزي، بين الإبداع والبدعة، البدعة هي الهوس بالآني الحاضر العابر، هي هاجس الطرافة للطرافة، هي التعلق بالجديد لأنه جديد وحسب.

وكثيراً ما يتداخل الإبداع والبدعة. فالزي يرافق الجدة دائماً. لكن البدعة نهر عابر، والإبداع نهر عميق باق. وفي حين تكون البدعة موجة، يكون الإبداع الحركة والعمق. فالبدعة ازياء والإبداع نبوة، والأزياء تعكس تموج الحياة، أما النبوة فتعكس أغوارها^(٤).
ويعرب ادونيس عن قلقه من انجراف الحياة العربية بقوة البدعة والسهولة لأنها لا تطوّر بل تزيد حالة الجمود تعقيداً^(٥).

ولا يذكر ادونيس سبب ضمور الإبداع وطغيان البدعة، وهو توقف حركتنا الحضارية منذ قرون، فالإبداع لا يمكن أن يولد إلا في مسيرة حضارة متحركة، وفي غيرها لا نجد إلا التظاهر بالإبداع وهو (الزي) أو (البدعة) كما في تعبير ادونيس.

والواقع أن كثرة الحديث عن (العدالة) و(ما بعد العدالة) في القصيدة العربية أوحى بأن قضية العدالة الشعرية كأنها قضية أدبية بحتة بينما هي في الواقع قضية الإنسان في هذه المنطقة من العالم. يقول الدكتور عبدالعزيز المقالح:

(تبدو قضية القصيدة الجديدة أحياناً في الواقع العربي المعاصر وكأنها قضية أدبية بحتة، بينما هي في واقع الأمر قضية جديد بعامة وقضية الإنسان الجديد على سبيل التخصص، والإنسان الجديد الذي أشر إليه هنا هو ذلك الذي حاول ويحاول بعد مراحل التقطع الحضاري والسقوط أن ينهض من كبوته ويصبح جديداً .. وأن يجعل أبعاد الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية تكتسب الوعي بالجديد، وتكون قادرة على التعبير عن هذا العصر وليس عن غيره من العصور)^(٦).

ولعل الأزمة التي يعانيها الشعر العربي المعاصر هو أنه يريد أن يتحرك لوحده في مجتمع

يسوده الركود في جميع مناحيه الإبداعية. إن الشاعر المعاصر بذوقه الرهف وبمشاعره الفطرية التسامية يرفض أن يبقى في إطار التقليد والاحترار والتكرار، ولكن أنسى له أن يرتفع إلى المستوى الذي يريد إن لم يكن ضمن تيار حضاري يشمل جميع مجالات الحياة.

التجربة الإيرانية في الحدائثة

وحدة الدائرة الحضارية بين الإيرانيين والعرب جعلت معظم التجارب الاجتماعية والثقافية مشتركة بينهما.

ولا يخفى أن الإيرانيين ساهموا في إطار الحضارة الإسلامية بسهم واف في عملية التطوير الحضاري على مختلف الصعد العلمية والأدبية والفنية، ومتى ما ساد جو من الجمود لفترة انكسر هذا الجمود على يد ذوي العقليات المتطورة الحدائثة.

حين كانت تظهر شخصية تسيطر بفكرها على الساحة وتؤدي إلى انبهار الطلبة والدارسين، وإلى ابقاء الدراسات ضمن حدود ما قدمته من فكر كبير، يتصدى لها من يكسر هذه السيطرة التودية عادة إلى الجمود، وغالباً ما يصرح بالتصدي بأنه أراد بعمله أن يدفع بعجلة التجديد والتطوير، ولدينا من ذلك الأمثلة الكثيرة في تراثنا، اكتفى بنموذج واحد هو محمد بن عبدالكريم الشهرستاني صاحب الملل والنحل (المتوفى سنة ٥٤٨ هـ)، فهو حين رأى فكر ابن سينا قد أدى بالدارسين إلى الاكتفاء بالشروح والحواشي على مؤلفات هذا الفيلسوف الكبير تصدى له في كتاب سماه (مصارعة الفلاسفة) يقول في مقدمته:

(وإنما تسر غرر العقل، وتبين قيمة الرجل عند مناجزة الأقران ومبارزة الشجعان، والاختبار يظهر خبيثة الأسرار، وبالامتحان يكرم المرء أو يهان).

وقد وقع الاتفاق على أن البرز في علوم الحكمة، وعلامة الدهر في الفلسفة، أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا، فلا يقفوه فيها قاف وإن نقض السواد، ولا يلحقه لاحق وإن ركض الجواد. وأجمعوا على أن من وقف على مضمون كلامه وعرف مكنون مرامه، فقد فاز بالسهم الملقى، وبلغ المقصد الأقصى. بله الاعتراض عليه رداً ورضاً، وتعقب كلامه إبطالاً ونقضاً، فإن ذلك باب ضربت دونه الأسداد وقبضت عليه الحفظة والأرصاد.

فأردت أن اصارعه مصارعة الأبطال، وأنازله منازلة الرجال، فاخترت من كلامه في الهيات

(الشفاء) و(النجاة) و(الإشارات) و(التعليقات) أحسنه وأمتنه، وهو ما برهن عليه وحققه وبينه. وشرطت على نفسي ألا أفوضه بغير صنعتي، ولا أعانده على لفظ توافقنا على معناه وحقيقته، فلا أكون متكلماً جدلياً أو معانداً سوفسطائياً^(١٧).

بهذه الموضوعية والعمق والنهج العلمي كانت عملية التطوير متواصلة، ولكن هذا لا يعني أن كل جديد كان ينظر إليه بأنه أفضل من سابقه بالضرورة، فالهم أن يكون هناك جديد، وإن تعرض هذا الجديد للنقد، كما حدث فعلاً بالنسبة لكتاب مصارعة الفلاسفة، إذ رد عليه عالم آخر هو نصير الدين الطوسي في كتابه (مصارع المصارع) وانتصر فيه لأراء ابن سينا. وحين ظهرت الحركة الإخبارية في الفقه لتجمد عقلية الفقهاء في إطار النصوص ظهرت الحركة الأصولية لترسم للاجتهاد الفقهي منهجاً يفتح الطريق أمام العقل ليمارس دوره في فهم الشريعة على ضوء تطورات الزمان والمكان، وهو المنهج الذي قامت عليه مدرسة أهل بيت رسول الله (ص).

وفي الحقل السلوكي حين ظهرت موجة التصوف التي تدعو إلى العزلة وتقليد المشايخ تقليداً اعمى تار كبار العرفاء أمثال سعدي وحافظ والمولوي ليرسموا للعرفان طريقاً متحركاً يستهدف تغيير الإنسان والحياة، فدموا الصوفية التي تكتفي بالمظاهر واعتبروها رياءً ونفاقاً. يقول حافظ الشيرازي:

غلام همت دردي كشان يك زنكم

نه آن كروه كه ازرق لباس ودل سیه اند

فالشاعر يظهر ولاءه لأولئك الخالصين المخلصين الذين هم بلون واحد، ويذم المرتدين القبياء الأزرق (المتظاهرين بالزهد) بينما هم يحملون قلباً أسود.

كما دعوا إلى تجاوز الواقع نحو حياة متجددة متطورة على الدوام، يقول حافظ الشيرازي

ايضاً،

بيا تا كل برافشانيم ومي در ساغر اندازيم

فلك را سقف بشكافيم وطرح نو در اندازيم

اكر غم لشكر انكيزد كه خون عاشقان ريزد

من وساقي بهم سازيم وبنیادش براندازيم

يدعو الشاعر الى ملء الأحياء بمظاهر جمال الزهور والرياحين والى ملء الكؤوس بالخمرة الإلهية، من اجل هدم السقف الذي ضربه الفلك على رؤوسنا وبناء صرح جديد لحضارتنا. ويقول: لو ان الهموم جينشت جيوشها لسفك دم العاشقين فانا والساقي نشن هجوماً عليها وندك اساسها. في اشارة الى ان عشاق الحقيقة لا يملون ولا يسامون. ودعا للولوي الى رفض التقليد الأعمى واعتبره أكبر خطر يواجه حياة البشرية. يقول:

خلق را تقليد شان برباد داد أي دو صد لعنت بر این تقليد باد

فالبشرية في رأي مولانا جلال الدين قد أضرب بها التقليد، ويصعب مائتي لعنة على هذا التقليد.

متى أصبحت الحداثة خطراً؟

حين تكون المسيرة الحضارية متواصلة متدفقة فإنها تهضم كل جديد وتمثله في جسدها ليتحول الى طاقة تدفع المسيرة نحو كمالها المنشود. ولكن حين تتوقف تفقد القدرة التجديد الذاتي، ويصبح كل جديد يأتيها من الخارج وبالأعلى، لأنها لا تستطيع ان تهضمه وتمثله، فيفرض عليها بكل خلفياته الفكرية والتاريخية، وهي خلفيات لا تتناسب مع المزيج الحضاري التاريخي للأمة. وهكذا وضع الأمة السلمة منذ ان سقطت أمام الغزو الاستعماري الغربي، استنزفت كل طاقاتها الحركية الحضارية، وأصبحت لا تستطيع ان تستفيد من تجارب الغرب الحضارية، بل تقف منها موقف المنفعل، تثير حولها صحباً وضجة بين مؤيد ومعارض دون ان تستفيد منها شيئاً.

شهد العالم العربي موجة منفصلة تجاه الحداثة التي بشر بها الغرب، وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى، وظهر من تنكر لدينه وثقافته ودعا الى الذوبان في الحضارة الغازية من أمثال:

لطفي السيد ومنصور فهمي وإسماعيل مظهر وأمثالهم من تلاميذ كرومر البريطاني. ولكن ظهر في الرعيل الذي رباه السيد جمال الدين الأسد آبادي (المعروف بالأفغاني) من استطاع ان يبين خطر هذه الدعوة على وجود الأمة وهويتها.^(٨) وفي ايران برزت نفس الخطورة حين ظهر المتغربون يدعون الى خروج ايران من دائرة الحضارة الاسلامية، وانضمامها الى الدائرة الأوروبية، والى الغاء الخط العربي وحذف المفردات العربية من اللغة الفارسية، والى إزالة كل المظاهر الاسلامية بما في ذلك العمامة والزي الاسلامي للمرأة من أمثال: ملكم خان، ورضاخان، وأخوندزاده^(٩). ولكن ظهر امام هؤلاء تيار قادته الحوزة العلمية يؤكد على ضرورة العودة الى حركتنا الحضارية وعلى الهوية الاسلامية لايران والثقافة الايرانية، وعلى خطورة كل دعوة تسيء الى هذه الهوية.

ولعل هذه الأصوات المتغربة للهزيمة من دعاة الحدائثة هي التي دفعت بمجمع الفقه الاسلامي لاصدار قراره الرقم ١١/٣/٩ بشأن الحدائثة ووصفها بأنها (مذهب الحادي).^(١٠)

تجربة الجمهورية الاسلامية تجاه الحدائثة

الجمهورية الاسلامية الايرانية وليدة تيار فكري وعملي آمن بالمشروع الحضاري الاسلامي، وتحرك على طريق تحقيقه، وفي هذه الحركة الحضارية استطاع ان يستوعب المستجبات في إطار التنظيم السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وان يواكب مسيرة الفنون والآداب مع المحافظة الصارمة العلمية الاجتهادية على القيم والمبادئ الاسلامية.

دعوة الإمام الخميني (رضي الله عنه) قامت على أساس تحقيق كل أمانتي الشعب وتطلعاته الى الحرية والاستقلال من جهة والى بناء دولة على أسس من القرآن والسنة من جهة اخرى. وسعى كل تلاميذ الإمام في ايران على هذا الطريق جامعين بين الأصالة والمعاصرة، ومؤكدين على ضرورة أن يكون الإسلاميون في طليعة المسيرة الأدبية والفنية والفكرية في البلاد.

بل إن حديث الإمام الخميني وتوجهاته بشأن (المرأة) قد سحب البساط من تحت أرجل كل المنادين بتحرير المرأة، وقدم لمشاركة المرأة في الشؤون الاجتماعية والسياسية مشروعاً أسكت

فيه كل دعاة الحدائنة الغربية في حقل الشؤون النسوية. وتلاميذه من أمثال الشهيد مطهري وآية الله الخامنئي وآية الله الشهيد بهشتي والدكتور باهنر والدكتور مفتاح دخلوا الساحات الحساسة قبل الثورة وكانوا طليعيين في الجامعات وفي نقابات الأطباء والمهندسين وتجمعات الطلبة والعمال.

لقد حاول اليساريون أن يجدوا لهم موضع قدم في إيران مستفيدين من عداء الشعب الإيراني لأميركا، لكن الإمام جعل من أميركا الشيطان الأكبر، ووجه كل القوى لحاربه وخاصة في المجال السياسي والثقافي، مما قوّت الفرصة على الزائدين.

وبعد انتصار الثورة أقيم النظام النيابي المبني على الشورى الإسلامية، مما جعل إيران في مقدمة الدول التي تستند إلى إرادة الجماهير.

وأقر الدستور الإيراني الذي يعد أكبر صياغة قانونية إسلامية للمجتمع الإسلامي الذي يحافظ على كرامة الإنسان وعزته ويوفر له جميع سبل تكامله ورشده.

وأقر المشروع الثقافي من قبل المجلس الأعلى للثورة الثقافية، وفيه منهج تفصيلي لتطوير الفنون والآداب والعلوم والدراسات والبحوث، من أجل إجراء المسيرة الحضارية للدولة الإسلامية.

وأمام هذه التجربة الرائدة تحركت القوى المعادية التي لا تسعدها العودة الحضارية لهذه الأمة بمحاولات تخريبية ثقافية هائلة باسم (العولمة) تارة وباسم (الحدائنة) تارة أخرى، وباسم (القرية الكبيرة) وغيرها من الأسماء، وراح المنظرون الاستراتيجيون يرسمون خطط المواجهة في إطار ما سموه (صراع الحضارات).

كل ذلك من أجل مواجهة ظاهرة بدأت تغطي كل العالم الإسلامي في العقود الأخيرة، وهي ظاهرة الصحوة الإسلامية والنهوض من أجل استعادة الدور الحضاري لهذه الأمة.

أخلص من كلامي إلى النتائج التالية:

أولاً: إن المفكرين في عالمنا الإسلامي يجب أن يتعاملوا مع الحدائنة بأنها ظاهرة إيجابية فطرية، مع التنبيه على الفرق بين الإبداع والبدعة.

ثانياً: يجب أن ينصب اهتمام كل المفكرين للمبدئين على استعادة دورنا الحضاري على الساحة، وعلى تحريك المشروع الحضاري لهذه الأمة، وبدونه فإن كل مظاهر حياتنا ستبقى سطحية لا تتجاوز القشور، أو الأزياء كما قال بعضهم.

ثالثاً: إن الطروحات الفكرية التي نقدمها لامتنا وخاصة لجيل الشباب يجب أن تتضمن رؤية مستقبلية تشد الأمة تجاهها وأن نبتعد عن الاكتفاء باحترار الماضي وعن التقليد الأعمى.

رابعاً: إذا لم ينهض الرساليون في تقديم الشروع الحضاري والرؤية المستقبلية، فسينهض بها الانتقاليون والنهزمون والبهورون ليقدّموا رؤية ممسوخة لا تمت إلى جذور هذه الأمة بصلة، وهو ما يؤدي إلى وضع عراقيل جديدة أمام الإبداع والتجديد الحقيقيين.

خامساً: يجب أن تتظافر الجهود لكشف زيف الحداثة التي تنزعها أميركا اليوم باسم العولمة، وإيقاظ الأمة على ما يواجهها من تحديات، ولرسم الخطط الكفيلة بمواجهة هذا التحدي.

الهوامش

- (١) موسوعة المورد، منير البعلبكي، المجلد السابع، ص ٤٤، ط١، بيروت ١٩٨٨.
- (٢) حركة الحدانة في الشعر العربي المعاصر د. كمال خيريت، دار الفكر بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ص ٢٢.
- (٣) انظر، مقدمة الشعر العربي، ادونيس، دار العودة، ط١، بيروت ١٩٨٢، الفصل الخامس (اتفاق المستقبل) ص ٩٩ وما بعدها.
- (٤) نفس المصدر، ص ١٠٠.
- (٥) نفس المصدر، ص ١٠١.
- (٦) أزمة القصيدة العربية / مشروع تساؤل، الدكتور عبدالعزيز الفالح، دار الآداب، ط١، بيروت ١٩٨٥، ص ١٥.
- (٧) كتاب (مصارعة الفلاسفة) محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، مطبوع في مقدمة كتاب (مصارع المصارع) لنصير الدين الطوسي، منشورات مكتبة آية الله الرعشي النجفي، قم ١٤٠٥ هـ.
- (٨) تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي (١٩٢٠ - ١٩٧٠) د. محمد جابر الأنصاري، عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٠ م.
- (٩) انظر، مقدمة فكرية لحركة الشروطة، دكتور علي اكبر ولايتي، منشورات المستشارية الثقافية الإيرانية - دمشق.
- (١٠) مجلة مجمع الفقه الإسلامي، دورة ١١ / العدد ٨١ / ج ٣ / ص ٥٢.

العولمة ومخاطرها

اطلالة على حالات من العالم الإسلامي

الخطر المحدود

الدكتور أصغر افتخاري

عضو الهيئة العلمية لأكاديمية الدراسات الاستراتيجية

مقدمة

"نحن على أعتاب تحول تاريخي كبير.. لم يعد ثمة شيء خارجا في الجانب الآخر (outside).

تقاربت أجزاء العالم من بعضها.. أرضنا واحدة.. في هذا الجو انبثقت مخاطر وفرص جديدة.. أضحت جميع قضايانا الملحة عالمية.. إن وضعنا الحالي وضع بشري وليس وطنيا"⁽¹⁾ يتضمن تقييم كمال جاسبرس (Karl Jaspers) لحال الإنسان الراهنة ، حقيقة أن نقد العناصر الرئيسية لنظام "الأمة - الدولة" استتبع ظهور مناخ جديد لن يعد من الضروري أن يقرأه كل السياسيين بشكل واحد من الناحية الأمنية . بناء على هذا يمكن التنبؤ بأن القرن الحادي والعشرين سيكتنف على تحولات هائلة تبعد أمن بعض اللاعبين وتهدى لبعضهم التفوق والهيمنة بدرجات لا تصدق .

نحاول في هذا البحث تقييم ظاهرة "العولمة" من الزاوية الامنية بالنسبة للعالم الاسلامي. وللوصول إلى هذا الملمح سنحيل إلى مرتكزات نظرية للموضوع تجعل الدراسات ذات صلة أمنية، لتؤسس إطارا تحليليا نشير من خلاله إلى ثلاثة صنوف أساسية من المخاطر التي تهدد العالم الإسلامي نتيجة العولمة. بديهي ان الوضع الحالي للعالم الإسلامي وما فيه من إمكانات وقابليات، سيتخذ معيارا لتقييم المخاطر المحدقة. يفترض كاتب السطور انه على الرغم من وجود فهمين متباينين تماما للعولمة هما "الاعتماد على التراث الإنساني المشترك لإدارة القضايا العالمية" و"السعي لتوحيد الثقافة وتنميط سلوك اللاعبين السياسيين في ضوء مبادئ الليبرالية الديمقراطية". بيد أن ما يظهر للعيان حاليا في الواقع هو النزوع إلى فرض الهيمنة من قبل اللاعبين الأقوياء تحت طائلة العولمة.

من هذه الزاوية تفسر "العولمة" في إطار استراتيجية عملية نسميها "فعل العولمة" أو "فرض العولمة" وهي استراتيجية خطيرة بحكم طبيعتها. تحليل محتوى الأخطار، وتمييز صنوفها المختلفة المحدقة بالعالم الإسلامي هو الهدف الرئيسي لهذه الدراسة.

١. الاطار المفهومي

يصح اعتبار العولمة أهم ظاهرة اثرت في حياة الإنسان المعاصر بحيث يندر ان نعتز على حقل لم يشهد تحولات مفهومية او تطبيقية بفعل تأثيراتها ومع ان هذه الاهمية افضت إلى انتاج كم كبير من النصوص البحثية ذات الصلة بقضايا العولمة، ولكن يستشف ان الاعتبارات الامنية من آخر المجالات البحثية التي جرى الاهتمام بها في هذا النضمار. لذا من الضروري قبل الدخول في البحث، تحديد الركائز النظرية والاطار المفهومي للموضوع

١.١: العولمة

فيما يخص العولمة يمكن فرز قراءتين اساسيتين عن بعضهما تمثل كل واحدة قاعدة لتحليل أممي معين،

اولاً، العولمة بوصفها عملية (Globalization as a press)

ينظر "فرد امري" (Fred Emery) و"اريك تريست" (Eric Trist) لظاهرة العولمة كحالة تاريخية كانت تحضر في لا شعور الاجيال الماضية. فالجديد في العولمة من هذا المنظار هو مجرد الوعي بها، وليست العولمة ذاتها.

"يمكن الوعي بتحولات العالم، من دون الوعي بهذا الوعي"^١.

بحسب هذه القراءة، فإن مسار تطور المجتمعات الانسانية من الحالة البدوية إلى الحالة المدنية والمتقدمة المعاصرة، يقتضي "رؤية عائلية"، لذلك بوسعنا رصد جذور الرؤية العالمية منذ بواكير تكون المجتمعات الحالية، وهي التي اسفرت عن تاسيس امبراطوريات واتحادات، وبالتالي شبكات اتصال متطورة عصرية. من هنا يمكن من وجهة نظر هؤلاء المفكرين التعبير عن معنى العولمة بمفردة "النزعة العالمية" (Globalism) كمرادفة او شارحة^٢.

ثانياً، العولمة باعتبارها مشروعاً او مخطط (a Project Globalization as)

في مقابل الفكرة اعلاه تصطف فئة من المفكرين ينتمون غالباً لبلدان من العالم الثالث، ويؤمنون بان العولمة في حقيقتها مشروع وخطة رسمت من قبل القوى العظمى لتغيير اجواء اللعبة على المستوى العالمي بغية هيمنة من نوع جديد على سائر اللاعبين. في اطار هذه الرؤية تندو العولمة "فعل عولمة" (Globalizing) وتتبدى خطراً حقيقياً لكثير من البلدان^٣.

والواقع ان الشكل الحالي للعولمة مزيج من كلا الرؤيتين. لذلك يقيمها كاتب السطور في هذه الدراسة كعملية باتت اليوم موضوعاً لخططات ومشاريع القوى العظمى التي تحاول استغلال هذه العملية الطبيعية سياسياً إلى أقصى حد ممكن. من هذا المنظار تفسر العولمة داخل

الاطار المفهومي للرؤية الاولى (العولمة بمنابة عملية)، مع فارق ان نتائجها لن تكون ايجابية وراعية للأمن دائماً. بناء على هذا يمكن تعريف العولمة بأنها:

"عملية اجتماعية، تتلشى فيها القيود والحدود الجغرافية الخيمة على العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية، في ظل محورية القوى العظمى، ويزداد اللاعبون وعياً بزوال هذه القيود والحوجز".

ينطوي هذا التعريف المستحصل من اعادة تشكيل التعريف الذي قدمه "مالكوم واترز" (Malcom Walterz) على عدة عناصر مفهومية اصلية، العنصر الاول هو اعتبار العولمة عملية. والثاني هو ان الدور المحوري في هذه العملية من نصيب القوى العظمى. واخيراً، التوكيد على وعي اللاعبين المضطرد، لا على الاجبار والاكراه. من هنا نرى هذا التعريف لم يجب سلباً ويجاباً عن السؤال حول امن اللاعبين جواباً حاسماً، انما انحاز إلى وجود "فرص . مخاطر" يواجهها كل لاعب بدرجات متفاوتة على الصعد الداخلية والعالمية بحسب مواهبه الفعلية والكامنة وهذا يصدق على "العالم الاسلامي" ايضاً، اذ يتسنى الانارة لطيف متنوع من المخاطر والفرص الناجمة عن العولمة، تربو فيه المخاطر على الفرص بحسب الكاتب، لذلك كانت هذه المخاطر موضوع الدراسة التي بين يدي القارئ.

٢.١ : الأمن

يذهب "باري بوزان" (Barry Buzan) إلى ان ابرز الخصائص المفهومية لفردة الأمن هي كونها "مجوقة" بمعنى ان الأمن مفردة حساسة ومهمة بوسع اللاعب ان يحملها معاني خاصة بحسب حاجته، فيصل تالياً إلى سياسات متفاوتة تماماً في مواجهة ظاهرة واحدة. ولهذا يمكن الوصول إلى تعاريف كلاسيكية متباينة للأمن قد تكون متعارضة بعض الاحيان^٢. وعليه فمن الضروري عند تحليل مخاطر العولمة، تحديد رؤيتنا لمفهوم الأمن. عموماً يتسنى التمييز بين خطابين تحليليين للأمن:

اولاً : الخطاب السلبي (Negative Discourse)

السمة الابرز لهذا الخطاب توكيده على مفهوم "الخطر" ، بحيث يغدو الأمن هو عدم الخطر، ويكون ارتفاع السقف الامني متوسطاً بانخفاض مستوى التهديدات الخارجية يحظى هذا الخطاب بمكانة ذات قيمة عالية لدى المحللين التقليديين لمقولة الأمن، حتى انهم يعتبرون "الحرب مواصلة للعملية السياسية بادوات ووسائل مختلفة ويعتقدون ان العامل الرئيس

لتحقيق الأمن، هو رفع سقف القدرات العسكرية^٤. شدد سكوت تومبسون (Scott thompson) وكنت جانسون (Kenneth Jensen) في "توجهات للسلام" على هذا الخطاب مفصلين في شرحه وايضاحه، ومدللين كيف ان الاعتبارات العسكرية وقفت وراء كافة المعادلات الامنية منذ فجر الحياة الاجتماعية للانسان وحتى عصر العولمة^٥. فهما يزعمان ان شعار "ماوتسي تونغ" القائل "لا تخرج القوة الا من فوهة سلاح"^٦ لا يزال يحتفظ بقيمته واعتباره، فالذي تغير هو وجه القوة دون جوهرها. يشكل هذا التصور للأمن، الخطاب الشائع في الدراسات الامنية، وبمراجعة مواقف القوى المختلفة يلاحظ ان اوجه القوة قد تعددت وكثرت عملياً، لذلك لم يعد التهديد او الخطر مقتصرًا على الشكل العسكري، وانما تمدد ليشمل الليادين التقنية، والعلمية، والبيئية، والاقتصادية و... الخ^٧.

فمثلاً يعرف بريجنسكي الامن القومي الامريكي تعريفاً متعدد الابعاد، فيقول مستفيداً من تجاربه التنفيذية:

"ما أرومه من الأمن القومي، ليس معناه المحدود بالامن العسكري المحض، مع ان القوة العسكرية من الجوانب المهمة في التنافس التاريخي بين امريكا والاتحاد السوفيتي. لكنني اعتقد ان الامن الوطني يشتمل على اعتبارات اكثر، منها الادارة السياسية، والازدهار الاقتصادي، والابتعاغ التقني، والحياة الايديولوجية وغير ذلك"^٨

خلاصة القول هي ان اصحاب هذا الخطاب لا يشددون على المخاطر العسكرية دون غيرها، انما يعتقدون بتعدد الاخطار وتنوعها. وبالطبع، لم تعتبر هذه التعددية ايجابية دائماً، فقد صرح محللون امنيون نظير "ريتشارد بارنت" (Richard Barnett) بأن الازدياد المضطرد لابعاد اللامن واشكاله، سيفضي إلى غموض والتباس في معنى مفردة "الخطر" المحورية^٩. وعلى حد تعبير "سيمون دالبي" (Simon Dalby) فإن الامن القومي وبسبب تعدد ابعاده، لن يكون له معنى محدد، بل سيفقد كغطاء يمكن استخدامه في مواضع شتى. خلاصة هذا الخطاب يقدمها "ادوارد كلود زيچ" (Edward Kalodziej) بالنحو التالي، الامن القومي من حيث المعنى يدل على عدم وجود اخطار، ومن حيث المدييات فهو متنوع يمكن رسمه وتفسيره بانحاء مختلفة على امتداد الزمن^{١٠}.

ثانياً: الخطاب الايجابي (Positive Discourse)

اثر هذا الخطاب كنفذ جاد للخطاب السلبي. الواخذتان الرئيستان على الخطاب السلبي هما عدم وجود ركائز فلسفية مستقلة وتماسكة للأمن، والتعامل مع الامن وكأنه مقولة ثانوية

تدرس في ضوء مفاهيم اصلية كالمخاطر والسلام، والاستقرار. وهما مؤخذتان افضتا نتيجة تشكل الخطاب الايجابي^{١٥}. ويمكن ملاحظة بدايات هذا الخطاب في الدراسات الحديثة لفهوم الأمن.

انطلقت الدراسات الحديثة من منتصف الثمانينات من القرن العشرين على يد باحثين بارزين في الشؤون الامنية هما: "جوان غالتنغ" (Johan Galtung) و"مارك سومر" (Mark Summer). نقد هذان المفكران الخطاب السلبي للأمن، واسسا قاعدة جديدة تسمى في النصوص الامنية "الأمن المطمئن" (Robust Security). تستلهم هذه النظرة الحديثة نموذج الامن في الطبيعة لتنظيم بنية المجتمعات الانسانية. وينتج عن استلهام الطبيعة اثنان مبادئ مهمة كالشراكة، والتميم الذاتي، والتعايش، وارتفاع سقف المناعة، والعدالة، واستشراق المستقبل، والتحليل والبرمجة، تدخل كلها في الخطط الامنية^{١٦}. قوام هذا الفهم الذي حظي باقبال واسع في السنوات الاخيرة من القرن العشرين، يشكله تصور فلسفي يقول: الأمن حالة يتمتع فيها النظام السياسي الحاكم باعلى درجات القدرة على تلبية احتياجات المواطنين. تأسيساً على هذا يشكل تحسين العلاقات بين السلطة والشعب، ورفع مستوى الشرعية إلى جانب الاهتمام بالقدرات الدفاعية (بمعناها الاعم) اركان الأمن على الصعيدين الداخلي والخارجي.

ينتمي البحث الحالي من الناحية المفهومية إلى الخطاب الايجابي للأمن، ولهذا فهو في صدد معرفة وتحليل المخاطر التي تخلفها العولمة للأنظمة الوطنية عبر الضغط على قدرات الحكومات الوطنية بالشكل الذي يعجزها عن تلبية الاحتياجات القومية، ما يؤدي إلى زعزعة المجتمع واضطرابه من الداخل. بكلمة ثانية، تستطيع العولمة تخريب العلاقة بين الشعوب والحكومات في العالم الاسلامي على عدة مستويات رئيسة اطلقنا عليها في هذا البحث عبارة "المخاطر المحدود" أو "اللامن المحدود". وقد تم وصف اللامن بالمحدود نظراً لجملة اعتبارات مضمونية:

اولاً، لا تنطلق المحدودية من كون "العولمة" ظاهرة سلبية برمتها كما يتصور الذين يعتبرونها مشروعاً، لذا يمكن الحديث عن "محدودية اخطار" العولمة على العالم الاسلامي، وتأكيد وجود بعض الفرص (وهذا طبعاً ليس موضوع بحثنا).

ثانياً، محدودية اللاعبين، بمعنى ان الوجه السلطوي للعولمة ادى إلى عدم تعرض كافة اللاعبين لمخاطر بدرجة واحدة، لذا يمكن في ضوء هذا، التمييز بين ثلاث مجاميع من البلدان: الف. البلدان الآمنة وتشمل القوى العظمى فتجانس قيم العولمة مع القيم الحياتية للقوى العظمى، من شأنه ان لا يصدم امن هذه البلدان الأ باقل ما يمكن، بل ويعمل على نشر قيمها في أرجاء العالم، وهذا ما يعد فرصة ثمينة جداً لهذه البلدان.

بـ. البلدان ذات الهامش الأمني، وتشمل القوى المتوسطة في البلدان النامية. تتلقى هذه البلدان امواج العولمة فتتقبل نسبة معينة من التغيير والتحول، ملائمةً بذلك بين نظامها والعولمة من النواحي الثقافية والاقتصادية والسياسية والاتصالية. وهكذا تخلق العولمة لها بعض المتاعب، بيد أنها لا تؤدي إلى انهيارها بسبب ما تتمتع به من مرونة في بنيتها الثقافية-التنظيمية.

جـ. البلدان المعرضة للخطر، وهي التي تفتقر لتجانس ثقافي-تنظيمي أولي مع القواعد الرئسية للعولمة، فتكون عرضة لأعنف مخاطرها، العولمة بالنسبة لهذه البلدان تعني قبول تحول وتغيير في هويتها ومبادئها السلوكية، ولذا قد تعني لها حتى الزوال والانهيار.

انطلاقاً من أن معظم البلدان السليمة، وليس جميعها، تندرج ضمن الفئة الثالثة، يتسنى القول أن الوجه المهدد الخطير للعولمة يحظى بالأهمية والأولوية القصوى. بلحاظ التصنيف أعلاه، تكتسب صفة "محدود" معناها، وهو أن "المخاطر الكبرى التي تتعرض لها بلدان الفئة الثالثة" هي المقصودة في هذا البحث.

٢. معرفة الخطر

السياق الأصلي لحركة العولمة في الأعوام الأخيرة من القرن العشرين والأولى من القرن الحادي والعشرين، كان بالنحو الذي يهدد العديد من البلدان الوطنية المستقلة، إسلامية كانت أو غير إسلامية. بناء على هذا، يمكن الفصل بين طائفتين رئيسيتين من المخاطر الناجمة عن العولمة: الأولى المخاطر الثقافية المحدقة بأسس العقائد والقيم لدى اللاعبين، والثانية لمخاطر غير الثقافية، الداخلة في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاتصالية والتقنية. ويبدو أن العالم الإسلامي معرض لتحديات كبيرة من الناحيتين، بيد أن التحدي الثقافي، وبسبب لكافة الرقعة الحساسة للقيم الإسلامية في الحياة السياسية-الاجتماعية للمسلمين، يحظى بأهمية واتساع أكبر. وبتعبير آخر، نقول أن التحدي الثقافي الذي تخلقه العولمة، يحدث في لاعبين لهم مدارس عقيدية مستقلة، لذلك لا يتأثر منه جميع اللاعبين بدرجة متساوية.

والإسلام بوصفه المنافس الأبرز للبرالية الليبرالية الديمقراطية يقف في الصف الأول للكيانات التي تهددها الاخطار الثقافية الناجمة عن "فعل العولمة"، ونلاحظ أن كماً ملحوظاً من المساعي النظرية والبرامج العملية للقوى العظمى ينصب لمواجهة التعاليم والقيم الإسلامية. ونظراً لأهمية العنصر الثقافي في الدراسات المختصة بظاهرة العولمة، وكذلك معرفة التيار الإسلامي،

بوسعنا تقسيم الاخطار للنبعنة عن هذا الواقع إلى مجموعتين "المخاطر البنيوية" او التهديدات الثقافية ، و"المخاطر الفوقية" او التهديدات السياسية والاقتصادية و... الخ.

أولاً: الخطر البنيوي

"يقال إننا نعيش الآن في قرية عالمية. على فرض صحة هذا القول، فإن هذا عملية سلبية الشمولية العالمية آخر مظاهر الامريالية الغربية"^١.

ابرز اخطار "فعل العولة" للعالم الاسلامي يكمن في الجانب الثقافي. ولهذا الخطر جذوره الضاربة في ماهية الليبرالية الديمقراطية التي تصاعدت بشكل واضح اثر تداعي الاتحاد السوفيتي وتمظهرت بصيغة سلطوية سافرة. التعارض بين المنحيين الديني والمادي، رغم ماله من جذور تاريخية عميقة، إلا ان ما يميز "فعل العولة" المعاصر عن انماطه السابقة، هو سعي لا يرمي إلى هدم الدين وإقصائه إلى الهامش، بل على العكس، هو سعي يُبذل على أرضية دينية وبمزايم من سنخ افكار الديانات الإلهية. في هذه البرهة، تزعم الليبرالية الديمقراطية انه توفرت على خامات حقيقية تضمن سعادة الانسان، لذلك فهي تتجاوز "النسبية" و"التعددية" لترحع ادراجها إلى "الاحادية" فتحدث عن نشر سطوة القيم الليبرالية الديمقراطية كقيم شمولية تستند إلى الفطرة الانسانية. ولعل الصياغة الأيسر لهذا التهديد هو ان الليبرالية الديمقراطية تنزع للعب دور الدين والإله على الأرض.

من هنا يلاحظ انها تستخدم منهجاً دينياً للوصول إلى غايات غير دينية، وتعيد تعريف قيم كالحرية، والعدالة، واللاظلم، والمساواة، وحقوق الانسان، و... ضمن اطار القيم الليبرالية وبمعونة وسائل الاعلام، سعياً لفرض نفسها على العالم^٢. وهكذا فإن القدرات الاعلامية للمعسكر الليبرالي الديمقراطي تساعده على توجيه الرأي العام المسلم لصالح التعاليم الليبرالية. لتحقق عن هذا الطريق وكما قال "فرانسيس كاين كراس" انهم المسلمين بايديولوجيا معارضة للاصول الاسلامية. وعلى هذا الاساس لا يعتبر "كراس" وسائل الاعلام ادوات بسيطة، انما بعدها "ايدولوجيا" في صدام الثقافتين الاسلامية والليبرالية، ايدولوجيا تحاول اقناع المسلمين بان خيرهم ومصالحهم في اتباع قيم الليبرالية الديمقراطية، ولأجل بلوغ هذه الغاية يجب الضغط على نموذج الحكومة الاسلامية لصالح نموذج الحكومة الديمقراطية وتغييره تالياً^٣. وما يعرف بـ "الغزو الثقافي" يفصح في الحقيقة عن استراتيجية تتحول فيها نظرة الانسان للعالم ولنفسه، ويعاد تعريفها في ضوء القيم السائدة حتى يتموضع في اطار الواقع. هذا التطابق

القسري مع الواقع، لاسيما وأنه واقع مجازي اصطناعي، يمثل موضوع ذوبان ثقافي كان على طول التاريخ أداة لخدمة الأيديولوجيات السلطوية، وعلى حد تعبير كارل ماركس، "جميع العلاقات الراسخة والمتصلبة بشدة، ومعها سلسلة من الأحكام المسبقة والنظريات القديمة والقدسة، سوف تنهار، وسيُنسخ كل جديد قبل أن يتكون. سيدوب كل متصلب منجمد ويتبخر في الهواء. كل مقدس سيغدو غير مقدس. وبالتالي سيضطّر الإنسان إلى مواجهة ظروف حياته الواقعية وعلاقاته مع أبناء جلدته بأعين مفتحة يقظة"^{١٠}. من الجلي أن هذا الذوبان يمثل بالنسبة للعالم الإسلامي خسران مصادر قوته الأيديولوجية، ما يستدعي هبوط منزلته في السياسة الدولية.

١. القراءات

المخاطر البنيوية لـ "فعل العولة" يمكن أن تقرأ على ثلاثة أنحاء رئيسية؟ أنها ثلاث قراءات لا تتمتع بروى ومرتكزات استدلالية متساوية، غير أنها تتابع هدفاً واحداً. القراءات الثلاث الممتدة على طيف يبدأ من الواقعية وينتهي إلى المثالية أو البدئية، هي عبارة عن:

١.١ : قراءة فوكوياما؛ الليبرالية كبديل للدين

المغزى الرئيس لافتكار فوكوياما (Francis Fukuyama) هو أن العالم يجرب بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وضعاً جديداً تمثل فيه القيم الليبرالية الديمقراطية حصيلة أرقى مصالح الإنسان المعاصر. هنا "الرقى" الذي كان في السابق، حسب الرؤى الدينية، من نصيب الذات الإلهية المقدسة، مُنح في افكار فوكوياما للإنسان الغربي، لذلك نراه يصرح في كتاب "نهاية التاريخ والإنسان الأخير"؛ لقد حان آخر الزمان، وقد اثبتت قيم الليبرالية الديمقراطية أنها تشبع حاجات الإنسان المعاصر على أحسن وجه. إن التعابير والمصطلحات المستخدمة من قبل فوكوياما ذات صبغة وطبيعة دينية، أي أنها ذات التعابير والمصطلحات التي سبق أن حوربت بشدة من قبل المفكرين الليبراليين، واعتبرت غير مقبولة بسبب افضائها إلى الجمود والتحجر^{١١}. يجيب فوكوياما عن سؤال رئيس تحرير فصلية "الأفاق الجديدة" (New Perspective Quarterly) بشأن ميوله لتعاليم أخلاقية - دينية تتسم بالشمولية ولا تتجانس مع النسبية والتعددية الليبرالية، يجيب بالقول: اعتقد أن المجتمع الأمريكي يجابه العديد من الأزمات الحقيقية التي تهدد مستقبله. ليست معضلة العالم اليوم اقتصادية أو سياسية أو ... الخ. إنما هي أزمة نابعة من انهيار الانسجام الأخلاقي الذي كان يتقوّم يوماً ما بفضل التعاليم الدينية.

لذا يبدو من الضروري جدا العودة إلى الاهتمام بالركائز الثقافية والاخلاقية، واعادة تشكيلها داخل الثقافة الليبرالية الديمقراطية^{٢٠}. النتيجة التي يتمخض عنها كلام فوكوياما هي ان الليبرالية الديمقراطية يجب ان لا تستهدف إلغاء الدين، انما ينبغي ان تسعى للحلول محل الدين الخاتم، وتثري بنفسها لتلبية حاجات الانسان المعاصر الدينية. غني عن القول ان اسلوب معارضة هذه الرؤية الليبرالية يختلف عن الاساليب السالفة المألوفة لدى المفكرين المسلمين. بعبارة اخرى، اكتسبت الليبرالية الديمقراطية شكلاً جديداً، وبالتالي فإن الفكر الاسلامي يواجه اليوم مناقساً يتخذ لنفسه مزاعم واهدافاً واساليب حديثة، ما يجعل الاساليب والبراهين السابقة غير مجدية اليوم في نقده وتفنيده. ان ليبرالية القرن الحادي والعشرين تطرح نفسها بديلاً للدين الإسلامي، لا عدواً ساذجاً له.

٢٠١ : قراءة هانتينغتون ؛ الليبرالية كعدو سياسي

التصورات المتطرفة اليوتوبية (Vtopian) التي ساقها فوكوياما لليبرالية الديمقراطية، رغم انها تصب لصالح العديد من السياسيين ورجال السلطة الغربيين، بيد انها بسبب تجاهلها حقائق موضوعية من قبيل المعارضة الصريحة وللؤثرة التي يبديها للعالم الاسلامي حيال السلطة الليبرالية المطلقة، وصمود حضارات مستقلة اخرى كالكونفوشيوسية و...، تتعرض لنقود قاصمة على العصد النظرية والعملية. تلافياً لهذه الثغرات اقدم صامونيل هانتينغتون (S.Huntington) على بناء واطلاق نظريته المشهورة "صراع الحضارات". ومع انه اقرب للواقع من فوكوياما، ويعتبر هيمنة الليبرالية الديمقراطية سابقة لأوانها في الوقت الحاضر، غير انه يشاطره الطموح في ضرورة تحقيق مثل هذه الغاية، وان في اطوار لاحقة. في مقالة "صراع الحضارات" التي تحولت بعد ذلك إلى كتاب مستقل، يذكر هانتينغتون فكرته هذه بكل صراحة، من اجل ان تتبوأ الليبرالية الديمقراطية مكانتها المتفوقة، تحتاج ان تنتصر على عدو آخر بعد الشيوعية. انه عدو يصنعه الائتلاف بين الاسلام والكونفوشيوسية. وحسب زعمه، فإن ما يهدد النظام الدولي الذي تحبذه الليبرالية الديمقراطية، هو الانظمة السياسية الاصولية، المرتبطة في العالم الإسلامي على وجه العموم. وبالتالي، يتوقف مستقبل النظام العالمي على قمع المراكز والبؤر المذكورة^{٢١}. في الفصل الأخير من كتابه "صراع الحضارات واعادة بناء النظام العالمي" يحدد مصمم هذه النظرية حذو فوكوياما في تناول قضية "سراب خلود الحضارات" ويقرر ان الحضارة الغربية استثناء لهذه القاعدة، لذلك تستطيع الاحتفاظ بهيمنتها طيلة تاريخ تحولات المجتمع الإنساني:

"بديهي ان الغرب حضارة تختلف عن كافة الحضارات التي سبقتها، لأنها تركت تأثيراً هائلاً على كل الحضارات التي زامنتها منذ عام ١٥٠٠م ولحد الآن".^{٢٤}

في مقال آخر بعنوان "إن لم تكن حضارة، فما هي؟" نشر عام ١٩٩٢ في مجلة السياسة الخارجية الأمريكية، اثار هانتنغتون السؤال عن امكانية تدهور الحضارة الليبرالية الديمقراطية بشكل صريح. وقال "مع ان الجهود لمكافحة امريكا وتضعيف الليبرالية الديمقراطية، متضافرة وحثيئة، ولكن ينبغي ان لا ننسى ان قيم الليبرالية الديمقراطية في الوقت الراهن ذات طابع عالمي، لذلك بوسعها ان تكون دائمية اذا انتصرت على الحضارة (الاسلامية . الكونفوشية). وهكذا يرى الالتزام بهذه القيم وتنميتها رسالة الساسة الامريكيين ، ويقول:

"انا لم يؤمن الامريكيون بالقيم الليبرالية الديمقراطية والايديولوجيا السياسية الاوربية، ولم يعملوا بها، عندئذ لن تبقى الولايات المتحدة كما عرفناها، وستدفن في مقبرة التاريخ على غرار سواها من القوى العظمى التي اقتصرت على الايديولوجيا"^{٢٥}.

لباب فكرة هانتنغتون هو ان على الليبرالية الديمقراطية اليوم بوصفها ايديولوجيا، ان تنتهز المناخ العالمي للانتم (اضمحلال الاتحاد السوفيتي) وتستخدم الامكانيات التقنية والمادية، سعياً لأن تغدو الايديولوجيا المتفوقة والمهيمنة، لذا يتوجب ان تعتبر الايديولوجيا الاسلامية منافسها الجدي. بكلمة ثانية، صورة العالم الاسلامي لدى الليبرالية الديمقراطية هي صورة "عدو" ينبغي اجتثاثه عن الطريق بمختلف الادوات والاساليب. وهكذا ينشد "فعل العولة" تسويد قيم تقتلع في نهاية للطاف عدوا اسمه الاسلام عن المسرح العالمي.

لا ينبثق من قراءة هانتنغتون لفعل العولة شئ سوى "الحرب"، وبذا يجب ان يتوقع العالم الاسلامي وقوع سلسلة من الاشتباكات العسكرية الجديدة في داخله، اشتباكات تضم طيفاً متنوعاً من الحروب التقليدية والحديثة سواء كانت عسكرية او نفسية او غير ذلك.

٢٠١ : قراءة يورغن هابرماس | الليبرالية كمرجعية للفكر الديني

هابرماس اكير الفلاسفة الاحياء من المدرسة النقدية. في معرض تحليله للوضع السائد على العلاقات بين الاسلام والحضارة الغربية في ضوء العولة يصل إلى ان الحضارة الاسلامية تواجه على صعيد السياسة ونظام الحكم ازمة شرعية تهدد استمرار حياتها السياسية. ويمكن ملاحظة هذه الازمة في حكومات العالم الاسلامي بكل وضوح. سبيل الخروج من هذه الازمة التي يعتقد هابرماس انها قد تصيب سائر الحضارات، هو العودة إلى مبادئ واصول مشتركة

شمولية تكون ركيزة العمل السياسي في شتى المجتمعات. هذه المبادئ والأصول هي التي تعرضها الليبرالية الديمقراطية والتي نشهد اليوم اقبالا عليها.

تأسيساً على هذا، يتوجب على العالم الإسلامي ان يعيد تعريف قيمه الدينية في اطار مرجعية الليبرالية الديمقراطية، ليصل بذلك إلى دين جديد يحتفظ بماهيته الالهية، ويتناسب مع القواعد الليبرالية ولا يتعارض معها. وهذا ما شدد عليه هابرماس خلال زيارته الاخيرة للجمهورية الاسلامية الايرانية في مناسبات عدة، فقد صرح قائلاً على سبيل المثال: "بالقضاء السياسة عن الاديان السائدة، وادخال الاقليات الدينية في المجتمع السياسي، وتوسيع دائرة التسامح الديني الذي نلاحظ فيه نوعاً من الديمقراطية العامة، يمكن ان ينبثق نموذج يحتذى لأشاعة الحقوق الثقافية"^{١٦}.

معنى هذه الفكرة ان يواجه العالم الإسلامي تحدياً جديداً محوره الأصلي ليس الغاء الدين وتقديم بديل له، بل ادخال تغييرات جوهرية عليه. مثل هذا الدين يمكن ان يواصل حياته وسيكون مؤثراً بالطبع،

"يعتبر الدين في اطار الحدائة المميز، قوة مؤثرة في رسم شخصية قطاع واسع من الشعب... كما له تأثيره الحاسم على مستوى الرأي العام السياسي"^{١٧}.

ومن الواضح ان هذا التحول لن يكون امراً بسيطاً، والواقع انه يبذل الدين من ظاهرة الهية إلى حالة انسانية، ويجعله شيئاً في مستوى "الدين الانساني النزعة" المناسب للانسان العصري. ولعل تأكيد هابرماس على قابلية تحول الدين في ثلاثة اتجاهات رئيسية يستبطن دلالة على صحة ما ذهبنا اليه، يقول،

"لا يمكن للدين في اطار الحدائة ان يبقى إلا إذا كشف عن واقعه في ثلاثة اتجاهات. أولاً يستطيع الوعي الديني حينما يواجه اديانا اخرى تختلف عنه معرفياً، ان يدير هذه المواجهة بطريقة معقولة. ثانياً يتمشى مع المرجعية العلمية. وثالثاً ان ينشد من زاوية دينية علاقة له بنظام الحكم وحقوق الإنسان"^{١٨}.

٢. السياسات

بمعزل عن القراءات الثلاث المذكورة، نلاحظ في مضمار العمل والتخطيط السياسي، طرح وامضاء سياسات تشير إلى جهود عملية تبذلها القوى العظمى للتغلب على التعددية الدينية في عصر العولمة، ولاستلام زمام السلطة الثقافية في العالم الإسلامي، ثمة العديد من الشواهد على هذه السياسة العملية، منها:

١٢ : تصرح لجنة تدوين استراتيجية الامن القومي الامريكي في صياغتها المقترحة لاستراتيجية الامن القومي الامريكي في القرن الـ ٢١ بأن: الضغوط الناتجة عن الحياة العصرية، والسيادة الكاسحة للتقنيات الحديثة، ستفرز حالات عدم رضا لدى مواطني هذه المجتمعات، ما يضاعف طبيعياً من اقبالهم على الايديولوجيات المنافسة المشددة على الطمانينة الروحية للأفراد عبر التزامهم بالبادئ الاخلاقية والدينية، ومحصلة هذا التغير قد تمثل خطراً على المجتمعات الديمقراطية:

(مثل هذه الظاهرة تهدد توازن الاساليب المدنية المشيدة للمجتمعات الديمقراطية)^{٢٥} من هنا كان السعي لنقد وغاء الايديولوجيا المنافسة . لاسيما الاسلام . من اجندة السلطات في هذه المجتمعات، ومجابهة الإسلام تعد ركناً مهماً في الاستراتيجية القومية الرامية إلى صيانة اسس الديمقراطية.

انها المجابهة التي يمكن رصد ابرز تجلياتها في الحرب الاعلامية الغربية ضد العالم الاسلامي، واحداث الحرب ضد طالبان، والهجوم على العراق و... الخ. وهكذا تكتسب المجابهة الحضارية صفة موضوعية عينية خارجة عن النطاق النظري الصرف:

"الواقع اننا آخذون في دخول عصر التحديات الثقافية سننا او ابينا"^{٢٦}.

٢٢ : في تقييمه الشامل للعالم الإسلامي، يرى هنري كيسنجر ساحة واسعة تكتنف العديد من يؤر التازم بالنسبة للمصالح الأمريكية، ينبغي ان تواجه وتعالج. يصرح قائلاً:

"الخلافات الداخلية في العالم الإسلامي كثيرة أيضاً، رغم أنها قليلة الظهور إلى السطح .. تحديات منطقة الخليج الفارسي، وظهور ايران الاصولية، مثالان فقط للمخاطر الكبرى التي قد تهدد الامن والسعادة، وربما تفاقمت لتصبح اخطاراً اعظم في المستقبل"^{٢٧}.

ايلاء القضية الفلسطينية اهتماماً اكبر، ومضاعفة الدعم المؤثر للكيان الصهيوني للتغلب على الانتفاضة، ومجابهة الانظمة المتسردة في العالم الاسلامي كالعراق وجمهورية ايران الاسلامية (كما يزعم كيسنجر) وبسط النفوذ الامريكي على سائر البلدان بالطرق الثقافية والسياسية، هي للمقترحات العملية التي يتقدم بها كيسنجر لمواجهة العالم الاسلامي في القرن الـ ٢١. استراتيجية تقضي في النهاية إلى تحولات ثقافية هائلة وعميقة لصالح الثقافة الغربية في هذه البقعة من العالم. وبهذا يمكن القول ان وصفة "التدخلات الانسانية" التي يصدرها الساسة الامريكيون لانفسهم بغية حماية الديمقراطية في العالم، ثمسخ عملياً على وسيلة لاستخدام الخيار العسكري من اجل ضرب اللاعبين المستقلين غير المستعدين لمأالة السلطويين في العالم"^{٢٨}.

٢٠٢ : مع أن قضية الاسلام وتعارضه مع الايديولوجيا الليبرالية، لم تكتسب صفة الاجماع بين النخبة السياسية الفكرية في المجتمع الأمريكي، بحيث يتسنى ملاحظة طيف متنوع من وجهات النظر حول اسلوب مواجهة الاسلام بقيادة جمهورية ايران الاسلامية^{٣٣}، ولكن على مستوى اتخاذ القرارات، تدل حالات مثل الكلمة التاريخية لجورج دبليوبوش التي اكد فيها ضرورة مجابهة محور الشر (وقبه عنصران من العالم الاسلامي) والهجوم على افغانستان والعراق، واستخدام تعبير "الحروب الصليبية"، وتقرير اهداف استراتيجية لاحقة للأمن الأمريكي في الشرق الاوسط نظير سورية، والسعودية، ويران، ولبنان (وكلها من بلدان العالم الاسلامي) وغيرها من الشواهد والحالات، تدل كلها على ان السياسة العملية لحكومة بوش تستهدف العالم الاسلامي، وكما اوصى هانتنغتون، تتحرى حكومة بوش تخطيط وادارة حرب تنتج عنها هيمنة امريكية متفردة على هذا العالم الذي يعد منافسا تقليديا عنيدا للايديولوجيا الليبرالية الديمقراطية. من هنا تم عمليا توجيه شعاري "محاربة الارهاب" و"الدول الحائزة على اسلحة الدمار الشامل" لبلدان العالم الإسلامي استهدافا لقدراتها القتالية والدفاعية. في الالاحة التي يقدمها "كنت كاتزمان" (Kenneth Katzman) للبور الارهابية الخطرة، يشدد غالبا على لاعبي العالم الاسلامي، ويضع اللاعبين غير المسلمين في المرتبة الثانية من الخطر^{٣٤}. وفي الخطة التي اقترحها ديوان محاسبات الولايات المتحدة الامريكية على رئيس الجمهورية في ايلول ٢٠٠١، ثمة توصية للرئيس بان يركز تركيزا خاصا في سياق مشاريعه الاستراتيجية لمكافحة الارهاب واصحاب اسلحة الدمار الشامل، على البلدان الاسلامية. وفي مثل هذه الأفاق، يغدو حتى حلفاء امريكا المتدينون، كالعربية السعودية، عرضة لاتهامات الساسة الامريكيين، بحيث تسوء العلاقة بين البلدين^{٣٥}. الشواهد الماثلة كثيرة تدل جميعها وعلى حد تعبير "جون ايكنبري" (John Ikenberry) ان النظام الأمريكي للنشود من قبل حكومة بوش لا يتحقق. بسهولة، والعالم الاسلامي من جملة معارضيه. انه العالم الذي بان للعيان جزء من قدراته في ١١ سبتمبر، لذلك فهو يستحق تأملا جديا متجددا^{٣٦}.

٢٠٣ : يلفت قسم دراسات رئاسة الجمهورية التابع لمؤسسة واشنطن، النظر إلى المصالح الأمريكية، مؤكدا ان نشر فكرة العولمة لاسيما في منطقة الشرق الاوسط، من شأنه المساعدة في تحقيق الاهداف الأمريكية. فتج اسواق هذه البلدان للرساميل والشركات الاجنبية، والتاخر الثقافي بالحضارة الغربية، والميل إلى استهلاك البضائع الكمالية، والتوفر السهل على المعلومات، ومضاعفة حاجة هذه البلدان لبيع النفط. وبالتالي امكانية تغيير هذه الحكومات من الاسفل بالتشديد على الديمقراطية، من جملة العمليات والاساليب التي اقترحها هذا القسم على رئيس

الجمهورية لمجابهة البلدان المسلمة^{٣٧}. في وثيقة أخرى نشرها البيت الأبيض في كانون الأول ٢٠٠٠م، جاء ما يلي:

"للولايات المتحدة مصالح كثيرة من وراء مساعيها الرامية لاحتلال السلام العادل الشامل المستمر في الشرق الأوسط. ينبغي ان يتم هذا السلام بالشكل الذي يؤمن امن اسرائيل واستقرارها... ويديم تمتع العالم بمصادر الطاقة الحيوية للهمة"^{٣٨}.

وهكذا يتضح ان العالم الاسلامي هو المستهدف الاول لسياسات الغرب الثقافية ضمن مشروع العولمة. وهذا يقودنا الى حقيقة ان الجوهر الثقافي للعولمة حسب القراءة الامريكية هو تهديد الثقافة الاسلامية بصفة جديدة.

والخلاصة هي ان العولمة اوجدت على المستوى الامني تحولاً اساسياً هو طبع المناخ الامني بطابع ثقافي. وقد أسفر هذا التحول عن اعادة تعريف الأمن، وإلى تقديم اطار ثقافي للموازنات الامنية على حد تعبير "ريتشارد اولمان" (Richard Ulman). وفي هذا السياق تتغير معاني "العدو" و"المنافس"، لتنتقل من "المعارضة السياسية او الاقتصادية" التي كانت معياراً في حقبة الحرب الباردة، إلى "المعارضة الثقافية". هذا التغيير في الرؤية ادى بالليبرالية الديمقراطية إلى اعتبار الإسلام عدوها ومنافسها الاول، فيكون العالم الاسلامي هو العقبة الرئيسة التي تواجه الليبرالية الديمقراطية في الظروف الجديدة. وعلى هذا، فكما اشار "بيتر كاتزنشتاين" (Peter J. Katzenstein) في "ثقافة الأمن القومي" استوجبت العولمة ولادة اعداء جدد للقوى العظمى في انحاء العالم، اعداء ثقافيين حلوا محل الأعداء العسكريين والاقتصاديين والسياسيين السابقين، ويمكن تحديدهم وتعريفهم ضمن اجواء المعادلات الثقافية^{٣٩}.

"نحن نزعم ان المناخ الامني الذي تعمل فيه الدول، هو ثقافي اكثر منه مادي صرف"^{٤٠} معنى هذا الكلام ان العولمة طبقاً للقراءة الامريكية ستؤدي نهايةً إلى صراع ثقافي، وستضع العالم الاسلامي تبعاً لذلك حيزاً تحديات ثقافية حقيقية تخلقها له الثقافة الغربية. ومن الطبيعي في نطاق هذه التحديات، وبسبب عدم تكافؤ الامكانيات والتقنيات، ان يكون العالم الاسلامي عرضة للهجمات اكثر منه مهاجماً.

ثانياً: الأنظار الفوقية

ناهيك عن التحديات الثقافية التي تهدد اساس الحضارة الاسلامية على يد ايديولوجيا الليبرالية الديمقراطية، وتعمل تالياً على تضييق الماهية والهوية الواحدة للعالم الاسلامي، بالامكان التنويه إلى طيف متنوع من المخاطر السياسية والاجتماعية والاقتصادية يمكن لكل

واحد منها ان يعمل على ضعفة البنية الداخلية للعالم الإسلامي. ونظرا لكثرة هذه الاخطار، سوف نسلط الاضواء على المحاور العامة لها.

١. التفكير على المستوى الوطني

على اثر معاهدة "وستفاليا"، تم تعريف بنية النظام العالمي بالشكل الوطني المشتمل على اربعة عناصر هي: السيادة الوطنية و الحدود الوطنية و الاعراف والثقافة الوطنية و السكان ، وهي عناصر لم تكن مالوفة بشكل واضح في اطار الخطاب الإسلامي للتركز الى مفهوم محوري هو الامة الإسلامية يتشكل على اساس عنصر "العقيدة المشتركة" فيكتسب بنية عالمية تتخطى القوميات والوطنيات. وقد تجلى هذا الخطاب في ازمة سالفة على شكل امراطورية. مع ذلك، فإن تطور الرؤية الوطنية وما حظيت به من ترحيب عام، اسفر عن تجزئة الامراطورية الإسلامية بفعل تغلغل فكرة القومية فاعيدت صياغتها على شكل وحدات وطنية إسلامية^{٢٤}. وتعد هذه الحقبة من المراحل الحساسة المازومة في الفكر السياسي الإسلامي، وقد طرحت فيها اساليب التوفيق بين المصالح الدينية والمصالح الوطنية كاشكالية على جانب كبير من الخطورة والاهمية^{٢٥}. بيد ان الايديولوجيا الإسلامية نجحت في تخطي شراك الاستعمار الاوربي، لتجرب الاستقلال الوطني، ثم لنشهد بعد ذلك وحدات وطنية، اسهم الاسلام بنحو او بآخر في حياتها السياسية والحكومية. استغرق الامر زهاء ٢٠٠ عام كي تجد هذه البنية الجديدة (البنية الوطنية) مكانتها المحلية في اصقاع العالم الإسلامي. هذا في حين شهدت تلك الفترة تطورات جديدة نقدت وحاربت اسس البنية الوطنية، مطلقا نوعا من التفكير أو الضعفة على المسرح العالمي لا ثمرة له سوى التآزم وعدم الاستقرار لكثير من اللاعبين السياسيين الذين تعودوا لتوهم على البنية الوطنية. يستشف ان فعل العولة بتجاهله لاصول البنية الوطنية، قد انتهى فترة استقرار الدول الإسلامية ضمن اطار البنية الوطنية، فكما حلت هذه الفترة بصورة قسرية، راحت تتغير وتجرح ذيولها بصورة قسرية ايضا. من النماذج البارزة لهذه الاخطار البنيوية التي تهدد بلدان العالم الإسلامي، يمكن الإشارة إلى:

١.١ : انهيار صيغة الدولة . الشعب

يعتبر محمد أيوب في دراسة له بعنوان صناعة الدولة، وانهارها، وهزيمتها أن العولة هي السبب الرئيس لتضعيف السيادة الوطنية في البلدان الإسلامية، ويقول: شياع الافكار العالمية المتأثر بالتعاليم العلمانية، يؤدي أولا إلى تحديات تزعزع الدعائم الايديولوجية للحكومات

بالنسبة للكثير من البلدان. وحسب تحليله تلعب التقنية دوراً رئيساً في خلق هذه الازمة. لقد شددت التقنية الحديثة التركيز الزماني والمكاني، فجعلت العالم الخارجي صغيراً. اضيف إلى ذلك انها ذات نزعة جامحة نحو طبع الامور بطابع شخصي، بمعنى انها تمنح امكانيات سخية في قالب جهاز واحد لأي شخص، ما يكسب معارضة الفرد للحكومة معناها. إلى جانب هاتين السمتين، تساعد التقنية على تنميطة مستهلكيها، وتوفير الفرص للجميع، وبالتالي اهداء الاستقلال للفرد حيال القوى السياسية الحاكمة^{٥١}. معنى كل هذه الامور هو ان مواطني الدول الاسلامية ينفصلون بسهولة عن دولهم، وباستطاعتهم رغم عيشهم في ارض اسلامية، ان يتبعوا مبادئ وآراء وعقائد اخرى، ويتعاونوا معها (لا مع حكوماتهم الوطنية) داخل شبكة عالمية. وبكلمة ثانية، ستخضع سيادة الدولة في السيطرة المشروعة على المواطنين بدرجة كبيرة، ولن يعود لها معنى تقليدياً وستفالياً. على هذا الاساس، تنهار الفواصل بين الأنا و الآخر والتي تسوغ العديد من الدول الاسلامية نفسها على اساسها، وتتقاذفها انواع التشكيكات والمسانلات.

٥١. ان يكون الآخرون هناك، كلنا سنكون هنا

عولج هذا النوع من الاخطار بنحو مفصل وتوثيقي من قبل باحثي حقل الاعلام، لاسيما المختصين بوسائل الاعلام الحديثة. على هذا الصعيد يقدم (فرهنك رحاني) بحثاً عن العولمة يربطه بآراء المفكر المسلم ابن خلدون، ليخلص إلى ان: العولمة انتهت إلى ابداع تاسيسي، ذلك انها ترسم صورة جديدة تماماً للعالم تتغير فيها كافة المواقع والعلاقات. ويقرر لهذا الابداع التاسيسي ثلاثة اركان رئيسية. الركن الثالث منها هو وسائل الاعلام الحديثة ممثلة بالانترنت (إلى جانب حادثتي رحيل الامام الخميني* (رض) وانتهاء الاتحاد السوفيتي بوصفها الركنين الاول والثاني)^{٥٢}.

بمراجعة للاحصاءات العالمية يتضح ان القدرات الاعلامية للبلدان المسلمة ليست في وضع مناسب اذا قورنت بما لدى البلدان المنافسة، وهذا من شأنه تهديد العالم الاسلامي من قبل اصحاب الاعلام او الاتصالات المتفوقة.

تشير دراسات (جفري سكس) من جامعة هارفارد إلى ان العالم الاسلامي يستطيع في احسن الظروف ان يكون مستهلكاً جيداً للنتائج الاعلامية، وهو غير قادر اساساً على دخول حقل انتاج وتوجيه الرأي العام. يستخدم سكس معيارين هما:

١. عدد براءات الاختراع لكل مليون نسمة من سكان البلاد.

٢. نصيب صادرات التقنية المتطورة من GDP، ليقسم بذلك العالم إلى ثلاثة مناطق

رئيسية،

١. مبدعو التقنية: وهم بلدان تسجل عشر درجات أو أكثر، وتتمتع بصادرات تقنية متطورة ذات نسبة ملحوظة من الـ GDP (٢٢٪ على الأقل من الـ GDP)، يشار في هذا المجال إلى ان عدد الاختراعات المسجلة لامريكا في عام ١٩٩٧ بلغ (١١٩٠٦) اختراعات، بينما لم تتعد جمهورية ايران الاسلامية سوى الاختراع الواحد، ولا تتجاوز كل البلاد الاسلامية الثلاث اختراعات.
 ٢. مستخدمو التقنية، وهم الناجحون في تعزيز الدعائم الاستهلاكية ليس الأ، إذ ان أكثر البلدان الاسلامية تقدماً (في مضممار الانترنت) كالامارات العربية، لم تستطع غير الارتقاء إلى درجة الاستهلاك التقني. والكثير من البلدان الاسلامية لم تستطع الدخول حتى في هذه المجموعة.
 ٣. المحذوفون، ومنهم معظم البلدان الاسلامية التي لا دور أو مكانة لها في اجتذاب ونتاج الاعلام المتفوق^{٥٥}.
- والنتيجة هي ان العولمة باعتمادها المتزايد على الاعلام وادارة الهيمنة على العالم اعلامياً، ستفضي إلى تضييق مكانة العالم الإسلامي.

٢. التفكير على المستوى العالمي

مضافاً إلى الأزمات الداخلية التي تمنى بها بعض البلدان الاسلامية نتيجة العولمة، يمكن الإشارة إلى طيف آخر من المخاطر ظهر على المستوى العالمي واريك مكانة العالم الإسلامي. أهم هذه الاخطار له جذوره في نقد مبدأ المساواة على المستوى الدولي. وقد تعرض هذا المبدأ لنقود عنيفة من قبل العديد من الدارسين ضمن اطار القراءة الامريكية للعولمة. مع ان تأسيس نظام الحكومة الوطنية اكتنف الكثير من الاستحقاقات السلبية للعالم الإسلامي، بيد ان التسليم لمبدأ أن كل وحدة سياسية وطنية مستقلة لها رأيها وصوتها المساوي لسانر اللاعبين، وان الوطنية البيتنية على مبدأ الاستقلال ذات دلالة على عدم تدخل الوحدات في شؤون بعضها، يوفر امكانية ان يتعاون اللاعبون في مناخ آمن، ويصطنعون الائتلافات والتحالفات لنيل اهدافهم. وتشكل كثرة الاقطار الاسلامية وعدد سكانها الكبير حسنة نسبية على هذا الصعيد، ربما تخولها الارتقاء إلى مرتبة قوة كبرى في المعادلات العالمية.

ولكن اثر تطور بعض التفسيرات للعولمة، برزت تحديات واجهت مبدأ المساواة. وانبثق تاليا ضرب من اللا مساواة كحالة مستساغة بحسب قراءة خاصة لمفهوم العدالة. يتناول بنديكت كينغز بوري (Benedict Kingsbery) هذه الفكرة في مقال السلطة واللا مساواة موضحاً كيف ان القوى العظمى تبارك عدم رعاية حقوق سائر القوى نظراً لما تصفه حقاً عامماً وخيراً

العمليات الثلاث هي: ثورة المعلومات التي مكنت من ظهور المجتمع الشبكي. وإعادة بناء الاقتصاد الرأسمالي والاقتصاد المعتمد على التخطيط المركزي منذ عقد الثمانينات في القرن العشرين فصاعداً، بهدف التغلب على التعارضات الداخلية لهذين النظامين. وأخيراً الانتفاضات الثقافية التي شهدتها الستينات من القرن العشرين وامتدت حتى السبعينات، ومنها مثلاً النهضة النسوية (فمينيسم) وحماية البيئة^{١٥}.

تأسيساً على هذا، يظهر المجتمع الشبكي ابتداءً على دعائم من قبيل أهمية المعلومات، وسيادة الاقتصاد العالمي، والعلاقات الحقوقية الخاصة. هذا في حين تتضاءل مكانة العالم المسلم من حيث دوره الذي يلعبه في هذا المجتمع، لذلك لن يكون سوى لاعب ثانوي في الاتصالات والعلاقات العالمية. تشير الاحصاءات إلى تدني هذه المكانة بشكل مستمر، والتطور المتصاعد للتجارب البشرية في ميدان الاتصالات ينذر بمستقبل كالح ينتظر البلدان الإسلامية.

باطلالة سريعة على راهن الاتصالات في البلدان المسلمة، يتجلى الواقع الرديء الذي يعيشه العالم الإسلامي على هذا الصعيد. يتضمن الجدول التالي بعض السمات الاتصالية للبلدان المسلمة، وهي بعيدة جداً عن المستويات المطلوبة لعصر المعلومات:

راهن الإتصالات في العالم الإسلامي

الوضع العام للمعدات	القنوات التلفزيونية	القنوات بالخط الإتصالية FNAM بموجت قصيرة	عدد خطوط الهاتف		البلد
			الجوالة	الثابتة	
متطور	٣	٢٨	١٣ر٠٠٠	٧٢٠ر٠٠٠	أذربيجان
قديم	١٣	٢١	٣ر٠٠٠	٦٠ر٠٠٠	ألمانيا
متطور	٨	١٢	٧٥ر٠٠٠	٤٣٠ر٠٠٠	الأردن
مرمم	٤	٢٧	٢٨ر٠٠٠	١٩٩٦ر٠٠٠	أوزبكستان
قديم	٩	٩	؟	٢١ر٠٠٠	أفغانستان
متطور	١٨	٢٤	؟	؟	الجزائر
متطور جدا	١٥	٢٢	١ر٠٠٠ر٠٠٠	١ر٠٠٠ر٠٠٠	الإمارات
متطور	٤١	٨٠٣	١ر٢٠٠ر٠٠٠	٣ر٦٩٠ر٠٠٠	إندونيسيا
عادي	٨	٢٨	١٠ر٠٠٠	٥٥ر٠٠٠	أوغندا
عادي	٤	٥	١٢٠ر٠٠٠	٢٠٠ر٠٠٠	البحرين
متطور	٢	١٢	٦٠ر٠٠٠	٧٥ر٠٠٠	بروناي
قديم	٩	٩	لا يوجد	٣٩٠ر٠٠٠	بنغلادش
عادي	٢	١٥	٣ر٠٠٠	٢٠ر٠٠٠	بنين
قديم	١	٢٠	لا يوجد	٤ر٠٠٠	بوركينافاسو
عادي	٢٢	٢٥	٥ر٠٠٠	٢٤٠ر٠٠٠	البوسنة والهرسك
جيد	٢٢	٤٩	٢٠٠ر٠٠٠	٣٨٠٠ر٠٠٠	باكستان
قديم	٣	٢٠	؟	٣٠٠ر٠٠٠	طاجيكستان
قديم	٣	٢٦	٣ر٥٠٠ر٠٠٠	٤٠٠ر٠٠٠	تركمنستان
متطور	٦٩	٩٤	ليس لديها	١٧ر٢٠٠ر٠٠٠	تركيا
عادي	٣	١٥	٧٠٠ر٠٠٠	٢٠ر٠٠٠	توغو
عادي	١٩	٢٩	ليس لديها	٧٠٠ر٠٠٠	تونس
قديم	١	٤	؟	١٠ر٠٠٠	جيبوتي

الاحصاءات الخاصة بلغات مستخدمي الانترنت تؤيد هي الأخرى النتائج السابقة. فالاحصائية الدالة على ان اللغة العربية لا تستخدم في شبكة الانترنت الأ بنسبة ١٪ تدل طبعا على دور بسيط جداً يلعبه العالم الاسلامي في هذه الوسيلة الاعلامية.

التسلسل	اللغة	النسبة المئوية
١	الإنجليزية	٥١٫٣
٢	اليابانية	٧٫٢
٣	الألمانية	٦٫٧
٤	الأسبانية	٦٫٥
٥	الصينية	٥٫٢
٦	الفرنسية	٤٫٤
٧	الكورية	٣٫٦
٨	الإيطالية	٣٫٢
٩	الدنماركية	٣٫٠
١٠	العربية	١

Source: WWW. Gireach com. Globalstats/ indexe

نظراً للضرورات الناجمة عن نمو هذه الوسيلة الاعلامية، وحتمية استخدامها من جانب، والقيود الدينية السائدة في البلدان الاسلامية من جانب آخر، يبدو ان هذه البلدان لم تتوصل لحد الآن إلى سياسة موحدة للتعامل مع هذه الظاهرة الجديدة. ويمكن في هذا المجال رصد سياسات منع (كالعراق) وسياسات سماح (كالكويت وقطر) وسياسات انتقاء (كالسعودية وايران). النتيجة النهائية لهذه السياسات هي مكانة متوسطة (في أحسن الفروض) للعالم الاسلامي يشير اليها جدول بوركهارت التالي:

أبعاد الإنترنت	اليمن	الإمارات	السعودية	قطر	عمان	الكويت	العراق	البحرين	تيران
شامل	١	٤	١	٢	٢	٢	٠	٢	١
التباعد الجغرافي	١	٢	١	١	١	١	٠	١	٢
الجذب في أقسام مختلفة	١	٢	١	١	٢	٢	٠	٢	١
البنى التحتية للإتصال	١	١	١	١	١	٢	٠	١	١
البنى النظامية	١	١	١	١	١	١	٠	١	٢
المهارة في الإستخدام	١	٢	١	٢	٢	٢	٠	٢	١

Source: Burkhart, 1998, pp.5-8 .

بحسب تحليل بوركهارت، استطاع العالم المسلم في أحسن الاحوال ان ينال مرتبة مناسبة على صعيد الانتشار في البلد ، بينما ظلت مرتبته على الصعيد الاخرى متدنية ضعيفة. وبهذا يتسنى القول ان العالم الاسلامي لم يحرز موقعا جيدا حتى على مستوى الاستهلاك والتأثر. يؤدي هذا الوضع، طبقا لدراسات سوركي (Astri Suhrke) و جيفري كيمب (Geoffrey Kemp) و ريتشارد بيزل (Richard Bissell) و ثيودور موران (Theodore Moran)، يؤدي إلى ازمان هجرة و تمرد الرأي العام تصاب بها البلدان الضعيفة. والمراد بهاتين الازمتين، هجرة رجال الفكر والرسميل من العالم الإسلامي النافس (الليبرالي الديمقراطي) وبالتالي تغير رؤاهم وايدولوجياهم بصورة تدريجية فيما يشبه التناقص الثقافي الذي يضعف فيه الالتزام العملي للنخبة بالتعاليم والبادئ المشتركة في العالم الإسلامي.

اضف إلى ذلك ان الهيمنة الاعلامية للقوى العظمى تخولها صياغة الرأي العام في البلدان الإسلامية.

ومن هنا فإن خلق حقائق مجازية في اذهان المواطنين قد يؤدي إلى تمردهم على حكوماتهم، وبالتالي زعزعة شرعية هذه الحكومات من دون الحاجة إلى تدخل عسكري مباشر. والخلاصة هي ان بنية غير متوازنة تسود شبكة الاتصالات العالمية، تضع العالم الإسلامي في قبال مخاطر جسيمة تنطلق من وسائل الاعلام الاجنبية. هذه الوسائل - ولا سيما الانترنت - بمستطاعها نسف اركان الشرعية في الحكومات الإسلامية من الداخل، وتحدي مرتكزاتها الثقافية والسياسية والاقتصادية، وخلق صورة سلبية لها في اذهان مواطنيها وعموم الناس في كل العالم. النتيجة التي تنمخض عنها هذه السياسة برفعها شعارات تنمية الاتصالات و الاعلام و حق

الذي خيم على العالم الإسلامي حيال المشروع الذي نُقِذ في العراق، يدل للأسف على صحة تقييمات الفريق الثاني، وبهذا لا سبيل إلى إنكار تأثيرات العولمة على الهوية الإسلامية.

٢. التحدي على مستوى المضمون

تتغلغل الأفكار الغربية داخل حيز الفكر السياسي الإسلامي مدعومةً برصيد ضخّم من التنظير والإعلام وحتى السلطة. وهذا يؤدي إلى التشكيك في الأسس العملية للسياسة الإسلامية وفي كفاءة الدين إلى الحد الذي حكم فيه مفكرون مسلمون بوصول الأيديولوجيا الإسلامية إلى طريق مسدود على صعيد مشاركتها العملية في الساحة السياسية، واعتبروا الاقطار الإسلامية بحاجة إلى النماذج العلمانية السائدة في ادائها السياسي. ينتهي عبد الله العروي في (الاسلام والحدائق) إلى أن الفكر الإسلامي في العصر الراهن فكر مأزوم، لذلك لا يصح توقع فتح فكري من الإسلام. ويرى أن ثمة إسلاماً جديداً انطلق في أواسط القرن التاسع عشر، قد يحمل صبغة حدائبة ولكن لا يمكن أن نتوقع منه أن يكون ولوداً على المستوى النظري والعملية.

الإسلام الحديث انعكاس لأزمة تاريخية يمر بها المجتمع العربي، أزمة لا يمتلك لها حلاً على

الإطلاق^{٦٠}.

بهذا المنظور، مع أن العولمة تعترف بظواهر الإسلام وبالعالم الإسلامي كلاعب على الساحة توليه أهمية ملحوظة، إلا أنها أفرغته عملياً من مضمونه ومحتواه التقليدي، وحولته إلى ترف فكري يعجز رغم كل رونقه، عن لعب أي دور في أي حقل من الحقول المهمة. وعلى حد تعبير العروي:

ليس للإسلام الحديث ابداعه من حيث المنهج. والإسلام الحديث حتى في مواطن تمكنه وكفاءته العالية لا يتحفنا إطلاقاً بالجوانب الحديثة للمجتمع كالتعليم والاقتصاد. ويسمح للتقنية أن تنمو وتتطور بكل حرية تحت طائلة أنه ليس عدوها، هذا من دون أن يلتفت أن ما في طبيعة التقنية اجنبي عنه تماماً^{٦١}.

على هذا النحو، يمكن التنبؤ بأن العالم الإسلامي غداً موضوعاً للعولمة، وباستحالة مضمونة استقطب من قبل المجتمع العالمي حسب القراءة الغربية، ولم يبق منه سوى اسمه وعنوانه. إن تحدي المضمون علامة أزمة جذرية واسعة تطلقها العولمة ضد البلدان الإسلامية، وهذا يحفز على ظهور حركات ارتوذكسية في الساحة الدينية لمواجهة تيار العولمة. وهذا هو البعد الذي لاحظته (بسام طيبي) من المسألة حينما قال أن تصاعد ظاهرة العولمة (بمعنى فعل العولمة) يجر إلى زيادة الانتفاضات الإسلامية، فالاصوليون المسلمون سيثورون لحفظ بيضة الإسلام المهددة

بالتغيير والفناء، وفي هذه الغمرة سيضطرون للوقوف بوجه العولمة ككل لأنها ترغب في محق الاسلام ككل^{٣١}. ولهذا يصرح كاستلز في تقييمه لمثل هذه الانتفاضات الدينية قائلا:
 الاصولية الدينية، والقومية الثقافية، والجماعات الاقليمية، هي على الاحمال آليات دفاعية.. انها ردود فعل لزاء العولمة التي تقوض الحكم الذاتي للمؤسسات والكيانات والانظمة الاتصالية الموجودة في منطقة حياة الناس^{٣٢}.

٣. التحدي على المستوى العملي

فضلا عن اوجه الهوية والمضمون التي مر ذكرها، فإن العولمة ولكونها قائمة على علاقة غير متوازنة بين اللاعبين السياسي، ستفضي إلى عدم رضا طيف كبير من الدول والحكومات في العالم. والسبب هو ان مصادر وبؤر القوة في هذا المناخ الجديد، سيعاد تعريفها ضمن اطر جديدة غالبا ما تكون هذه البلدان محرومة منها، ولهذا تهبط مرتبتها في جدول اللاعبين السياسيين وتنبذ إلى الهامش. ويلحظ ان العولمة تتغذى بشكل كبير على التقنية، وشبكات الاتصال، ونتاج العلوم المتطورة، والكوادر البشرية المتخصصة، والادوات الميكانيكية الجهرية المتقدمة و... الخ. ونصيب البلدان الاسلامية من كل هذا ضئيل جدا، بل في عداد الالاشي، يبدو حتى طبق الاعتبارات الواقعية، ان العالم الاسلامي ليس بوسعه النظر بتفاؤل لمستقبله ضمن اجواء العلاقات العولمة. على سبيل المثال قدم البنك العالمي في سنة ٢٠٠١ مؤشرا جديدا لتقييم قدرات البلدان يرمز له بـ (ISI)^{٣٣} وفق هذا المؤشر الذي يتحدد باربعة عناصر هي:

١. البنى التحتية الكومبيوترية.
 ٢. البنى التحتية الانترنتية.
 ٣. البنى التحتية الاتصالية.
 ٤. البنى التحتية الاجتماعية، تقسم بلدان العالم إلى خمس مجاميع رئيسية هي:
 ١. البلدان المتطورة للتقدمة بسرعة كبيرة (Skaters)
 ٢. البلدان التي تقطع خطوات واسعة (Striders)
 ٣. البلدان السائرة في طريق التقدم بسرعة مقبولة (Sprinters)
 ٤. البلدان السائرة في هذا الطريق من باب التسلية (Strolers)
 ٥. البلدان المبتدئة والتي ما تزال في نقطة البداية (Starters)
- بحسب هذا المؤشر تصنف بلدان العالم ضمن هذه المجاميع الخمس كما في الجدول التالي:
- احوال بلدان العالم حسب مؤشر ISI

وضع دول العالم المعاصر وفقا لمؤشر ISI

الدول النامية بسرعة متزايدة (Skaters)

١. السويد
٢. النرويج
٣. فنلندا
٤. أمريكا
٥. الدنمارك
٦. إنجلترا
٧. سويسرا
٨. أستراليا
٩. سنغافورة
١٠. هولندا
١١. اليابان
١٢. كندا
١٣. ألمانيا
١٤. النمسا
١٥. هونغ كونغ

الدول التي تخطو بخطوات واسعة (Striders)

١٦. نيوزيلندا
١٧. بلجيكا
١٨. تايوان
١٩. كوريا الجنوبية
٢٠. إيرلندا
٢١. فرنسا
٢٢. إسرائيل
٢٣. إيطاليا

٢٤. اسبانيا

٢٥. البرتغال

٢٦. اليونان

٢٧. التشيك

الدول التي تطوي هذا الطريق بسرعة مقبولة (Sprinters)

٢٨. الإمارات

٢٩. المجر

٣٠. بولندا

٣١. الأرجنتين

٣٢. ماليزيا

٣٣. شيلي

٣٤. بلغاريا

٣٥. رومانيا

٣٦. كوستاريكا

٣٧. بنما

٣٨. أفريقيا الجنوبية

٣٩. فنزويلا

٤٠. روسيا

٤١. تركيا

٤٢. المكسيك

٤٣. السلفادور

الدول التي تواصل مسيرتها ببطء (Strollers)

٤٤. السعودية

٤٥. البرزيل

٤٦. كولومبيا

٤٨. الفلبين

٤٩. بيرو
 ٥٠. الأردن
 ٥١. مصر
 ٥٢. الصين
 ٥٣. أندونيسيا
 ٥٤. الهند
 ٥٥. باكستان

المصدر: شهيندخت خوارزمي، ايران والثورة الرقمية، صص ٤٠-٤١.

تدرج باقي بلدان العالم في المجموعة الخامسة، ومنها الجمهورية الإسلامية الإيرانية^{٧١}. يدل هذا المؤشر على ان العالم الاسلامي يندرج في أحسن الاحوال ضمن المجموعة الرابعة (للتسلين) في السنوات الحالية والمستقبل القريب، ومعنى هذا ان العالم الاسلامي تراجع تلقائيا بفعل ضغوط البون الرقمي إلى الهامش، وستكون منزلته في العلاقات الدولية في عصر الرقميات منزلة هابطة^{٧٢}.

وتشير النتائج إلى ان الاتجاه الحالي للعولمة، لا يهدد العقيدة أو المحتوى الثقافي للعالم الاسلامي وحسب، بل ويشكل تحديا لقوة العالم الاسلامي، وي طرح مصادر قوة جديدة مصنفا هذا العالم ضمن اتباع القوى العظمى (المجاميع الاولى حتى الثالث).

مجمل الملاحظات الثلاث اعلاه يدل ان العولمة بقراءتها الحالية، خلقت ثلاثة تحديات للعالم الاسلامي على مستوى العقيدة والهوية والعمل. وهي تحديات يمكن رصد استحقاقاتها وتجلياتها في قليل أو كثير، والتكهن بأن النصف الاول من القرن الحادي والعشرين سيكون حقبة تهديدات نظرية وعملية للعالم الاسلامي المرتكن إلى ايديولوجيا تتسم بالعالية.

يطل عبد الله احمد نعيم من شرفات حقوقية على مستقبل العالم فيرى ان: التعارض الماهوي للفكر الاسلامي ذي الرؤية العالمية مع النتاجات للمادية والعنوية للبرالية الديمقراطية التي تزعم لنفسها العالمية ايضا، وتعرض نفسها عمليا ونظريا باستمرار، وقد انشأت بمرور الوقت مؤسسات جديدة لتفرض نفسها على جميع اللاعبين، هو في الحقيقة تعارض سافر يشي باندلاع صدام مصري^{٧٣}. انه صدام تناوله فرانسيس فوكوياما بشكله الراديكالي في نهاية التاريخ والانسان الاخير متحدنا عن الهيمنة المتفردة للفكر الليبرالي الديمقراطي على سائر المناهسين بما هيهم الاسلام، وتناوله صامويل هانتنغتون بشكله الواقعي في صراع الحضارات متنبئا بوقوع اشتباك عسكري بين الحضارتين ينتهي بانتصار الحضارة الغربية وتسليطها بلا

منازع. ويمكن ان يعد هذا الصدام دليلا على صحوة جديدة للعالم الاسلامي، والتفات إلى ان اعادة تعريف الوحدة الاسلامية، والسعي لرسم خطة متماسكة لصيانة موقع العالم الاسلامي على شتى المستويات العملية والنظرية، ربما كانت سر الدخول بعزة إلى العصر الحديث. وبغير ذلك ينتظر الثقافة الاسلامية خطر عظيم، تكهن به (مردم) بالقول:

التاريخ الانساني مقبرة الثقافات الكبرى، التي انتهت بنهاية مفاجئة بسبب عدم قدرتها على ابداء ردود افعال مندروسة ومعقولة واراادية حيال التحديات^{٣٧}.

الهوامش

١- نقلاً عن:

Matin Albrow, The Global Age, Polity Press, 1996, p. 75.

٢- مالكوم وانترز، العولمة، اسماعيل مرداني كيبوي وسياوش مريدي، طهران، مؤسسة الادارة الصناعية ٢٠٠٠م، ص٢٢.

٢- راجع،

PHist&Gthompson, Globalization in Question, Cambridge, Polity Press, 1996; K. Oh mate, The Borderless World, London, Collins, 1990.

4- See R.D.Lipschutz one World or Many? Bulletin of Peace Proposals, 22:2, 1991, pp.189-198; Andrew Hurrell & N. Gaire (eds), Inequality, Globalization & World Politics, Oxford, O.U.P., 1999.

٥- راجع، العولمة، م. س، ص١٢.

6- See Barry Buran, People, States & Fear: The National Security Problem in International Relation, Harvester, Wheat Sheaf, 1983, Chap, 1.

7- See Robert Mandel, The Changing Face of National Security: A Conceptual Analysis, Green Wood Press, 1994

8- Ibid., PP. 26-7.

9- Scott W. Thompson & K. Jensen (eds), Approaches to peace, An Intellectual Map, U.S, Washington D.C, Intitutute of peace, 1991.

١٠- نقلاً عن الفين توفلر، تغير ماهية القوة، شاهرخ بهار وحسن نوراني بيدخت، طهران، مركز ترجمة ونشر الكتب، ١٩٩١م، ص٤٢.

١١- راجع، اصفر افتخاري، الامن القومي، الداخلة والاثار، فصلية "مطالعات راهبردي" صيف ١٩٩٨، العدد التجريبي الثاني.

١٢- ريبينيو بريجنسكي، بحثاً عن الامن القومي، ابراهيم خليلي، طهران، سفير، ١٩٩٠، ص٣.

13- R.J.Barnet. Challenging the myth of National Security, New York Times Magazine, April 1979, P. 25.

- 14- E.Kolodziej, "Renaissance in Security Studies", International Studies Quarterly, 3Dec., 1992.
- ١٥ - راجع روبرت مندل، الوجه المتغير للامن القومي طهران، مركز "مطالعات راهبردي" ٢٠٠٠، صص ٨-٢٥، علي اصغر كاظمي، السلسلة التنازعية في السياسة والعلاقات الدولية، طهران، قوامس، ١٩٩١م، صص ٦-١١٥، هوشنك عامري، اسس العلاقات الدولية، طهران، آكاه ١٩٩١، ص ص ٨-١١٧.
- 16- See Mark Sommer, "Steptowards an Ecology of Peace" in Peace & Conflict Studies Program, University of California, 1989; Johan Galtung, The True Worlds: A Transnational Perspective, New York, Free Press, 1980, esp, pp. 88-94.
- انظر كذلك، اصغر الفتخاري "مجال اللامن" فصلية "مطالعات راهبردي" ربيع ١٩٩٩، العدد ٣، صص ١٩-٥٦.
- ١٧ - نقلا عن، فريهنگ رجائي، ظاهرة العولمة، واقع الانسانية وحضارة الاتصالات، عبد الحسين آذرنك، طهران، آكاه ٢٠٠١م، ص ٦٨.
- 18- See Georgia Warnke, Justice & Interpretation, Polity Press, 1992, P. 158.
- 19- See Frances Caincross, The Death of Distance, Boston, Harvard Business School Press 1997.
- ٢٠ - كارول ماركس، البيان بعد ٥٠ سنة، حسن مرتضوي، طهران، آكاه، ٢٠٠٠م، نقلا ظاهرة العولمة، م.س.ص ٦٢.
- ٢١ - راجع مجتبي اميري، نظرية صراع الحضارات، هانتنغتون ومنتقدوه، طهران، مكتب الدراسات السياسية الدولية، ١٩٩٥، صص ٤٤٨.
- ٢٢ - م.س.
- ٢٣ - صامونيل هانتنغتون، صراع الحضارات واعادة بناء النظام العالمي، محمد علي حميد رفيعي، طهران، مكتب الابحاث الثقافية، ١٩٩٩، الفصل الاول.
- ٢٤ - نقلا عن "نظرية صراع الحضارات، السابق، ص ٤٨٥.
- ٢٥ - م.س، ص ١١٥.
- ٢٦ نقلا عن "كزارش كفت وكو" الشهرية الخيرية العلمية الثقافية السنة ٢، العدد ٢٦، حزيران ٢٠٠٢، ص ١٤.
- ٢٧ م.س. ص ٨.
- ٢٨ م.س، ص ١٩.

- ٢٩ - لجنة تدوين استراتيجية الامن القومي الامريكي، استراتيجية الامن القومي الامريكي في القرن الحادي والعشرين، جلال دهمشكي وآخرون، طهران، مؤسسة (ابرار) الثقافية للدراسات الدولية، طهران، ٢٠٠١، ص٤٩.
- ٢٠ - م.س.ص٦٤.
- ٢١ - هنري كيسنجر، الدبلوماسية الامريكية في القرن ٢٠، ابو القاسم راه جمني، طهران، مؤسسة (ابرار) الثقافية للدراسات الدولية، طهران، ٢٠٠٢، ص٢٣٦.
- ٢٢ - م.س. صص٥١-٤١٧.
- ٢٣ - انظر، علاقات ايران وامريكا، اسد الله خليلي، طهران، مؤسسة (ابرار)، طهران، ٢٠٠٢م.
- ٢٤ - راجع، خالصة ابحاث العالم، طهران، مؤسسة (ابرار) ج١، ٢٠٠٢م، صص٥-٣٣.
- ٢٥ - م.س. ص٣٤.
- 36-See John Ikenberry-".U.S.Grant Swategy in Terror Age", Survival, Vol 43, No4, Winter 2001,pp. 19-34.
- ٢٧ - راجع، قسم دراسات رئاسة الجمهورية، السياسات الامريكية في الشرق الاوسط ٢٠٠١-٢٠٠٥، مجموعة مترجمين، طهران، مؤسسة (ابرار)، ٢٠٠٢م.
- ٢٨ - سامي حجار، امريكا في الخليج الفارسي، التحديات والافاق، ابو القاسم راه جمني، مؤسسة (ابرار) طهران، ٢٠٠٢، ص١٦.
- 39-Richard Ulman, "Redefing Security", International Security, VO 18, No 1, (Summer) 1983,PP. 129-53.
- 40 -peter J.Katzenstein (edi), The Culture of National Security; Norms & Identity in World Politics, New York, Colubia U.P, 1996, P.2.
- 41 -Ibid, P.33.
- ٤٢ - راجع، محمد غيب ابو عجوة، المجتمع الاسلامي، دعائمه وادابه في ضوء القران الكريم، القاهرة، مديولي، ١٩٩٩.
- ٤٢ - راجع بهذا الخصوص، محمد عابد الجابري، الحركات الاسلامية المعاصرة في الوطن العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧، حسن الزين، الاسلام والفكر السياسي المعاصر، بيروت، دار الفكر الحديث، ١٩٩٧.
- 44-See Mohammad Ayob, "state Making, state Breaking& state Failure" in chester A. crocker , & F.O. Hampson, Managing Global chaos, washington D.C., U.S. Institute of peace press, 1996, PP. 37-50.

- ٤٥ - للاطلاع على آراء غار راجع، اصغر اقتخاري (تحقيق) العنف والمجتمع، طهران، سفير، ٢٠٠٠، صص ٩٥-١٥٢، كذلك، تد روبرت غار، لماذا ينتفض الناس؟، علي مرشدي زاد، طهران، مركز مطالعات راهبردي، ١٩٨٨.
- 46 -See: Managign Golbal chaos, Op. Cit, PP. 69-92& 98-110.
- ٤٧ - راجع، جون ب. تومبسون، وسائل الاعلام والحداثة، النظرية الاجتماعية الاعلامية، مسعود اوحدي، طهران، سروش، ٢٠٠١، الفصول ٥ إلى ٨.
- ٤٨ - ناصر قباد زاده، قراءة بانولوجية لفصام النظام عن الشعب في العقد الثاني من الثورة، طهران، مركز البحوث الاستراتيجية في رئاسة الجمهورية، نشر فرهنك كفتمان، ٢٠٠٢م، صص ١٨٨ - ١٨٩.
- ٤٩ - م.س، ص ١٨٩ - ١٩١.
- ٥٠ - اوردت العنى الدقيق لهذا المفهوم في المقال، اصغر اقتخاري - السلطة السياسية، الحقل العام والجمهورية الاسلامية - فصلية مطالعات راهبردي، شتاء ١٩٩٩، العدد ٢، صص ٣١ - ٦٨.
- ٥١ - اوردت تفاصيل آراء هذه الشخصيات في اطار عدة مناحي اصابة لفهوم الحكومة في، اصغر اقتخاري - ثقافة الامن العالي - في آردى. مك كين لاي وار. ليتل الامن العالي، التوجهات والنظريات - طهران، مركز مطالعات راهبردي ٢٠١٠م، صص ٣ - ٤١.
- ٥٢ - العولة، م.س، صص ٦ - ٣٥.
- ٥٣ - م.س، ص ١٨٤.
- جدير بالذكر ان قراءة فرهنك رجاني لحادثة رحيل الإمام الخميني (رض) غير مطابقة للواقع، ويبدو ان المؤلف لم يوفق في إدراك الأسس العلمية التي أكد عليها الإمام الراحل لإحياء الوحدة الإسلامية. ولكن ضمن حدود التاكيد على مكانة الإعلام في هذا الإبداع التأسيسي يبدو تقييمه صائبا.
- ٥٤ - راجع، ظاهرة العولة، م.س، صص ٩ - ٢٨.
- ٥٥ - نقلا عن، شهيندخت خوارزمي، إيران وثورة الاتصالات الرقمية، السنة ١١٣، العدد ٤، شتاء ٢٠٠٢، صص ٤ - ٤٢.
- 56 -B. Kingsbury- "Sovereignty & Inequality", in Inequality, Globalization & World Politics, Oxford, O.U.P. 1999, PP. 66-94.
- 57 -See Andrew Hurrell- "Inequality & Sovereignty", in Andrew Hurrell (ed), Inequality, Globalization & World Politics, Op. Cit.
- 58 -See T.Skelton & T.Allen (eds), Culture & Global change, London & New York, Routledge, 1999.
- 59 -David Held, Democracy & The Global Onder, Polity Press, 1995, Chp.4.
- ٦٠ - كامران نرجه، اسواق البلاد الاسلامية، طهران، مؤسسة الدراسات والبحوث التجا، ٢٠٠١م، ص ٣.

- ٦١ - جيمز بتراس واستيف ويفكس الاساطير والحقائق، السوق الحرة في امريكا اللاتينية، في، احمد سيف (اعداد وترجمة) عولة الفقر والبؤس، استراتيجية التعديل البنوي في العمل، طهران، ٢٠٠١م، ص ٦ - ٢٤.
- ٦٢ - للاطلاع على شواهد تجريبية في هذا المضمار راجع م.س، ص ٢٦ - ٤٨.
- ٦٣ - م.س، ص ٤٧.
- ٦٤ - للمثال، يمكن الاشارة إلى تصريحات مفكرين لامعين نظير انطوني غيندز الذي اعتبر ان الكتاب الاخير لكاستلز سيكون مصدرا رئيسيا في السنوات الآتية. بالرغم من الحجم الضخم لهذا الكتاب، لكنه ترجم لحد الآن إلى ما يزيد على عشر لغات حية في العالم، وبهذا تحول إلى كتاب يرمز لعصر جديد. للتعرف على اهمية الكتاب بشكل اوسع راجع مقدمة السيد بابا في مستهل المجلد الاول من الترجمة الفارسية (صص ١٥ - ٢٦).
- ٦٥ - مانويل كاستلز، عصر المعلومات، ظهور المجتمع الشبكي، احد عليقليان واقشين خاكبا (ترجمة) وعلي بابا (كبير المراجعين) طهران، طرح نو، ج. ١، ٢٠٠١م، ص ١٥.
- ٦٦ - جف هينس (تحقيق)، دين العولة والثقافة السياسية في القرن العشرين، داود كياني، طهران، مركز مطالعات راهبردي ٢٠٠٢م، ص ٦٣.
- ٦٧ - انظر، بيتر برغر وآخرون، اقول العلمانية، افسار امري، طهران، بنكان، ٢٠٠١م.
- ٦٨ - مانويل كاستلز، عصر المعلومات، سلطة الهوية، حسن جاووشيان، طهران، طرح نو، ٢٠٠١م، ص ١٧.
- ٦٩ - كارل كيسين وآخرون، حرب امريكا والعراق، مجموعة مترجمين، طهران، مؤسسة (ابرار) ٢٠٠٢م، صص ٦ - ٧٥.
- ٧٠ - عبد الله العروي، الاسلام والحداثة، امير رضائي، طهران، قصيده سرا، ٢٠٠٢م، ص ١٢٨.
- ٧١ - م.س، ص ١٣٧.
- 72 - See Bassam Tibi, Religious Fundemetalism & Ethnicity in the Crisis of the Nation – State in the Middle East, Berkely, University of California, 1992.
- ٧٣ - مانويل كاستلز، عصر المعلومات، سلطة الهوية، م.س، ص ٨٧.
- * Information Society Index.
- ٧٤ - شهيندخت خوارزمي، ايران والثورة الرقمية، رساند، السنة ١٣، العدد ٤، شتاء ٢٠٠٣، صص ٣٦ - ٤٧.
- ٧٥ - جدير بالذكر ان بللانا كالاتارات تعد استثناء، فلقد حقق هذا البلد خلال الاعوام الاخيرة تنمية بنسبة ٢٠٪ في هذا المجال، وهو معدل مرتفع جدا خوله احتلال موقعه في صدر البلدان النامية.
- ٧٦ - انظر، عبد الله احمد نعيم، التفكير الديني الجديد وحقوق الانسان، حسن علي نوريها، طهران، نشر فرهنگ ونديشه، ٢٠٠٢م، صص ٥٤ - ٣٧.
- ٧٧ - نقلا عن، ظاهرة العولة، واقع الانسانية وحضارة للمعلومات، م.س، ص ١٤٧.

**النظام العالمي الجديد والعولمة
والتكتلات الاقليمية وأثرها**

قرار رقم: ١٣٤ (١٤/٨)

للاجتماع الرابع عشر لجمع الفقهاء الإسلاميين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه

اجمعين.

قرار رقم : ١٢٤ (٨ / ١٤)

بشأن النظام العالمي الجديد والعولمة والتكتلات الإقليمية وأثرها

ان مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في دورته الرابعة عشرة بالدوحة (دولة قطر) من ٨ إلى ١٣ ذو القعدة ١٤٢٢ هـ ، الموافق ١١ - ١٦ كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٢ م.

بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع النظام العالمي الجديد والعولمة والتكتلات الإقليمية وأثرها، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله .
انتهى إلى مايلي :

أولاً، المقصود بالعولمة والنظام العالمي الجديد، العولمة تعني في شكلها ومظاهرها سهولة الانتقال في السلع والأفكار ورفع الحواجز بين الشعوب والأمم، بحيث أصبح العالم أشبه ما يكون بقرية كونية صغيرة وذلك نتيجة التقدم التكنولوجي المعاصر، وما تمّ ابتكاره من صيغ للتعامل الدولي منها؛ التكتلات الإقليمية الدولية، ومنظمة التجارة العالمية، والشركات العابرة للقارات. وقد رافق ذلك استغلال القوى الكبرى ومؤثرات الحضارة الغربية المعاصرة لهذه الامكانيات المتاحة لصالحها، مما مكنها من السيطرة والهيمنة على كثير من مجالات الحياة الإنسانية، بل أخذت هذه القوى تعمل على قيادة عمليات التقديم التكنولوجي لايجاد المزيد من الآليات والصيغ التي تمكنها من زيادة قدراتها من ناحية، وزيادة سيطرتها وهيمنتها على أفاق الحياة الإنسانية من ناحية أخرى.

وقد ارتبط بذلك ما يسمى بالنظام العالمي الجديد الذي يقوم على المنظمات الدولية والمؤتمرات العالمية التي أخذت تتصدى لمختلف القضايا التربوية والاقتصادية والاجتماعية والسكانية والبيئية بنظر يحرم من على مصالح القوى الكبرى ويدفع لتعميم مفاهيم الحضارة المادية الغربية المعاصرة.

والعولة بهذه الصورة تمثل تحدياً صارخاً للأمة الإسلامية بما تحمله من رسالة الهيبة، وما أقامته من حضارة إنسانية راشدة، حققت خير الإنسان وسعادته في كل آفاق الحياة. مما يحمل علماء الأمة وساساتها ومفكريها وقادتها، في ميادين الحياة السياسية والثقافية والتربوية والاقتصادية والاعلامية وغيرها، مسؤوليات كبيرة لتحقيق نهضة إسلامية شاملة تدفع الأمة إلى آفاق الازدهار والتقدم.

ويتجلى ذلك في مجالين،

الأول: تحصين أجيال الأمة ومختلف أبنائها في وجه التحديات التي تفرضها ممارسات العولة المعاصرة الواقعة تحت التأثير الغربي، مما يتطلب جهوداً كبيرة لبناء الشخصية الإسلامية المعاصرة القادرة على مواجهة التحديات عن وعى وبصيرة وعلى أساس من الفهم العميق للإسلام بوسطية واعتدال وتوازن، بحيث تجمع بين العلم والإيمان، وبين الإصالة والمعاصرة، وبين التمسك بالنوابت والانفتاح على إنجازات العصر. وهذا يوجب العناية البالغة بمنهج التربية والتعليم وبخاصة تقوية المواد الدينية، ورفض أي تدخل فيها من القوى الخارجية.

الثاني: الامساك بزمام المبادرة في التعامل مع أدوات العولة وآلياتها وفق خطط شمولية واعية تخاطب المجتمعات الإنسانية المعاصرة، بالطريقة التي تفهم واللغة التي تدرك بعيداً عن الارتجال والسطحية، أو التنظير المحدود القاصر، بما يشمل مجالات الفكر والثقافة والاعلام، ويهدف إلى تحقيق للممارسات الابداعية والانجازات العلمية والاقتصادية التنموية التي تؤمن الحياة الكريمة لكل إنسان في المجتمع.

ويوصي الجمع في إطار الخطط الشمولية المشار إليها، ومن منطلق أن الإسلام دين عالمي جاء لخير الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة وهو خاتمة الأديان الذي لا يقبل من أحد دين سواه بما يأتي،

- ١- التعريف بعالمية الإسلام وما يقدمه من حلول لمشكلات البشرية وفق منهج علمي موضوعي يستخدم كل الوسائل المتاحة لتحقيق ذلك.
- ٢- تقوية منظمة المؤتمر الإسلامي والمؤسسات التابعة لها وسائر المؤسسات الإسلامية الدولية، وتفعيل دورها بهدف تعميق التكتل الدولي الإسلامي وبخاصة في المجال الاقتصادي.
- ٣- ضرورة العمل الجاد على إقامة الأسواق الإسلامية المشتركة وتشجيع المشروعات والاستثمارات الاقتصادية المشتركة بين الدول العربية والإسلامية.
- ٤- العمل على إعادة صياغة العلاقة بين العالم الإسلامي والنظام الدولي الجديد بما يؤكد استقلالية الدول الإسلامية واحترام سيادتها وخصوصياتها، بهدف المحافظة على الهوية الإسلامية لشعوبها.
- ٥- العمل على الرقي بالقدرات العلمية والتكنولوجية في البلاد الإسلامية، والسعي الجاد لتوطين التكنولوجيا المعاصرة فيها.
- ٦- العمل على تقوية العلاقات بين الشعوب الإسلامية، وتحقيق وحدة الصف الإسلامي في مواجهة سائر التحديات.
- ٧- التأكيد على عنصرَي الإصالة والمعاصرة في الخطاب الإسلامي، وتطوير أدواته بما يحقق توعية راشدة لآبناء المسلمين، ويقدم المواقف الإسلامية إلى المجتمع الإنساني على أساس رسالة هذا الدين في تحقيق خير الإنسانية وتقدمها، بعيداً عن الغلو والتطرف من ناحية، والتفريط والتحلل من ناحية أخرى.
- ٨- العمل على ترسيخ مفاهيم الاجتهاد في مؤسسات التعليم الشرعي في الجامعات والكليات والمعاهد، وفي مجالس الافتاء والجامع الفقهيّة، لتكون الأمة قادرة على مواجهة القضايا الحادثة والمشكلات المستجدة، بنظر فقهي عميق وشامل يقدم الحلول القادرة والعالجات الناجعة.
- ٩- الاستفادة مما تتيحه وسائل الاتصال المعاصرة وآلياتها في تقديم العرفة الإسلامية الراشدة، وابرار الصورة المشرقة لهذا الدين، وبخاصة من خلال الفضائيات وشبكة الانترنت.

١٠- ضرورة التنسيق بين الدول الإسلامية والمنظمات التطوعية فيها عند المشاركة في المنظمات الدولية والمؤتمرات العالمية، لإبراز المواقف الإسلامية المتميزة، لصيانة مسيرة البشرية مما تتعرض له من أخطار وشورر.
والله للوفيق.

**أقلمة وتدويل المجالات الاجتماعية، الاقتصادية
في عصر التقنية العالية**

الدكتور أحمد شعبتي

أستاذ بجامعة الإمام الصادق (عليه السلام)

إن تطور الإنعكاسات المحلية إلى الوطنية ومن ثم إلى الإقليمية ومنها إلى العالمية اليوم قاد إلى ظهور وبسط أبعاد وقواعد جديدة تحظى مطالعتها بأهمية استراتيجية.. فعولة ظواهر عصر التقنية الإقليمية ينعدم فيها مفهوم المساحات الجغرافية والسياسية وقد قادت إلى القضاء على الحدود والعقبات الوطنية وحتى الإقليمية، وهذا لا يعد محصلة إلا بسبب ذات وجوهر التقنية القائمة على قوة العقل التي تنفرد بمميزات خاصة بها، وهي موضوع أوسع من التقنيات التي تمتاز بالعمل المكثف أو رأس المال وهي مما اهتم بها بشكل تقليدي.

تقنية العصر القابل ومواضيعه ومسائله التي تتوالى بشكل متسارع نحو العولة، تتطلع إلى عرض تعريف وتحقق مساحة موحدة تحت حاكمية واحدة على أوسع مساحة قد تطل الكرة الأرضية Global برمتها وكافة أبعاد الحياة الاجتماعية في المجالات الاقتصادية والثقافية والسياسية.

على أن ظهور طيف جديد من الصناعات والقضايا القائمة على التقنية للذكورة يوجب تبديل الرؤية الاقتصادية التقليدية التي تروم إقامة التوازن بين السلع الخاصة والسلع العامة إلى رؤية جديدة تسعى إلى خلق موازنة مشابهة بين السلع العامة في القاييس الوطنية National والإقليمية Regional والعالمية Global. في هذا التعريف لدينا سلع عمومية عالمية "a" Global Public goods وهي عبارة عن سلع لا تقتصر مصالحها ومضارها على شعب أو بلد " Nation " بل تشمل كافة الدول والجاميع بمقياس الكرة الأرضية وحتى للأجيال المتوالية. بعبارة أخرى ، سلعة لا يمكن استثناء بلد أو جيل من الإستفادة من مصالحها أو حفظها من مضارها.

ليس الناتج لهذه التقنية سلعة خاصة "Private goods" حتى يمكن إدراجها تحت عنوان "الملكية الخاصة" التي تمثل أحد الأسس العرفية للنظام الفلسفي المنبثق من الفردية ، وكذلك أحد أهم المؤسسات القانونية لنظام الإقتصاد الرأسمالي.

إن القبول بالتملك ، والإستثمار والتنمية في المحصلات المتعلقة بالتقنية المذكورة ومنهجياتها يمكن أن يفصح عن تناقضه الجاد مع الأسس النظرية لنظام الرأسمالية ويكون

ذلك بحد ذاته تمهيدا لانتهيار نظرية هذا النظام ، من بين البحوث المحورية التي يجري متابعتها في هذا المقال.

المصطلحات الرئيسية : العولمة ، والتدويل ، وتقنية الإتصالات ، والسلع العامة ، والملكية الخاصة.

Globalization, Internationalization, Communication Thechnology, Public goods, Private Property.

مسار تطورات اقتصاد الرأسمالية من الوضعية إلى التدويل

لقد جرى تعيين وتحديد نظرية المزية النسبية التقليدية عند أوائل بروز النظام الرأسمالي ضمن قاعدة مرتبطة بالمكان الجغرافي للصناعة.. فالصناعة اعتمدت في الأساس على عاملي الإنتاج الطبيعي للثروة واليد العاملة المرتبطة بشكل جاد بالجانب الجغرافي. يحظى المكان والماء والهواء المناسب والأمطار بالنسبة للزراعة واحتياطي النفط بالنسبة لصناعة النفط ورأس المال بالنسبة للصناعة الإستثمارية وكذلك اليد العاملة بالنسبة للصناعات التشغيلية ، بأولوية بالغة الأهمية.

ومع ظهور الرأسمالية الصناعية حصل في الواقع تطوران أساسيان في النظام الإجتماعي للمجتمعات الغربية. فمن ناحية شهدت تلك المجتمعات تطوراً تكنولوجياً كان بمثابة مشروع لأوروبا القرن التاسع عشر. أي مشروع تلخصت مسيرته بالانتقال من الإقتصاد الزراعي إلى الإقتصاد الحديث والصناعي. من المظاهر الرئيسة لهذا المسار، حصول تغير أساس في مجال العمل وتحولها من المنازل إلى معامل وورشات كبيرة وكذلك بروز مسالة تمرکز السكان في المناطق المدنية ، والتنمية الواسعة النطاق في الإستفادة من المعدات لليكانيكية وشبكات الشحن والنقل الواسعة والإتصالات وخطوط سكك الحديد ، والنشاطات التجارية الجديدة ، وتنامي حجم السوق بشكل محسوس ، وظهور شبكات الإعتمادات العقدية وتسهيلات الأنظمة المصرفية والوسائل المالية المؤثرة ، وكذلك الإهتمام بالكائن البخارية لمعامل غزل الخيوط ، وصناعات الفولاذ ، ومعامل النسيج ، والمنتجات الكيماوية و.. وبالتالي كل ما تمخض ونشاهده اليوم عن المجتمع الصناعي الرأسمالي (mazlish.Bruce). من ناحية أخرى وتزامناً مع التطور الأنف الذكر ، حصل تطور في الأيديولوجية أيضاً حيث ظهر الإنسان الإقتصادي بصورة من يحسب للأمر حسابها ، والمثابر بأقصى جهد ، والأناني ، والإقتصادي والمستفيد من العقل في

دقائق الأمور. وعلى الصعيد الاجتماعي حصلت أيضاً تغييرات ثقافية وحقوقية جمة ، منها تحويل الإقراض الوطنية إلى إقراضات دولية ، وتبلور الرأسمالية التجارية ، والتبادل الإقليمي والدولي ، والهجرة ، والتجارة والحقوق الدولية ، وإلغاء القيود التجارية ، وإزالة العقبات التي تعترض المسار الدولي للثروة ، ودخول وخروج المصادر الإقتصادية بحرية ، وعمليات الدمج الإقتصادي وبالتالي تحويل المعطيات العريضة من " النزعة الوطنية " Nationalization إلى النزعة الدولية Internationalization.

بعبارة أقصر ، فإن حصول انقلاب في الفنون والمكننة أو نزعة تطويع الآلة في الحياة البشرية ضمن قاعدة أطر في التقنية وحصول انقلاب في الحقوق والليبرالية ضمن قاعدة التغيير الأيديولوجي من المظاهر البارزة للتحوّل الاجتماعي في القرنين التاسع عشر والعشرين إلى جانب ظهور نظام الرأسمالية.

التحول في التقنية
انقلاب في الفنون
المكننة
تطورات القرنين ١٩ و ٢٠

التحول في الأيديولوجية
انقلاب في الحقوق
الليبرالية
إن بروز هذه الظواهر والرؤى أوجدت منعطفات في الأحداث الإنسانية _ الاجتماعية ، كما أن التعامل والتأثير المتبادل بين العلوم والتقنيات الجديدة من جهة والأيديولوجيات والرؤى العالمية الجديدة من جهة أخرى هي التي تعرض وتصوغ هيكلية الأنظمة الاجتماعية الجديدة والنطلقات الاجتماعية الحديثة وتفرض تبعاً لذلك السراتيجيات الحديثة. الهيكليات الجديدة للرأسمالية المتبلورة تحتوي على أنماط جديدة من منتوجات العامل المستلزمة لظهور نوع من الإشراف والرقابة الإدارية أوالهندسة الاجتماعية الجديدة ، الأمر الذي يختلف بوضوح عما كانت عليه في مرحلة الإقتصاد الزراعي. لقد ظهرت أنماط جديدة من منظمات التعاون cooperation في المجال الإقتصادي _ التجاري. كما بان الإهتمام الجاد بعامل الزمن حتى صارت المحاسبة الزمنية بأجزاء الثانية بدل معرفة الوقت استناداً على حركة الشمس (صباحاً وعصراً ومساءً) ، هذا فضلاً عن التأكيد بقضايا تقسيم العمل ، ورفع مستوى المهارة والتخصص وكذلك التحلي بالعقلانية القائمة على المحاسبات المنتظمة والإستفادة الواسعة من العلم.

إستطاع النظام الجديد للرأسمالية في نطاق الحقوق والسياسة أن يخرج وبسرعة كبيرة الأنظمة المنافسة كالفاشية والإشراكية من دائرة المنافسة ، لكنه أخذ في نفس الوقت جزء من

حقائقه التاريخية كالملكية الخاصة والنمو والشغل والإستقرار المالي وزيادة الأجور بالضمور والتلاشي كما حصل لأعداء هذا النظام. وإنه لمن نافلة القول بأن تلاشي واختفاء الملكية الخاصة التي تعد من الأسس المعرفية للبرالية والرأسمالية يعد من بين النقاط المحورية لهذا البحث والتي سيسلط الضوء عليها لاحقاً. إن العد التنازلي الذي يشهده النمو وعلى وجه التحديد من ٢١، بالمائة عام الف وتسعمائة وسبعين للميلاد إلى ٢١، في عقد الثمانينات واثنين بالمائة في عقد التسعينات وكذلك التخمينات بأقل من واحد بالمائة خلال العقد الجاري يدل على أن الرأسمالية فقدت ٦٠ بالمائة من سرعتها وتعجيلها خلال العقود الثلاثة الأخيرة.

ومن بين اثنتي عشرة شركة أميركية كبيرة، لم تستطع سوى شركة جنرال إلكتريك أن تحمل نفسها كوحدة عمل مستقلة إلى القرن الحالي بينما لم تتمكن الشركات الباقية مواكبة ومسايرة المحصلة والظروف الجديدة.

كما أن الرأسماليين أدركوا جيداً أن عليهم أن يوجدوا عناصر وكوادر جديدة إذا ما أرادوا البقاء، ولذا كان تسديد الرواتب للمستنيين وإيجاد نظام صحي وعلاجي عام من الإختراعات التي سجلت باسم "ببسمارك" في ألمانيا ، وفي بريطانيا قطع ونستون تشرشل خطوات واسعة بشأن التأمين الخاص بالعاطلين في وقت نشر روزفلت في أميركا أنظمة التأمين الإجتماعي ، علماً أن هذا الأمور لم تكن سوى إصلاحات ضرورية لإنقاذ الرأسمالية القائمة على نظام السوق وعدم التدخل، وتخليصها إلى حد ما من المنحى الذي كان يؤدي بها للأفول والتلاشي النظري. في الواقع يمكن اعتبار أنظمة الضمان الإجتماعي المولودة بديلاً فاعلاً تقريباً لنظام السوق للنهار للعالم الرأسمالي الذي ولد بعد انهيار المنهج الثاني أي الشيوعي والإشتراكي بوصفه منهجاً ثالثاً يتضمن إصلاحات في نظرية الرأسمالية حيث برزت منها اليوم للسطح أيضاً علامات على ضعف وخواء منطلقات تلك الإصلاحات.

إن التطورات التي شهدتها الإقتصاد الرأسمالي ضمن محصلة العولمة ، كإزالة المنافسين التقليديين للرأسمالية أي الفاشية والإشتراكية ، وافتقار الرأسمالية للحقائق الثابتة أي النمو والشغل وكذلك فشل خطوات النظام الرأسمالي كإيجاد أنظمة الضمان الإجتماعي التي تبدو في ظاهرها إصلاحية وهي في الحقيقة مضللة ، جعلت هذا النظام مصداقاً لما يذهب إليه المثل الصيني بشأن من خرج من الماء فيتلوى على الساحل محاولاً العودة إلى الماء ، دون أن يعلم أين سيقوده قلبه ، هل إلى داخل الماء أم يبتعد عنه ، فقط يعلم أن وضعه الراهن لا يمكن تحمله وعليه أن يفعل شيئاً.

من جانب آخر ، تفيد التخمينات أن الصناعات الألكترونيكية الدقيقة ، والإتصالات من طريق بعيد ، والإنسان الآلي والحاسوب ستكون من بين الصناعات القائمة على العقل (لا الصناعات التشغيلية والإستثمارية للتعتمد على المواد الخام) وستحقق أسرع نمو في القرن الحادي والعشرين. يمكن لهذه الصناعات على خلاف الصناعات القديمة المستندة إلى اليد العاملة أو رأس المال والترتبطة بالظروف والصادر الطبيعية وبالتالي المتسمة بارتباطها المباشر والحتمي بالبعد الجغرافي، أن تثبت نفسها في أي مكان من العالم ومحل استقرارها منوط فقط بتوظيف هذه العقول وتنظيمها بهدف السيطرة على هذه الصناعات بعيدا عن القيود الجغرافية ، وبهذا الشكل انتهت مرحلة الفقر في اليابان التي تعاني من انعدام المصادر الطبيعية أو ثروة شيلي والأرجنتين اللتين تمتلكان ثروات طبيعية غنية.

على هذا الأساس ظهرت تشكيلة جديدة من الإنتاج في صناعات العصر الراهن المستندة في الغالب على قوة العقل التي تستلزم نمطاً جديداً من الرقابة الإدارية أو الهندسة الإجتماعية مما لا يمكن العثور على شبيه له في النظام الرأسمالي التقليدي للقرنين التاسع عشر والعشرين. لقد تبدل جوهر وطبيعة التقنية. إن هذه التقنية تحولت انطلاقاً من علم السخنة وعلم الأنماط التقنية من تبعيتها لجغرافيا الطبيعة التي كانت تستلزم بقاء الصناعات العتمدة عليها ضمن الحدود والقيود إلى تقنية واسعة في أجواء مفتوحة ومستقلة وسيالة ومتحررة من الأطر الجغرافية.

إن طبيعة التقنية الحديثة تمتاز بسمة العالمية Global وهي لا تحد بالحدود الجغرافية للدول والشعوب. لقد أظهرت الدراسات أن التدويل Internationalization في الإقتصاد في عقد الثمانينات شهد تسارعاً وعمقاً أكبر وهذه المحصلة إنما تبلورت على أثر التطور التقني سيما في الصناعات من قبل الإتصالات من بعيد والكومبيوتر. لكن ظاهرة التدويل ستخلى من الآن فصاعداً عن مكانها بالتدرج لظاهرة حديثة تدعى العولمة في نظام الإقتصاد العالمي Gioblization ، وبذلك فقدت الوكالات الإقتصادية مقراتها الوطنية وباتت تمتلك ستراتيجيات على المقياس العالمي. "Fouquin, 1993.P3" إن هذا التطور والإنقلاب في التقنية العالمية الحديثة إسم بخصيصة أدت إلى الكشف عن المدى الواسع الذي يفصلها عن تقنية المكان التقليدية في العالم الرأسمالي بعد الثورة الصناعية. تعتبر تقنية المكان جغرافية المحور وهي تستقر في المكان الذي تواجدت فيه المعدات والمكانن واستطاعت تسخير وتوظيف مصادر وعوامل

الإنتاج التي تقع بيدها. بيد أن التقنية الحديثة استطاعت أن تهشم قيود التبعية الثقيلة للمكانن والآلة وتتحول إلى هيكلية أكثر سهولة ومرونة ونفوذاً وتحركاً.

إن هذه التقنية تمتلك مساحة عالمية شاسعة لا تعرف معنى للحدود الجغرافية وبإمكانها أن تتخطى بسهولة وبكافة أبعادها الحدود والعقبات الجغرافية والوطنية وأن تلقي بظلالها على كل منطقة من الكرة الأرضية. إن هذا التطور يعد بحق انقلاباً جديداً في التقنية والإبداع يعني ، التقنية الـديجيتالية والتقنية الخفيفة لا الآلية. هذه التقنية قادرة على تحويل المناطق المتعددة إلى منطقة واحدة وبناء عالم موحد تحت حاكمية واحدة وتبديل الدوائر الحكومية المتعددة إلى دائرة واحدة ولذا فإن العلامة الفارقة لهذه التقنية هي شموليتها وتخطيها للحدود. والآن من المناسب طرح سؤال أساسي هو ، هل أن هذا الانقلاب في التقنية سيقود بالضرورة إلى انقلاب في الأيديولوجية ، أم لا ؟ وبتعبير آخر ، هل يجب أن نبقى بانتظار تغيير أساس في الأيديولوجية المعاصرة للراسمالية ، أم لا ؟ وكذلك هذا السؤال ، ما هي الأيديولوجية العالمية الواثمة للتقنية العالمية ؟ للإجابة على هذين السؤالين لا بد أولاً من المزيد من تبين الخصائص الميدانية والمجالات المؤثرة لهذه التقنية العالمية ، ثم نثبت أن من مقتضيات التقنية الحديثة الشاملة هو انتهاك أساس الحقوق الرئيسة للنظام الراسمالي الليبرالي أي حق الملكية الخاصة ، أو القول بعدم إمكانية قبول التملك الخاص بالنسبة للمنتوجات التكنولوجية.

وانطلاقاً من "علم السخية" ، يجب التأكيد على أن عولمة التقنية ليست بمعنى تدويلها وكذلك ليست بمعنى غربتها أو امركتها. إنما المتبادر إلى الذهن من هذا المفهوم هو أن مؤشر ومساحة نفوذ هذه التقنية الحديثة قد تجاوزت مساحة الإنعكاسات المحلية والوطنية والإقليمية وانتشرت في كافة أرجاء العمورة. إن المستثمرين وأصحاب هذه التقنية العالمية يستخدمون دوماً اصطلاحات هي عبارة عن : "الكرة الأرضية ، وسيارة الأرض ، والعولمة" ، والحكومة العالمية والقضايا العالمية .. وكل هذا التكرار لهذه المصطلحات قد تم في العقد الأخير في حين لم يكن في الماضي وإلى حد قريب على وجه التحديد أي حديث عن الكرة الأرضية و.. وفي المحاور الاجتماعية والإنسانية كان ينبذ كل ما هو (غير ميكانيكي). بالتالي فإن العولمة أكبر قصص القرن العشرين ، والتي أوجدت آفاقاً عالمية لتعديلات خالية من الإندككات ، وظهور مقرات إبداعية وغير منتهية ، وإحراز تقدم لا يقف عند نقطة معينة، أو عند حد معين للجميع عن طريق قوة السوق العالمية. (Drache, 1999, p.5).

مجالات تأثير ظاهرة العولمة

بغية التبحر في معرفة هذا المعنى ، سنعمد إلى دراسة مجالات تأثير هذه الظاهرة الجديدة ،

ألف : المجال الثقافي

إن اتساع نطاق تقنية الإتصالات العالمية والدولية اليوم أدى إلى أن تحل الأمور المؤثرة والسياسة الثقافية على الصعيد العالمية محل السياسات الثقافية الوطنية بحيث نرى أن أكثر من ملياري نسمة في السنة يقومون بسفريات خارج بلدانهم بكل سهولة وبتكلفة زهيدة ، كما انتشر حوالي مليار خط هاتفي بين الأشخاص والدول فضلاً عن وجود ملياري جهاز راديو في العالم تلتقط الأمواج من مكان بعيد وأكثر من مليار وخمسمائة مليون جهاز تلفاز غالبيتها قادر على التقاط قنوات البث من أي منطقة من العالم وبثها للمشاهدين. ثم أن الإستفادة من الإنترنت سجلت نمواً بمقدار أربع إلى خمس مرات في مدة قصيرة حيث ارتفع عدد المستخدمين له من ٦١ مليون شخص إلى ٣٢٠ مليون نسمة (Phillips, 2000, p. 13). أما اليوم فهناك ٥٠٠ مليون نسمة من المستفيدين من شبكة الإنترنت العالمية قادرين على الإتصال بأية نقطة من العالم والوقوف على آخر الأخبار والتقارير والتحليل الإجتماعية _ السياسية أو الجلوس لمشاهدة الأفلام من المصدر الذي يريده المشاهد ، و.. كل ذلك ما كان ليتم لولا الوسائل والإمكانات التقنية للعاصرة التي استطاعت إنتاج الأعمال الثقافية في كل قسم من العالم وعرضها في كل نقطة وسوق استهلاكية على أرض العمورة.

إن السرعة المتزايدة في اتساع شبكة المعلوماتية العالمية بلغت حداً قد يؤدي إلى اختفاء الأسواق المحلية لإنتاج وعرض وبيع الكتب والمجلات والصحف ويفسح المجال للنتائج الثقافية الـديجيتالية لتحل محل الورق والقلم والمدونات. إن بإمكان النتاجات الثقافية ضمن قاعدة التقنية الـديجيتالية العالمية أن تتولد في كل منطقة من العالم بحيث يمكن إدارتها ونشرها أيضاً لكافة مناطق الكرة الأرضية. لا شك أن تقنية الثقافة الـديجيتالية التي حملت الإنتاج إلى المستهلك أينما كان على وجه البسيطة عبر أمواج الرادارات ، ستكون قادرة على تحقيق الثقافة العالمية الوحيدة. فهو كانت المناهج الكلامية التقليدية الشائعة على عهد أفلاطون وأرسطو بصيغة الخطابة والمنبر والمستندة إلى العقل والإستدلال تقنع المخاطب وترفعه من خلال الحوار

المتبادل والتزامن (أسئلة وأجوبة) بالمفاهيم المهدبة والمشدبة ومن ثم تنمي أدوات الكتابة التي كانت في الغالب من طرف واحد وبإقرار وتهذيب من العقل والمنطق وتعرض للقراء النتاجات العلمية _ الثقافية ، لكان بإمكانها أيضاً أن تكون مؤثرة فيما يؤمنه الكتاب من أجوبة للأسئلة التي قد تبرز للقارئ. هذا في حين أن ظهور الوسائل المرئية التي هي وليدة التقنية المذكورة والتسمة بأداء من جانب واحد وباعتمادها في الغالب على الحس والذوق وافتقارها لعامل الإستدلال قد مهد لأن تصل النتاجات الثقافية من أي منتج كان لكل مستهلك.

إن ما يميز الأدوات الثقافية أي (الكلامية _ المكتوبة والمرئية) عن بعضها الآخر هو أن مقود الأدوات الأولى هو بيد العلماء والفلاسفة وأهل الكلام والقيم في حين أن مقود الأدوات المرئية العالية حالياً بيد التجار والكسبة الذين كرسوا تلك الأدوات الثقافية لما يؤمن مصالحتهم المادية ووظفوا استثماراتهم لهذا الهدف.

ب: المجال العلمي والمعرفي

إن ظهور وتبلور الجامعات المجازية واتساع العلاقات العلمية الألكترونية واتساع رقعة إمكانية الإرتباط غير الحضورى بين الأستاذ والطالب وإيجاد الأحياء الديجيتالية للتدريس والتعليم يولد إمكانية عامة من شأنها تمكين كل من يرغب بالدراسة ويمتلك الأهلية الكافية لمواصلة دراسته في جامعة معتبرة من منزله الشخصي عبر مجموعة من الأسلاك ، فيطوي المراحل الدراسية تحت إشراف أنسب الأساتذة ممن تعرف عليهم عبر نفس تلك الأسلاك دون أن يتحمل نفقات الذهاب والإياب والتغذية والإقامة في بلد آخر وباقي نفقات التعلم ، وبالتالي الحصول على الشهادة في مدة محددة ومناسبة.

نعم ، كل هذه الأمور تحصل أمام شاشة جهاز الحاسوب الشخصي في منزله. تتجلى أهمية التطور في مجال العلوم الإنسانية وخاصة في علم الإقتصاد ، أكثر حينما نعلم أنه يجري ضمن محصلة العولمة التي يتم فيها إنتاج السلع حسب مواصفات ومقاييس السوق العالمية واستهلاكها ضمن نفس تلك المقاييس العالمية ، في حين الإستثمار في الصناعات من هذا النمط يستلزم حصول تطور أساس في الضموم الأصلي لعلم الإقتصاد أيضاً. وفي هذا الإطار العلمي الجديد ، سيتم تعريف الإدارة العلمية للإقتصاد العالمي كما ستواجه آلية توظيف أدوات التخطيط

والإدارة الاقتصادية والتي سيتم تناولها بإسهاب لاحقاً ، قضايا مستحدثة تحظى بحد ذاتها بغاية الأهمية.

على صعيد العلوم الطبية ، يتجسد هذا التطور في طريقة المعالجة السريرية ، أو غير الضرورية حيث يبحث المريض عن الطبيب عبر شبكة الأنترنت ويحصل على النسخة العلاجية والتعليمية الطبية كما لو كان قد حضر لدى الطبيب. وهكذا الحال بالنسبة لإنتاج وتقديم الخدمات الإستشارية الفنية والهندسية والحصول على استشارات تربية _ أخلاقية ، والتصاميم المختلفة لبنى ما و.. وآلاف الحالات المشابهة وبنسب مختلفة.

واضح جداً أن بروز مثل هذه الظاهرة التي يمكنها إزالة مساحة واسعة من الباني المشيدة باسم الجامعات والراكز العلمية وتنحية كم هائل من قوى اليد العاملة عن العمل سواء العمال الشاغلين في المجالات الخدمية أم الموظفين الإداريين والمدراء والأساتذة إذ لكل منهم دخل وعمل خاص ، هذا إلى جانب تقليص نفقات كثيرة مترتبة على صيانة وتأمين الإمكانيات وتحملها أرباب العمل. كل ذلك سيعتبر من الزاوية الاقتصادية تطوراً أساسياً في "نظرية الوكالة" التي ستزيل بمعيرة الحالات الأخرى التي سيتم الإشارة إليها تتابعاً ، النظريات الاقتصادية الشائعة تحت يافطة نظريات الإقتصاد القديمة التي ستنحصر أهميتها وقيمتها في كونها مواضيع للمطالعة سجلها تاريخ الروى الاقتصادية.

ج : المجال المالي

المتبع يعرف أن إنتاج واستهلاك المنتوجات التقنية الحديثة في العالم تستلزم بروز أسواق جديدة ربما يتحتم فيها التعامل بالعملة العالمية الوحيدة وزوال العملات الوطنية وانتشار الأسواق المالية العالمية مثل أسواق طوكيو ولندن ونيويورك و.. وإزالة الأسواق المحلية والوطنية وإيجاد أسواق مالية تحملها الأمواج الألكترونية ضمن شبكة عالمية. حتى النقد العالمي والسوق العالمية يستلزم كل منهما سياسات رقابة وادوات نقد عالمي ما سيؤدي حتماً إلى ضعف وزوال العملات الوطنية والسياسات الوطنية.

ولقد بات من المحتمل جداً في ظل هذه التطورات ظهور نقد رقمي Digi-csh وحسابات رقمية وحقائب رقمية في بنوك رقمية بحتة تستطيع تقديم هذه التقنية الرقمية ضمن

للمواصفات والمقاييس العالمية ، وبالتالي تهميش البنوك المحلية والوطنية ومن ثم القضاء على البنوك التي تمتلك فروعاً كثيرة مع مبان فخمة مع ما تمتلكه من كوارر ويد عاملة وياقي الإمكانيات.

إن النمو المطرد للبنوك الإنترنتية والتسديد الإلكتروني والنقود الألكترونية E-csh اليوم وفر الإمكانية جيداً إلى إحداث تغيير في جوهر وطبيعة هذه البنوك. لقد بات من الممكن دفع الأثمان عبر الأنظمة المتعلقة بخدمات التسديد في yahoo و American Express وعدد كبير آخر من المواقع الإنترنتية (Phillips, 2000, p. 13).

د : مجال السياسة والحكومة

كما ذكرنا آنفاً ، فإن الحدود الجغرافية والمساحات السياسية ووحدة الأراضي تهاوت أمام هذه التقنية بما امتلكنه من قدرة نفوذ كبيرة وطابع دولي وحجمت من أهميتها وقيمتها.. لا جدال أنه في مثل هذه الظروف التي تتحول فيها عوامل التأثير من المقياس الوطني إلى العالمي ، تشهد المفاهيم من قبيل السياسة والحكومة أي "الحاكمية" التغيير أيضاً فنتبدل الحقوق الوطنية إلى قوانين المواطنة العالمية ، وحينها سيكون العالم على أعتاب الدخول إلى نظام موحد سياسي واقتصادي ومالي وثقافي وأمني بالضرورة. بعبارة أخرى ، ستتحوّل قضايا الحياة الإجتماعية للناس بعد الآن إلى قضايا عالمية كبرى. وفي الحقيقة أن للتخطيط الخاص بهذه القضايا منهجية تتحرك على أعلى مقابيسها وهي العالمية.

هذه التقنية التي لا يمكن أن تكون ملكاً خاصاً والتي ستفرض هيمنتها مستقبلاً عبر تغلغلها وتسلسلها في الغالب من خلال صناعة الألكترونيات الدقيقة والتقنية الحديثة والإتصالات من أماكن بعيدة ، يعرفها علم السخية بشكل أساس بالصناعة التي أوجدها الإنسان اعتماداً على قوة العقل والدماغ مقارنة بالتقنية القديمة المعتمدة على قوة اليد العاملة والثروة. التقنية القديمة المستهلكة للجهد أو الثروة منحت مكانها لتقنية العقل المحض والمركز "Pure Mind Intensive Technology". نتاجات هذه التقنية إستمدت وبشكل كبير مقوماتها من العقل بدل أن تركز على الإستفادة من المصادر الطبيعية ، علماً أن نتاجاتها صغيرة من حيث الحجم وخفيفة لكنها باهظة الثمن من حيث السعر كما أن إنتاجيتها غزيرة. يتحمل عقل

ومعرفة المستشارين والمصممين والمتخصصين الفنيين الجزء الأكبر في محصلة توليد هذه النتائج. بعبارة أخرى ، صار هذا النمط من العلم المكنون في وجود الإنسان بديلاً عن الثروة الديناميكية (العدات والتجهيزات والبناء) ، ومن بين أبرز الفروقات وأهمها بين عاملي الإنتاج هذين هو إمكانية التفرد بالثروة الديناميكية والإستثمار فيها ودخولها في ملكية خاصة بينما ليس من الممكن الهيمنة على الثروة الإنسانية والإستثمارات فيها وامتلاكها شخصياً من قبل رب العمل.

يتسم الأشخاص الذين يتمتعون بمهارة عالية ومواهب جمّة في مجال الإتصالات من مكان بعيد بقابلية كبيرة على التحرك والتنقل شأنهم شأن رؤوس الأموال الطائلة ، وهذه الميزة تمكن اللوهوبين والمهريين من التوصل إلى الخيارات السهلة الوصول في أي بلد كان وحتى في وطنهم الأصلي وهذه محصلة متنامية تدريجياً ومع مرور الأيام (Tanzi, 2000, p. 15).

على خلاف المكاتن والعدات الخاصة بمؤسسة ما ، فإن الفنيين والمتخصصين فيها حينما يغادرون محل عملهم سيستطيعون بكل بساطة أن يعرضوا مهارتهم العقلية وعلومهم الفنية (حيث يعد عنصر المزية النسبية لوحده في محصلة الإنتاج الجديدة) لأرباب العمل بواسطة مجموعة من الأسلاك عبر الإتصالات الألكترونيكية في مقابل أجور أكبر.

وفي الأساس ، يجب القول بأن مراكز القوى العقلية الصغيرة في عصر الإتصالات الجديد يمكن لها عن طريق التنظيم المالي وصل أرباب العمل ببعضهم في أي نقطة من العالم حيث يمتلكون الإرادة والقدرة على الإشراف الإداري والهندسي وسيمكنهم عن هذا الطريق امتلاك وإدارة مؤسسات واسعة من قبيل الجامعات والمستشفيات ومراكز الإستشارة الفنية والمصارف والمؤسسات المالية العالمية والبريد والهاتف والإتصالات العالمية ووسائل الإعلام.

من هنا يتضح أن أهم عنصر في الإستثمار الخاص بتقنية المستقبل هو الإستثمار في مجال الطاقات الإنسانية. أي الظاهرة التي لا يمكن امتلاكها ، ومن الطبيعي أن المستثمرين لا يستثمرون في شيء لا يستطيعون امتلاكه. إن الإستثمار في مجال الأدمغة الذي يحتاج إلى آفاق استثمارية بعيدة الأمد ومدة ليست بالقصيرة كي يؤتي أكله ويكون مصحوباً بخطر انعدام الملكية ، لن يحظى بترحيب وقبول المستثمرين الأهلين. هذا الأمر يقضي بأن تحصل مثل هذه

الإستثمارات ضمن أداء اجتماعي وبعيد عن الإنفرادية ، بل وحكومي الأمر الذي يعد بحد ذاته انتهاكاً للمؤسسات الأساسية لنظام اقتصاد الإستثمار.

لقد جرت تحقيقات كثيرة وواضحة جداً في هذا الشأن بحيث أن الإستثمارات ونفقات الحكومات أيضاً تشهد نمواً مطرداً في هذه المجالات. على سبيل المثال ، لوحظ بين العامين ١٩٦٠ ولغاية ١٩٨٠ نمو ملحوظ في النفقات العامة في كافة الدول الصناعية. فقد سجل المؤشر زيادة بنسبة ١٥ بالمائة لثمانية عشر بلداً صناعياً أوروبياً مثلاً حيث ارتفع من ٢٨ بالمائة GDP إلى ٤٢ بالمائة GDP وهذا الرقم شكل في الغالب أسس النفقات المتعلقة بالإستثمار حول الكوادر الإنسانية (Tanzi, 2000, p. 8) ، كما أن القرانن تفيد أن الإستثمار حول التعليم والدراسات العليا من قبل القطاع العام أكثر بكثير من القطاع الخاص. النفقات الحكومية في هذا المجال عام ١٩٩٩ بين حول OECD فاق الـ ٤/٩ بالمائة GDP في حين أن المؤشر يقرأ أكثر من ذلك مقارنة مع استثمار القطاع الخاص في المؤسسات والمراكز التعليمية. ولم يكن ذلك ليحصل إلا في ظل مرونة القوى والعناصر التي تمتلك تخصصاً على مستوى عالٍ. (Anderson, 2001)

لو كان موضوع إقامة التوازن المعروف قديماً بين السلع الخاصة *private goods* والسلع العامة *public goods* قائماً اليوم لوجب في عصر تقنية الإتصالات والصناعات السيالة والسهولة النقل المعتمدة على قوة الدماغ أن يتم تفعيل هذا التوازن بين السلع العامة في المقياس الوطني *National* وبين السلع العامة في المقياس الإقليمي *Regional* والسلع العامة في المقياس العالمي *Global public good* .

إن السلع العامة العالمية هي سلع تستفيد من منافعتها كافة الدول ومجاميع السكان وحتى الأجيال ، ولا يمكن عزل بلد أو جيل عن مصالحها أو مضارها. وهنا لا بد من التأكيد على أن طريقة الإستثمار التقليدية للمنفردة القائمة على قابلية التملك الخاص ليست وحدها التي لم تؤت أكلها في هذا المضمار بل حتى الإستثمار الوطني في مثل هذه الصناعات لم تكن نتيجته بالنسبة المنشود ، لذا وانطلاقاً من افتقار هذه المنتوجات الصناعية لقابلية التملك الوطني ولا تنطبق عليها قاعدة الخصخصة فإنها تحولت إلى ظاهرة عالمية.

بهذا الشكل وإلى جانب التقدم التكنولوجي الواسع الذي تمخض عن ظهور صناعات تنتج سلعاً من المستوى العالمي ، تطوي القضايا العالمية العريضة مراحل النضوج بمرور الأيام. القضايا

العالية التي من الممكن تصنيفها ضمن الطيف العني داخل الجبل الواحد وفيما بين الأجيال والقضايا المتواصلة عبر الأجيال. القضايا التي يعد الإستثمار فيها بمثابة الإستثمار في السلع العامة التي يتسنى تصنيف كل من المجموعتين إلى قضايا إقليمية وأخرى عالمية. وعموماً فإن الكرة الأرضية والكوكب السيار ومن عليه من أبناء البشرية، تحولت من ناحية إلى قرية اوصلت أجزاءها ببعضها بمجموعة من أسلاك الإتصال تربط كافة عناصرها ومؤسساتها وأفرادها فيما بينها، ومن ناحية أخرى تنضوي على قضايا ترتبط بداخل الجبل الواحد وفيما بين الأجيال إقليمياً وعالمياً، وسنشير إلى جزء من تلك الحالات من التقسيمات الأربعة أعلاه.

ألف : القضايا الذاتية للجبل إقليمياً

- ١_ إطفاء حرائق الغابات.
- ٢_ تطهير تلوث المياه الجوفية ومعايير المياه والأنهار.
- ٣_ السيطرة على الأمراض الحيوانية كجئون البقر، والسارس، والحمى القلاعية وانفلونزا الدواجن.
- ٤_ السيطرة على السيول والظوفان.

ب : القضايا الذاتية للجبل عالمياً

- ١_ تطهير مياه المحيطات الملوثة.
- ٢_ الأنواء الجوية، وبت الأقمار الصناعية.
- ٣_ محطة السيطرة والرقابة الفضائية.
- ٤_ المحاكم العالمية.

ج : القضايا بين الأجيال إقليمياً

- ١_ المحافظة على الأراضي الرطوبة.
- ٢_ تطهير البحيرات والبحار، وترشيد عملية صيد الأسماك.
- ٣_ التخلص من المخلفات السمية والجرثومية وخفض الأمطار الحامضية.

٤_ خفض انتشار الرصاص ، وباقي عوامل تلوث البيئة.

د : القضايا بين الأجيال عالمياً

١_ المحافظة على طبقة الأوزون ، والمحافظة على قطب الجنوب.

٢_ الحؤول دون ارتفاع درجة حرارة الكرة الأرضية ونشر الغازات الناجمة عن الاحتباس الحراري.

٣_ إجتثاث جذور الأمراض.

٤_ إختراع العلوم والإستثمار فيها.

إن مجموعة القضايا هذه ليست إلا نزر يسير من قضايا حمة تعرف اليوم بالقضايا العالمية. وكما هو ملاحظ فإن الإستثمار في كل من هذه المجالات ليس أنه فقط لن يحظى بترحيب مستثمري القطاع الخاص بل ولن تملك الإستثمارات الوطنية التي تنجزها الحكومات الوطنية والمحلية المقومات اللازمة لنجاحها وذلك للميزات التي تمتاز بها السلع العامة Global public goods.

ربما كانت القضايا اعلاه تحمل أهمية كبرى لبعض الدول دون غيرها لكن مساحة التأثير لهذه القضايا ليست من الصغر بحيث يمكن لباقي الدول أن تقف موقف اللامبالاة أمامها أو أنها لا تحمل معها منافع أو مضار لهذه الدول.

إن التأمل بشأن كل من خصائص القضايا المذكورة ومساحة تأثير كل منها يفضي بالمرء إلى أن إجراءات الحكومات في كل من المجالات المشار إليها يمكن أن تفرز آثاراً سلبية أو إيجابية في المقاييس الوطنية والإقليمية والعالمية ، وبهذا الشكل يتضح أن أنواع التدابير والخطوات والسياسات المتخذة في مثل هذه القضايا والمواضيع يمكن أن تحمل آثاراً من نوع الترشح والتسرب إلى خارج البلد صاحب الخطوة ما يعنى أن الدول ستواجه أربع أنماط من الآثار هي عبارة عن :

١_ الآثار الإيجابية المترسحة إلى الداخل.

٢_ الآثار السلبية المترسحة إلى الداخل.

٣_ الآثار الإيجابية المترسحة إلى الخارج.

٤_ الآثار السلبية المترسحة إلى الخارج.

من أجل ذلك يجب الإقرار بأن ظاهرة ترشح وتسرب الآثار الإيجابية والسلبية إلى الداخل والخارج والمرتببة على أساس الخطوات التي تتخذها الدول ، تقضي اليوم بإيجاد نظام جديد من الرقابة الإدارية والهندسة الإجتماعية ضمن القواعد واللعبة الجديدة وتبلور نوع من التعاون العالمي Global cooperation . في الحقيقة يجب القول بأنه وعلى غرار ما تواجهه الدول من عجز في الميزانية Budget deficit بسبب الخلل الناجم عن عدم حصول تكافؤ في النفقات والدخل ، فهي تواجه اليوم في حل مثل هذه القضايا التي تحمل أبعادا ومقاييس عالمية مشكلة من نوع عجز في السياسة Policy deficit الأمر الذي يكشف أن الدول ليس أنها غير راغبة في حل مثل هذه القضايا لوحدها والإستثمار فيها بل لن يتسنى لها أن تفعل ذلك أساساً .

لذلك كان المنهج الإستراتيجي للدول في مقابل الكم الهائل من القضايا والمشاكل الجادة التي تعترض أصحاب المال الأهليين والحكومات الرأسمالية في مجال الإستثمار في الصناعات القائمة على قوة العقل والدماع القائمة على الثروة الإنسانية يحكم بان يتم إرساء دعائم جديدة من التعاون في المقياس العالمي بهدف الإستفادة من كافة المصادر على الكرة الأرضية في حل مشاكل المجتمع البشري. وهذا لن يتحقق أيضاً إلا بعد حصول تحول وتطور مذهش في الأيديولوجية. إن الأيديولوجية الليبرالية الفردية ستكون عاجزة جداً في تحقيق هذا الأمر. الأيديولوجية القائمة على الأسس العرقية الفردية تتناهى بشدة مع التكنولوجيا وقضايا العصر القائمة على السلع العامة.

المصادر

- 1_ Anderson , Fredrik , Globalization and Humm Capital Formation , Junduniv , Discussion paper paper no. 245, Jnury 2001.
- 2_ Drach, Daniel, Globalization : is There Anything to Fer ? CSGR working peer no. 23/29, Februry, 1999.
- 3_ Philips, J, Ronanie, Digital Technology and institutional change : The ampact of the Telegraph and the internet, Journal of Economic Issues, Jun, 2000.
- 4_ Tazni vito, Globalization and Future of socil protection, IMF, working paper wp/00/12, Jnury 2000.
- 5_ Fouquin, Michel, Regional and world-wide dimenations of Globalization, september 1993.
- 6_ Mazlish, Bruce, The breakdown of Connections and Modern Development.
- ٧_ بغزيان ، البرت ، العولمة ، الظاهرة الجديدة أم القديمة _ نمط إحصائي.

العولمات .. غربنة العالم وأسلمته

الإسلام المخبف والعصرنة المضممة

الدكتور سعفد رضا عاملى

أسناذ مساعء فى مموعة علم الاجتماع بكلفة العلوم الاجتماعية فى جامعة طهران

رغم أن العولمة تعد ظاهرة قديمة سواء كانت فكرة أم حقيقة اجتماعية، إلا أنها تعد بمفهومها المعاصر ظاهرة جديدة تماماً، وفي الحقيقة هي النطلق لتبلور مرحلة جديدة (البرو^(١)، ١٩٩٦) من تاريخ البشرية.

إن العولمة بمفهومها المعاصر هي ثمرة لظهور "صناعة الاتصالات العالمية"^(٢) (عنصرا a & ٢٠٠٢، ٢٠٠٢b). هذه الصناعة ولدت نوعاً جديداً من "الاتصالات المجازية"^(٣) الناتجة عن "الاتصالات الفورية أو المتزامنة"^(٤). لقد تضاعفت أهمية عاملي الزمان والمكان في أجواء الاتصالات الجديدة وأصبح القرب والبعد بلا أهمية في تحقق الاتصالات المحلية والعالمية. إن صناعة الاتصالات أوجدت عن طريق التلكس والهاتف والفاكس والاناعة والتلفزيون والسينما وبالتالي الانترنت، عالماً جديداً يوازي العالم الحقيقي وهو عالم لا حدود له ولا مكان^(٥). وبعبارة أدق هو عالم مجازي. (كيندي وكوهن^(٦)، ٢٠٠٠). إن هذا العالم الجديد صار بمعية العالم الحقيقي سبباً لـ "لتعددية العولمات"^(٧). (برغر وهانغينتون، ٢٠٠٢) وحصول تغييرات اجتماعية وسياسية وثقافية كبيرة (هيلد وزملاؤه^(٨)) إن العالم الذي لا حد له ولا حدود، ساق الأفكار باتجاه ما عبّر عنه غيندنز (١٩٩٩) بأننا اليوم نعيش جميعاً في "عالم واحد" أو أن العالم يميل حسب تعبير روبرتسون (١٩٩٢) باتجاه "عالم متلاحم وأجواء واحدة"^(٩).

المتبع يدرك بسهولة أن "عولمة الدين" تمثل أهم محاور تلك "الحلقات العالمية" المتبلورة والمستمرة في نموها (سيكل^(١٠)، ٢٠٠٠). فاككتساب الدين صفة وصيغة عالمية وضرورته المحور في قاعدة "الحداثة المتطرفة" يعد "محصلة معكوسة للعولمة"^(١١) (غيندنز ١٩٩٩)، والمتمثل بـ "العودة إلى السنن الدينية"، في مقابل يعد النهج السائد في العالم أي مسيرة علمنة العالم (تهميش الدين). وكما يبدو فإن الدين لا يزال يمثل أهم عامل لوحدة الغرب، حتى في القرن الحادي والعشرين. إن تبلور صيغة الاتحاد الأوروبي ومشاركة العالم الغربي لأميركا في حرب الخليج الفارسي الثانية وكذلك عدم قبول تركيا في الاتحاد الأوروبي عام ٢٠٠٢، والحرب في منطقة بونغسلافيا وحتى الشيشان تعود جذورها إلى عامل خفي لم يعلن عنه يسمى الدين الأوروبي أي للمسيحية وكذلك ارتباطه بالأيديولوجية المشتركة للنظام الرأسمالي الغربي. إن هذا الدين رغم تحوله إلى دين مدني وفقدانه كثيراً من أثاره الاجتماعية والسياسية لكن جزمي "النزعة

"النزعة الشمولية"^(١٧) و"معصبي" النزعة الحصرية"^(١٨) ما زالوا يسجلون حضورهم القوي والجاد ضمن دائرة النخبة السياسية والإقتصادية والإجتماعية. على العكس من ذلك، يلاحظ على صعيد النخبة ضمن الإطار العام أو الثقافة العامة نوع من التحرر من التعصب القومي والعنصرية وحتى الديني من جهة، ومن جهة أخرى نوع من الإهتمام بالقيم العامة والقطرية للمجتمع البشري حيث يجري إحيائها. وتلاحظ نماذج هذه القيم المتجسدة في طلب العدالة والنوازع الانسانية بوضوح في التجمعات والتظاهرات والاعتصامات المسيحية الكبيرة المحتجة على حرب الإبادة ضد الشعب الفلسطيني وكذلك الاحتجاج على العمل العسكري الأميركي ضد العراق. بينما تجلى هذا الشعور في العالم الإسلامي وبشكل واسع أيضاً في إدانة العمل الإرهابي ضد برج نيويورك ما يعكس انتشاراً لهذا الشعور العالمي والعام، كما أن تبلور الجامعات الإجتماعية المختلفة في الحفاظ على البيئة، وحماية الأطفال المتخلفين عقلياً، وحماية الفقراء والمساكين، ونبد الكحول، وحماية كيان العائلة .. تمثل بعداً آخر لتبلور القيم القطرية على صعيد العالم. على هذا الأساس وخلافاً لما ذهب إليه صاموئيل هانتيفتون، يرى كاتب المقال أن الوسط العام ليس هو ساحة الصراع والتحدي بين الحضارات بل يعتبر هذا التحدي مسيرة يتم التحكم فيها من قبل النخبة السياسية والإقتصادية والثقافية. هذا التحدي القائم على فكرة "النزعة الشمولية"^(١٩) المحورية وكذلك وجهة النظر الضيقة "النزعة الحصرية"^(٢٠)، قاد إلى تزايد المتضادات والتناقضات والتصادمات وبالتالي الحروب الكبيرة التي شهدتها مطلع القرن الحادي والعشرين.

حظيت العلاقة بين العولمة والدين باهتمام علماء الاجتماع ومفكري العلوم السياسية وكثير من المتحدثين (بير ١٩٩٠، ١٩٩٤، ١٩٩٨، ٢٠٠١، ترنر ١٩٩٥ _ روبرتسون ١٩٩١، ١٩٩٢، ١٩٩٤ _ عاملي ٢٠٠٠، ٢٠٠٢ _ فيلرستون ١٩٩٥). ويمكن مطالعة العلاقة بين العولمة وبين الدين بأساليب ومناهج متعددة، فعلاقة العولمة بالمعارف الإلهية، والعولمة وأثارها على الهوية الدينية، والتمسك بالدين، والطقوس والمناسك الدينية، والإيمان الديني تمثل أبعاداً مهمة في هذا الشأن يمكن تناولها بالبحث ومناقشتها. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ثمة مواضيع معقدة ورئيسة تتصل بالعلاقة بين العولمة والدين ويمكن دراستها أيضاً مثل علاقة العولمة والقيادة الدينية، والعولمة وهيمنة الدين وكذلك آثار العولمة على الأجيال الدينية.

إن من بين المواضيع التي يمكن دراستها بشأن العلاقة بين العولمة والدين، "العلاقة بين العولمة والإتجاهات السائدة في العالمين الغربي والشرقي" وهو ما سيهتم به المقال. على هذا الأساس سيتم البحث في العلاقة بين الغربنة والشرقنة أو العلاقة بين العالم الغربي والإسلام، سيما التطورات

الأخيرة التي أعقبت أحداث الحادي عشر من أيلول إن هذه الدراسة تنطلق من أسس "علم الإجتماع العالمي" (كوهين وكنيدي، ٢٠٠٠) لاستقراء الإتجاهات السائدة على العالم وعلاقتها بالدين، فمطالعة التغييرات الكبيرة التي شهدتها النصف الثاني من القرن العشرين تصبح في دائرة الإمكان من خلال زاوية علم الاجتماع العالمي، التغييرات الكبيرة كأنهيار الإتحاد السوفييتي وجدار برلين (غيدننز، ١٩٩٩) وبزوغ شمس الجمهورية الإسلامية في إيران ونمو الصحوة الإسلامية في مختلف أنحاء العالم (عاملي، ٢٠٠٠) وظهور للسيحية ذات النزعة العالمية مجددا (هانز، ٢٠٠٢) وتبلور النهضات والحركات الإجتماعية في إطار نظرية المساواة بين الجنسين وحماية البيئة وتأييد السلام ومعارضة الحرب، كلها نماذج واضحة لتغييرات أساسية حدثت في ظل العولمة ثم إن فكرة النزعة العالمية التي ظهرت كنموذج لتنمية ثقافية وسياسية واقتصادية، تمثل هي الأخرى مفهوماً يمكن دراسته بواسطة أسلوب علم الاجتماع العالمي، وفي الحقيقة سيكون لهذه الفكرة آثار مهمة في تجلي ونمو الجانب الفكري والعيني للغرب المضخم والشرق للمضخم .

١. غربنة وشرقنة العالم

إن الفرضية التي تشكل محور المقال هي أن "العولمة المطلقة"^(١١) بصفتها كمحصلة موحدة، تعد نظرة أسطورية وخيالية بحتة للعولمة فلا هي قائمة على شواهد عينية ولا هي خاضعة للمنطق فهائي "عولمات أشياء كثيرة"^(١٢) باتت تتبلور في أنحاء العالم (برغر وهانتينغتون^(١٣)، ٢٠٠٠) حيث تمثل عملية تغريب العالم وشرقنة العالم أهم محاور حلقات العولمة. يراد من الشرق هنا رمز العودة إلى السنن والمعنى والنزعة للمعنوية فيما الغرب هنا رمز للعصرية والحداثة ومحصلة تشديد النزعة المادية والإستهلاكية.

هيجل يؤكد على نقطة مفادها أن التاريخ العام انتقل من الشرق إلى الغرب.. هذه الرؤية تثير علامات السؤال حول أساس فكرة اعتبار القرن العشرين على أنه قرن "سيطرة الغرب على العالم". ويعمد دي سوزا سانتوس^(١٤) (٢٠٠١) إلى تحليل التاريخ المعاصر وتحليل رأي معارضي العولمة على أساس وجهة نظر هيجل. إنه يفصل بين عولمتين، عولمة الهيمنة والسلطة وعولمة تبحث عن تحديد مبادئ المساواة والتمييز. إنه ينظر للتمييز والتباينات على أنها أساس النزعة السلطوية والفقوية. ومن الزاوية الفلسفية والدراسات والتجارب العلمية للمجتمع البشري، هناك نوع من تيار الشرقنة يسير بموازاة تيار التغريب. بوتاماسكي^(١٥) (٢٠٠٢) يذهب إلى امتزاج الرؤى الفلسفية للغرب والشرق في مرحلة العولمة ويعتبر العصر الراهن "بداية النهاية للتسلط

الغربي^(١٢) وقاعدة لانطلاق الحوار الثقافي بين الشرق والغرب. إنه يدرس انعكاسات الفلسفة الغربية في الشرق وكذلك الرؤى الفلسفية الشرقية في الغرب، ويبحث نظريات علماء مثل فردريك نيتشه^(١٣) وجاكوبوس دريدا^(١٤) وجان غالتونك^(١٥) إلى جانب وجهات نظر بهسكار^(١٦). إن اهتمام المحققين لم يقتصر على مسألة وجود عولمة متوازية بل تعداه إلى وجود نزعات عالمية متباينة تختلف عن العولمة الغربية، بل ربما تشكل خطراً على أمن العولمة الغربية. أما رازموسن (٢٠٠٢) فيتناول بالبحث في مقال له يحمل عنوان "العولمة توازي الإغتيال، الأمن والعولمة في ١١ أيلول"^(١٧)، ثلاثة مفاهيم هي، العالمية والعولمة والنزعة العالمية التي بيّنها أريتش بيك. إنه يرى أن هذا الهجوم يكشف عن ظهور "عالمية" جديدة تمهد لاحتمال تدخل مجاميع من العالم الثالث في الشؤون الأمنية للغرب. وبحسب رازموسن فإن العلاقة بين الحادي عشر من أيلول وبين العولمة تميّط اللثام عن حقيقة أن الظروف الأمنية الجديدة هي عين ظروف "ما بعد الحرب الباردة"^(١٨)، أي الظروف التي سادت العالم في عقد التسعينات. في الحقيقة أن حادث الحادي عشر من أيلول خلق نوعاً جديداً من "وجود غير آمن" بفضح وفقاً لعيار عالمي عن بروز تهديدات ومخاطر جديدة بصفقتها قوة جادة معادية للغرب. وانطلاقاً من وجهة نظر رازموسن، فإن "النزعة العالمية" اتخذت في إطار ثلاثة ميول رئيسية ومهمة، أي "النزعة الخاصة" و"الإمبريالية" و"مذهب العالم الوطني"، بعنا أكثر جدية بعد حادث الحادي عشر من أيلول. نعم، من زاوية رازموسن، يعد الحادي عشر من أيلول عاملاً مهماً قاد إلى إماطة اللثام عن وجود رؤى غير آمنة ضد العالم الغربي. ورغم أن أبعاد وكيفية وقوع حادث الحادي عشر من أيلول لا يزال الغموض يكتنفها ومن هم المرتكبين لتلك الأحداث لكنه يبدو أن الأنظمة الأمنية الغربية حاولت فك لغز جوهر العالم الإسلامي من خلال حادث الحادي عشر من أيلول. مثل هذه الرؤى، يمكن أن تكون قاعدة تنطلق منها لمواجهة جادة بين الشرق والغرب. هنا من الضروري وقبل الخوض في العلاقة بين العولمة والدين، دراسة العلاقة بين العولمة والغرب كي نبحث تأثيرات العولمة سواء بصفقتها كمحصلة أم باعتبارها مسيرة لغربنة العالم.

٢_ العولمة والغرب: الحداثة المضخمة

لقد ظهر نمط العلاقة التي كانت قائمة في مرحلة الحداثة مع الغرب، نفسه تقريباً في مجال العلاقة بين العولمة مع الغرب، وفي الحقيقة يعتبر الغرب "مهد الحداثة والعولمة" وهذه العلاقة توفر للغرب آفاقاً واسعة جداً بحيث تمهد له فيه إمكانيات جملة للنمو والاتساع انطلاقاً من

الأسس المعرفية والفلسفية التي تركز إليها هذه العلاقة. وهنا لا بد من أن نشير على نحو الإجمال إلى مفهوم الحداثة ونبحث علاقتها مع العولمة.

تعد العصرية أو مرحلة التحديث، مرحلة تغير "الأفكار" و"القيم" التي لها صلة وثيقة بعصر الإنفتاح الأوروبي، وقد تم تعريفها بأنها مجموعة من المؤسسات والتقنيات والأفعال والسياسات الأوروبية التي قادت إلى تبني هيكلية اجتماعية واقتصادية وسياسية جديدة (راجع ترنر ١٩٩٠، وغيلنز ١٩٨٩، ١٩٩٠، ١٩٩١). أما متى كانت الإنطلاقة الزمنية للعصرية فهو أمر لم تلتق عنده الآراء، وحسبما يقول بومن^(١٧٨) (١٩٩١) فإن أصل مفاهيم العصرية يحاط بهالة من الغموض بمجرد الولوج في البحث التاريخي للعصرية. إن تاملينسون يستند إلى آراء فالرشتاين ويرى أن بداية هذا العصر كانت مع ظهور النظام الرأسمالي في مقابل الإقطاعية في القرن الخامس عشر، الأمر الذي يتنافى مع فكرة إعادة العصرية إلى مرحلة الإنفتاح والظهور المفاجئ للديمقراطية السياسية أو أحداث القرن السابع عشر مثل الحرب الداخلية في إنجلترا أو الثورة الفرنسية والأميركية في القرن الثامن عشر أو الثورة الصناعية التي انطلقت في القرن الثامن عشر واستمرت في القرن التاسع عشر (تاملينسون، ١٩٩٩).

على كل حال يجب القول بأن العصرية هي من تلك المفاهيم، كالثقافة مثلا، التي تفقد معناها فيما لو جرى تحديدها في إطار زمان ومكان خاصين. يبدو أن العصرية هي عملية تجريدية عامة انطلقت من حصول تحول في الأفكار والمؤسسات الاجتماعية ليقود إلى تبلور نظام جديد في حياة الإنسان، علما أن مكونات وأجزاء هذا النظام قد تبلورت وتكاملت عبر القرون بين السابع عشر إلى التاسع عشر، لكن أهم عناصر العصرية هو العلاقة التي أسست لسيرة التغيرات مع الدين. في الحقيقة أن هذه المرحلة هي المرحلة التي اتسعت فيها تدريجيا محصلة علمنة الدين، وبمنظرة أشمل وأوسع، ربما يمكن القول بأن كثيرا من وجهات النظر التي تناولت تحليل العصرية إعتبروا أن هذه المرحلة هي ثمرة تنميات متكاثرة. على سبيل المثال، يقرر بيرج^(١٧٩) وزملاؤه (٢٠٠٦: ٢٩) في فرضيتهم أن مرحلة الإنفتاح الأوروبي أساس العصرية، لكنه يعتبر أن تبلور هذه المرحلة بحد ذاتها هي حصيلة أربع صيغ تنموية:

- ١) الحلول النسبي للقيم الإنسانية كالحرية والمساواة والنزعة الفردية محل "دين الكنيسة"، وهذه الرؤية تؤكد بصيغة ما على محورية الإنسان في القضايا الاجتماعية.
- ٢) ظهور وتعزيز قوة النهضة العلمية والأساليب العلمية.
- ٣) الإيمان بالعقل والعقلانية والتأثيرات الدنية الثقافية والتقنية.

٤) بالتالي الإيمان بـ "التقدم". إن مجموعة الأفكار والقيم هي في الواقع أساس ظهور المؤسسات والصيغ المختلفة للأنظمة الديمقراطية والمؤسسات التعليمية والأحزاب والحركات السياسية والدولة_ الأمم في مختلف أنحاء العالم.

وفي معرض الإجابة على السؤال التالي، ما هي العلاقة بين مرحلة العصرية والعولمة؟ ينبغي أن نعلم بوجود وجهات نظر متباينة بهذا الشأن. فغيدنز (١٩٩٠) يعتبر في كتاب إفرزات العصرية^(٢٠) العولمة من "انعكاسات العصرية"، أو بعبارة أخرى يعتبر العولمة "امتداداً ونمواً للعصرية". ويربط العولمة بنظريته الإجتماعية حول "تقارب العلاقات الإجتماعية على الصعيد العالمي" (غيدنز، ١٩٩٠: ٦٣). وهذا في الحقيقة نفس المفهوم الذي أطلق عليه تاملينسون (١٩٩٩) فيما بعد مصطلح "الإرتباط الثقافي". وفي الواقع يربط غيدنز (٥٥_ ٧٨: ١٩٩٠) الركائز الأربعة للعصرية والتمثلة بالنظام الرأسمالي والنزعة الصناعية والرقابة والإشراف (خاصة الرقابة السياسية للدولة_ الأمة) والقوة العسكرية بأربعة مفاهيم أخرى متجانسة تشكل أبعاد العولمة وهي: إقتصاد الرأسمالية العالمية، والتقسيم الدولي للعمل، ونظام الدولة_ الأمة) بالإضافة إلى النظام العسكري العالمي حيث توضح هذه الرؤية فكرة غيدنز بشأن "العصرية المضخمة"^(٢١) أو "العولمة العصرية" (غيدنز، ٢٠٠١: ٣٤٥). ينظر لهذه المكونات الأربعة وبشكل سطحي جداً على أنها الأبعاد الأربعة للعصرية والتي شهدت انتشاراً واتساعاً كبيرين. إنه ذات التفسير الذي يحمله رونالد روبرتسون (١٩٩٢: ١٤٢) لزاء العولمة حيث يعتبرها أنها عصرية مضخمة قادت إلى اتساع نطاق المجتمع القيد في الماضي ليغطي العالم كله، وبهذا التفسير يتخذ المجتمع إطاراً ومؤهلات عالية.

أما كاستلز (١٩٩٧) فيرى أن نقطة التباين بين مرحلة العصرية ومرحلة العولمة هي التطور التقني. إن كاستلز يؤكد في كتابه القيم "المجتمع المترابط" على أن التطورات الناجمة عن الثورة الصناعية التي قادت إلى مرحلة العصرية تختلف عن طبيعة الثورة المعلوماتية والاتصالية التي قادت إلى مرحلة العولمة.

إن الثورة الصناعية بدأت تزحف وببطء شديد بعد قرنين من ولادتها في سواحل أوروبا الغربية إلى باقي مناطق العالم، علماً أن هذا الانتشار اتخذ في كثير من أنحاء العالم صبغة استعمارية وسلطوية. وعلى عكس الثورة الصناعية، إتسع نطاق تقنية الاتصالات كالرق الخاطف وفي أقل من عقدين_ في الفترة بين منتصف عقد السبعينات حتى منتصف عقد التسعينات_ لتغطي أرجاء المعمورة. والظاهر أن طبيعة إيصال المعلومات والتأثير على السامع في المجتمع تمثل شبكة جديدة تختلف عن طبيعة التأثير في مرحلة تنمية الثورة الصناعية

والنظام السياسي والإجتماعي الغربي المتحضر . على هذا الأساس، فإن التباين الرئيس حسب وجهة نظر كاستلز بين مرحلة العصرية ومرحلة العولمة هو السرعة في التأثير العالمي والصيغة الإستعمارية لبسط الدول الغربية هيمنتها في العالم. إنه يرى أن محصلة العولمة ستقود إلى ولادة محصلة المعالجة الذاتية.

إن المحصلة تقود بحد ذاتها وبسبب سايكولوجيتها إلى التلغي والقبول. يقول كاستلز (١٩٩٧) بأن مؤسسة "سانتافه" التي كانت نادي كبار الفيزيائيين الذين كان هدفهم تعريف الأفكار العلمية ومن بينها العلوم الإجتماعية ضمن معادلة جديدة، إهتمت بجدية بإيجاد "هيكليات المعالجة الذاتية" بصفقتها روح الأفعال الإجتماعية الجديدة في الرد على المسار الجديد. إن هيكليات المعالجة الذاتية تولد نظاماً تتوالى فيه الخطوات للتوقعة الواحدة تلو الأخرى. لهذا السبب اعتبروا أن العولمة تعد قوة مطواعة في أحد أبعاد (عاملي، ٢٠٠٢)، وأول قضية توضحها العولمة بصفقتها محصلة غربنة العالم أو امركته على النحو الخاص هي كنهه العلاقة بين هذا المسار مع الأديان الكبيرة في العالم كالإسلام وأتباعه أي للمسلمين.

٢_١: النزعة الأميركية العصرية^(٣٢) والشمولية^(٣٣)؛ بيان صورة مخيفة عن الإسلام والمسلمين

تعبر النزعة الأميركية رؤية تذهب إلى تفوق أميركا على العالم كله من الناحية الثقافية والحضارية والقوة الإقتصادية والسياسية. إن النظرة العالمية للعصرية والشمولية القائمة على النزعة الأميركية المتجذرة في الرؤية الإستثنائية^(٣٤)، إنما تنطلق من مفهوم المحورية المفردة والأفضلية في أبعاد العرقية والإقتصاد والقوة والتاريخ والحضارة الأميركية وكذلك الإستخفاف بثقافات وحضارات باقي أمم العالم. تبلورت رؤية النزعة الإستثنائية أولاً في الأدبيات السياسية والثقافية الأميركية ومن ثم في النظرة المحورية الأوروبية. إن دراسة فكرة النزعة الإستثنائية تحتاج إلى مطالعة مستقلة إذ لا يمكن الخوض في تبين نظريتها ومفاهيمها في هذا المقال لكنه يجب الإلتفات إلى أنه وبالرغم من أن النزعة الإستثنائية الأميركية لها جذور عميقة إلا أن العولمة تجعل هذه الفكرة تواجه في أحد الأبعاد فرصاً (أبو رابي^(٣٥)، ١٩٩٨: ٣٧) وتحديات جادة. إن العولمة تعد فرصة لنمو أميركا وذلك من حيث أنها أرضية لازدهار حال الشركات المتعددة الجنسيات وفرض السياسات الأميركية على الأنظمة النقدية والمالية وقوانين الحقوق العالمية وكذلك تنمية النظام السياسي الليبرالي الديمقراطي. ومن جهة أخرى توجد تحديات جادة لأميركا وذلك إن ارتفاع مستوى الوعي العام في العالم ينمي ويشكل مطرد مسيرة العولمة المعكوسة والإتجاهات الراضة لأمركة العالم.

إن تمييز وتفوق أميركا حسب وجهة نظر لرنر^(٣١) (١٩٦٤، ٤٠٥) ناجم عن أن الحضارة الأميركية بنزعتها الفوقية تركز على قيمة "التغيير" و"التحديث" و"النزعة التجديدية" و"الإهتمام بجيل الشباب". من الناحية المقابلة تنظر الحضارة الأميركية إلى "الماضي" و"التقاليد" وكل ما هو قديم بنظرة يشوبها الذم والرفض. وفي ظل هذه النظرة، تدخل الأديان الإلهية التي انتهجت منذ قرون بعيدة قوانين أصيلة والأجواء الدينية الناجمة عن اتساع الأفاق الدينية الفردية وللؤسسية والمنظماتية والمدنية والإجتماعية، في تحد مع الحضارة الأميركية.

أما العالم الإجتماعي الأميركي المعروف مارغاريد ميد^(٣٢) (١٩٦٥، ٣٧٢)، فيرى أن تجاهل الحضارات السابقة والتصدي لكل استقرار واستمرار للتراث الثقافي الماضي يعد جزءاً من الفلسفة الأميركية. ويؤكد ميد على عظمة ورفعة الحضارة الأميركية ويقول بأن هذه الحضارة تعود لأصحاب حضارات متنوعة دخلوا أرضاً جديدة لينسوا حضاراتهم القديمة ويؤسسوا لحضارة حديثة ومتحضرة. حضارة تقوم على الإنتاج والكثرة بدل التقتير في العيش خوفاً من شحة وفقدان المصادر. ميد يقول بأنه يمكن لكافة شعوب العالم التغيير كما تغير الشعب الأميركي وبنوا حياتهم على محاور اللويزة ونمط التحضر الجديد. إن وجهة نظر ميد وكل المسارات المؤدية إلى امركة العالم تحمل نظرة "النزعة الشمولية" واكتساب الأنصار عالمياً. في الجانب الآخر تهتم النزعة الأميركية بجندية بحصر وحسر معارضيتها، علماً أن النزعة الحصرية قوة صعبة وغير مرنة تقود إلى إشعال فتيل حروب كبيرة.

الكاتب الألماني هانز جوز^(٣٣) (٢٠٠٢) يقول في كتابه الجديد الذي يحمل عنوان "الحرب والعصرية.. قراءة تاريخية للعنف في القرن العشرين"، في الوقت الذي كان يتوقع أن تكون العصرية سبب ظهور منهجية ذات طابع سلمي فإن العالم شهد في القرن العشرين نمواً واتساعاً لرقعة الحرب وبرزت حرب صناعية ووقوع حروب عالمية كبرى. وكما يفصح عنه تاريخ الحروب العالمية فإن قسماً كبيراً من "الحروب الكبيرة"^(٣٤) إنما كانت في الغرب أو أن الغرب هو الذي عمد إلى إشعال فتيلها أو تأجيجها (غيدنز، ١٩٨٩). إن مقتل حوالي مائة مليون إنسان في القرن العشرين بسبب الحرب وأكثرهم راحوا ضحية الحربين العالميتين الأولى والثانية يعكس جانباً من أضرار الحرب واثارها المدمرة. أما النظرة التي ترى أن الحرب هي سبب بناء الحكومة (تيلي^(٣٥)، ١٩٨٩) فتحمل أيديولوجية لا تعترف بأي من أنواع الحواجز والعقبات للحصول على السلطة. حتى أهم منظمة دولية، أي منظمة الأمم المتحدة التي انبثقت على خلفية الهزائم والخسائر والأزمات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، قد جرى تجاهلها في الحرب الأميركية

البريطانية على العراق وبالطبع فإن تجاهل القرارات والمعاهدات الدولية من قبل الدول الكبرى ليس بالظاهرة الجديدة، وقد وضع ذلك نهاية لأهميتها واتساع نفوذها.

الحصريّة الأميركيّة تجلت كـ "قوة صلبة" في الحروب واستخدام أسلحة الدمار الشامل فيما ظهرت النزعة الشمولية الأميركيّة كـ "قوة مرنة" في إطار علمنة الأحياء الدينيّة وإضعاف القوة الدينيّة بصفتها "قوة اجتماعية" يمكن أن تكون منطلقاً لصور المقاومة الدينيّة. وبعبارة أخرى، فإن النزعة الشمولية الأميركيّة تقوم على نوع من كسب عناصر ثقافية تستمد مفوماته من مفهوم "مركبة"^(٤١) العالم. والظاهر أن القوة المرنة والقوة الصلبة الأميركيّتين تمثلان أيديولوجية واحدة تهتم بالمصالح الأميركيّة في المجال الاقتصادي وفي نفس الوقت في المجالين السياسي والثقافي. وتعمل تقنية الاتصالات العالمة في هذا الإطار كعامل تسهيل وتشديد لهذا المسار. يجب الإلتفات إلى أن المسار الديني يعد خطراً على أميركا فيما لو امتلك القوة الفرديّة والمؤسّساتية والنظاميّة والمدنيّة والإجتماعية (عاملي، ٢٠٠٣). وبهذه الطريقة جاء التعريف النسبي لـ "محور الشر" للدول العنيفة. إن الصبغة القبليّة^(٤٢) للقوة الأميركيّة قاد بنوع ما إلى طرد وكسب الأعضاء على الصعيد العالمي وفقاً للقيم الأميركيّة.

من جهة أخرى، تم دراسة النزعة المحورية الأوروبية بصفتها رؤية استثنائية مقارنة بالثقافة والحضارة البشرية ويكونها خطراً ومساراً للمحورية الذاتية.. رغم أن المحورية الأوروبية تحمل طابعاً معتدلاً لكن بعد السايكولوجية الإجتماعية على الأخص تعرضت لنقد وتحليل واسعين (أمين^(٤٣)، ١٩٨٩، لوي^(٤٤)، ١٩٩٥، سعيد^(٤٥)، ١٩٩٧، ستام^(٤٦)، ١٩٩٧، دوسل^(٤٧)، ١٩٩٨، مزروعى^(٤٨)، ١٩٩٨، هول^(٤٩)، ٢٠٠١، عاملي^(٥٠)، ١٩٩٧، ٢٠٠٢). كان للمحورية الأوروبية دور مفصلي في تبلور المعارف الحدائوية ونمو افكار المحورية الأوروبية الحديثة، على أن هذه المنهجية قادت إلى كتابة تاريخ أحادي المحور للعالم سواء على الصعيد الحضاري أم الجانب الثقافي والعلاقات الإنسانية أو البعدين السياسي والدولي.

إنها النظرة التي تقوم العالم على أساس الضوابط والمعايير الحدائوية وتقسمه على عالم متخلف وآخر متطور وعلى طريق التطور أو المجتمع التقليدي والمدني. وفي مقال يحمل عنوان "إعترافات النزعة الأوروبية"، يكتب هول بأن "ماكس وبر" أبرز علماء الاجتماع يتحدث عن تفوق الغرب. لكن الحقيقة هي أنه لم تكن أوروبا قبل الثورة الصناعية وفي كثير من الأبعاد لتختلف مع مناطق كثيرة من العالم وخاصة آسيا، وأن التباين الراهن ليس بتباين ذاتي وعرقي بل هو تباين ناجم عن التجارب العلمية الجديدة، لكن آثار المنهجية المحورية لأوروبا في الميادين المختلفة تلحظ في النظام الفكري الأوروبي. لقد تناول ماكلتن^(٥١) في دراسته حول علم

الاجتماع لأوروبا المحور، بالبحث أحادية السايكولوجية الإجتماعية مع أداء ومنهجية النزعة الأوروبية (الأوربنة). لقد قام بمناقشة وجهة النظر التي حافظت فيها الدوائر التقليدية للعلوم كعلم الاجتماع على مفهوم المحورية الأوروبية. وحسب رؤية ما فوق النزعة الإستعمارية والنزعة البنيوية لعلم الاجتماع وكثير من مجالات العلم لا تزال تعتقد بأن المنهجيات الأحادية والذاتية العرض ناجمة عن المحورية الأوروبية.

ومع أن أوروبا اليوم قد خبا بريقها في ظل النزعة الاستثنائية الأميركية، وفي الحقيقة يمثل الإتحاد الأوروبي أحد المسارات الإقليمية للتصدي بقوة للنزعة الاستثنائية الأميركية، إلا أنه لا يزال يلاحظ جنباً فكرياً النزعة الفوقية لأوروبا في الأنظمة الفكرية والسياسية والاقتصادية. من ذلك يتضح أن أوروبا وأميركا تسيران في خط مشترك على صعيد وجهات النظر المادية وتهميش الدين في نظام إدارة المجتمع والإتجاهين الثقافي والسياسي. ويمكن القول بأن نشر المنهجية الأوروبية تعد بنوع ما تحدياً للأجواء العامة والدينية المحلية. ومن نافلة القول أن إضعاف الدين وخاصة الدين الإسلامي بصفته دين المجتمعات النافسة، يعد استراتيجية للعالم الغربي وخاصة أميركا. على أن عملية تضعيف الدين تتم بواسطة "صينغ عينية" و"صينغ فكرية"، حيث يعتمد الأسلوب الأول على إيجاد أنظمة سياسية واجتماعية تعمل على تحجيم موقع ومكانة الدين في دائرة القوى السياسية والاجتماعية، ويحصل هذا الأمر عبر تنمية ودعم مسيرة العولمة وفرض أنظمة سياسية علمانية ليبرالية ديمقراطية على المجتمعات الإسلامية. أما إضعاف الدين عن طريق الصينغ الفكرية فيتمثل في العمل على تغيير نظرة أتباع الأديان والمجتمعات المتمسكة بها إزاء الدين والمؤسسات الدينية. علماً أنه ليس بالضرورة أن يكون تغيير المسار الفكري ذا طبيعة معرفية وسايكولوجية بل إن التغييرات الفكرية تحصل بأساليب النظام الرأسمالي عن طريق جعل الحياة سلعة (ترنر، ١٩٩٤).

ولعل إعطاء صورة مخيفة ومهولة عن الإسلام والمسلمين هي أحد النماذج المهمة والمتبعة لنزعة منزلة الدين في الأذهان وكذلك أحد نماذج النزعة الحصرية. لقد عمدت وسائل الإعلام الغربية إلى استخدام مصطلح "الإسلام الإرهابي أو المرعب"^(٥٧) انطلاقاً من الرؤية الحصرية ويهدف عرض صورة خاوية وذليلة وضعيفة عن الإسلام والمسلمين. وفي معرض تفسيرها للمصدايق المخيفة عن الإسلام والمسلمين، قامت باستخدام مفردات من قبل الإرهاب وانتهاك حقوق الإنسان والتهديد والعنف واستضعاف المرأة أو التخلف والبربرية كلما تطرقوا أو ذكروا مفردتي الإسلام والمسلمين في مقدمة الأخبار والأفلام الوثائقية والروايات لوسائل الإعلام.

إن موضوع الصورة الخيفة للإسلام خضع للدراسة المكثفة من قبل المحققين (عاملي، ١٩٩٧، وهاليندي^(٥٧)، ١٩٩٩، ميرالي وشجره^(٥٨)، ٢٠٠٢)، وقد تم أعداد تقارير مدعومة بوثائق أكيدة بهذا الشأن وذلك من قبل جهات كثيرة في مقدمتها "المؤسسة الإسلامية لحقوق الإنسان"^(٥٩). فمثلاً، ذهبوا وكالعادة ضمن أسلوب تقليدي إلى القول بأن المسلمين يتصفون بروح متحجرة وخشنة وهم دعاة للحرب وغير عقلانيين (ورنير، ٢٠٠٢) وضد حقوق الإنسان أملاً في زرع الخوف في نفوس الناس إزاء الإسلام والمسلمين.

انعكاس هذه الصورة عن الإسلام والمسلمين لم يقتصر على وسائل الإعلام بل مارسته حتى الحكومات الغربية (ككور^(٥٦)، ٢٠٠٢) وقد أدى ذلك بالمجموع إلى حرمان المسلمين من حق المواطنة (إسكينر^(٥٧)، ٢٠٠٢، وورينر^(٥٨)، ٢٠٠٢) في الدول الغربية وترسيخ روح المواجهة مع المسلمين في الرأي العام الغربي. وبلغ التصعيد في رسم هذه الصورة الخيفة عن المسلمين خلال العقدین الأخيرین حداً أثار عطف الآخرين ودفع بمجموعة من اليهود وبالتعاون مع الحكومة البريطانية إلى إيجاد مؤسسة "راني ميد تروست"^(٧) تقوم في ظاهر الأمر بدعم المسلمين ومتابعة حالات التمييز الإجتماعية والصور الخاطئة المثارة عن المسلمين، قانونياً (تقرير مؤسسة راني ميد تروست، ١٩٩٧).

واستناداً للتحقيقات الكثيرة التي أجريت، فإن أحد أهم عوامل شحن الرأي العام في أمريكا وأوروبا ضد المسلمين هو الدور الذي مارسته أبنواق الدعاية والإعلام الغربية التي أوحى دوماً بأن المسلمين هم السبب في انعدام النظام وشيوع العنف والإرهاب وهم يتسمون بتعاط متزمت مع الأمور، وشجعت الناس بشكل وبآخر على الحرب ضد المسلمين (بادي^(٥٩)، ٢٠٠١، ريتي وتني^(٦٠)، ٢٠٠١).

في الحقيقة أن حادث الحادي عشر من أيلول كان بمنابة "مفتاح اللغز" لكافة المفاهيم للصطنعة ضد المسلمين ونوع من تداعي المفاهيم وتبديل الشك إلى يقين في الرأي العام الغربي مفاده هو أن المسلمين هم بحق مظهر للعنف والشر. صورة العنف الرسومة عن المسلمين سوغت شن الحرب ضدهم من جهة، ومن جهة أخرى أوجدت من الناحية الثقافية نوعاً من الحدود القيمية بين عالم الإسلام وعالم المسيحية. ومن جهة ثالثة، مارس رسم الصورة الخيفة عن الإسلام دوراً في أمرين على الصعيد العملي، الأول هو الحؤول دون اتساع رقعة اعتناق الإسلام الحنيف في الغرب، والثاني انهيار المسلمين من الداخل. وفي الواقع أن هذا النوع من الدعايات والإعلام يعد نمطاً من الحرب النفسية ضد المسلمين.

٢_٢: العولمة، الغرب والمسيرة المضادة

يمكن من خلال هذه الزاوية، دراسة العولمة كأداة حديثة وفي نفس الوقت كبرنامج جديد لستراتيجية تقود إلى بروز أجواء جديدة كما ينظر لتأثيرات العولمة بالصفين السابقتين على أنها "محصلة المعالجة الذاتية"^(١١). وأيضاً "عملية إبرازية مدارية"^(١٢) ومن الأبعاد الأخرى المنظورة في المقال، تنامي محصلة الغربية وكذلك التخوف من الإسلام بصفتها محصلتان تسيران في خطين موازيين للعولمة وقد تسببتا في مضاعفة الضغوط الثقافية الغربية على الشرق واتساع الفجوة أكثر بين الغرب والشرق باعتبارهما نتيجة لوجهة نظر النخبة الغربية لـ "النزعة الشمولية" و"النزعة الإنحصارية".

وبتحليل المسيرة منذ عقد الستينات وحتى الآن، يمكن القول بأنه إذا كانت الأجهزة وتقنية الاتصالات هي أصل تطور ونمو القيم العصرية الغربية من جهة، فإن بزوغ شمس الثورة الإسلامية في إيران في الجهة المقابلة خلال العقد الأخيرين من الألفية الثانية كان عاملاً لنمو وانتشار القيم الإسلامية على صعيد العالم حسب النظرة الإنصرافية أو الإقليمية^(١٣)، فيما صارت حسب النظرة الخلاصية^(١٤) (روبرتسون ١٩٩٢) عاملاً لنشر الدين في العالم. تعد هذه المسيرة سواء كان من الزاوية الإنصرافية أم من الزاوية الخلاصية "محصلة معكوسة"^(١٥) للعولمة الغربية.

غير أنه وحسب فريق خاص من النخبة السياسية الغربية فإن تطور واتساع النزعة الدينية غير أنه وحسب فريق خاص من النخبة السياسية الغربية فإن تطور واتساع النزعة الدينية يقود إلى بروز تحد جاد بين الحضارات والأديان الشرقية والحضارة الغربية (العصرية). في الحقيقة أن العصرية اهتمت في أفكارها ورؤاها المعرفية بالعلمانية كمبدأ افتراضي فيما النزعة الدينية تعد نوعاً من محصلة لـ "إبعاد العلمنة"^(١٦) عن المجتمع، لكننا نرى أن هذا التحدي تم تهويله ويمتلك فقط بعداً ظاهرياً وقد تركت أبعاده الباطنية جانباً دون أن يتم الحديث عنها.

إذ لم يكن التباين بين الرسالتين الإسلامية والسيحية هو السبب في الإصطدام بين الغرب والشرق فكلا الدينين يرجعان إلى أصل واحد والسيح والصادق محمد (عليهما السلام) كلاهما رسولاً لله تعالى ولا فرق في ذات ووجود أنبياء الله تعالى. التباين الرئيس يتعلق بمقتضيات الزمان لا أكثر. أساس الإصطدام وحتى الحرب في العالم هو حب السلطة والظلم. لهذا السبب لم تختص المعارضة للعولمة كهيمنة أميركية بأعضاء ومنتسبي الحضارة الإسلامية، وهذه المعارضة تشهد نمواً مطرداً مع مرور الأيام وهي في أوروبا أشد منها في الأماكن الأخرى. نعم، يمكن القول بأن: "ثقافة السلطة تخلق صراعاً حضارياً ذاتياً وآخر بين الحضارات".

إن معارضة العولمة الأميركية المحور قد تحولت إلى مسيرة عامة على المستوى العالمي، وهذه الحركة "التصدي للعولمة" التي تعتقد بأن العولمة منهج تسييره إدارة ذات طابع سلطوي، تشهد انتشاراً واتساعاً كبيراً، وتناول كرين وكريفت^(١٧) (٢٠٠٢) في مقال تحت عنوان "العولمة الإستياء الناجم عنها في الشؤون الدولية"، بالبحث معرفة أشكال الحركات المعارضة للعولمة سيما بعد الحادي عشر من أيلول. وبحسب هذين الإثنين فإن حادث الحادي عشر وإفرازاته ضاعف وشدد من مسيرة المعارضة لعولمة النظام الرأسمالي عموماً والتسلط الأميركي على نحو الخصوص.

لقد ناقش كرين وكريفت هذا الأمر بكل بساطة في ثلاثة مستويات، الأول يتعلق بأصحاب "الرؤية الحكومية" الذين يعملون على تعزيز موقع الحكومة في نظام الحكومة_ الأمة مرة أخرى. الثاني تعريف من يتحدث عن جماهيرية الناس وفكرة هؤلاء هو نوع من انعكاس لنمط تنمية "الصغير جميل" وهم يفضلون أن لا يصبح عالمياً كي يبقى جميلاً، وحسب وجهة نظر هذه المجموعة فإن الكبر أساس الفساد وعدم المساواة ولذا يفضلون النماذج والحالات المحلية على التنمية العالمية.

المستوى الثالث فيختص بالإصلاحيين الراغبين بتحسين الوضع القائم للمؤسسات وإعادة النظر في حالات عدم المساواة الإجتماعية وعدم تلبية الشركات المتعددة الجنسيات وقضية تعديل السياسات الإقتصادية على أساس الظروف الوطنية. ويمكن عند المجموعتين الأولى والثانية من بين الراقضين للعولمة فيما يمكن اعتبار المجموعة الثالثة أنها إصلاحية تؤمن بإعادة البناء والترميم.

بعد الحادي عشر من أيلول، لو عاد الوضع إلى الوضع الأمني السائد أيام الحرب الباردة، فسيرز للسطح نوع من الحصر الإقتصادي والإجتماعي للقوى التابعة يصحبه تفاقم غياب العدالة، هذا فضلاً عن السياسات التي ظهرت بعد التاريخ المذكور إتسمت بالميزات الإستعمارية التي عرفت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، لذا تلاحظ فيها أساليب سلطوية مشحونة بالظلم. مثل هذه السلطة صارت سبباً في إيجاد ونمو مشاعر الاصطدام بين العالم الإسلامي والغرب بل وحتى "تشديد حالة المواجهة بين الغرب والغرب".

من هنا كان من المناسب بحث أبعاد الحادي عشر من أيلول كظاهرة فاقمت بين التناقضات الذاتية داخل الحضارة من جهة وبين حضارتي الغرب والعالم الإسلامي.

٢_٣: علاقة الغرب بالعالم الإسلامي بعد ١١ أيلول

مع أن المسلمين في مختلف مناطق أوروبا وأميركا تعرضوا، رغم سياسة التعددية الثقافية المعلنة هناك، لضغوط كبيرة خلال السنوات الماضية وخاصة العقدين الأخيرين وواجهوا أساليب مختلفة من القيود كما في قضية حجاب المرأة المسلمة وتجنب منح المسلمين المشاغل المهمة على الأصعدة الاجتماعية والإقتصادية أو عدم منحهم الحق في إنشاء مدرسة مستقلة بهم أو غياب مشاركة المسلمين في الميادين السياسية، إلا أن حادث الحادي عشر من أيلول أسهم في تعقيد الأمور والظروف أكثر فأكثر وخلق في كثير من الحالات أزمة للمسلمين القاطنين في الغرب ورؤية الغربيين لهم. وحتى قبل الحادث المذكور، رغم أن ٩٠ بالمائة من المدارس الفرنسية مثلاً تعود للكاثوليكين إلا أنه لم تكن هناك ولا مدرسة حكومية واحدة خاصة بالمسلمين. إن في فرنسا عدد كبير من المسلمين الذين هاجروا إليها من المغرب والجزائر وتونس وتركيا ويوغسلافيا وإيران والعراق ورغم أنهم يعتبرون مواطنين وفقاً للقانون الفرنسي لكنهم لا يزالون محرومين من كثير من حقوق المواطنة (ليمتش^(١٨)، ٢٠٠٠).

بعد مائة الحادي عشر من أيلول، تغيرت علاقة الغرب والعالم الإسلامي.. وقد خضعت هذه المسيرة إلى تحليلات متباينة (ملون، ٢٠٠١، لي^(١٩)، ٢٠٠٢، نوريس^(٢٠)، ٢٠٠٢، فاكس^(٢١)، ٢٠٠١). لقد قام فريق بدراسة الحادث المذكور من زاوية تغيير المخطط الهندسي للعلاقات الدولية (اتزبوني، ٢٠٠٢). فريق آخر اعتبر الحادي عشر من أيلول رمز الأزمة في الديمقراطية وسياسات وخطوات بوش بداية اتحدار من الناحية السياسية (كلنر^(٢٢)، ٢٠٠٢)، وفريق ثالث فسّر الحادث بأنه نهاية التعاون الدولي والمعاهدات الدولية.

خضعت العلاقة بين الغرب والشرق الأوسط والعالم الإسلامي بشكل عام على أساس نظرية صراع الحضارات لهانتينغتون بعد الحادي عشر من أيلول لتحليلات متضادة ومتناقضة.. فاكس (٢٠٠١) عمد إلى نقد النظرية العامة لتصارح حضارات هانتينغتون وقبل رأيه بشأن التضاد الأساسي والجذري بين الغرب وعالم الإسلام. ملون^(٢٣) (٢٠٠١) أكد في معرض نقده لنظرية تصارع الحضارات لهانتينغتون على أن الأخير أسهب إلى حد المغالاة في موضوع التصارع بين الحضارات وخاصة بين الغرب والإسلام. إنه يرى بأن خطأ هانتينغتون يكمن في النظرة من طرف واحد لكل العالم الإسلامي دون التمييز بين الثقافة العامة للدول الإسلامية وبين التيارات الخاصة. وبحسب ملون فإن ما يطلق عليه اليوم بالأصولية الإسلامية لا يمثل بالضرورة العالم الإسلامي، وعلى فرض جدية مثل هذه الظاهرة وخطرها بالنسبة للغرب فهي ترتبط

بمجموعة صغيرة من مسلمي العالم، علماً أن المجموعات الصغيرة والأشخاص الخطرين على اختلاف أديانهم وجنسياتهم وأعراقهم موجودون في سائر أنحاء العالم.

رغم أن ١١ أيلول استتبعه مشاعر المواساة من قبل العالم كله وخاصة أوروبا وأميركا لكنه مع تصريحات ساسة البيت الأبيض ودق طبول الحرب من الجانب الأميركي، فقدت واشنطن بالتدريج كثيراً ممن كان يحايبها من الأوروبيين. الخطوة التالية لأميركا أحيت بشكل وبآخر العلاقة المتطرفة بين أوروبا وأميركا، إذ أعادت للأذهان ذكريات الحرب العالمية الثانية وصور الروح العنيفة للأميركيين والمستندة للقوة. من هذه الزاوية، ربما أصبح العنوان "العلاقة بين الغرب والعالم غير الغربي" تعبيراً غير دقيق ومن الأفضل أن نبحت العلاقة بين أميركا والعالم غير الأميركي وخاصة العالم الإسلامي. من أجل ذلك، سنتناول بالبحث المنهجيات الدولية للنظام السياسي الأميركي بعد انتهاء الحرب الباردة. المنهجية التي أحيت فكرة "عالم أميركي المحور"، الأيديولوجية التي تحمل الإستبداد في الرأي ومفهوم السلطوية.

خلال المرحلة الإنتخابية لبيل كلينتون عام ١٩٩٢، دارت المواضع الإنتخابية لكلينتون ورئيس حملته الإنتخابية آل غور حول محور النظام العالم الجديد. ومنح المركزية للقوة الأميركية على الصعيد العالمي. وبحجة حماية البيئة وهي مقولة تندرج ضمن حقوق الإنسان ويقبلها كافة المجتمع الإنساني فضلاً عن كونها جزءاً من القيم العالمية المشتركة، أثار آل غور قضية ضرورة الرقابة العالمية بواسطة أميركا، حيث قال في خطاباته التي نشرت فيما بعد على شكل كتاب يحمل عنوان "موازنة الأرض"^(١٧٤)، إن تخريب البيئة في أي مكان من الكرة الأرضية هو تخريب لبيئة أميركا، ولذا فنحن مضطرون أن نتحمل مسؤولية احتواء الأرض. وفي الحقيقة أن الرؤى المنطلقة من مفاهيم محورية أميركا والنزعة الأميركية وتقسيم العالم إلى عالم مركز وآخر تابع إنما ينبثق عن نفس هذه الرؤية التي تعني في الأساس إلى التوسعة الجغرافية والدائرة الجيوسياسية لأميركا. ويتجلى هنا النمط من الرؤى في أفكار ونظريات مجموعة من المفكرين الأميركيين. البعدان الحضاري والثقافي لهانتينغتون^(١٧٥) (١٩٩٢) في نظرية صراع الحضارات، ونظرية بنيامين بابر^(١٧٦) (١٩٩٦) بشأن مواجهة الجهاد، وماك دونالد وكذلك فرنسيس فوكوياما^(١٧٧) (١٩٩٢) حول نهاية التاريخ وآخر إنسان، كلها قراءات أخرى للرؤية السلطوية والمحورية المركزية للعالم^(١٧٨) والتي تمثل المركز فيها الثقافة والحضارة الليبرالية الديمقراطية الأميركية الأمر الذي يوجب الخلاف والتضاد بين "العالم الأميركي" و"العالم المحيط أو التابع"^(١٧٩) الذي يمثل العالم الإسلامي المركز فيه لما يتمتع به من قوة حضارية وسياسية. هذه الرؤية توضح من جهة جديده حالات التضاد وتبين في نفس الوقت أن العالم

الأفضل هو أميركا بالأساس وأن على باقي العالم إما أن يخضع للاستعمار الجديد أو أن يواجهه. وهذه النظرة تعرف "الرجع الجديد للعالم"^(٨٠) بأنه انموذج حضاري وثقافي، وأن "العالم الرجوع" هو نفسه النظام الليبرالي الديمقراطي الأميركي. بالطبع فإن نظرة هانتينغتون نظرة مرة ومتطرفة ومقززة حيث يرى حافة الحضارات ملطحة بالدماء وبما يجعله يبرر الصورة العنيفة للغرب، أما نظرة فوكوياما فهي نظرة تفاؤلية وهادئة حيث يرى حركة التغيير في أجواء سلمية مبررا بذلك صورة الغرب ذات الطابع السلمي. لكن كلتا النظرتين تعتبر أن مسيرة التغيير مآلها حاكمية وسيادة أميركا والنظام الليبرالي الديمقراطي.

وحسب وجهة نظر هانتينغتون فإن حادث الحادي عشر من أيلول هو معلول التضاد الجوهرى بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية للغرب.. فعلى عكس بومن الذي اعتبر أن جذور التضاد تعود إلى الإجحاف الأميركي بحق شعوب العالم، يرى هانتينغتون بأن سبب هذا الإصطدام النداءات الموجودة في الفكر الديني وحضارة المسلمين. وبعبارة أخرى فإن هانتينغتون لا يحمل أميركا أو المسؤولين عن حادث الحادي عشر من أيلول مسؤولية هذه الوقائع العنيفة بل يرى أن المعارف الفكرية لهاتين الحضارتين يقفان أمام بعضهما موقف التحدي. الظاهر أن كلام بومن موزون إلى حد كبير، ذلك أنه لو صحت القاعدة القائلة بأن التضاد في الرسائل هو السبب في التضاد بين الجانبين لكان من الضروري حصول مثل هذا التضاد في دول مثل كندا والنرويج والسويد. إن المواقف التي أفصح عنها جورج بوش بعد حادث ١١ أيلول وما اعتبره من أنها حرب صليبية جديدة، هي ترجمة ميدانية لنظرية هانتينغتون. وبعبارة أخرى فإن نظرية إما أن تكون معنا أو أن تكون ضدنا، هي أيضا تمثل الصيغة المشددة والعنيفة لكلام فوكوياما. إن كلام بوش يعتبر إعلانا لتاريخ جديد على أساس سيادة أميركا على كل العالم، ولهذا تسمى هذه المجموعة من النظريات بالنظريات المؤيدة لسيادة أميركا.

بعض المحققين الذي يصنفون ضمن حلقة هانتينغتون وفوكوياما، اعتبروا أن المستهدف الأول هو الإسلام. فالبروفيسور ريتشارد بوليت^(٨١) (٢٠٠١) أستاذ التاريخ بجامعة كولومبيا تجاوز الحدود في وصفه حيث يذهب إلى أن أميركا لم تغير في سياساتها الخارجية منذ حادث احتجاز الرهائن في إيران عام ١٩٨١ حيث تم سجن (٤٤٤) دبلوماسي أميركي، ولغاية حادث ١١ أيلول الذي قاد إلى مقتل الآلاف، مشيرا إلى أنها لم تلتفت في الظاهر إلى عمق الحادث. إنه يرى بأن المشكلة الأساسية في سياسات الإسلام ويجب تكريس جهودنا لتغيير هذه السياسات. إنه يقول بضرورة اللجوء إلى تجارب العلوم الإنسانية على مدى مئات من السنين حتى يقبلنا الإسلام والمسلمون ويرافقوننا، وبدل الجلوس حول طاولة المفاوضات بين إسرائيل وفلسطين يجب متابعة مشروع

متابعة مشروع تغيير جاد في هذه السياسات. أما نظرية بوليت فهي شبيهة بالنظرة الهانتيغتونية، فبدل أن يبحث في جذور الفساد وعلله الرئيسة في داخل النظام الإقتصادي والسياسي الأميركي وبدل ممارسة النقد الذاتي لفكرة النزعة الأميركية، يفكر بإيجاد تغيير في معسكر الطرف المقابل غير ملتفت إلى تبلور مجموعة معارضات جادة في داخل المجتمع الأميركي بحيث حتى لو افترضنا سكوت العالم الإسلامي فإن الناس الذين عرفوا أميركا من الداخل لن يلتزموا الصمت في مقابل النظام السياسي الأميركي.

إن ما تم التطرق إليه هو تبين لأرضيات الجديدة التي ظهرت في العالم العربي والجذور الفكرية التي دفعت بالغرب إلى اتخاذ موقف المواجهة مع العالم الإسلامي. هذه الجذور الفكرية التي تقود إلى الحصر الإجتماعي ضد من يفترض أنه "آخر" ولا يدخل ضمن دائرة المصالح، كانت السبب الرئيس لضغوط الغرب بشكل عام وأميركا بشكل خاص على العالم الإسلامي. وبالنظر إلى التبيين الكلي لـ "الجذور" و"العولمة المتكاثرة" المتواهرة في العالم، فإننا سنبحث على نحو الإجمال ثلاثة انعكاسات رئيسة للعولمة على الأجواء الدينية.

٣. العولمة، العلمانية، الحركات الدينية وإحياء النزعة الدينية

ينبغي الإلتفات إلى أن أهم دور للعولمة في مقابل الدين، وخاصة الأديان الكبيرة، إتساع نطاق الاتصالات والعلاقات الدولية للأديان (هانز، ٢٠٠٢: ٢٦). وكما أكد ديفيد هيلد وزملاؤه (١٩٩٩، ٣٣٢)، فإن العلاقات والاتصالات الدينية اقتضت في الماضي عن طريق اللندوبين الدينيين لكنه ومع ظهور صناعة الاتصالات العالمية أصبحت هذه الاتصالات تحصل عن طريق العلاقات الفردية والتنظيمية في أجواء مجازية. وهذا النوع من الاتصالات لا تقيدده حدود زمانية أو جغرافية أو سياسية. على سبيل المثال، فإن تزويد الأنترنت بنداء لمرّة واحدة يكفي للحصول على هذا النداء من مختلف أنحاء العالم بصرف النظر عن الهوية والجنسية والدين والعرق، كما أن الاتصالات في آن واحد عبر الهاتف والفاكس والإنترنت مع بث البرامج الدينية عبر موجات الإذاعة والتلفزيون العالمية وفر ظروفاً جديدة تماماً من شأنها أن تحدث تحولاً في عملية إيصال النداءات والتأثير الذي يتركه الدين لدى مخاطبيه. وبإلقاء نظرة عامة للعولمة سواء بصفتها محصلة كانت جذورها هي السبب في تنمية الاتصالات العالمية واستحقاقاتها أم بصفتها مسار ما وراء الاستعمار الرامي إلى "هيمنة عالمية" و"التضييق" و"عدم المساواة اجتماعياً"، يمكن تمييز ثلاثة أصداء مهمة في الدائرة الدينية هي نشر العلمانية وتأسيس المعارضة الدينية للسلطة العالمية وكذلك إحياء مسيرة العودة للدين، حيث سيجري البحث فيها على نحو الإختصار.

٣_١ : نشر العلمانية

كما أشر سابقاً، تعتبر العولمة عاملاً لتضخيم عصرية الغرب.. هذا يعني أن القيم السياسية والإقتصادية والإجتماعية والفلسفية للغرب ستشهد في ظل مسيرتها التنموية الطردة نمواً أسرع بكثير من مرحلة العصرية في العالم. إحدى هذه القيم التي كان لها تأثير كبير في حضور الدين في المجالات العامة وحتى المجالات الخاصة هي العلمانية. في التجربة المسيحية، فادت ضغوط كنيسة الكاثوليك والدوافع السياسية التي كانت وراء انتقال القوة من روما إلى ألمانيا وباقي مناطق العالم، إلى تعزيز وتنمية الحركات البروتستانتية. والظاهر أن نجاح مارتين لوتر لم يكن ليرى النور لولا توافر روح الإصلاحات في ألمانيا وكذلك الدوافع الوطنية بين الألمانين ونقاط الضعف والضعف التي لا يمكن تحملها من قبل الكنيسة الكاثوليكية (راندل^(٨٦)، ١٩٩٨). ومن جهة أخرى يقول راندل (١٩٩٨:٦) بأن نجاح انصار لوتر سببه أن فكرة لوتر^(٨٧) مهدت للحرية والتحرر من القيود الدينية. فمثلاً كان قانون الصيام في الكنيسة الكاثوليكية مجهداً جداً فيما تزيل النظرة الجديدة للدين الإلتزام بمثل هذه القوانين.

إن قوة البروتستانتية تسبب بنوع ما في تضعيف للدين في المجالين السياسي والإجتماعي.. يمكن القول بأن جذور فكرة العلمانية بتجربتها الغربية ترتبط بظهور البروتستانتية. فبالقاء نظرة على الجغرافية الدينية للعالم المسيحي، فإنه يمكن وبوضوح تمييز التباين في الأجواء الدينية بين الدول الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية. ففي البلدان البروتستانتية كإنجلترا وألمانيا يقتصر الإهتمام بالدين على المشاركة في المناسك والطقوس الدينية التي تقيمها الكنيسة أما حضور الدين في المؤسسات الإجتماعية وامتلاك الوعي الديني فهو ضعيف جداً. بعبارة أخرى، يعد العالم البروتستانت أكثر علمانية من العالم الكاثوليكي. اليوم وحتى بعد مضي خمسة قرون على الصراعات الطويلة في عالم المسيحية والتي تسببت بمرور حروب مدمرة كثيرة، فإن حضور الدين في المؤسسات الإجتماعية للعالم الكاثوليكي أقوى مما هو عليه في العالم البروتستانتية. إن مدى تدخل ونفوذ الكنيسة في التعليم والتربية في بلد مثل إيرلندا أو تأثيرها في إدارة المستشفيات وحتى تأثيرها في البرامج التلفزيونية للقناتين الأولى والثانية آر تي آي، يعكس في الواقع الدور الإجتماعي الواسع للكنيسة الكاثوليكية.

لقد جرى تعريف العلمانية في الغالب على أنها مسيرة لإضعاف "الإعتبار والإقتدار الديني"^(٨٨)، وليس مجرد مسيرة تقود إلى إضعاف دور الدين في المجتمع (تشافيز^(٨٩)، ١٩٩٤:٧٥٠). في الحقيقة أن مسيرة العولمة تتسبب في التفريق أو بعبارة أخرى فصل الدين عن المؤسسات الإجتماعية مثل المؤسسة السياسية والمؤسسة التشريعية والمؤسسة التربوية والتعليمية، وعموماً فصل الدين عن

كافة المؤسسات المدنية المرتبطة بالمواطنة. إن هذه المسيرة تولد بمرور الزمن "الثقافة العلمانية"، أي يتم بمرور الأيام إزالة التجارب الدينية والقيم الدينية والأفكار الدينية من مسيرة الحياة، حتى يؤول الأمر إلى أن تصبح اللغة والأدبيات علمانية أيضاً. إن الثقافة العلمانية تقوم على معرفة فلسفية تفصل العقلانية الإجتماعية عن الرؤية الميتافيزيقية بحيث يجري الإيحاء بأن الأفكار الميتافيزيقية تتنافى مع العقلانية الإجتماعية. على أن فكرة نفي العقلانية عن الدين لها صلة وثيقة بالتعاليم غير العقلانية للمسيحية وقيودها المتحكمة (شجاعى زند، ٢٠٠١: ٣٧).

يبدو أن دائرة العلمنة قد طالت المجالات الفردية، فالتعاريف الجديدة للعلمنة أو اعتماد العرف افترضت غياب الدين عن الميادين السياسية والإجتماعية وأن العلمنة لها علاقة بحجم المشاركة في الطقوس الدينية ومدى الإيمان بالأفكار الدينية (غيدنز، ٢٠٠١: ٦٩٨). ومن هنا يجب معرفة كيف ستكون عولمة العلمانية بتجربتها الغربية.

إنطلاقاً من كون عولمة الثقافة هي المحور الأصلي لكافة عولمات المجالات الإقتصادية والسياسية، فإن نمو ثقافة العلمانية الغربية سيكون مواكباً لميادين الإقتصاد والسياسة. أي أن ثقافة العلمانية على صلة كبيرة وعميقة مع النظام الليبرالي الديمقراطي ذي المحور العلماني والنظام الرأسمالي العلماني. لذا يجب الإنتفات إلى أن أهم ركن في غربنة العالم هو نمو العلمانية الثقافية والإقتصادية والسياسية. إن نظرية أوبراين (١٩٩٥) بشأن الركن الأصلي لأفكار مرحلة الإنفتاح التي تطلخ فيها فكرة محورية الإنسان وتحل محل محورية الرب والذي سيتم تبينها فيما بعد، تحظى بأهمية بالغة. السؤال المثار هنا يدور حول آلية نمو العلمانية. وهل أن نمو العلمانية يتحقق في إطار محصلة معرفية و عبر الدعوة إلى وضع الدين جانباً؟ أم أن هذه المسيرة يتم تعبئتها بصورة ما في النظام للدرسي للعلمانية والنظام البيروقراطي السياسي؟ الظاهر أن تجريد المجتمع من الدين ليس بامر دستوري، بل إنه يحصل عن طريق مسارات التغيير من خلال التأثير على الأشخاص بشكل تلقائي وبالتالي يصبح الشخص في إطار محصلة "غير إرادية" بعيداً عن الأفكار الدينية والقيم الدينية، ولهذا السبب لا تحصل مقاومة جادة من قبل الناس لمواجهة المسارات التي تقود إلى تنمية ونشر العلمانية. على هذا الأساس ينظر لعولمة الثقافة بصفته قوة مرنة بحيث لا يشعر المخاطب بالخطر، لكنه وحسبما يقول بورديف بأنه يواجه "رمزاً عنيفاً"^(٨٧) له ظاهر جميل لكن باطنه خشن (جين كينز^(٨٧)، ١٩٩٢). وعند استهلاك الثقافة يواجه الشخص مظاهر جميلة لكنه وبعد تلبسه بها تظهر إفرزات مدمرة تقود إلى "تخلف ثقافي"^(٨٨) و بروز تناقضات ذاتية ثقافية مردها إلى التضاد بين التقليدية والعصرية أو

بين الثقافة المحلية والثقافة الدولية. هذا التناقض يمكن أن يكون ناجماً عن التباين في طبيعة القيم التي نشأ عليها الفرد والمجتمع وانبثقت منها هويته وبين القيم والأفكار التي يواجهها في الأجيال العالمية الجديدة.

٢_٢ : نمو الحركات الدينية : تأسيس معارضة الدين للسلطة العالمية : بزوغ شمس الثورة الإسلامية الإيرانية

يعد بروز النزعة الدينية أحد الأصداء المضادة وردود الفعل إزاء العلمانية.. إن من أهم الحركات الإجتماعية والدينية التي قادت إلى ثورة دينية في مرحلة العولمة، هي الثورة الإسلامية في إيران حيث كان لها إفرزات كثيرة وواسعة على صعيد المنطقة والعالم الإسلامي بل وكل العالم. فعلى أثر انتصار الثورة الإسلامية ظهرت صور المقاومة الإسلامية في فلسطين ولبنان والسودان وأفغانستان ومناطق كثيرة من العالم، حتى صار ذلك الإنتصار منعطفاً ومنطلقاً لنمو مثل هذه المقاومات.

وكما قال غيدنز، على الرغم من توقعات علماء الإجتماع الكبار مثل كارل ماركس وأميل دوركايم وماكس وبر الذين رسموا صورة لمستقبل العالم قائم على أقول الدين لا سيما في المجالات الإجتماعية، إعتبرت الثورة الإسلامية الإيرانية بصفتها أهم المسارات للعكوسة والقلوب للعولمة، عاملاً لتغيير كبير في المجتمع الإيراني ومن ثم في كل العالم الإسلامي، بل ومنطلقاً لإحياء النزعة الدينية في العالم برمته.

إن النظريات الثورية المستقاة في الغالب من الثورات الإشتراكية الروسية، ١٩١٧ (فيتزباتريك^(٤٤)، ١٩٨٢)، والصين، (سكوكيل^(٤٥)، ١٩٧٦)، وفيتنام، ١٩٤١_١٩٧٣ (دون^(٤٦)، ١٩٧٣)، كوبا، ١٩٥٦_١٩٥٨ (أكفيل^(٤٧)، ١٩٨٨) أو نيكاراغوا (أكستين^(٤٨)، ١٩٨٦)، أو أنها كانت انعكاساً للنظرية الماركسية^(٤٩) للثورة حيث تعتبر الثورة معلولاً للتناقض الطبقي (ديفرهنزو^(٥٠)، ١٩٩١)، أو أنه كان يؤكد على أن عدم توازن النظام (نظرية النظام^(٥١)) يقود إلى ظهور انفجار اجتماعي وثوري. وهناك نظريات أخرى قائمة على نظرية التحديث^(٥٢) التي ترى أن سبب الثورة هو عدم تماشي الأنظمة السياسية مع مستلزمات المجتمع المتحضر كإيجاد الديمقراطية في المجتمع. في الحقيقة أن هذه النظرية كانت تعتبر الدوافع المكرسة من قبل "مسيرة التحديث" هي السبب في قيام الثورة. النظرية الرابعة التي طرحها سكوكيل (١٩٧٩) عرفت بـ "النظرية البنوية"^(٥٣) التي كانت شبيهة إلى حد ما بنظرية النظام التي ترى أن الثورة سببها عدم فاعلية الأنظمة. إن النظرية البنوية تعتبر عدم التوازن في الهيكليات والبنويات الإجتماعية كالهيكليات السياسية والإقتصادية والثقافية هي السبب في قيام الثورة. وكما هو واضح فإن أياً

من تلك النظريات بمفردها لا يمكنها أن تبين علة ظهور الثورة الإسلامية الإيرانية، فقد كان للثورة الإيرانية جذور في النظرة الدينية، كما أن الشعب كان يتطلع إلى إحياء الدين والعودة إلى الدين الأصيل والإسلام. على هذا الأساس يمكن القول: حقق الدين في إيران بصفته أهم قوة اجتماعية، الثورة التي ظهر على أثرها نموذج جديد للنظرية الثورية تحمل عنوان "نظرية الثورة الدينية"^(٩٨)، حيث صارت فيما بعد مرجعاً ونموذجاً اجتماعياً للتطورات التالية في العالم الإسلامي.

إثر هذا التحول الكبير، إشتدت عملية مواجهة النزعة الدينية في العالم الغربي، وسعوا بشتى الطرق إلى عرض صورة مخيفة عن الإسلام وعن إيران حيث ظهرت آثار هذه المواجهة جلياً في إطار ما روجوا له بشأن العلاقة بالعنف والإغتيال وهي مازالت مستمرة. الأدبيات المتعلقة بالثورة الإيرانية تضمنت وإلى جانب النقد الأيديولوجي وأحياناً إطلاق أحكام مسبقة والتي تعكس وجهات نظر الماركسية والراسمالية والوطنية ونظرية المساواة الجنسية وكذلك وجهات نظر انصار الشاه والدول الخارجية التي كانت لها مصالح في إيران، إلى جانب ذلك تضمنت وجهات نظر تؤيد تحقق الثورة الدينية الشعبية في إيران (سنات^(٩٩)، ١٩٨٠، جباري وأولسن^(١٠٠)، ١٩٨٠، رضوي^(١٠١)، ١٩٨٠، كيندي^(١٠٢)، ١٩٨١، كامروا^(١٠٣)، ١٩٨٠، هيمرو^(١٠٤)، ١٩٨٥، بهنام^(١٠٥)، ١٩٨٥، أموزكار^(١٠٦)، ١٩٩١، دهرنوز، ١٩٩١، إسفندياري^(١٠٧)، ١٩٩٧، رينهارت^(١٠٨)، ١٩٩٧).

في الواقع أن الثورة الإسلامية الإيرانية طرحت أهم منهجية للتغيير الاجتماعي في تاريخ الثورات منذ القرن الثامن عشر حيث انطلقت الثورة الفرنسية وحتى نهاية القرن العشرين حيث مرحلة ظهور مسارات العولمة، وحولتها إلى سبب لظهور مسارات العودة للتقاليد والسنن في العالم. لا شك أن السياسات العريضة للعلاقات الدولية بعد الحرب الباردة والخطوات السياسية الأميركية في المنطقة تأثرت بظهور الثورة الإسلامية وتعكس علاقة القوى الكبرى بالدين وخاصة الإسلام.

٢_٢ : إحياء مسيرة العودة للدين

ينظر للدين في المذهب المادي وعلى نحو ما من قبل الشكاكين، على أنه أفيون الشعوب.. إذ يؤكد فرويد في نظريته الحضارية على أن الأديان الكبرى نمت في كنف الحضارات الكبرى وأن نمو الأديان جاء بمثابة وسيلة سياسية لجعل الشعوب حمقى. إنه يرى بأن الدين يقود إلى تحجيم البلوغ وعقلانية الإنسان. هنا النمط من الفهم للدين مرتبط إلى حد ما بتجربة الغرب مع الدين. وعلى الرغم من انتشار هذه الأفكار في العالم الغربي والتوقعات التي كانت حينذاك

مع الدين. وعلى الرغم من انتشار هذه الأفكار في العالم الغربي والتوقعات التي كانت حينذاك بشأن نمو وانتشار المادية في العالم وعلى الرغم من النظرة العدوانية^(١٧٦) اتجاه الدين (بورك^(١٧٧)، ٢٠٠١، وب^(١٧٨)، ٢٠٠١)، إلا أن العالم الغربي شهد في نهاية القرن العشرين مسارا "مناهضا للعلمانية" (كارتر، ٢٠٠٠، مالكوم^(١٧٩)، ٢٠٠١) في المجتمع وعودة من جديد للدين والعنويات. إن المصطلحات المستخدمة عن العصر الجديد منذ عقد الستينات وحتى يومنا هذا، تحمل في طياتها نوعاً من الميل إلى العنويات وكأنها استلهمت مفاهيمها من عالم ما وراء الطبيعة والميل إلى الذات والإهتمام بالفلسفة وأدبيات الشرق وقادت إلى استقطاب واستمالة الآلاف من الشعب الأميركي إلى النزعة المثالية (بوكر^(١٨٠)، ١٩٩٧: ٧٥٤). يلاحظ اليوم لدى المفكرين الغربيين وعلى نطاق واسع (ماك لافلين وديفدسون^(١٨١)، ١٩٩٤: ٤، روز ريموند^(١٨٢)، ٢٠٠٢) وبعد الإرتطام بطرق مسدودة، اهتمام بضرورة السير والسلوك الذاتي والظلمات التي ألقت بظلالها على النفس والروح. والإهتمام بالسياسة العنوية يمثل بعداً آخر من الطرق المسدودة في عالم المادية ومسارات العودة الجديدة التي تلاحظ جلياً في الغرب مرة أخرى بعد أكثر من ثلاثة قرون قضاهها الغرب في علمنة المجالات السياسية.

في الحقيقة أن كثيراً من "المحطات" و"الطرق المسدودة" قد جرى تحليلها على أساس الإبتعاد عن الدين فيما الإنطلاقات التالية تعكس ميلاً واسعاً في العودة إلى الدين في مختلف أنحاء العالم. بعض المحققين مثل ستارنس بجرك^(١٨٣)، (٢٠٠٠)، يرون بأن دولاً كثيرة بما فيها بينين التي لها ماضٍ شيوعي قد لوحظ فيها وبعد أن تسلم متيو كريكو^(١٨٤) الماركسي في عام ١٩٩٦ مقاليد السلطة، ونظراً للضرورات الإجتماعية لوحظت عناصر كثيرة من تلك التي تؤلف وجهات النظر والسياسات والإجراءات تحمل طابعاً دينياً مما يعكس جانباً من الميل في العودة إلى الدين. بل يلاحظ اليوم على مقدم الجبهة العصرية والعودة أي في المجتمعات الغربية ميل لربط الدين مرة أخرى بالعلوم التجريبية في المجالات الطبية والإستلهام من الدين والجوانب العنوية في العالجة بصفته "الطبيب البديل" (جيكادا وزملاؤه، ١٩٩٦، وروي^(١٨٥)، ٢٠٠٠). أما العودة إلى النظام البنكي اللاربوي فقد تحول بصفته أقوى صنوف الإقتصاد الإسلامي والأديان الإبراهيمية، إلى حركة جادة لا سيما بين الناشطين الإجتماعيين. هذه النهضة الإجتماعية التي ترى أن كافة المشاكل التي يعاني منها مجتمع اليوم ناجمة عن النظام الإقتصادي القائم على الربح والربا (بيدكالك^(١٨٦)، ١٩٩٢، وكريم^(١٨٧)، ١٩٩٦).

اليوم، وضمن تنامي الشعور بضرورة العودة إلى محورية الله تعالى كمسارات جادة للتسديد في العالم وخاصة الغرب، تثار علامات الإستفهام حول أهم متبنيات مرحلة الإنفتاح أي محورية

"الوحشية"^(١٣٦) التي تعود حسب رأي أوبراين^(١٣٧) (١٩٩٥) بشكل خاص إلى الوحشية التي كانت شائعة في ألمانيا النازية والإتحاد السوفيتي والناجمة عن "محورية الإنسان ومطالبه" في كافة شؤون الحياة، واحدة من أهم مجاور أفكار مرحلة الإنفتاح. وحسب أوبراين فإن جذور الوحشية هذه تعود إلى امرين، الأول، التأثر بنظرية محورية الإنسان للماركسية والاشتراكية الوطنية، والثاني، إلى بقاء الإنسان بعيداً عن السنة الإلهية ما أدى إلى حاكمية النزعة الإنسانية العلمانية. أوبراين يخلص إلى القول بأن هذه المسيرة ستؤدي إلى وقوع أبشع صور الوحشية في المجتمع البشري، ولذا لا بد للإنسان من العودة إلى قانون الطبيعة والضوابط الخلقية والدين، أي الله تعالى .

في عالم الإسلام نلاحظ أيضاً ميولاً واسعة وعميقة في مجال الإهتمام بالدين، فالليول الدينية بين أبناء الجيل الثاني وحتى الجيل الثالث للمسلمين المتواجدين في الغرب قوية ومتينة رغم الظروف المتباينة التي يعيشونها من الناحية الثقافية. إن شريحة كبيرة من المسلمين الأوروبيين تمتع بروح المقاومة الدينية والحفاظ على الهوية الدينية بصفتها نموذج مثالي (عاملي، ٢٠٠٢). لا شك أن هناك أجيال أكثر تمسكاً بالدين ممن سبقوهم بينما يوجد أيضاً أجيال تطوي مسيرة الغربية أسرع من الغربيين أنفسهم، فهناك نماذج وطنية هجينة^(١٣٨) وغير مستقرة^(١٣٩) تحمل هويات أخرى حيث تؤلف هويات متناثرة في المجتمع الإسلامي. وبالطبع أن مواجهة التكنر الثقافي الناجم عن مجاورة ثقافات مختلفة عن طريق العولمة تمثل أحد أسباب هذا التناثر الاجتماعي، لكنه يمكن القول بأن أكثر سكان العالم الإسلامي تنظيماً هم ذوو النزعة الدينية الذين اكتسبوا دافع المقاومة من خلال محورية المنظمات والدينية وعلماء الدين. وبعبارة أخرى فإنه لا معنى للمقاومة في مجتمع ديني لكنه في المجتمعات التي تعيش زوالاً لتعاليم الدين تأخذ للمقاومة طابعاً أكثر جدية وعمقاً.

الإستنناج : العولمة : إحياء القيم الإلهية المشتركة في العالم

تحظى فكرة ضرورة العودة للدين كمسيرة حتمية، باهتمام كافة الزعماء الدينيين والاجتماعيين في العالم الشرقي وكذلك ساسة العالم الغربي^(١٤٠) والمفكرين والعلماء في شتى المجالات. إن خطر العولمة لا ينطلق في الواقع من كونها تقود إلى تحول في الاتصالات وتمهد لوصول شعوب العالم إلى بعضها بشكل أسرع، إذ يمكن توظيف ذلك لتنمية "القيم الفاضلة". من هنا لا بد أن نعرف إن كان هناك تعارض ذاتي وتحد جوهرية بين الدين والعولمة؟ أم أنه لا معنى للمقارنة بين الإثنين؟ هنا يجب القول أولاً بأن المراد من المقارنة هو المقارنة النسبية وليس

المقارنة المطلقة التي تشمل كل الدين في مقابل العولمة بجوهرها وكافة أبعادها. في الحقيقة أن هذه المقارنة تعنى بالنظرة العالمية والنظرة الشمولية للدين في المقارنة مع مكان العولمة.

ومن هذه الزاوية يبدو أن هناك شبه كبير بين الدين عمومًا والأديان الإبراهيمية خصوصاً مع العولمة. علماً أن الأديان الإبراهيمية وخاصة الإسلام والمسيحية، تشترك مع العولمة في الهوية والخصائص إذ تحمل طابعاً دولياً وهي غير مؤطرة أو محددة بالحدود الجغرافية. إن محصلة التدويل أو العولمة لا تعد تحدياً جاداً للدين بل توفر فرصة عالمية للدين لتأمين إحدى تطلعاته ألا وهي نشر القيم الإلهية في أرجاء المعمورة. ومن هذه الناحية لم تتوفر في الماضي أبداً فرصة للوصول إلى "أمة عالمية لأتباع الأديان الإبراهيمية" بصورة واسعة وسريعة في حين توافر اليوم مفهوم "الجماعة العالمية لأتباع الأديان"^(١٣٧) في "أجواء موحدة"^(١٣٨). لقد توفرت في هذه الأجواء إمكانية الإرتباط الإجتماعي المتزامن والإطلاع على التطورات الثقافية والإجتماعية والإقتصادية للمسلمين في كل منطقة من العالم وامتلاك مؤسسات ثقافية عالمية مشتركة كالقنوات العالمية، وسوق إسلامية علامية مشتركة ومناسك الحج العالمية المشتركة في مكة المكرمة والمدينة المنورة والحوار الديني المشترك للجميع.

لكن الشيء الذي يمكن اعتباره يشكل تحدياً جاداً للدين هو الوسائل المسيطرة على التقنية العالمية، ففي الواقع إن أمريكا أو غرينة العالم هما اللذان يعدان منبع الخطر على "الهويات الدينية" وكذلك نشر العلمانية وقيام الأنظمة السياسية القائمة على العلمانية حيث تقوم هذه بتحد القيم الدينية في المجالات الإجتماعية والفردية وفي "الأجواء الدينية" و"الإقتدار الديني".

ينبغي الإنتفاة إلى أن الغرينة والأمركة هما في الواقع مسيرة معكوسة للعولمة بفعل طبيعتهما.. فأمركة العالم هي نوع من تقليص الحدود لجغرافيا العالم، وبعبارة أخرى يعد نوعاً من "محصلة منافية للعولمة"^(١٣٩).

ورغم أن هذه السيرة تعد في جانب منها أنها نمو لثقافة خاصة^(١٤٠) لكنها من جهة أخرى تضيق المجال الثقافي على كافة ثقافات العالم. في السياق ذاته يجب القول بأنه وعلى عكس فرضيات "نظرية الثقافة الجماهيرية"^(١٤١) والتي تفترض المخاطب بأنه مجرد "مخاطب منفعل"^(١٤٢)، فإن عالم اليوم يواجه "مخاطباً فاعلاً"^(١٤٣) بسبب التجارب المكثفة لجيل اليوم وتزايد الوعي لدى المجتمع البشري وتفعيد عمليات وسائل الإعلام. المخاطب الذي لا يقبل كل ما يطلع عليه من خبر أو نداء أو سياسة. وبعبارة أوسع فإن "القوة"^(١٤٤) لا تكون مرة بالضرورة

لعامل "الشرعية"^(١٤٥)، والنظرة التي تعتبر أن "القوة تولد الحق"^(١٣٦) (عاملي، ٢٠٠٢) هي نظرة غير مشروعة.

وبالنظر إلى وجود الهوة وفاصل طبقي بين ساسة البلاد والرأسماليين وبين عامة العباد، ظهر نوع من "التمييز الإجتماعي"^(١٣٧) بين الناس وبين الحكومات لاسيما في الدول الكبرى في العالم، ما أدى إلى خلق نوع من "الحساسية الإجتماعية" إزاء القوى الكبرى في العالم حيث صار الناس يراقبون تصرفاتها بدقة وبنظرة بشوبها الشك والريبة في نفس الوقت. إن التجربة الأمريكية وبعد قرن كامل من المحاولات لإيجاد شرعية ثقافية وسياسية لها في العالم، واجهت رد فعل معاكس بسبب سياساتها الداعية للحرب ونزعتها السلطوية. إن المخاطب الفعال يميل إلى "العدالة" وهذه الروح لها القابلية على التمهيد لتأسيس "تضامن عالمي حول محور القيم السامية".

في الحقيقة أن العولمة في أوسع صيغها إنما تدور حول محور العدالة في العالم وذلك عن طريق رفع نداء موحد يقول بأن "العدالة للجميع"^(١٣٨) (مورهد، ٢٠٠٢). الأمر الذي يبشر بفكرة "الإنسان الموعود" الذي ينتظره عالم البشرية. فمع تنامي الفواصل الإجتماعية والظلم الإجتماعي والفساد وغياب المساواة يوماً بعد آخر، يستشعر العالم وبشكل مطرد الحاجة للعدالة في عالم تغلب عليه العصبية الوطنية والعرقية والثقافية وحتى الدينية.

كلنا أمل بيوم ظهور الموعود، ليمأل الأرض قسطاً وعدلاً وننعم جميعاً بالأمن المعنوي، إن شاء الله تعالى.

الهوامش

- 1- Alborw..
 - 2- Global Communications Industry..
 - 3- Virtual Communications..
 - 4- Instantaneous Communications..
 - 5- Space Less..
 - 6- Cohen and Kennedy..
 - 7- Many Globalizations..
 - 8- Held etal..
 - 9- Single Space..
 - 10- Segell..
 - 11- Reverse Globalizations process..
 - 12- Inclusiv..
 - 13- Exclusiv.
- من يريد الشيء حصراً لنفسه، ولا يجيز للأعضاء الجدد الإنضمام إليهم بسهولة.
- 14- Inclusivism..
 - 15- Exclusivism..
 - 16- Total Globalization..
 - 17- Many Globalization..
 - 18- Berger and Huntington..
 - 19- de Sousa Santos..
 - 20- Patomaki..
 - 21- Beginnings of the End of Western Dominance..
 - 22- Friedrich Nietzsche..
 - 23- Facques Dettrida..
 - 24- Johan Galtung..
 - 25- Bhaskar..
 - 26- A Parallel Globalization of Terror: 9-11, Security and Globalization..
 - 27- Post- Cold War..
 - 28- Bauman..

-
- 29- Birch..
 - 30- Consequences of Modernity..
 - 31- An Enlargement of Modernity..
 - 32- Exclusivism..
 - 33- Inclusivism..
 - 34- Exceptionalism..
 - 35- Abu Rabi.
 - 36- Lerner..
 - 37- Mead..
 - 38- Hans Joas..
 - 39- Total War..
 - 40- Tilly..
 - 41- Americanization..
 - 42- Tribalization..
 - 43- Amin..
 - 44- Lowy..
 - 45- Sayyid..
 - 46- Stam..
 - 47- Dussel..
 - 48- Mazrui..
 - 49- Hall..
 - 50- Ameli..
 - 51- Mc Lennan.
 - 52- Islamophobia..
 - 53- Haliday..
 - 54- Merali and Shadjareh..
 - 55- Islamic Human Rights Commission- www.ihrc.org.
 - 56- Core..
 - 57- Skinner..
 - 58- Werbner..
 - 59- Bodi..

-
- 60- Rappetti, I, and Tape..
 - 61- Self- Handled Process..
 - 62- Prjective Process.
 - 63- Particularism..
 - 64- Universalism..
 - 65- Reverse Process..
 - 66- De- Secularization..
 - 67- Globalization and its Discontets in International..
 - 68- Limiage..
 - 69- Li..
 - 70- Norris..
 - 71- Fox..
 - 72- Kellner..
 - 73- Mellon..
 - 74- The Earth in Balance..
 - 75- Huntington..
 - 76- Benjamin Marber..
 - 77- Francis Fukuyama..
 - 78- Global Mono-centrism..
 - 79- World Periphery..
 - 80- New World Reference..
 - 81- Richard W. Bulliet..
 - 82- Ranell..
 - 83- Luther..
 - 84- Religious Authority..
 - 85- Chaves..
 - 86- Symbolic Violence..
 - 87- Jenkins..
 - 88- Leg-culture..
 - 89- Fizpatrick..
 - 90- Scokpol..

-
- 91- Dunn..
 - 92- Aguila..
 - 93- Eckstein..
 - 94- Marxist Theory..
 - 95- Defronzo..
 - 96- System Theory..
 - 97- Reproduction Theory..
 - 98- Structure Theory..
 - 99- Religious Revolution Theory..
 - 100- Stauth..
 - 101- Jabbari and Olson..
 - 102- Razavi..
 - 103- Keddie..
 - 104- Kamraava..
 - 105- Hiro..
 - 106- Behnam..
 - 107- Amuzegar..
 - 108- Esfandiari..
 - 109- Rinehart..
 - 110- Antagonist..
 - 111- York..
 - 112- Webb..
 - 113- Malcolm..
 - 114- Boggs..
 - 115- McLaughlin and Davidson..
 - 116- Roes and Raymond..
 - 117- Starndsbherg..
 - 118- Mthieu Kerekou..
 - 119- Roy..
 - 120- Pidcock..
 - 121- Karim..

122- Atrocity..

123- Obrien..

124- Hybrid..

125- Undetermined..

١٣٦ . على سبيل المثال صرح الرئيس الأميركي السابق بيل كلينتون في كلمته بمناسبة العام اليلاي الجديد لعام ٢٠٠١ بضرورة العودة إلى الدين، فيما سجل كتاب استيفن كارتر الذي تناول بالبحث ضرورة العودة إلى الدين وطى المسيرة العاكسة للعلمنة اعلى رقم في مبيعات للكتب في العام ذاته.

127- Global Community of Believers..

128- Ssingle Space..

129- De-Globalization Process..

130- Particularization..

131- Theory of Mass Cukture..

132- Passive Audience..

133- Active Audience..

134- Power..

135- Legitimacy..

136- Might is Right..

137- Social Differentiation..

138- Justice for All..

139- Moorhead..

الإسلام والعائلة

الدكتور عماد أفروغ

عضو الهيئة العلمية بجامعة (تربيت مدرس) — طهران

المقدمة

تشغل مقولة العولمة (Globalization) منذ مدة، شأنها شأن مقولات التنمية الاقتصادية والتنمية السياسية، العقول والأذهان وتدفع الناس بمختلف شرائحهم إلى إظهار ردود فعل مختلفة.. لكنها تختلف عن سابقتها من المقولات في أنها حفزت أذهان المفكرين والراكرز والأوساط الدينية، ولذا فإنك تشاهد في كل مكان جهوداً ومحاولات لفهم أوسع لهذه المقولة ودرك أبعادها المفاهيمية قدر الإمكان وصولاً إلى بسط ونشر العولمة المنشودة ذات الصلة الوثيقة بالأمة الإسلامية على نحو العموم، وللهدوية على وجه خاص. وخلافاً لسائر المقولات التي لعبت العاطفة والأحاسيس دوراً في الخوض فيها وتبتيها فترة من الزمن قبل تركها في نصف الطريق إثر طرح مفهوم ومقولة أخرى واعتمدها قبل أن توضع هي الأخرى جانباً في نصف الطريق أيضاً إثر ظهور مقولة ثالثة وهكذا دواليك، نأمل أن يتسم العمل في إطار التعااطي مع العولمة هذه المرة بالعمق والتدبر والصبر وبما يمكننا من فهم أبعادها ومكوناتها وجذورها ومتناقضاتها مستعينين بالنقد البناء وتقييم إمكانية تبلور العولمة اصطلاحاً ومدى الإستفادة من إمكاناتها المفاهيمية، وصولاً إلى تقديم نموذج مناسب يتماشى مع المنطق.

هدفنا من المقال عرض صورة عن العولمة المصطلح وبحث الفارقات والإيهامات وإمكانية وجودها ضمن الأبعاد الفلسفية والنظرية عبر استخلاص استحقاقاتها المفاهيمية ومن ثم الخوض في الإمكانات الدينية لعرض عولمة منشودة. ولتحقيق هذا الأمر المهم، لا بد في البدء ومن خلال تحديد مستلزمات وضرورات العولمة ومناقشة المفهوم المرتبط بالنزعة المطلقة، التعرف بدقة على العولمة كمصطلح وتطابقها مع العولمة المنشودة والمتصورة. بعبارة أخرى، يجب في البداية تحديد طبيعة مستلزمات ومكونات وخصائص العولمة الحقيقية وهل أن هذه العولمة المعروفة اصطلاحاً تتطابق مع العولمة الحقيقية أم لا؟ من المؤكد أنه لا يمكن القيام بهذه المقارنة والمطابقة دون فهم مكونات وأسس وأبعاد العولمة كمصطلح.

الخطوة التالية تكمن في معرفة الوضع الراهن للعالم وتطابقه مع ادعاءات العولمة كمصطلح، وما مدى التناغم الموجود بين تصريحات وكلمات أنصار العولمة وبين الحقائق المتاحة؟ أما الخطوة النهائية فتتمثل في معرفة قدرات الأديان وخاصة الإسلام ليكون غالباً وذا

نزعة مطلقة من جهة وتطابقه من جهة أخرى مع العولمة الحقيقية والوضع الراهن في العالم والعولمة المصطلح.

١- العولمة بين الصيغة الحقيقية والمتصورة

ما هي العولمة الحقيقية؟ ما هي سماتها وخصائصها الأصلية؟ في أي ساحة فكرية-نظرية وقيمية وأيديولوجية ومنهجية وسلوكية وعاطفية يجب أن يحصل تحول أساس حتى نقول أنه قد تحققت فرضية العولمة؟ ما هي مستلزمات وشروط السايكولوجية الإنسانية والاجتماعية والكونية؟ هل من الممكن عند التشابه البحث في المظاهر والسلوكيات عاملاً مساعداً للعولمة؟ أم أن غياب التوافق بين المظاهر والسلوكيات وبين المستويات والطبقات النظرية والمعرفية المتدنية يمكن أن يعد مؤشراً على امر غير عالمي؟ بتعبير آخر، هل يمكن اعتبار أن العولمة قد تحققت بمجرد مشاهدة التشابه والسنخية في المظاهر والإنتفاخ الثقافي كما في مجالات أنماط الإستهلاك والعمارة وبناء المدن ونوع اللبس والوضوء وحتى التقنية التي لا تحدها حدود جغرافية مثلاً؟ أم أن العولمة واقع يستدعي تدبراً أكبر ورؤية فلسفية أعمق، وكذلك اهتماماً بشروط علم النفس على صعيد الإنسان والمجتمع والكون وحتى التاريخ؟ هل يمكن فرض العولمة مع الغاء الجوهر والذات والغاية للإنسان والمجتمع والتاريخ ومقومات وأسس هذه النزعة الجوهرية؟ يجب على المجتمعات المختلفة في النظام الاجتماعي إتباع المنهج الفكري الفلسفي في الميادين الثقافية والسياسية والإقتصادية. وحتى لو شاهدنا في كثير من القطاعات السياسية والإقتصادية وبعض طبقات القطاع الثقافي في النظام الاجتماعي واقعاً عالمياً، إلا أن ذلك لا يسوغ الحديث عن عولمة مستقرة رغم التحول الأساس الحاصل في القطاع الثقافي الذي ألقى بطبيعة الحال بظلاله على الطبقات السياسية والإقتصادية المتدنية. وبعيداً عن التركيز على الإجابة في المقال عن كافة الأسئلة المحورية والأساسية الأنفة الذكر وكذلك الأسئلة المحورية الأخرى ذات العلاقة، نكتفي بتلميح هو أن العولمة واقع يتكا على نوع خاص من معرفة الإنسان وفلسفة التاريخ، وهو لا يتواءم مع كافة أنماط علم الاجتماع.

وبدون الإيمان بالجوهر والغاية بالنسبة للإنسان أو نفي حصول الذات والجوهر والغاية عن الإنسان وبالتالي عدم الاعتقاد بأسس النزعة الجوهرية المرتبطة بالمبدأ والخالق، لا يمكن الزعم أن العولمة والنزعة المطلقة لها صلة بوجود الإنسان. ولو ارتبطنا بالعولمة الحقيقية دون الأخذ بهذه النزعة الإنسانية والنزعة الغائية واعتبرنا أن الشمولية العالمية تعد في بعض المستويات أمراً ثقافياً وسياسياً واقتصادياً أو اجتماعياً فحينها لا يمكن لنا من هذه الزاوية ومن اعتبارات فلسفية فهم العولمة الحقيقية كما لا يمكن اعتباره أمراً مستقراً.

لذا يمكن التحدث عن العولمة الحقيقية عندما نقر أن للإنسان ذاتاً وجوهراً وحقوقاً وغاية،

ولن يكون بالإمكان رسم صورة للذات والغاية والحقوق للإنسان إلا حينما نقر بان لهذا المخلوق خالقاً. بعبارة أخرى، إن النزعة الإنسانية المجردة عن النزعة الخالقية تقود إلى فناء الإنسان وزوال حقوقه، وحتى لو شاهدنا في كل المجتمعات البشرية تشابهاً سلوكياً في المبادئ الثقافية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية ولم نعر أهمية للتشابه على صعيد علم الإنسان فإنه لن يمكن فهم واستنباط العولمة الحقيقية من المستويات المتدنية لها. وعلى حد قول البعض، يمكننا استنباط العولمة الحقيقية والوقوف عليها بمقدار ما نشاهد من النزعة الإنسانية المرتبطة بالنزعة الإلهية والنزعة المبدئية والإيمان بحقيقة الحقائق والحقيقة الغائبة في العالم الراهن. وكما لا يمكن استنباط العولمة الحقيقية من التشابه السلوكي البحت فإنه لا يمكن استنباط عدم تبلور العولمة من مجرد التغيرات السلوكية وكثرة الثقافات المتلاشية.

هذه النتيجة إنما على أساس الأهمية الأكبر التي نوليها للمستويات القاعدية والأساسية للثقافة أي النظرة الكونية والقيم في باب المقارنة مع المستويات الفوقية كنماذج السلوك والمظاهر وحتى التقنية. ومع أنه لا يمكن من الناحية المنطقية والشهودية تبرير الشرح والهوة القائمة بين الطبقات المختلفة في الثقافة إذ يجب من حيث المنطق أن نشاهد تلاهماً بين الطبقات والمستويات الثقافية المختلفة، لكننا نجد أن هذه التصدعات أمر محتمل على صعيد الواقع ومن الممكن أن تكون لها جذور في المصالح وعدم الوعي والغفلة وحتى الإغراء. ولعله إمكانية الوقوف على التشابه في النظرة العالمية والقيم من خلال التشابه في المظاهر والسلوكيات رهن بوجود وتجلي شواهد وأدلة ممنهجة وعملية على وجود هذا التشابه.

من جهة أخرى وكما أشرنا سابقاً، يمكن أن يكون هناك تشابه في مستويات النظرة الكونية ومعرفة الإنسان لكن هذا التشابه لم ير النور عند الطبقات الفوقية. النتيجة هي أنه يمكن اعتبار الحالة الأخيرة مصداقاً للعولمة الحقيقية لكن هذا الحكم لا يمكن تسييره على الحالة السابقة.

والآن مع هذه النظرة الفلسفية للثقافة يمكن امتلاك تصور صحيح عن العولمة الحقيقية وفي نفس الوقت الحكم بشأن الوضع الراهن ومدى عالنيته.

إستناداً لما تقدم، فإنه انطلاقاً من مقدار ارتباط العالم الحالي بالله تعالى والإنسان وذاته وغايته وفلسفته التاريخ للنبئة عنه ومن ثم الإيمان والعمل بالأصول الأخلاقية والسلوكية للنبئة عنه يمكن الحكم بشأن العالمية الحقيقية.

٢- العولمة المصطلح

ربما شكّل فهم العولمة المصطلح ومكوناتها وأبعادها ومرآحتها وتاريخها وأسسها أهم أقسام هذا المقال.. سنحاول في هذا القسم وعبر عرض تعريف عن العولمة المصطلح بحث ومناقشة

مكوناتها وأبعادها وجذورها وأسسها وماضيها وإمكانية وجودها ومتناقضاتها وإفرازاتها سواء مخاطرهما أم فرصها وعلاقتها بالعولة الحقيقية والوضع القائم.

٢-١: تعريف العولة

رغم أنه لم يتسن حتى الآن إجماع حول العولة المصطلح أو المتداولة، لكن القدر المتيقن بشأنها قد يكفي لإدراجه كتعريف. هذا القدر المتيقن يدور حول "المسافة الزمانية والمكانية" و"التراكم الزماني والمكاني" بالإضافة إلى ضعف دور الحدود الجغرافية والأجواء الوطنية في النشاطات والعلاقات والتعاملات بين المنظمات العالمية الاقتصادية. يجب الإلتفات إلى أن الإقتصاد وبعده التجاري على نحو الخصوص يمثل المحور الرئيس في العولة المتداولة رغم التأكيدات الخاصة بالأبعاد الثقافية والسياسية، فيما يتعلق بضعف دور الزمان والمكان في التعاملات والعلاقات الإجتماعية، يشير أنتوني غيدنز إلى مفهوم المسافة الزمانية-المكانية (time-space distantiation) ورغم أنه لا يمكن بسبب التأكيد الساري على الحكومات الوطنية الإستفادة لتقديم نظرية بشأن العولة التي تطوي الحكومات الوطنية والأجواء القومية، إلا أنه وفر الأرضية اللازمة نظرياً ولو بشكل غير مباشر للتنظير حول العولة.

إن قصد غيدنز من طرح هذا المفهوم هو أن المسافة الزمكانية تزداد بالتدريج في ظل التحول الذي طال المجتمعات بدءاً من المجتمع القبلي وانتهاءً بالمجتمع الطبقي الصناعي. بتعبير آخر، فقدت العلاقات الشخصية المتقابلة بالتدريج دورها وحلت الحكومات الوطنية محل الوحدات التقليدية والإنسجام المنتظم محل الإنسجام الإجتماعي من النمط المتقابل. في هذه الظروف، يتخذ عاملاً المكان والزمان طابع المحلة لتمارس دوراً بالغ الأهمية في تبلور الطبقات الإجتماعية. يطرح غيدنز دور المحلة في إطار تصنيف وتبويب التوزيع أو توزيع السلع (distributional groupings).

هنا يمارس المكان في بلورة مكونات الثقافة الطبقية في الأحياء السكنية دوراً حيوياً. على كل حال، وبصرف النظر عن دور المحلة والحي للمكان، تضعف عموماً أهمية العلاقات الزمكانية، والأمر الذي يحصل هنا ضمن أجواء خاصة لا يكون محدوداً بنفس الشروط الزمكانية بل سينتقل في نفس الوقت وبكل سهولة إلى مكان آخر.^(١)

ديفيد هاروي يبحث في هذا الضمار تراكم الزمان والمكان، ومن ثم يرى الغلبة لعامل الزمن. في الحقيقة أن المسافات والفواصل تقع تحت تأثير عامل الزمن، ومن خلال إثارة الفضاءات

١. عماد افروغ، المكان وغياب المساواة الإجتماعية. طهران: مركز نشر جامعة إبعاد الدرسين، ١٩٩٨، ص ٦٠-٦٩.

المجازية، يتم تنظيم المكان من خلال الزمان. الأمر الذي ذهب إليه أيضاً ماك لوهان عبر طرحه لفكرة القرية العالمية.^(١) بعبارة أخرى، فإن الزمان والمكان لم يكونا بعددين توأمين فضلاً عن أن الزمان استطاع أن يتخطى القيود المكانية والمسافات.

ومن بين التعاريف المختلفة للعولمة، يبدو أن هناك تعاريف متشابهة لواترز ورايرسون تعتبر جيدة للإنتلاق.. إستناداً لتعريف واترز فإن "العولمة محصلة اجتماعية تتلاشى فيها القيود والحدود الجغرافية التي ألقت بظلالها على العلاقات الإجتماعية والثقافية، وفي ظلها يطلع الناس أكثر فأكثر عن تبتد هذه القيود".^(٢)

وانطلاقاً من تعريف روبرتسون الذي له قصب السبق في تعريف العولمة، "إن عولمة وكوكبية العالم مفهوم يشير إلى تراكم العالم من جهة وإلى مضاعفة الوعي بشأن العالم ككل من جهة أخرى وإلى التبعية المتبادلة في الساحة العالمية من جهة ثالثة فضلاً عن الإطلاع عن الوحدة العالمية".^(٣) من سمات تعريف روبرتسون التأكيد على النظرة إلى العالم كوحدة غير مجزأة والتبعية المتبادلة على الصعيد العالمي. لذا وبصرف النظر عن إمكانية الوجود والأسس لهذه العولمة، يبدو أن من الساعي للبدولة في هذا الضمار والرامية إلى عرض صورة عن وحدة عالمية وإظهار للوضع على شكل نظرية تحظى بأهمية أكبر من تلك التي عملت على تصوير العولمة في إطار العلاقات الدولية، والظاهر أن الساعي من النمط الثاني لم تات بشيء جديد. لذا ينبغي في تعريف العولمة وفهم عناصرها ومكوناتها الإهتمام بتلك المجموعة من الجهود التي تعتبر العالم وتعقيدهاته وتبعيته المتبادلة كوحدة واحدة. لقد حاول لزي إسكلير في كتابه "علم اجتماع النظام العالمي" وإلى جانب الإشارة إلى المفكرين الذين سبقوه في الإهتمام بهذا الأمر، حاول عرض تفسيره للنظام العالمي.. إسكلير إعتبر أن من أولى المساعي التي بذلت في إحلال المجتمع العالمي محل العلاقات الدولية تعود إلى جون برتون الذي كان يذهب في ظل اهتمامه بالعلم والتقنية والصناعة والقيم العالمية إلى أن عالم القرن العشرين يختلف عن العصور السابقة. لذا فإن التخيل والوهم الجغرافي للدول يجب أن يتخلى عن مكانه لصورة أداء ومنهجيات الأنظمة. بحسب تفسير برتون "يبدو أن المجتمع العالمي يعيش مرحلة انتقالية إذ ليس هناك لا عالم مؤلف من الدول ولا عالم مؤلف من الأنظمة".

وبالرغم من الإشادة بموقف برتون، إلا أن إسكلير يعمد إلى نقد برتون بسبب قلة اهتمامه

١. عماد افروغ، نهضة أخرى. طهران: كتاب "شنا وفرهنكسري تفكر"، ٢٠٠٢، ص ٢٠٢-٢٠٢.

٢. مالكوم واترز، العولمة، ترجمه للفارسية إسماعيل كبوي وسباوش مريدي. طهران: منظمة الإدارة الصناعية، ٢٠٠٠، ص ١٢.

٣. المصدر السابق، ص ٦٦.

بمسائل من قبيل عولة الثروة ومكافحة الطبقة أو الأيديولوجية المنبثقة عن منح الأولوية للإنصاف في المقارنة مع القوة.^(١) بالإضافة إلى برتون. حاولت مجموعة في أميركا الشمالية أن تسجل لنفسها حضوراً واضحاً في إحلال النموذج القائم على "العلاقات الإقليمية والدولية" للمتمحورة حول التعاملات والمنظمات الإقليمية والدولية محل النموذج الحكومة-المحور، علماً أن هذه المجموعة كانت تعتبر أن محاولتها تجد مصداقيتها في مفهوم "المجتمع ذي الصبغة الدولية" لرايمون آرون. على كل حال، يعتقد إسكلير بأن موضوع العلاقات الدولية لا يزال يتكأ على نموذج الحكومة-المحور ذلك أن بنود ومقومات هذه الفكرة تحدها الحكومات بصفتها أهم عوامل الفعل في النظام العالمي.^(٢)

وضمن النظرة الماركسية، وعلى خلاف الماركسيين المعاصرين، لا يعتبر الماركسيون الكلاسيكيون الحكومة أهم عوامل الفعل في النظام العالمي، فهؤلاء يرون أن النظام العالمي ما هو في الواقع إلا نظام الرأسمالية العالمي وأن الطبقات الثرية هي أهم عوامل الفعل وهي تتسهم مقاليد السلطة في الدول.

إسكلير يرى أن منهجيات الحكومة-المحور، والعلاقات الدولية، والماركسية الحديثة تسد الطريق على باقي مسارات النظام والمجتمع العالمي. ويتلخص جهده إلى جانب المساعي أعلاه في عرض مفهوم للنظام العالمي قائم على "لتطبيق أوسع من القطر"، وهذا المفهوم يطال المستويات الثلاثة، الاقتصادية والسياسية والثقافية-الأيديولوجية. أما في النظام الرأسمالي العالمي فالشركات الإقليمية والدولية تمثل المراكز الرئيسة للنشاط الاقتصادي الدولي، كما أن الطبقة الرأسمالية الدولية هي المحور في النشاط السياسي الدولي فيما الثقافة والأيديولوجية الإستهلاكية تجسد المركز الرئيس للأنشطة الثقافية الأيديولوجية الإقليمية والدولية. حينما نبتاع السلع المستوردة، نكون قد انخرطنا في السلوك الاقتصادي العالمي. حينما ندلي برأينا بتأثر من أشخاص لهم مصالح إقليمية ودولية أو نحظى بدعم ما، نكون قد ولجنا عملاً سياسياً تتخطى مساحته نطاق القطر. حينما نستشعر الحاجة لنتاج عالمي، نكون قد دخلنا في عمل ثقافي-أيديولوجي ذي صبغة عالمية. على العموم يجب الإلتفات إلى أن التعاطي بصبغته العالمية يتجسد معناه فقط في مجال النظام العالمي الذي يتسم بتباينات شديدة. بعبارة أخرى فإن أهم السلع الاقتصادية والسياسية والثقافية-الأيديولوجية تقع تحت سيطرة وتصرف مجموعة صغيرة في عدد محدود نسبياً من دول العالم. إن مفهوم "السيطرة" هو أفضل تعبير لوصف عدم التوازن هذا في النظام العالمي الذي يمكن فيه أن تغلب مصالح شخص واحد أو

1- Leslie Sklair. Sociology of the Globl System. London: Harvester, 1991: pp. 2-3.

2- Ibid., p. 3.

منظمة أو حكومة أو طبقة على الصالح العالمية، علماً أن نجاح النظام غير منقسم عن نجاح الحكومة. لقد كانت بريطانيا في القرن التاسع عشر صاحبة الهيمنة الرأسمالية العالمية فيما حطت هذه الهيمنة في رحال أميركا في القرن العشرين.^(١)

٢-٢: مكونات وأبعاد العولمة

فريق للفكرين الذي لا يعتبر العولمة محصورة في بعدها الإتصالي والعلوماتي وينظر للعولمة بأنها نظام اجتماعي، يورد منهجاً نظرياً لمكوناتها. لقد تعرفنا في قسم تعريف العولمة على منهجية لزي اسكير حيث وإلى جانب التأكيد على بعدها الإقتصادي، إعتبر على نحو العموم أن المكونات الإقتصادية-التجارية، والسياسية-الطبقية، والثقافية-الإستهلاكية للعولمة بمثابة نشاطات ومنهجيات سلوكية دولية. في حين ينبغي اعتبار هذا التصنيف مجرد مكونات اقتصادية للعولمة، إذ انخرطت فيه المكونات السياسية والثقافية في إطار المكونات الإقتصادية حتى صارت كافة المكونات التي يعنى بها إسكير ذات صبغة اقتصادية. على كل حال، سواءً التفت منظرو العولمة للأمر أم لم يلتفتوا، فإننا لا يمكننا أن نغفل عن الأبعاد الثقافية والسياسية للعولمة وإن كان القطاعان يتمتعان باستقلال نسبي.

واحد آخر من الفكرين ممن حاول أن يتعاطى مع العولمة بمثابة نظام اجتماعي، مانويل كاستلز وذلك في كتابيه "مدينة المعلومات" و"العصر المعلوماتي"، علماً أن هذا الشخص ماركسي المذهب وله فيوده النظرية وأكد على البعد الإقتصادي العالمي. رغم أن البعد الإقتصادي العالمي، وكما اشرنا سابقاً، هو الطاغى على العولمة لكنه لا ينبغي أن يجرأ إلى تجاهل باقي مستويات النظام الاجتماعي. على كل حال، فيما يتعلق بالبعد الإقتصادي للعولمة أو حسب ما يعبر عنه كاستلز بالعصر الإتصالي الذي هو بمثابة نظام اجتماعي، يعتبر هذا العصر مثلماً تمثل أبعاده الاجتماعية والإقتصادية والفنية أضلاعه الثلاثة. فالبعد الاجتماعي لهذا العصر يتمثل بالرأسمالية بما فيها من متناقضات وإبهامات بالإضافة إلى العلاقات الاجتماعية ومنهجية الإنتاج. البعد الإقتصادي يعنى بالترعة للعلوماتية بصفتها أسلوباً جديداً للتنمية، ومنهجية الإنتاج فيه تعتمد في الغالب وخلافاً لباقي أساليب الإنتاج، على الأدوات الخفيفة لا الثقيلة. أي أن البلد الذي ينتج معلومات أكثر وقادر على اكتساب معلومات أكثر يكون قادراً بشكل أكبر على طي مراحل النمو. أما البعد الفني فيعنى بتقنية المعلومات^(٢)، وهذا البعد يعتبره بعض مفكري العولمة هو الأساس خلال تعريفهم لها.

1- Ibid, pp. 6-7.

2- Manuel Castells. Information City Cambridge: Blackwell, 1993.

لكنه وبالإضافة إلى البعد الإقتصادي للعولمة التي يراها كاستلز بمثابة مثلث تمثل الجوانب الإجتماعية والإقتصادية والفنية أضلاعه الثلاثة ويراها إسكير مثلثاً تمثل الجوانب الإقتصادية والسياسية والثقافية-الأيدولوجية تلك الأضلاع الثلاثة، يجب الإلتفات إلى ضرورة تجنب هذه النظرة التحجيمية والإهتمام بالجانبين السياسي والثقافي لها. فالوجه السياسي لهذه العولمة هو تحجيم دور الحكومة-الأمة وزيادة دور وقدرة الشركات والمنظمات الإقليمية والدولية، وفي هذا التيار تفقد الحكومات الوطنية بالتدريج إدارتها وصلحياتها. فبسبب الإتصالات العالمية وتقنية المعلومات وسيادة النزعة المعلوماتية، يتضاءل بالتدريج إشراف وسيطرة الحكومات على العناصر الداخلية سواء الثقافية والإقتصادية والسياسية. وهنا تجدر الإشارة إلى أنه وخلافاً للمسيرة التدريجية لتحجيم دور الدولة-الأمة بزعم بعض مفكري العولمة، فإننا نشاهد دوراً إرادياً للحكومات في تحجيم دورها بنفسها والإلتحاق بشبكات العولمة وخاصة الشبكات التجارية والمنظمات التجارية العالمية، الأمر الذي قد يبدو عجبياً. بعبارة أخرى، وعلى صعيد البعد السياسي للعولمة وقبل أن تتبلور عولمة السياسة تلقائياً فإنها تحصل بواسطة الحكومات، أي أن الحكومات هي نفسها عامل تحقق هذه العولمة المصطلح أو الراسمالية بحيث تعمل وتبادر عبر انضمامها بمحض إرادتها للشبكات والمنظمات الدولية وخاصة منظمة التجارة العالمية -إذ أن لبنة العولمة في البعد الإقتصادي أساساً تتجسد في منظمة التجارة العالمية، بل التجارة العالمية ككل- إلى إضعاف نفسها من الداخل وتساعد بذلك على نجاح الدول المركزية والتمادي في فرض هيمنتها بمرور الأيام. لذا وقبل أن تكون العولمة حقيقة لا مناص عنها أو محصلة، فهي عملية إرادية وبرنامج خططت له حكومات ودول خاصة.

أما البعد الثقافي فيعنى بمواضيع أثارها وحددها كل من فوكوياما وهانتينغتون وضمّنها البيان الصادر عن ثمانية وخمسين من أئمة المثقفين الأميركيين في الدفاع عن النزعة التوسعية الإقتصادية والعسكرية. مواضيع كانتهاء التاريخ وانتهاء الأيدولوجية وأن مآل المجتمعات في مسيرتها هو الليبرالية الديمقراطية وحقوق الإنسان أو الأمركة. كما أن للقومات الثقافية للعولمة تصب بنحو ما في خدمة الراسمالية وبلورة السيطرة لها وتوحي بأن العولمة محصلة أو مشروع حقيقي لا يمكن تجنبه. في البيان المذكور الذي حمل أيضاً توقيع فوكوياما وهانتينغتون، وإلى جانب التأكيد على حقوق الإنسان، يجري الإصرار على الحرب من أجل الدفاع عن هذه الركائز، وعلى العلمانية وفصل الدين عن السياسة، والتساهل والتسامح في ظل مفهوم نسبية الحقيقة، دون أن يتحدد كيف يمكن أن يجتمع مفهوم كون الحقيقة نسبية مع البادئ المتعلقة بحقوق الإنسان.

وبغية أن ينعم أي نظام اجتماعي بالإستقرار والثبات فإنه لا بد من التنسيق في القومات الثقافية والسياسية والإقتصادية والإهتمام بهذه العناصر بشكل متزامن. في خضم ذلك،

يستلزم ثبات المجتمع الرأسمالي العالمي وإلى جانب التحول الذي يطال البعد الإقتصادي بصفته العالمية، حصول تحول في النظام السياسي على الصعيد العالمي أيضاً الأمر الذي بات يتحقق في ظل تحجيم دور الحكومات الوطنية. أضف إلى ذلك لا بد من تأمين، عنصر الهيمنة، مهما كانت الوسيلة، لهذا النظام العالمي غير القياسي وغير المتسق، وبما أن أميركا هي المهيمن الحالي على نظام الرأسمالية العالمي فمن الطبيعي أن يجري التلقين بأن القيم الأميركية هي القيم العالمية والسيطرة والمصرية المحتمة على البشرية.

ومثلما أشرنا فإن المنظمات الدولية تعمل على الصعيد العالمي في خدمة نظام الرأسمالية.. فمثلاً تعد "مجموعة الدول السبع الإقتصادية" واحدة من رموز الإنتاج، فيما يمثل صندوق النقد الدولي الرمز للمالي، وينظر لمنظمة التجارة العالمية و"الغات" على أنهما بعدان تجاريان للعولمة.

ويستدل فان داربييل على أن طبقة الرأسمالية تعتمد في ظل تقدم العولمة إلى إيجاد تحول على الصعيد الدولي وغير ثلاثة مراحل:

- ١- حصول هذه الطبقة على وعي طبقي.
- ٢- تتخذ هذه الطبقة هيكلية شبه رسمية للسيطرة في المستوى الدول، كما هو الحال مع منظمة الأمم المتحدة التي جعلت العالم مكاناً آمناً للرأسمالية وذلك بالإعتماد على قوة أميركا.
- ٣- هذه الطبقة تجعل اليد العاملة اجتماعية كي يمكن بواسطتها وضع حدود لأجواء الإقتصاد الدولي. والحقيقة أن هذا الأمر يتحقق بتداول التجارة والإستثمار والإنتاج الذي يقسم العالم إلى دول مستثمرة وأخرى مستثمرة.^(١)

٢-٣: مراحل العولمة

حسب تفسير روبرتسون الذي يعد من السابقين لمشروع العولمة، فإن تاريخ العولمة يعود إلى ظهور الرأسمالية. وعموماً فهو يعتبر أن مسيرة العولمة تتمثل في سلسلة مرتبطة من خمس مراحل هي^(٢)

- ١: للرحلة الإبتدائية (أوروبا ١٤٠٠-١٧٥٠).. نلاحظ في هذه المرحلة، تفكيك الكنيسة، وظهور المجتمعات التي تديرها الحكومات، وكذلك الكنيسة الكاثوليكية العالمية، والتعميمات الخاصة بالبشرية والفرد وأول نماذج لخارطة الكرة الأرضية والتقويم العالمي للغرب والإكتشافات العالمية وظاهرة الإستعمار.

١. وانترز، الصدر السابق، ص ١٢٧.

٢. الصدر السابق، ص ص ٦٩-٧١.

٢: المرحلة الأولى (أوروبا ١٧٥٠-١٨٧٥).. نواجه في هذه المرحلة، ظاهرة بروز الحكومة-الأمة، والدبلوماسية الرسمية بين الدول، ومسألة المواطنة، والمعارض الدولية، والإتفاقيات المتعلقة بالعلاقات، والمعاهدات الحقوقية الدولية، وظهور الأمم غير الأوروبية، وتفتح المراكز الأولى للنزعتين الدولية والعالمية.

٣: مرحلة تسجيل القفزة (١٨٧٥-١٩٢٥).. نشاهد في هذا المرحلة، مفهوم العالم في إطار العناصر العالمية الأربعة المتمثلة بالحكومة-الأمة والفرد والمجتمع الدولي الواحد والبشرية الواحدة، وكذلك الإتصالات الدولية، والرياضة والعلاقات الثقافية، والتقويم العالمي، وأول حرب عالمية، والهجرة الواسعة على الصعيد العالمي وقيودها، وتزايد عدد غير الأوروبيين في النادي الدولي (الحكومة - الأمم).

٤: مرحلة السعي لكسب السلطة (١٩٢٥-١٩٦٩).. يلاحظ في هذه المرحلة، تبلور المجتمع الدولي ومنظمة الأمم المتحدة، والحرب العالمية الثانية، والحرب الباردة، ومفهوم جرائم الحرب، الجرائم ضد الإنسانية، وتهديد العالم بالقبلة النووية بالإضافة ظهور العالم الثالث كجزء من العالم.

٥: المرحلة الترحيبية (غير الحتمية) (١٩٦٩-١٩٩٢).. تتجلى في هذه المرحلة بوضوح أمور عدة منها، اكتشاف عالم الفضاء، والقيم الأوسع من المادية والحوار القانوني، والمجتمعات العالمية القائمة على التمييز العنصري والطائفي والجنسي، وشيوع وتعقد العلاقات الدولية، ومعرفة القضايا البيئية العالمية، ووسائل الإعلام العالمية عبر التوصل إلى تقنية الأقمار الصناعية.

يلاحظ تماماً أن تبويب وتصنيف المراحل من قبل روبرتسون يشمل كل تحول دولي وعالمي في الميادين المختلفة لكنه لا يتحدث عن أي نوع من الأولوية والقيمة. ورغم أنه يرى ظهور العولة المتداولة مواكباً لظهور وتبلور الرأسمالية إلا أن الصلة بين المفاهيم المطروحة في التبويب الخماسي مع النظام الرأسمالي غير واضحة المعالم في مشروعه.

بيد أن تقسيماً وتبويباً أكثر شمولية وواقعية صدر عن ديفيد هيلد، حيث يتطابق مع الوقائع والحقائق والتطورات الراهنة للعالم الرأسمالي بقيادة أميركا. إن المراحل التي يقرها ديفيد هيلد في بلورة العولة هي كالتالي:^(١)

١: تعزيز العلاقات الاقتصادية والثقافية أدى إلى إضعاف قوة وفاعلية الحكومات على صعيد الحكومة-الأمة (إذ لن يتسنى للحكومات إثر ذلك نشر أفكارها ودفع سلعتها الاقتصادية إلى ما وراء الحدود)، ومن هنا تفقد أدوات سياستها الداخلية فاعليتها.

٢: تأخذ قوة الحكومات بالضعف تدريجياً بسبب المنحى التصاعدي الذي تشهده العطببات الدولية من حيث اتساع النطاق وتزايد العدد. فتكون الشركات العالمية في الغالب على سبيل

- المثال، أكبر من كثير من الحكومات وأكثر منها قوة وقدرة.
- ٣: على هذا الأساس، فإن غالبية الدوائر الحكومية التقليدية المسؤولة كالدفاع والاتصالات والإدارة الاقتصادية يجب أن تكون متماشية مع المبادئ الدولية أو متناسقة مع المبادئ المقررة بين الحكومات.
- ٤: من أجل ذلك، تضطر الدول إلى أن تحد من حاكميتها في أطر سياسية أكبر مثل المجتمع الأوروبي وآسيان، أو للعاهدات للتعهد الأطراف كحلف الناتو ومنظمة الأوبك أو المنظمات الدولية كمنظمة الأمم المتحدة ومنظمة التجارة العالمية وصندوق النقد الدولي.
- ٥: لهذا يجري حالياً تبلور "حاكمة عالمية" بنظام سياسي وإداري خاص يؤدي إلى تناقص قدرة الحكومة.
- ٦: يوفر هذا النظام، أي الحاكمية العالمية الأساس والركيزة لانطلاق حكومة عالمية ذات قدرة متفوقة عسكرياً وتشريعياً.
- إن الراحل التي يذهب إليها ديفيد هيلد تنطبق تماماً مع مساعي النظام الرأسمالي وهيمنته وقوته المسيطرة والمتمثل بأمريكا التي تحاول إيجاد حكومة دولية تمتاز بالقوة والتفوق العسكري تؤدي إلى قيام حكومة عالمية.

٢-٤: ماضي العولمة وأسسها المعرفية - الاجتماعية

لا ريب أن تاريخ العولمة يرتبط بظهور وتطور نظام الرأسمالية، ولذا لا يمكن فهم العولمة دون معرفة أسس وجذور وماضي ومتناقضات وإبهامات النظام الرأسمالي. إن أسئلة مثل، ما هي الرأسمالية؟ وما أسسها النظرية والاقتصادية على نحو الخصوص؟ وما هي المتناقضات التي تواجهها خلال مسيرة نموها؟ وكيف استطاعت أن تكيف نفسها مع هذه المتناقضات عبر إجراء تغيير في بعض مكوناتها وأبعادها؟ وما هي أقسام وأنواع الرأسمالية؟، ليست بالأسئلة التي يمكن الإجابة عليها في مقال واحد بل تحتاج إلى بحث مستقل. أما العلاقة بين العولمة والنظام الرأسمالي فيقرها تقريباً كافة مفكري العولمة سواء المدافعين عنها أو الناقدين لها.

إننا نلاحظ وبنحو ما أثار النظام الرأسمالي في نتائج كافة للفكرين المشغولين في عملية التنظير للنظام والمجتمع العالمي في إطار نظريات الإمبريالية والإمبريالية الحديثة والتحديث والنزعة التكاملية الحديثة ونظريات الماركسية الحديثة كنظريات التبعية والنظام العالمي ونظرية التقسيم الدولي الجديد للعمل ونظرية أساليب الإنتاج. إن نظرية الإمبريالية أو النزعة الإستعمارية تحاول تبين وإثبات أن هيكلية المجتمع العصري قائمة على أساس الصراع بين

القوى الرئيسية للحصول على الأسواق الجديدة والصادر المتعلقة بالمواد الخام وفرص الإستثمار ومساعدتها لبسط نفوذها السياسي والثقافي. كما أن نظرية تحديث النظام العالمي تقوم في الغالب على التمييز بين المجتمعات المتحضرة والتقليدية، وتتمحور فكرة هذه النظرية حول أن التنمية تقوم على أساس القيم والميول ولا علاقة لها بالمصالح المادية والنزعة التوسعية للرأسمالية.^(١) على أن سر نجاح الأنظمة المتطورة أو الرأسمالية يرتبط بنمط رؤية الناس الثقافية لهذه المجتمعات حيث تقوم بتعزيز النزعة الفردية والجنوح للمغامرة والتحديث والغوص في الأعمال ذات الطابع الدنيوي، والإبتعاد عن نزعة الإلتزام بالناسك والقضاء والقدر. وعلى عكس "الذهنية التقليدية المتأثرة بالسحر والدين، فإن أذهان المتحضرين متأثرة بالتدبير والتفكير العقلاني والتجارب العلمية".^(٢) ورغم أنه يتم نفي النزعة التوسعية لنظام الرأسمالية أو بعبارة أخرى صلة الخارج (الأجنبي) بتخلف المجتمعات غير النامية في هذه النظرية إلا أنه ينظر للتنمية بأنها مناسبة لأنموذج الرأسمالية بل يعتبر النموذج الوحيد الممكن لتحقيق التنمية. لقد اعتمدت هذه النظرية بمضمونها ذي النزعة التكاملية، التنمية باتجاه واحد وهي ترى أن المجتمعات الرأسمالية تقف على قمة هذه التنمية وينبغي للمجتمعات الأخرى إذا ما أرادت أن تنفض عن نفسها غبار التخلف وتضع قدمها على سلم التنمية، أن تطوي نفس الطريق الذي طوته من قبل المجتمعات الغربية في إطار منهج التمايز البنيوي وعلم النفس والثقافة ونماذج محصلة المدنية والتغريب والتحول إلى طابع صناعي.^(٣) لذا يمكن بشكل ما ملاحظة الصلة بين النظام العالمي والنظام الرأسمالي في هذه النظرية.

يجري الإعتقاد في النظرية الماركسية الحديثة أو التبعية بأن النظام الرأسمالي العالمي يعمل في الغالب وليس على نحو الحصر، وعن طريق الشركات العالمية على إبقاء العالم الثالث يغط في مستنقع التخلف.^(٤) وفي هذه النظرية تكون الإتصالات الخارجية واستثمار الفائض الإقتصادي للدول المتخلفة ذات أثر خاص في تخلف هذه الدول.^(٥)

أما فيما يتعلق بالنظرية العالمية المسجلة باسم أمانويل فالرشتاين، فقد جرى عرض تفسير منتظم على أساس تقسيم العمل بين المركز والدول التابعة لها أو الملحق بها وشبه

1- Sklair, op,cit., p. 29.

2- Ibid., p. 29.

٣ - عماد افروغ، آفاق نظرية على التحليل الطبقي والتنمية، الطبعة الثانية، الثقافة والعرفة، ٢٠٠١، ص ٧٩-٨٤.

4- Op,cit., p. 31.

٥ - عماد افروغ، المصدر السابق، ص ص ٨٦-٩٦.

الملحقة وذلك على أساس النظام الرأسمالي العالمي وبعده المتغير. إستناداً لهذا النظرية، قدم فروبل نظريته في التقسيم الدولي الجديد للعمل. وتركز هذه النظرية على إفرزات التغييرات في ستراتيجيات الإنتاج العالمي للشركات العالمية خلال العقود الأخيرة. وعلى خطى فالرشتاين ومنظري النظام العالمي، عمد انصار هذه النظرية إلى تقسيم الرأسمالية العالمية إلى مركز وأطراف (دول تابعة) وما بعدها في دائرة المراتب حيث يتحول العمل والنشاط فيها باتجاه تنظيم سجل (الحد الأقصى) الأرباح للشركات الدولية وبالتالي حل مشاكل المجتمعات الرأسمالية الرئيسية.^(١)

وخلالاً لنظرية التبعية التي تؤكد على العوامل الخارجية في التخلف، تركّز نظرية أسلوب الإنتاج على العوامل الداخلية. وعلى نحو الخصوص، يجب البحث عن انقلاب في أسلوب إنتاج فرماسيون اجتماعي خاص وعناصره التطبيقية. وعلى عكس منظري التبعية الذين يؤكدون على ضرورة الإنقصاص والإبتعاد عن النظام الرأسمالي العالمي، إعتبر بعض منظري أسلوب الإنتاج اتباع النهج الصناعي في الرأسمالية هو السبيل الوحيد للتنمية وبالتالي الانقلاب الإشتراكي في العالم الثالث. واستناداً لهذه النظرية، فإن الرأسمالية العالمية توفر القوة الدافعة اللازمة والحركة لحصول انقلاب في الدول التي تعمل فيها الشركات الدولية.^(٢) إن منظري هذه النظرية يؤمنون وإلى جانب التأكيد على دور الشركات الدولية في النظام الرأسمالي العالمي، بالتحول في الأنظمة الاجتماعية الماركسية الأرثوذكسية.

أما بول سونيزي وهو أحد منظري نظرية التبعية أيضاً، يؤكد على صلة العولمة بالنظام الرأسمالي.

إن العولمة ليست بوضع أو ظاهرة [حديثة الولادة]، بل هي مسيرة تبلت معالمها منذ فترة طويلة. وفي الحقيقة إن العولمة كانت تطوي مراحل تبلورها عندما بدأت الرأسمالية تطرح نفسها، أي قبل أربعة أو خمسة قرون وحتى الآن، كصيغة للمجتمع البشري.

إن الرأسمالية تعد في جوهرها، سواء من الناحية الذاتية أم من الناحية الخارجية، نظاماً توسعياً. فإذا امتدت جذور هذا النظام نما وانتشر وانتقل إلى ما يحيط به.^(٣)

وحسب تعبير روزا لوكسمبورغ، فإن الرأسمالية عملت منذ أن رأت النور على التغلغل وتوسيع نفسها في أجواء غير رأسمالية وعاشت في نطاق مفاهيمها وبهذه الطريقة فقط

1- Op.cit., p. 34.

2- Ibid., p. 35.

٣. بول سونيزي، العولمة، باي هدف؟ ترجمه للفارسية: ناصر زرافشان، طهران: نگاه للنشر، ٢٠٠١، ص ٧.

استطاعت أن تواصل حياتها.^(١) وطبعاً فإن تدويل الثروة المالية يعد البعد البارز والمميز لمسيرة العولمة.^(٢) أما سمير أمين أحد منتقدي عولمة الرأسمالية، فيرى أن الإمبريالية ليست مرحلة من النظام الرأسمالي بل إن الرأسمالية جيلت على النزعة التوسعية منذ البداية. إن التسخير الإمبريالي للكرة الأرضية من قبل الأوروبيين وأبنائهم في أميركا الشمالية قد تم على مرحلتين (النظام الرأسمالي الإنتفاحي، وتدمير حضارات الهنود الحمر وتغيير هويتهم إلى أسبانيين ودينهم إلى المسيحية، ونظام الرأسمالية القائم على الثورة الصناعية ضمن إطار القيادة الإستعمارية لآسيا وأفريقيا)، وهذا النظام ربما يكون اليوم قد دخل المرحلة الثالثة. إننا نشاهد اليوم عمليات الموجهة الثالثة من تدمير العالم في إطار النزعة التوسعية للإمبريالية التي تجرأت أكثر بعد انهيار نظام الإتحاد السوفيتي والأنظمة الوطنية-الجمهورية الشعبية للعالم الثالث. إن أهداف الرأسمالية المهيمنة هي نفسها الأهداف الماضية، أي السيطرة على حركة الأسواق، ونهب المصادر الطبيعية للكرة الأرضية والإستثمار الإستثنائي لاحتياطي العمل في المناطق التابعة. وعلى حد قول سمير أمين فإن حوار الأيديولوجية المعتمد بهدف كسب رضا الناس هو نفسه الكلام القديم لكنه بصورة منمقة ومرممة، ومصاغ على أساس "مهمة التدخل" ومنه على سبيل المثال، التدخل بحجة الدفاع عن الديمقراطية وحقوق الإنسان والنزعة الإنسانية. إضافة إلى ذلك، تقوم الولايات المتحدة الأميركية بتنفيذ ستراتيجية منتظمة وحسب مراحل مرسومة الواحدة تلو الأخرى حتى تحقيق هدفها المنشود والتمثل بتأمين سيادتها المطلقة. هذه الاستراتيجية يجري تنفيذها بواسطة استعراض قوة عسكرية تضع كافة شركاء أميركا الآخرين في المثلث (أوروبا الغربية واليابان) خلف هذا البلد وتمنحهم الثقة والوحدة. إن الأيديولوجية الأميركية غلفت وعرضت مخططاتها الإمبريالية بغلاف المهمة التاريخية للولايات المتحدة. وإلى جانب هذه الأيديولوجية، يتم تعريف السيادة الأميركية على العالم بأنها حنونة ومصدر التطور في مجال الموازين الأخلاقية وأسلوب الديمقراطية، حتى عمد إلى إخراج مصطلحات السيادة الأميركية والسلام العالمي والديمقراطية والتقدم المادي ضمن تركيبة واحدة لا يمكن الفصل بينها.^(٣)

ولعل هجوم الرئيس الأميركي على العراق تحت يافطة تحقيق الديمقراطية فيه يمثل مصداقاً بارزاً وعينياً للنزعة السلطوية في النظام الرأسمالي بزعامة أميركا. وكما يلاحظ فإن

١- المصدر السابق، ص ٨.

٢- هاري مكنايف، "العولمة، بأي هدف؟"، المصدر السابق، ص ٩٤.

٣- سمير أمين، "الإمبريالية والعولمة"، السابق، ص ٢١-٢٢.

النقاط التي عرضها سمير أمين بشأن الديمقراطية وحقوق الإنسان المتعلقة بالنظام العالمي للراسمالية أشبه ما تكون بالنقاط التي أدرناها في ذيل الحديث عن البعد الثقافي للنظام العالمي. وعموماً، فإن للعولمة ارتباطاً وثيقاً بالنظام الراسمالي.. إن أقصى ما يمكن حمله على التفاؤل وحسن الظن في هذا الارتباط يتمثل في تحقيق منفعة أكبر لنظام الراسمالية بينما الإحتمال الآخر فيه فهو تحرر النظام الراسمالي من الطرق المسدودة والمتناقضات التي تواجهها الراسمالية عموماً سواءً من الناحية النظرية والعرفية أم من الناحية الإقتصادية-الإجتماعية. لقد حاولت الراسمالية دوماً وبشتى الطرق التخلص من المتناقضات التي تحملها في ذاتها وصولاً إلى توسيع نطاقها. إن الراسمالية وبسبب قيامها على أساس العصرية والحداثة وفكرة الإعتماد على ذاتها والتي تحمل في نفسها على التهديم والتخريب، فإن العقلية الذرائعية المنبثقة عنها تسعى دوماً إلى التحرر من هذا التناقض الذاتي، الأمر الذي يحول دون استمرار عولسة الراسمالية. إن الأومانيسمية (الحركة الإنسانية) وفكرة البناء الذاتي والنزعة التجريبية التي تشكل أساس الراسمالية، إنتهت إلى نفي الذات والغاية بالنسبة للإنسان وذلك بنفيها لوجود الله تبارك وتعالى، وأل أمرها عبر مراحل تاريخية متباينة إلى الغوص في الرؤية العدمية وإلغاء دور الإنسان علانية وتفنيده دور عقله في مرحلتي نيتهش والعصرية للتطورة. وبلغت الأومانيسمية ذروتها في عصر الإزدهار الثقافي الذي اكتسبت فيه الراسمالية أيضاً زخماً جديداً. على العموم يمكن اعتبار مكونات الثقافة الأساسية أي العقلانية القائمة على الروح الفردية الذاتية والنزعة التجريبية جناحي الحقيقة. وفي هذا التفسير للحقيقة، يتم إلغاء البعد الأزلي والميتافيزيقي للحقيقة والوحي وبالتالي إشاعة النزعة التعاقدية والعقلية التفاهمية الوصلية والنزعة الذرائعية وتبرير الوسائل من أجل الهدف والغاية وذلك بسبب نبذ الجوهر والميل للتشكيك في علم الوجود وعلم العرفية.

إن الإعتماد بالعقل الإنساني ذي النزعة الفردية والتجريبية في الحركة الإنسانية والتثقيفية، وبسبب نفي الوجود الضروري يؤول الأمر إلى نفي حقيقة الحقائق والحقيقة الغائبة أو إلى نفي نفسها حسب تعبير لايب نيتهس موناك. هذه العدمية العرفية، تجعلان الراسمالية تواجه دوماً طريقاً مسدوداً وأزمة، وتدفعها دوماً للمزيد من التحرك والبحث. وظلنا لم يتم إعلان العدمية للناس لأسباب غالبيتها إجتماعية-ثقافية فإن الراسمالية ستواصل انتشارها في أجواء تبدو آمنة في الظاهر، أما إذا عرضت العدمية العرفية نفسها للناس فإن الراسمالية والفاشية ستواجهان أزمات إجتماعية عظيمة. ولقد حصل هذا الأمر في الحربين العالميتين الأولى والثانية وهي على وشك أن تحصل مرة أخرى بطرح الحدانة المتطورة التي تلغي

كل نوع للرواية والجوهر والغاية بالنسبة للإنسان، وبالتالي فهي ستدفع النظام الرأسمالي إلى الدخول في مرحلة جديدة من النزعة الحربية.

ومع إثارة العقلانية الفردية والتجريبية، تثار أيضاً الفلسفة الطبيعية والتحليلية لنيوتن التي هي خليط من الفلسفة العقلية لديكارت ونزعة المشاهدة العينية لغاليلو. وفي عبارة مقتضبة، تتلاشى مفاهيم الرب والوحي والميتافيزيقية ويصبح الإنسان محل الرب ويتصاعد تيار الحركة الإنسانية في عصر الإنفتاح الثقافي. الثورة الفرنسية التي تعد ثمرة عصر الإنفتاح الثقافي باتت تواجهه بعد تجاوزها مرحلة الحماس والنشاط ردود فعل النزعة الجماعية والأشخاص المحافظين المطالبين بالعودة إلى مرحلة نعيمهم السابق. وعلى نحو التوبوب، فإن بعض ردود الفعل إجتماعية فيما يعد بعضها الآخر معرفياً ونظرياً. ويراد بالقسم الإجتماعي منها إلغاء المظاهر الجمعية والثقافية للحياة الجماعية من قبل الإنفتاح الثقافي وثمرته أي الثورة الفرنسية. حينما تثار علامات الإستفهام ويشكك بالمجتمع والثقافة اللذين يمثلان أساس اتصال بني البشر وتحملان صبغة إنسانية وعاطفية، فيجب توقع ظهور نزعة التطرف في هذا المضمار، وفي الحقيقة أن ظهور ردود الفعل المتطرفة لرواد النزعة الجمعية في إطار أفكار بونالد وميستر والميل إلى بعض أفكار منتسكيو وروسو في إطار الرومانسية وكذلك ظهور النزعة الجمعية يعد رد فعل طبيعياً في مقابل إلغاء المجتمع والمظاهر الجمعية في إطار الروح الفردية للثورة الفرنسية. أما القسم النظري والمعرفي من ردود الفعل الإجتماعية فمرتبط بالجوانب العصرية وفكرة العدمية وذلك لانبنائها من هذه الجوانب. في الحقيقة أن قتل الإنسان حسب رؤية نيتشه والعصرنة المتطورة هي نتيجة طبيعية لنفي الله في النزعة العصرية. فعندما يلغي الإنسان السند الذي يستند إليه ولا يعتقد بأي قيمة غائبة فعليه أن ينتظر موته أيضاً. بعبارة أخرى، فإن عقليته الذاتية مهدمة ومحطمة. أي أن العدمية للعرقية تكون مقدمة لبروز الحرب العالمية. في الواقع أن الحرب العالمية هي نتيجة أزمة معرفية تعاني منها الرأسمالية والنزعة العصرية في الغرب، وبعبارة أخرى هي أزمة ذاتية واجتماعية للرأسمالية والنزعة العصرية. وبعد الحرب نلاحظ مرة أخرى ازدهاراً للرأسمالية والروح الفردية الليبرالية في مقابل الروح الفاشية الجماعية المتطرفة. إننا نواجه اليوم مرحلة أشبه ما تكون بمرحلة ما بعد الحرب الباردة، وفيها يطرح مفهوم انتهاء الأيديولوجية من قبل إدوارد شيلز كما هو الحال لمفهوم انتهاء التاريخ من قبل فوكوياما. في تلك المرحلة يتم التشكيك بكل مبدئية ورؤية للمدينة الفاضلة وذلك تحت باقطة أنها غير علمية وغير مجربة، لكنه اتضح مع كساد الرأسمالية في عقدي السبعينات والثمانينات أن هذا الكلام نفسه كان بمثابة نظرية. ومع انهيار الإتحاد السوفيتي وانعدام بريق

الشعارات الإشتراكية، إكتسبت الرأسمالية نبضاً جديداً وفي هذه الأجواء إزداد رونق كلام فوكوياما بشكل مباشر وهانتينغتون بشكل غير مباشر. ومع إنارة مفهوم العصرية المتطورة تتبلور اليوم مرة أخرى الرؤية المعرفية الذاتية العدمية للرأسمالية والذي يمكن أن يكون مقدمة لأزمات اجتماعية كبيرة كما أشر سابقاً.

على الصعيد الإجتماعي، تواجه الرأسمالية أيضاً تناقضات وإبهامات.. ففي النظام الرأسمالي يوجد دوماً شرح وتناقض لا ينحل بين مبدأ الربح لصاحب الثروة وبين حاجة الناس. فالربح الرأسمالي للنتيقت من الروح الفردية والتعاقدية لا يتواءم أبداً مع الحاجة الجمعية، ولو لاحظنا في واحدة من مراحل نمو وازدهار الرأسمالية اهتماماً بحكومة الرفاهية فذلك ليس من باب منطلقاتها الذاتية الإجتماعية، بل من باب التصدي للمنافس الروسي والفرار من مساراتها الخلفة التي قلصتها عن طريق إيجاد قضايا أخرى. مع انهيار الكتلة الشرقية والإيحاء بأن هذا الإنهيار يمثل انتصاراً في الواقع للحرية على العدالة الإجتماعية، عادت الرأسمالية مرة أخرى إلى نمط السوق الحرة السابق. ومع هذه العودة وعدم الإهتمام بالسياسات الرفاهية وأزمة البطالة للتفاقم، نشاهد اليوم حركات عمالية ضمن تيارات مناهضة للعولمة. إن ما يواجهه النظام الرأسمالية النفعي اليوم مرة أخرى هو الميل الذاتي في الغرب إلى العدالة، الميل الذي اتخذ صبغة مناهضة للعولمة. لقد بدأ الغرب اليوم يشهد تبلور حركات اقتصادية ذات صبغة شبيهة بالماركسية تقف في مواجهة عولمة الرأسمالية. إن الأسس التعاقدية الرأسمالية سواء كانت في إطار النظام الرأسمالي الحر أم في صيغة النظام الرأسمالي لحكومة الرفاه أم النظام الرأسمالي المتمحور حول الملكية (property-owned) حسب تعبير جان راولز، لا تسمح بالإهتمام العميق والجذري بحاجة الناس ضمن مفهوم خلق فرص متساوية واتخاذ سياسات عادلة، ذلك أن الإهتمام الجذري بالحاجة الجمعية رهين بالميل لفلسفة اجتماعية خاصة، فلسفة تقر على الأقل بالأصالة للمجتمع الذي يعد بمثابة وجود قائم للروح الجمعية للأشخاص فضلاً عن إيمانها بالأصالة الفردية لكل شخص الأمر الذي لا يمكن أن نجد له مصداقاً حياً في أي من الأنظمة الرأسمالية.

التناقضات المتوافرة في النظام الرأسمالي تشهد هي الأخرى على الشرخ والحالات المتضادة بين المنطلق وبين هيكلية هذا النظام. فهيكلية النظام الرأسمالي لا تتواءم مع منطلق حكومة الحد الأدنى الذي يشير إليه جان لوك. وهل يمكن الجمع بين النظام الإمبريالي الرأسمالي مع نظام الحد الأدنى؟! إن الرأسمالية قائمة على تعاليم وشعارات الحكومة المدنية، والمجتمع المدني، والوطنية وما شابه ذلك فكيف لها أن تتكيف مع النظام العالمي والعولمة؟

٢-٥: مخاطر وفرص العولمة

من المستحيل الخوض في كافة صور وأبعاد المخاطر والتهديدات الناجمة عن العولمة في مقال بهذا الحجم، بيد أنه يمكن في ظل ما تمت الإشارة إليه حتى الآن، اعتبار أن أهم أخطار وتهديدات العولمة هو أطرفة العالم (أي وضع أطراف وهوامش للعالم الرأسمالي واعتباره مركزاً) سيما وأن الدول الرأسمالية الأصلية معدودة كما أن الهوة بينها باعتبارها للمركز والمحور وبين الأطراف. وفضلاً عن التبعات والضرورات الإقتصادية المترتبة على هذه الأطراف والتهميش فإنها تشتمل في الجانب الإقتصادي على الميل للإستيراد والإستهلاك وعدم التفكير بالإعتماد على النفس وتوظيف الإمكانيات وترجمة الإبداعات الذاتية إن القبول بالأطرفة وإلى جانب أنه يمثل نوعاً من الإستلاب الثقافي ويمهد الطريق للتغلغل السياسي والثقافي للنظام الرأسمالي، يكون على صعيد الواقع مصاحباً لتداعي أركان الحاكمة الوطنية ونهب الثروات وإيجاد فرص الإستثمار المالي والصناعي للنظام الرأسمالي والتأثر بتقسيم العمل الدولي والقبول بدور فرعي في النظام الدولي لتقسيم العمل. على أننا نواجه تدريجياً في النظام العالمي سواء في المركز أم فيما يرتبط بصيغة عولمة الرأسمالية، أزمة البطالة الناجمة عن التقسيم الجديد للعمل. إن النظام العالمي يسير باتجاه بحيث أن عدداً قليلاً من الأشخاص سيتمتع بأمن العمل وهم أصحاب التخصص والتكنولوجيا وفي هذه الظروف ينخفض مؤشر أمن العمل إلى حد بعيد بالنسبة لليد العاملة المعتمدة على الجهد العضلي.

وفي ظل الأطراف، تصبح الدول التابعة هي الأرضية لتجسيم التناقضات الذاتية للرأسمالية، أي أن الدول غير الرأسمالية لو اتسم عملها بوعي أكبر ووقفت بوجه إنتاج ونشر الأجواء الرأسمالية وتصدت لها بفعل ما تمتلكه من إمكانيات ومؤهلات ذاتية لما كان النظام الرأسمالي قد نما بالشكل الذي هو عليه اليوم، إن لم نقل لما كان له وجود في عالمنا المعاصر.

وحسب تعبير هاري مكداغ، فإن الجانب المفصلي للعولمة-تيار التعجيل بالإستثمار المباشر من قبل دولة في دولة أخرى- يجد ذاته رد فعل في مقابل الكساد الرأسمالي.^(١) إن القبول بالنظام الرأسمالي يعني إيجاد الأرضية لنوع من التهرب في النظام الإقتصادي، أي إيجاد نوع من الرخوة وعدم التنافس في المستويات النظرية الثقافية والسياسية والإقتصادية للمجتمعات غير الرأسمالية.

وهيما يتعلق بالتبعات غير الإقتصادية للدخول في نظام العالم الرأسمالي اللاهث وراء إيجاد

١. مكداغ، السابق، ص ٨٤.

وحدة ثقافية رأسمالية للعالم برمته، فإنه يمكن الإشارة إلى حالات الإستلاب والتجرد من الذات وبتعبير أشمل أزمة الهوية الوطنية والتاريخية وظهور الهويات الطائفية والإقليمية، علما أن هذا الأمر يعد أحد تناقضات العولمة. فمن جهة، تفقد الهويات الوطنية في إطار هذه العولمة رونقها بسبب تحجيم دور الحكومات الوطنية والحدود الجغرافية ومن جهة أخرى نلاحظ ظهور هويات إقليمية وطائفية صغيرة تعكس جانبا من الأقلية والنزعة الجغرافية الأمر الذي يتنافى مع العولمة والتوحد المزعوم. على أن ظهور الهويات الإقليمية الصغيرة يعكس حقيقة ملفتة للنظر وهي، قد يكون الإقتصاد معولما إلا أن العالم لم يصبح اقتصاديا، وسنتناول هذه النقطة بتفصيل أكثر لاحقا. وعلى كل حال، فإن عولمة الرأسمالية تؤدي إلى أزمة في الهوية وحصول استلاب ثقافي ما يستدعي التحلي باليقظة والوقوف بوجهها.

إن إثارة شعارات من قبيل الليبرالية الديمقراطية والعلمانية وحقوق الإنسان وحسب تفاسير خاصة بعيدة عن الإهتمام بالأسس العرفية والفلسفية تمهد لحصول استحالة ثقافية واقتحام النظام الرأسمالي في الدول غير الرأسمالية، وبالتالي انقسام عقد الحياة الإجتماعية في هذه الدول وتزايد نسبة التخلف فيها. لكنه وإلى جانب التهديدات والإفرازات السيئة للعولمة، توفر الإمكانيات والقابليات وبسبب مشروع ما فوق المجتمع (post- society) الأرضية لعولمة حقيقية تقرها الأديان. فمن النقاط التي تحظى بالإهتمام في العولمة الحقيقية عدم اقتصارها على مفهوم "المجتمع" وما شاكلها من مفاهيم كالحكومة الوطنية والمصالح الوطنية والمجتمع المدني والمواطنة التي تحكي الحكومة الوطنية وهو ما يتناسب مع مفهوم ما هو أكبر من المجتمع. لذا فإن أحد هذه المفاهيم التي أوجدتها العولمة الحالية للعولمة الحقيقية هي تجاوز وتخطي الحدود الجغرافية الوطنية في العلاقات الثقافية-الإجتماعية.

وهذه فرصة لنشر الأديان الإبراهيمية التي لا تعرف حدا في نشر تعاليمها، وضمن قبول النزعة التوحيدية والحقوق البشرية المنبثقة عنها للتكثف الثقافي في قسم من المستويات الثقافية وكذلك تاييد الحدود الوطنية، إلا أنها لا تطبق النسبية الثقافية في المستويات الأساسية أي السايكولوجية البشرية والحقوق المتناظرة معها. وحسب المفهوم القرآني في "إننا لله وإنا إليه راجعون" فإن جوهره لا يعرف حدا أبدا. كما أن الفطرة الإلهية للإنسان، محط الإستقبال والتصديق بالوعود والبشارات الإلهية، هي الأخرى لا تحد بمكان أو زمان خاصين. إن المعنى بكلام الأديان وخاصة الإسلام هو الإنسان بما هو إنسان، ولو تم الإشارة إلى القبائل والشعوب ونظائر ذلك فإنما هو من باب تعريف الآخرين وهو من ضرورات الحياة الإجتماعية، على أن هذا التعريف لا يعني أبدا إلغاء الذات والجوهر الإنساني الثابت. الواقع أن التعريف مرتبط

بالبحوث النظرية للهوية. ورغم أنه يتم في إطار الهوية الإشارة إلى أبعاد الإستحداث والتغير لكن التأكيد على بعد الإستحداث في الهوية والتبلور عن طريق المتغيرات الإجتماعية والظروف المتغيرة، لا يعني تجاهل العنصر الثابت والبعد الهيكلي للهوية. ثم أن النظرة العالمية للتوحيد تستلزم منا أن ننظر للعالم على أنه كل منسجم يرجع إلى مبدأ التوحيد. أي أن العالم ملتف حول محور مشترك وموحد لأجزائه رغم ما فيه من تكثر، أي الوحدة في نفس الوقت الذي فيه الكثرة والكثرة في نفس الوقت الذي فيه الوحدة. على أن هذه النظرة العالمية يجب أن تكون نظرة طولية للعالم مرتبة بمرتبة. ولذا من غير الممكن الدفاع عن النزعة النسبية في الحقيقة حسب النظرة التوحيدية العالمية لا من ناحية علم الوجود ولا من ناحية علم المعرفة. وبالنظر إلى العالم ككل فإنه لن يمكن التحدث عن رفض ونهذ الذات والغاية عن الإنسان. إن المبادئ الدينية لا تتواءم لا مع عدمية الوجود والمعرفة ولا مع رفض الحداثة المتطورة والعقل التفاهمي الوصولي لمفكرين مثل هابرماس الذي يذهب إلى عدم الحصول على الحقيقة أو أنها نتيجة التفاهمات بين بني البشر. وسنتناول هذه النقطة بالبحث والتفصيل في موضوع استيعاب الإسلام للعولمة.

الوضع العالمي الراهن

في الواقع أن معرفة الوضع الراهن للعالم في الأبعاد الثقافية والسياسية والإقتصادية على المستويات العربية والمتوسطة والضيقة، يعد أمراً في غاية الصعوبة ويحتاج إلى مشروع مستقل. لكننا نكتفي هنا بإلقاء نظرة عامة وكلية وبما يتناسب مع أهداف ومحاور المقال. إلى أي مدى اندمج العالم في النظام الرأسمالي العالمي؟ وهل كان هذا الإندماج في ظل الضرورات الفلسفية والنظرية للنظام الرأسمالي، على السواء في المركز والتوايح والأطراف؟ أم أنه قد حصل في بعض الأبعاد فيما تتناغم الأبعاد الأخرى مع العولمة الحقيقية أكثر من أن تكون منسجمة مع العولمة الشائعة اصطلاحاً؟ لا أحد يشك أن النظام الرأسمالي العالمي استطاع السيطرة على أسواق المصادر الأولية والثالية والإستثمارية والصناعية المختلفة في مختلف أنحاء العالم، وقد دلت الأرقام على صحة هذه الهيمنة الإقتصادية والإستثمارية التقني. أكثر من ٩٠ بالمائة من الإستثمار الخارجي هو من حصة عشر دول رأسمالية علماً أن حوالي ثلثي النسبة المذكورة هي من حصة أربع دول من تلك العشرة وهي أمريكا وبريطانيا واليابان وألمانيا.^(١) في عام ١٩٨٩ بلغت حصة أمريكا وبريطانيا واليابان وألمانيا ٢٨ر٣، ١٦ر٧، ١١ر٥، ٩ر١ بالمائة على

١. واترز، السابق، ص ١١٥.

التوالي^(١).

أما حصة صادرات المنتوجات الصناعية من الدول الصناعية إلى دول أخرى صناعية فقد ارتفعت من ٢٠ بالمائة عام ١٩٣٥ إلى ٦٤ بالمائة عام ١٩٨٢^(٢). عقد الثمانينات وحده شهد ارتفاعاً في أرقام الإستثمارات المباشرة في الدول الأجنبية بمقدار ثلاثة مرات تقريباً. وبالإضافة إلى ذلك، غطى هذا الإستثمار مجالات أوسع بكثير من صناعة السلع واستخراج المواد الخام. إن نطاق الإستثمار الخارجي أخذ بالتزايد بمرور الأيام في مختلف المجالات كالمجال المالي والأموال غير المنقولة والتأمين والإعلانات التجارية ووسائل الإعلام العامة. في الحقيقة إن الإستثمار الأجنبي أوجد صدعاً أوسع وأعمق في الدول التابعة أكثر من أي وقت سابق^(٣). وسجلت الأعوام بين ١٩٨٢ و١٩٨٩ ارتفاعاً في مؤشر خروج الإستثمارات باتجاه دول أخرى بمقدار ٢٩ بالمائة سنوياً. لكنه هل يمكن لنا بالرغم من هذه الحقيقة المؤلمة والهوة بين المركز والواحق والتوابع في النظام الرأسمالي، أن نستنبط من خلال هذه الصلة والعلاقة إلتزاماً بالأسس المعرفية والفلسفية للرأسمالية أي الحدائق حتى في الدول المركزية؟ إضافة إلى ذلك فإن العالم القائم ينطبق انطلاقاً من الإيمان بضرورة الوجود والحقيقة الغائبة للدين مع العولمة الحقيقية الأمر الذي يدعمه حتى تبويب الحضارات الذي أقره هانتينغتون، وهناك مؤشرات موجودة حتى في مركز الرأسمالية تفيد بأن الناس باتوا يبحثون بالتدرج عن الدلائل المنطقية لهذه النزعة الدينية والنزعة المبدئية في المجالات العامة ومواجهة العصرية والعلمانية وبالتالي النظام الرأسمالي، ولعل الترويج لنبذ العرف والميل إلى الرب في مجال العقل والحكمة، والمعنويات في مجال العلاقات الإجتماعية تعكس الحقيقة أعلاه. لذا ومهما بلغ التباعد بين النزعة الدينية والنزعة المبدئية الموجودتين في العالم وبين الرأسمالية وضرورتها ومهما لاحظنا من انعدام الإتساق في العالم دون مرير وسبب منطقي، إلا أننا نشاهد حالة تدرجية من الإهتمام بتبعات وأثار سلسلة المراتب لهذه المبدئية والتحلي بالوعي في مقبل الحالات غير المتسقة الموجودة. وعلى نحو العموم، يبدو أن العالم القائم يتناغم ويتواءم مع العولمة الحقيقية أكثر مما يتماشى مع الضرورات النظرية والفلسفية للعولمة المصطلح والعقلية الذاتية المحور.

إن الحضارات الرئيسة للعالم سواء كانت الإسلامية أم المسيحية أم الصينية (الكنغفونية)، والتاوتونية، والبوذية) أم الهندوسية أم اليابانية (السينتو، والبوذية، والكنغفوسيونسية)، هي

١ - مكداول، السابق، ص ٨٦.

٢ - والترز، السابق، ص ص ١٠٢-١٠٤.

٣ - مكداول، السابق، ص ٧٦.

حضارات دينية تبحث في مسيرتها المتنامية عن الدلالات الإجتماعية لمنطلقات النظرية. وكما سبق القول في موضوع العولمة الحقيقية، يمكن اعتبار أن العولمة قد تحققت فقط حينما نلاحظ نوع من الميل نحو الذات والنزعة الغائية والنزعة المنشئية والمبدئية بالنسبة للطبيعة والإنسان، الأمر الذي يؤكد الواقع الذي يعيشه العالم. في الواقع أن عالم اليوم وفضلاً عن مقتنه للإلحاد والعلمانية فهو يبحث عن تجليات مصداقية واجتماعية لعقائده الدينية. وفي الظروف الراهنة فإن المواجهة مع النظام الرأسمالي لن تنبثق منها النظام الإشتراكي القائم على الإلحاد. ولكن لا شك أن المواجهة مع النظام الرأسمالي وأسسها والضرورات النظرية للعصرية وعلمانياتها في الظروف الراهنة ستؤدي إلى النظام الديني الذي تختلف مقوماته سواءً الإجتماعية أو الإقتصادية أو الثقافية عن النزعة التوسعية والنفعية الرأسمالية. في خضم ذلك، سيتفوق وسيعم الدين الذي يتمتع بقدرة استيعاب ومؤهلات عالية وبما يمتلكه علماءه ومفكروه من جهة أخرى من تدبير وبعد النظر اللازم، ويتجنبون في ظل التعاليم الدينية ونزعتها الذاتية وإلى جانب الإستفادة من التجارب التاريخية لبني البشر والإعتراف بسائر الأديان، الوقوع في النزعة التوسعية الخاوية من أي أساس. في هذا الإطار يحظى الحوار بين الأديان بأهمية خاصة. في الظروف الراهنة التي يجب أن يصحبها فهم لروح الزمن، لا بد من الوصول إلى وحدة مستقرة ووفقاً لما يذهب إليه القرآن الكريم، وذلك على أساس القواسم المشتركة بين الأديان والمتجسدة في الأصل على التوحيد والنبوة والمعاد والمبادئ الأخلاقية المشتركة. ولا جدال من أن فهم روح الزمن وتحولاته وخلق الأرضية للحوار بين الأديان والعمل من أجل تقويض أركان النظام الرأسمالي ومكوناته في أسرع وقت وممارسة دور أكثر فاعلية مستقبلاً، لن يتم دون إرساء قواعد نظرية واستراتيجية منسجمة.

الإسلام والعولمة

بالإضافة إلى الحقيقة القائمة في العالم والتي تعكس الصبغة الدينية فيه والإعتقاد بالله تعالى والشعور بضرورة الغاية وكذلك تنامي مسيرة نبذ العرف وتسجيل الدين حضوره في الميادين العامة والسياسة وتوافر نماذج عديدة من نمو المحاولات السياسية للأديان وبحسب تعبير جورج ويكل "نبذ العرف" (نبذ العلمانية) من العالم^(١) والذي ذهب إليه أيضاً بيتر برغر، تمتلك الأديان عموماً والإسلام على نحو الخصوص إمكانات واسعة فلسفياً ونظرياً ليتسنى منبر

١- جف هينس. الدين، العولمة والثقافة السياسية في العالم الثالث، طهران: أكاديمية الدراسات الاستراتيجية،

العولمة. ولا يقصد (ويكفل) من إثارة فكرة نبذ العرف مجرد "الحصول مجدداً على معنويات غير سياسية"، بل المراد التأكيد على العمل المتبادل بين مجالي الدين والسياسة، أي تلك العلاقة التي يقول عنها جيف هينس بأنها تسهل بواسطة تنوع إفرزات العولمة وتتسع عن طريق نورة الإتصالات.^(١) على كل حال، يذهب هينس إلى أن عولمة الإتصالات سهّلت عملية نمو الشبكات الإقليمية والدولية للأطراف الدينية والتي تعمل على رقد بعضها الآخر فكرياً، هذه الشبكات يمكن أن تحظى بدعم مالي من قبل المؤسسات التي تهدف: في الأساس إلى توفير الرفاه لمجتمعات دينية دولية وتنميتها^(٢). وحسب تعبيره، فإن الإسلام بصفته نظاماً دينياً واجتماعياً وثقافياً، سعى إلى تستم موقع الريادة العالمية وتحوله إلى دين عالمي من خلال إيجاد مجتمع ديني دولي^(٣). وعلى العموم إستعادت الأهمية السياسية للدين بريقها في السياسة الدولية بعد أن بدأ يخبو باطراد في مطلع القرن السابع عشر، إستعادت مرة أخرى بريقها أواخر القرن العشرين بدعم من حركة عولمة الإتصالات وتبلغ ذروة مراحلها السياسية^(٤) ومثلما يصدق هذا الأمر على الإسلام يصدق أيضاً على المسيحية.^(٥)

ويشير مالكوم واترز إلى نقطة ظريفة عندما يتطرق لفهوم العولمة لدى روبرتسون، إذ يقول بأن روبرتسون يرفض المذاهب الشائعة بشأن حب الدنيا كمحصلة المجتمع الرئيسة، ويميل إلى التحولات الأصولية الإسلامية التي تعبّر عن العلاقة بين الدين والسياسة في المقياس العالمي.^(٦) وفضلاً عما أشير إليه آنفاً، فإن متبنيات الأديان العالمية التي تقر بأن العالم مخلوق من قبل إله واحد وما البشرية إلا مظهر لوجود الله تعالى، ظلت منذ القدم القوة المحركة للعولمة.^(٧) على كل حال، وبصرف النظر عن الواقع والمسيرة المتنامية المذكورة، فإن تعاليم الدين الإسلامي تمتلك إمكانات جمة للعولمة الحقيقية. إذا كانت ضرورة العولمة الحقيقية هي الإيمان بالحقيقة الغائبة والوجود الضروري ورؤية توحيدية ونظرة للعالم على أنه كل منسجم وواحد ومخاطبة الإنسان بعيداً عن الحدود الجغرافية والثقافية والإقرار بوجود الذات والغاية بالنسبة للإنسان وكل العالم، فإن القرآن الكريم مليء بالآيات الشريفة التي تقر هذه المفاهيم.

١- السابق، ص ٢٨٧.

٢- السابق، ص ٢٨٨.

٣- السابق، ص ٢٨٩.

٤- السابق، ص ٢٩٠.

٥- السابق، ص ٢٨٩.

٦- واترز، ص ٦٢.

٧- السابق، ص ١٨٦.

هذا فضلاً عن أن آراء الفلاسفة الإسلاميين وخاصة الملا صدرا وموضوع الأصالة تقييد بان الوجود والوحدة رغم كثرتهما فهي تقر هذه الحقيقة، حيث يمكن الرجوع في هذا الباب إلى مؤلفات العظماء كالملا صدرا وابن سينا وخواجه نصير وأخرين كالذين قاموا بشرح نتائجهم وذلك للتزود وإغناء أرصدتهم الثقافية.

إن كاتب المقال ليأمل أن يحظى بالإتكال على الله تعالى بهذه الفرصة وهذا التوفيق. وهنا نشير إلى عدد من آيات القرآن الكريم على سبيل المثال وبما نحمله من بضاعة مزجاة وتناسب مع موضوع المقال.

نفتح القرآن الكريم وإذا بالسورة المباركة الأولى تواجهنا وهي تبدأ بالحمد والثناء لـ "رب العالمين" التي تنطوي في معناها على وحدة الدنيا والآخرة بصفتهما كلاً منسجماً نافياً لأي نوع من الثنوية فضلاً عما تحمله العبارة من دلالات اجتماعية وسياسية خاصة. بعبارة أخرى، إن الإيمان برب العالمين لا يمكنه أن يبقى على مستوى عقيدة نظرية ودينية ولا يكون له آثار تربوية وإدارية في ميادين الحياة المختلفة سواء الفردية منها أو الجماعية، بل إن ضرورة الربوبية عدم الفصل بين الجوانب المختلفة التي ترجع بنحو أو باخر إلى أصل ومبدأ واحد. ويتعبير آخر، إذا كان الله تعالى رب للعالمين بالضرورة فهو المعني بالتكوين والتشريع والتنسيق بين كل ذلك. المرحوم العلامة الطباطبائي يقول في تفسير "رب العالمين" بأن المراد من "الرب" هو حقيقة الملك دون الملك الإعتباري مضيفاً أن "من العلوم أن الملك الحقيقي لا ينفك عن التدبير" (الجزء الأول، صفحة ٢١). أما آية الله جوادى أئلي فيقول في تفسيره لعبارة "رب العالمين" بأن الربوبية تعني إرشاد وقيادة الشيء إلى الكمال، وأن الرب من له الأهلية على هداية وإرشاد الأشياء نحو الكمال وتربيتهم وأن هذا الأمر مكنون وثابت فيه. ثم يضيف سماحته بأن مفردة الرب لا تطلق بصيغتها المطلقة وغير المقيدة إلا على الذات الإلهية القدسة، وأنه لا يوجد في عالم الوجود أكثر من رب.

ثم إن مفردة "العالمين" تشمل كافة العوالم التي سبقت عالم الدنيا وعوالم ما بعد الدنيا (البرزخ والقيامة) وكذلك عالم الإنسان، وعالم الملائكة وسائر عوالم الوجود. إن إعادة الآيات والظواهر المختلفة إلى أصل واحد يعد ضرورة ملحة في العولة الحقيقة تجسدت في إطار عبارات قرآنية مختلفة مثل: "له ما في السموات وما في الأرض"، و"له ما في السموات وما في الأرض"، و"كل شيء محيط"، و"خالق كل شيء"، و"يدبع السموات والأرض"، و"رب الناس"، و"ملك الناس"، و"إله الناس"، و"فاطر السموات والأرض"، و"له ملك السموات والأرض"، و"مالك الملك"، و"له الحمد" وما شابه ذلك مما يفصح عن النقطة التي أشرنا إليها. الآية (١١٥) من سورة البقرة

المباركة تجسد بأحسن صورة العمومية والمبدئية (النشأ) للنسجتين:

"وله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم"

وبالإضافة إلى إرجاع العالم إلى أصل واحد حيث يكشف عن وجود الذات والغاية بالنسبة للإنسان والطبيعة، فإن الله تبارك وتعالى يشير إلى الجوهر الذي منه النشأ وإليه تؤول الأمور والأشياء في قالب "إننا لله وإنا إليه راجعون". إن هذه الذاتية والجوهرية نلاحظها في أمر خلق الإنسان سواء الرجل أو المرأة في تعبير "النفس الواحدة" المذكور في الآية الأولى من سورة النساء المباركة:

"يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا".

كما أن الذاتية والمبدئية اللتين لهما تبعات واثار عقائدية وسلوكية، تتجلىان في حلقة الوصل الواحدة والقاسم المشترك بين القبائل والشعوب والأديان المختلفة، ولتمثل بالإيمان والتقوى والأعمال الصالحة:

"إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عن ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون" سورة البقرة- (٦٢) وكذلك:

"يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير" سورة الحجرات- (١٣)

وبالإضافة إلى الإعتراف بالأديان الأخرى، مع الأخذ بعين الإعتبار مسألة التفضيل التي أشارت إليها الآية (٢٥٢) من سورة البقرة المباركة "تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض"، فإن الباري تبارك وتعالى يعتبر الإيمان بكافة الرسل والأنبياء من سمات المؤمنين:

"أمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير" سورة البقرة- (٢٨٥) إن هذه الآية تشبه الآية (٦٢) من سورة البقرة المباركة، إذ تحكي عن الصلة المشتركة والهوية الموحدة للأنبياء في مسيرة هداية الإنسان وتبيين الآيات الإلهية.

النظرة العامة للعالم والوجود تلاحظ في تعابير من قبيل "يسبح لله ما في السموات وما في الأرض" أو "سبح لله ما في السموات وما في الأرض"، بل وحتى يمكن ملاحظة ذلك في حشر كل ذي حياة في العالم:

"وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من

شيء ثم إلى ربهم يحشرون" سورة الأنعام- (٢٨)

ومن جهة أخرى، يلاحظ أن الناس هم المعنيون الرئيسون في الخطاب القرآني، لذا يمكن أن يكون كل شخص مهما كان ماضيه هو المعني بالخطاب القرآني. نشر على سبيل المثال إلى:

"يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين قبلكم لعلكم تتقون" سورة البقرة- (٢١) وكذلك:

"يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون" سورة فاطر- (٣)

وفي آيات نلاحظ الخطاب للإنسان بما هو إنسان:

"يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه" سورة الإنشقاق- (٦)

على هذا الأساس، إذا كان ضرورة العولة الحقيقية هي الإيمان بوجود ضروري وحقيقة غائية ونظرة توحيدية وموحدة ومنسجمة للعالم بحيث لا تعرف معنى للزمان والمكان وتخطب الإنسان بما هو إنسان، فإن الإسلام مفعم بالتعاليم والآيات والبادئ التي تؤيد المحاور اعلاه حيث أشرنا إلى عدد من الآيات المباركات من الكتاب العزيز.

على أن الإهتمام بالتحقيق والتفحص الكافي في هذا الشأن وكذلك الرجوع إلى السنة وتفسير المفسرين وكذلك آراء ووجهات نظر الفلاسفة المسلمين المعروفين، يجب إيكاله إلى موضوع مستقل ووقت آخر.

إن فهم إمكانات وقدرات الإسلام العالمية على طريق عولته وكذلك الوضع الراهن والمسيرة المتنامية لعولة الدين يستدعي جهوداً مضاعفة ومنسجمة من قبل العلماء والأوساط الدينية وممارسة دور أكثر فاعلية وذلك عبر التنظير ووضع الاستراتيجيات المناسبة في هذا المجال.

أنموذج السياحة الإسلامية في عصر العولمة

موقع الأمة والرعوة الإسلامية

الدكتور محمد هادي همايون

عضو الهيئة العلمية بكلية الثقافة والاتصالات بجامعة الإمام الصادق (عليه السلام)

مفاهيم العولمة ومقرراتها

عند دراسة ظاهرة العولمة وما يتصل بها من قضايا، ينبغي التمييز بين عدة مفاهيم. المفهوم الأول، والذي يتبادر إلى الذهن عند مناقشة أبعاد الدعوة الإسلامية ورسالة الدين بخاصة، هو مفهوم "عالية الدين" وضرورة التفكير العالمي وحمل هموم إصلاح العالم بأسره من قبل المتدينين والقادة الدينيين. ويتمتع هذا المفهوم بمكانة مميزة في الديانة الإسلامية على وجه الخصوص. ذلك أن الإنسان مخلوق لا يتمكن وبدوافع فطرية قوية من حبس نفسه داخل قضبان الزمان والمكان، بل يسعى دائما إلى تحرير نفسه وتصورات من هذين القيدتين. الظما الشديد الذي يستشعره الإنسان للسير في آفاق الطبيعة والتاريخ كمصدرين مهمين للمعرفة، على امتداد تاريخ الحياة الإنسانية على الكوكب الأرضي، يمثل مؤشرا صريحا لهذه الفكرة. وبما أن الدين يصرح بانبثاقه عن الفطرة الإنسانية وتلبية حاجات الإنسان الفطرية، فمن الطبيعي أن تكون رسالته ذات طابع عالمي على الدوام. ونظرا لخاتمية الدين الإسلامي وضرورة تلبية كافة الحاجات البشرية بصرف النظر عن كوابح الزمان والمكان، تكتسب الفكرة المذكورة معنى أنصع وأوضح بالنسبة لهذا الدين. وثمة العديد من الآيات والروايات تشير إلى هذا المعنى، منها :

"قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا..". - الأعراف (١٥٨)

هذه الفكرة هي التي شجعت المسلمين على مدى عصور الإزدهار الحضاري الإسلامي على السير في آفاق الأرض، وبناء علاقات فعالة مؤثرة مع سائر الأمم والشعوب حتى تمخضت تلك الجهود والعلاقات عن اتساع خارق للإسلام على وجه البسيطة آنذاك، وما تبقى إلى اليوم كذكرى لعهد الجد والجهاد يعد أرضية خصبة ومعطاءة يمكن للمسلمين استثمارها في عصرنا الراهن للتعاظمي البناء مع كل العالم.

أما الإصطلاح أو المفهوم الثاني الذي تشكل خصوصا في الحقبة المعاصرة، وتطرق تدريجيا إلى ادبيات شتى الصعد المعرفية، فهو مصطلح Globalization الذي اقترحت له في اللغة الفارسية

عدة معادلات منها "جهاني شدن" أي العولمة، و"جهاني سازي" أي بناء العالمية، و"سياره اي شدن" أي الكوكبية، و"جهانگر شدن" أي العالمية أو الشمول العالمي، حتى اجتمعت آراء الكتاب والمفكرين حول مفردة "جهاني شدن" أي العولمة. لقد أجمع معظم المفكرين الذين كتبوا في هذا المجال على أن للنبيت الأول للعولمة وإثارتها في الأروقة الفكرية هو مسألة تقارب المجتمعات البشرية على الصعيد الإقتصادي والمالية. فالعولمة وفق هذا الفهم، انطلقت من أرضيات اقتصادية وبهدف توحيد الإقتصاد العالمي، واستخدمت باقي الحقول المعرفية والعلمية لتصب لصالح هذه العملية.

السياسة والثقافة من الحقول التي تفاعلت بسرعة كبيرة مع هذا التيار العالمي، وقدمت مواضيعها لتبحث وتناقش من قبل المختصين. ونظرا لاتساع النقاشات على هذا الصعيد اليوم، وبالرغم من عدم توفرها على مرتكزات نظرية متماسكة، نواجه تعاريف متعددة للعولمة شأنها شأن غيرها من المفاهيم الإجتماعية. وبنحو الإجمال ربما أتيح رصد قاسم مشترك بين كل هذه التعاريف هو أن العولمة ثمرة اتساع وتسارع العلاقات والتعامل بين المجتمعات والحكومات في الميادين الإقتصادية والسياسية والثقافية.

النقطة الجديرة بالذكر في هذا الضمار هي أنه على الرغم من أن ثورة الإتصالات والتنامي الخارق لمختلف وسائل الإعلام في عصر الحداثة، لا يمكن أن تعد نقطة الإنطلاق الأولى لعملية العولمة، ولكن يتوجب الإذعان أن الإتصالات كانت منذ القدم وإلى اليوم صاحبة دور اساس في عولمة الأفكار الإنسانية. إن المائز الأهم بين العهد المعاصر وزمن مثل زمن ازدهار الحضارة الإسلامية أو ما سبقه، يكمن في السرعة والإتساع الفائق للإتصالات في العصر الراهن. والواقع أن التحولات السريعة الواسعة في تكنولوجيا الإتصالات والمعلومات راهناً، أكسب السياق القديم للعولمة سرعة كبيرة جعلتها تظهر بشكل موضوع جديد ومختلف أمام المراقبين وللعنبيين بالشؤون الدولية. وحسب هذه الرؤية، ليست العولمة ظاهرة جديدة تدعو إلى القلق، إنما هي حالة لها جذورها القديمة بمقتضى الفطرة البشرية، إكتسبت وتيرة متسارعة بشكل مذهل خلال الفترة الراهنة بفعل التقنيات التي أبدعها الإنسان.

مع أن عددا كبيرا من المفكرين يتبنون هذه الرؤية ويرونها صائبة، بيد أن عددا آخر منهم لم يستطع التحرر مما سببته له العولمة من قلق حتى مع إذعانه لصحة الفكرة أعلاه. حيث ثبتت العولمة تيارا عارماً يختلف عن كل ما شهدته التاريخ البشري من حالات مماثلة لحد الآن. وما ضاعف من شدة القلق هو الشعور بأن هذا التيار موجه من قبل جماعات معينة لأغراض

خاصة. وعلى أثر هذا المنحى تكونت هوة عميقة بين مفسري ظاهرة العولمة. هل العولمة عملية (Process) ام انها مشروع (Project) يوجه من قبل القوى العالمية الكبرى؟ إن معالجة العولمة بوصفها مشروعا محدد للامح ابتداء، تسبب في ظهور مفهوم آخر أطلق عليه في الفارسية اسم "جهاني سازي" بمعنى بناء العالمية الذي يعد وفق هذه الرؤية آخر مراحل الرأسمالية، وظاهرة بديلة لبرامج نظير "التحديث" و"التنمية"، وهي في الوقت ذاته منحة جديدة يقدمها العالم الإستكباري والإستعماري للبشرية اليوم.

في هذا التفسير وكما في المفهومين السابقين، يتجلى بكل وضوح دور ومكانة الإتصالات ووسائل الإعلام في عولمة أفكار الجماعة الهيمنة على هذا المشروع، مع فارق أن الذي يسبب تكوين ظاهرة العولمة، هو علاقة ثنائية تتشكل مباشرة بين جانبين وضمن مناخ سليم، أما "بناء العالمية" فيعتمد بشكل أساس على الإتصالات ووسائل الإعلام العامة التي تفصل بين جانبي العلاقة، مبدلة إياها إلى علاقة أحادية، ومفضية في الواقع إلى قطع جسور العلاقة وغياب التواصل.

إن وسائل الإعلام Mass Media العالم المعاصر، هذه العفاريف الدجالة الأحادية الأعين والأحادية الإتجاه التي تقطع ميلا واحدا في كل خطوة، وتطوي الأرض تحت أقدامها، ظهرت إلى الوجود في ظل هيمنة جيش السفيناني المعاصر (الصهيونية) وسط انعدام الإتصالات الحقيقية بين الناس، هاتفه بأعلى صوتها وبالشكل الذي يسمع بها العالم شرقه وغربه (أنا ريكم الأعلى). ما يستشف أنه جذير بالإهتمام الخاص اليوم على صعيد تحليل عملية أو مشروع العولمة، هو دور هذه الوسائل الإعلامية في تسهيل بناء العالمية وتبازرها وتكريس قدرات الصهيونية عن طريق إشاعة الفكر الليبرالي الديمقراطي الغربي في كل العالم كنوب جديد يصمم على قامة الإستكبار الخفية. ولا مرأ أن أبرز تجليات الهيمنة الصهيونية على وسائل الإعلام هذه، تتبلور في الظاهرة التي تسمى "صناعة هوليوود السينمائية" والتي ملأت الدنيا وشغلته منذ عدة عقود. قبل الإنتقال إلى تحليل هذه الظاهرة من زاوية الدراسات الثقافية والإتصالية وبالتركيز على الدور المتميز لوسائل الإعلام العامة، لا بد من الإشارة إلى مصطلح آخر هو المفهوم الذي يمكن تسميته بـ "بناء العالم". فبأطلالة خاطفة على أحداث العقد المنصرم، لا سيما السنوات والأشهر الأخيرة، يلوح أن الإستكبار العالمي وبعد تخطيه الصبغ والأطوار المتنوعة والمتعددة من الإستعمار والإمبريالية والهيمنة على سكان العالم، منذ اجتياحه الأراضي للكشفة ونهبها وتأسيس حكومات عميلة له فيها، وحتى مرحلة تجريب الإستعمار العلمي في الجامعات الغربية،

ثم الإستعمار الثقافي للمستعمرين بوسائل الإعلام الحديثة العامة، يحاول الآن في خطوة رجعية بكل معنى الكلمة إحياء تجاربه القديمة في التعامل مع سكان العالم، واستخدام التفتيل والنهب والتواجد العسكري المباشر في البلدان الأخرى. وفي هذه المرحلة، يمكن حتى لوسائل الإعلام العامة بوصفها عوامل وحماة فاعلة لعملية العولمة أن تهدد أهداف هذا الإجتياح و"صناعة العالم" بالأخطار. ولعل مثال لذلك قتل المرسلين الأجانب في بغداد أثناء غزو واحتلال أميركا وبريطانيا للعراق. وفي هذا دلالة على بأس الإستكبار في مواجهته سكان العالم، لا سيما المسلمين منهم، وهو ما يحمل في طياته بشائر النصر النهائي لهم.

العولمة والسياحة من زاوية العلاقة والإرتباط

يتسنى تحليل العلاقة بين بناء الهيكلية العالمية والثقافة من عدة وجوه.. نظراً لريادة الإقتصاد والقضايا الإقتصادية في إيجاد تغييرات على الصعيد والمجالات الأخرى كالثقافة مثلاً داخل إطار العالم المعاصر الخاضع لهيمنة الحضارة الغربية، تعد معالجة الظاهرة الثقافية من منطلقات اقتصادية فيما يتعلق بالظواهر المتصلة بكلا الصعيدين، عملية مستساغة مألوفة. ومن حيث الجذور الإقتصادية للعولمة، يمكن أن تتموضع الثقافة والنتائج الثقافية لهذا الظاهرة في سياق التحليل الإقتصادي. وما يستشف من التحليلات الإقتصادية لموضوع العلاقة بين الثقافة والعولمة إنما هو النظر للثقافة من زاوية كونها أداة. والواقع كما أن ظهور مدارس ضمن الدائرة الإستراتيجية، مثل مدرسة فرانكفورت، وابتكار مصطلح "صناعة الثقافة" أسبع على هذا الإنجاز البشري المهم طابع الأداة، كذلك تم النظر في ادبيات العولمة إلى الثقافة بأنها أداة. القضية هنا هي، ما الذي تستطيع أن تقدمه الثقافة من مساعدة لتمرير أهداف عملية العولمة؟ هذا بالدرجة الأولى، وبالدرجة الثانية، إذا أسفرت عملية العولمة عن تبعات ثقافية سلبية، فكيف يمكن التخفيف من وطأتها بالشكل الذي لا يهدد أصل القضية تهديدا حقيقيا؟ الحقيقة أن العولمة وبناء الهيكل العالمي هي الأصل في هذا المنحى، أما تبعاتها وأثارها الثقافية فتعد موضوعا هامشيا على الرغم من أهميته.

إلى جانب هذا المنحى، ثمة منحى آخر يمكن من خلاله تحليل العولمة وبناء الهيكلية العالمية من زاوية الثقافة والإتصالات، والتركيز على الدور المهم للإتصالات في تطوير هذه الظاهرة عند تحليلها. في هذا المنحى نركز ظاهرة "السياحة" كواحدة من أبرز صور الإتصال على مر التاريخ الإنساني وما تزال جارية متطورة إلى يومنا هذا. السياحة من جهة وسيلة اتصال

تقليدية كشفت عن قدراتها على حمل الرسالة الدينية طيلة تاريخ الحضارة الإسلامية، وهي من جهة ثانية وسيلة اتصال حديثة تبدو اليوم أداة مناسبة جدا في يد الحضارة الغربية لترميز أهداف العولمة. هاتان سمتان تجعلان السياحة سيفا ذا حدين وحديرا طبعاً أن يكون موضوعاً لدراستنا وبحثنا.

وهق التصنيف الدارج لمستويات الإتصال المختلفة، تعد السياحة اتصالاً فردياً مباشراً وشخصياً. ورغم اختلاف آراء ذوي الإختصاص حول تصنيف أنواع الإتصالات وتعريفها، يمكن القول إجمالاً أن "الإتصال الفردي" في مقابل "الإتصال الذاتي" و"الإتصال العام" هو اتصال شخصين وحجها لوجه مع بعضهما، أو اتصال شخص مع جماعة محدودة الأفراد، كما يحدث في صفوف الدراسة أو صالات العرض والساح. (TNER. 1989, pp. 8-11)

الإتصال المباشر والشخصي هو الآخر يصنف بمعنى قريب من التعريف أعلاه، مقابل "الإتصال غير المباشر واللاشخصي"، ومرة أخرى فإن "الإتصال العام" هو اتصال مباشر بلا واسطة بين الشخص للقي والتلقي. وقد يكون التلقي في هذا السنخ من الإتصال فرداً واحداً، وقد يكون عدة أفراد كما في المحاضرات (معتمد نجاد، ١٩٩٢، ص ٦١-٦٦). وعلى أية حال، ما يميز الإتصال الفردي والمباشر عن سائر صنوف الإتصال هو عدم وجود أية واسطة أو وسيلة إعلام بين الجانبين.

والآن، بالنظر للسياحة كإتصال فردي مباشر، من المناسب التطرق لكافة هذا الإتصال بين الأنماط الأخرى من الإتصال في العالم المعاصر لتحديد أدائه وقيمه الإتصالية. في نظرة أولى لعالم الإتصالات، تبدو الإتصالات العامة (Mass Communication) ووسائل الإعلام العامة (Mass Media) صاحبة حصة الأسد من الإتصالات في الحياة البشرية الراهنة. وبمنظرة للجانب الإتصالي للسياحة مقارنة بوسائل الإعلام العامة، تطالعنا نقطة على جانب كبير من الأهمية رغم اقتضابها. في عمرة التصاعد الطرد لاختراع وسائل إعلام عامة أكثر حداثة وتطوراً، يبدو أن ولادة كل وسيلة إعلام جديدة ونظراً للخصائص الجديدة التي تحملها، تستلزم أقول وسائل الإعلام السابقة. فظهور التلفاز على سبيل المثال، واحتلاله مكانة خاصة بين وسائل الإعلام العامة، قذف في أذهان البعض نهاية دور منافسيه السابقين، للذيع والسينما. لقد تفوق التلفاز على الذيع من حيث عرضه للصورة والحركة، وعلى السينما في إمكانية اقتنائه والإستفادة منه في المنزل وتنوع برامجه وعدم تقيده بأوقات معينة. بيد أن علماء الإتصالات لاحظوا بكل دهشة أن مثل هذا الإنقراض لم يحصل. والسبب هو أن كل وسيلة

إعلام تتمتع بخصائصها الناتية المناسبة لظروف مكانية وزمانية ومضمونية خاصة، وظهور وسائل إعلام جديدة لن يفقدها مكانتها واعتبارها السابق، بل ربما شجعها لتكون ذات دور تكميلي ضروري لوسائل الإعلام الجديدة.

ما حصل للسياحة كان من هذا النمط، فقد بدا للوهلة الأولى أن دخول العالم إلى المنازل عن طريق التلفاز، سيبدد إلى حد كبير تلهف الناس لرؤية عجائبه وغرائبه خاصة وأن ذلك يتطلب تكاليف مادية عالية. لكننا لاحظنا في هذه الحالة أيضا أن المعرفة الإجمالية بجماليات العالم والتي وفرتها وسائل الإعلام العامة، أضحت مشجعا للناس في العالم على مشاهدة هذه الجماليات عن كئيب، كما غدت دليلا ومعلما جيدا لهواة السياحة في العالم.

فيما يخص الدور الإتصالي للسياحة في العالم المعاصر، يمكن أن نضيف أنه على رغم هيمنة وسائل الإعلام العامة الحديثة واعتبارها معجزة العصر وظاهرته الأبرز، بيد أن نظرة دقيقة منصفة تدلنا على تفوق الإتصال الفردي المباشر كالسياحة على وسائل الإعلام الحديثة، من حيث الكفاءة والقيمة الإتصالية، سيما حينما تصطبغ أرضية الإتصال باللون الثقافي والديني. ففي هذا النوع من الإتصال، نستعيز عن وسائل الإعلام غير العاقلة، بالإنسان كوسيلة إعلام معقدة وفاعلة تتمتع بكل الإمكانيات الإتصالية الخاصة.

في السياحة، وخلافا لباقي صنوف الإتصال لا تنتقل الرسالة وحسب، بل ينتقل كل النظام الإتصالي بكافة سماته الإنسانية والثقافية. وفي السياحة يعود للنقاش حول أرجحية المضمون أو الوسيلة من معنى، وهو من النقاشات الأساسية في علم الإتصالات. فسواء اعتقدنا بأهمية المضمون أو بأهمية الوسيلة الإعلامية، فإن الخطاب والوسيلة هاهنا كلاهما هو الإنسان. في الإتصال الفردي المتأني عبر السياحة، يحتل الإنسان مركز الإتصال، وبمقدوره في الوقت ذاته استصحاب سائر الأنظمة الإتصالية معه من قبيل الكتاب وغيره، فيضفي على اتصاله تكاملا أعمق وأرسخ.

من جهة ثانية، واضح أن هذا الإتصال من نوع الإتصالات المباشرة وحدها لوجه بكل ما لها من حسنات وميزات إيجابية. في هذا اللون من الإتصال، تعود المرادات إلى صانع الإتصال أو المتصل بشكل أكمل جدا، وبسرعة فائقة في الوقت ذاته. وهذه المسألة من أبرز مشاكل وسائل الإعلام العامة التي تحاول المؤسسات مواجهتها بتأسيس وحدة علاقات عامة، أو باستخدام أدوات اتصال تكميلية كالهاتف أو البريد، عسى أن يتغلبوا عليها بعض الشيء. وبالطبع، فإن قيمة هذا النمط من الردودات، وبسبب نقصها وعدم مزامنتها لعملية الإتصال، لا تقارب بحال من الأحوال مع

مردودات الإتصال وجها لوجه. والإتصال الذي يفتقد المرودات، يتحول بطبيعة الحال إلى اتصال أحادي الإتجاه، يصعب أن نسميه اتصالاً. بينما في الإتصال وجها لوجه، والذي يستوعب فيه الجانبان بعضهما بكل مداركهما وتركيزهما، يحصل اتصال تام، يعد الأعمق والأكثر دواما بالقياس إلى باقي صنوف الإتصال.

من زاوية أخرى، ما يميز الإتصالات العامة عن سائر أنواع الإتصال ويمنحها الأرححية والتفوق، هو تغطية عدد كبير من المتلقين في وقت واحد. وتوصف عامة الناس بأنها موزعة جغرافيا، وغير معروفة، ومتعددة الخصائص، ومتفاوتة السمات، وغفيرة العدد. وقد حاول هيربرت بلومر في إطار جهد مميز، استعراض التكتلات البشرية المختلفة وخصائص كل واحدة منها، بما في ذلك العامة من الناس. في جدول ذي بعدين. ويمكن ملاحظة الجدول الذي يقدمه بلومر مضافا إليه بعض الأعمدة والأسطر، في الجدول رقم (١) من هذه الدراسة.

ولأجل تحقيق الإتصال العام، هناك فضلا عن توفر متلقين بأعداد غفيرة، شروط وظروف أخرى وردت في الكتابات والدراسات المختلفة، ومنها: الحاجة إلى واسطة (وسيلة إعلامية) لخلق الإتصال، وتأخر المرودات، والإقتصار على عدد محدود من الحواس، والحاجة إلى افراد، ومؤسسات اجتماعية. وكما نلاحظ بغض النظر عن كثرة المتلقين الذين تغطيهم وسائل الإعلام العامة، تبدو سائر السمات سلبية نرضخ لها من أجل توسيع مدى اتصالنا فقط.

أما في اتصال كالسياحة، فيمكن الجمع بين الجوانب الإيجابية للإتصالات الفردية والجوانب الإيجابية للإتصالات العامة، والإنتفاع من حسنات كلا النوعين. أثناء السياحة، يتم الإتصال وجها لوجه، وبلا وسائط، وباستخدام كافة الحواس الإنسانية. ثم انه اتصال ثنائي الإتجاه يتيح فرصة الإلقاء وتلقي المرودات بسرعة كبيرة جدا، ولا يستلزم في الغالب كوادر ومؤسسات اجتماعية على النحو الذي تحتاجه وسائل الإعلام. ومن ناحية أخرى، ونظرا للمساحة الضخمة التي تحتلها هذه الحالة على المستوى الدولي، والتي تجعلها في مصاف الصناعات الثلاثة الأولى في العالم، لا يمكن الزعم بان تغطية الأفراد المختلفين والكثيرين خلال زمن واحد، تقع في مرتبة تالية لوسائل الإعلام العامة الحديثة.

الجدول رقم (١) : التكتلات الإنسانية وخصائص كل واحدة منها

العامة MASS	العام PUBLIC	الجمع COLLEC TIVITY	الجماعة CROWD	المجموعة GROUP	
منخفضة	متوسطة مع أن الأعضاء متفرقون	تجانس عاطفي	عالية ونامة التجانس	عالية، بين الحدود للمرسومة	درجة التعامل
أشياء منتظمة تحظى بالإهتمام	موضوع أو عقيدة للمناقش أو الإختيار	وضع معين أو حادثة	حادثة في حال الوقوع	أهداف مشتركة الهوية الإتصال	موطن الإشراك
خارجية ممكنة التصرف	شبه رسمية + غير رسمية	خارجية بدون تصرف	منخفضة خارجية	عالية، داخلية غير رسمية	السيطرة / المنظمة
منخفض	متغير بين المتوسط والمرتفع	ذو درجات مختلفة جدا	مرتفع جدا	مرتفع	مستوى الإهتمام
غير ثابت	غير ثابت	قصير الأمد	مؤقت	مستمر	الإستمرار

وبالتالي فإن الإتصالات الفردية توفر فرصة الإتصال الصامت بصفة واسعة كبيرة. والإتصال الصامت هو : "كل العوامل غير الكلامية الداخلة في الإتصال والتي تتشكل بواسطة مصدر واستخدامه للمحيط، وتكون لها قيمة الإلقاء بالنسبة للمصدر (اللقي) أو المتلقي. ثمة خصائص تميز هذا السنخ من الإتصال عن الإتصالات الناطقة، وتمنحه تفردا خاصا. على أنه يمكن استعراض هذه الخصائص في النقاط التالية :

- العديد من الأعمال الصامتة تخضع لسيطرة القوى الحيوية، لذا من الصعب جدا أخفاؤها.
- على امتداد حياة الإنسان وهزرة نموه، يتم تعلم الإتصال الصامت أسرع بكثير من الإتصال الناطق، ويستخدم من قبل الإنسان لإقامة الإتصالات المختلفة. لذلك فإن قدرات الإنسان على هذا الضرب من الإتصال تبدو أكبر وأوسع في الغالب.

- الإتصال الصامت أشد رهافة وحساسية وعاطفية من الإتصال الناطق بكثير، ولذا فهو ذو تأثير أكبر وأشد.

- إنطلاقاً من الرموز المستخدمة في كلا النوعين من الإتصال، يمكن الإستنتاج أن الإتصال الصامت أكثر عالمية من الإتصال الناطق.

إن هذا الإتصال يحدث غالباً على شكل استخدام حركات الجسم، ونوع الملابس، وتعابير الوجه، والتواصل عن طريق العين واللمس والرائحة، واستخدام المكان وتعريف الفواصل، ونوع النظر للوقت وأسلوب استخدام الصمت. (SOMOVAR, 1995, PP. 182-212) وبما أن استخدامنا للإتصال الصامت في علاقاتنا وأنشطتنا اليومية، أكثر بدرجة عالية ونحن لا شعوري من استعمالنا للإتصالات الناطقة، لذا يمكن عن هذا الطريق أيضاً الخلوص إلى رجحان الإتصال السياحي على الإتصال بواسطة وسائل الإعلام الحديثة.

الجدير ذكره في هذا المقام، هو أن عملية الإتصال السياحي في حالته الطبيعية، شأنه شأن أي اتصال آخر، ليس بمعزل عن تأثيرات ما يسمى "التشويش". فثمة اختلاف عميق هاهنا بين السائح والمجتمع المضيف بوصفهما الركنتين الأساسيتين لهذه العملية. السائح في سفر والمضيف في حضر، وهو في بيته ووطنه. السائح يمر عادة بفترة استراحة أو عطلة، بينما المضيف يعيش أوقات عمله وجهده لتوفير مستلزمات حياته اليومية، وفوق هذا وذاك، غالباً ما يكون السائح في السياحة العصرية من بلد غربي، أما المضيف فهو من مجتمع نام كما يسمى.

بما أن السائح يقومون في البلدان المضيئة بأعمال لا يقومون بها إطلاقاً في بلدانهم، فإن تعذر تعليم هذه الفئة، وضعف الضوابط الملزمة سواء من قبل البلدان التي ينطلق منها السائح، أو من قبل البلدان التي تستقبلهم، وقد يؤدي إلى مشاكل ثقافية وبيئية وخيمة. أضف إلى ذلك أن عدم رعاية السائح للعالم والإلزامات الفقهية لمختلف الأديان والمذاهب في البلدان ذات الطابع الديني، من شأنه التسبب في حوادث تعرض أساس السياحة في تلك البلدان لمخاطر حقيقية.

هذه القضايا ومشاكل أخرى مشابهة، أدت بين الفينة والأخرى في عالمنا المعاصر إلى تعالي أصوات معارضة للتنمية السياحية يطلقها المفكرون أو سكان الأصقاع المتمتعة بجماليات سياحية تجتذب إليها وفود السياح من كل أنحاء العالم. وللأسف فإن اللداخيل الضخمة التي تعود على البلد من جراء هذه الصناعة، تغري الحكومات أحياناً بانتهاج سياسات لا أبالية فيما يتعلق بالشؤون الأخلاقية والثقافية للسياحة. وهذا ما يفضي بدوره إلى تشكيل مجاميع ضغط مناوئة للسياحة. ونظراً للأثار المخربة لهذا اللون من السياحة على الأطفال والنساء وتنافيها

وتقاطعها مع قيم المجتمع، فإن مجاميع الضغط تلك قد تهدد أساس العملية السياحية وأصلها. إن باتلر (RYAN, 1993, pp.133-136) يحدد ست مراحل عامة لكل منطقة مضيضة للسياح، منذ انطلاقها وإلى آخر مصيرها، موضحاً كيفية تطور العلاقة بين السياح والمجتمع المضيف، والمراحل هي :

١- مرحلة الإكتشاف

هذه المرحلة التي تبتدأ بها قصة المنطقة السياحية. في هذه المرحلة يدخل المنطقة عدد قليل من السياح غير تابعين لشخص أو مؤسسة معينة في تنظيم برامجهم، ويحاولون التغلغل إلى أعماق ثقافة ذلك المجتمع، والتواصل مع أهاليه. ومن الطبيعي أن تكون لغة هذه المرحلة هي لغة المجتمع المضيف، وأن تكون ثقافة المجتمع المضيف من مآكل وملبس وغير ذلك هي العيار في الإتصال. ويحاول المضيفون في المقابل أن يبدوا درجة رهيبة من حسن الضيافة في التعامل مع ضيوفهم الجدد. التأثير والتأثر ضئيل جداً في هذه المرحلة، والتبادل الإقتصادي لا يتجاوز حدود الخردة والتمحور حول الفرد أو العائلة.

٢- مرحلة الإتصال والتلاقي

مع انطلاق هذه المرحلة، يزداد عدد السياح شيئاً فشيئاً، ولهذا يفكر أبناء المنطقة بتلبية حاجات السياح وتوفير الإمكانات اللازمة لهم. ومن أول مؤشرات الدخول في هذه المرحلة تخصيص أجزاء من البيوت السكنية للضيوف. في هذه المرحلة لا يزال السائح يبدي ميلاً لأسلوب الحياة المحلية، وتتواصل العلاقة بين المضيف والمضيف على مستوى عال. وتترك لغة الإتصال في هذه المرحلة مكانها تدريجياً لاستخدام الإشارات والإتصالات الصامتة، أو لطباعة وتوزيع بروشورات على السياح تحتوي على ما يحتاجونه من معلومات أولية، لا سيما على صعيد السكن.

وفي المراحل اللاحقة ومع ازدياد تدفق السياح على المنطقة، تنكسر فكرة إحراز واردات مالية عن طريق استقبال السياح، وتتضاعف التسهيلات والإمكانات بما يتناسب وهذه الزيادة. وهذا ما يؤدي بدوره إلى خروج الأنشطة الإقتصادية عن نطاق العائلة، لتتخذ أساليب أوسع كالحصول على قروض أو افتتاح شعب مصرفية في المنطقة.

٣- مرحلة التنمية

مع التزايد الملحوظ لعدد السياح، يتسنى القول أن المنطقة أصبحت سياحية.. في هذه المرحلة تتسع التخوم الجغرافية للمنطقة، ويدخول الشركات غير المحلية بل وحتى الأجنبية لسرح العمل، تنحسر الأنشطة الإقتصادية المحلية لتصبح على الهامش. وسيؤدي توافد العمال المهاجرين من سائر المناطق، إلى تقليص حجم الإتصال بين أفراد المجتمع المضيف مع السياح، وتشيع في الوقت ذاته اللغة السياحية الدولية في المنطقة. في هذه المرحلة تتحول السياحة إلى نشاط اقتصادي.

٤- مرحلة الإستقرار

تخرج المنطقة في هذه المرحلة عن طابعها المحلي الخاص، وأصالتها البكر، لتغدو كأي منطقة سياحية أخرى في العالم. ويدفع انخفاض العائدات الذي يرافق هذه الحالة، مدراء صناعة السياحة في المنطقة إلى استقطاب السياح بصفة جماعية.

٥- مرحلة الركود

يبلوغ المنطقة حدود الإشباع، ومع بداية الإنحدار الواضح في المداخيل الناتجة عن السياحة، تتبدى للعيان العديد من المشاكل البيئية والإجتماعية والإقتصادية المختلفة. وتعم الأزمة أفراد المجتمع المضيف الذين باتوا الآن أقلية بالنسبة لعدد السياح والعمال المهاجرين. ومع تراجع الإستثمارات الأجنبية، تترنح السياحة في المنطقة على شفى حفرة من الإنهيار الحقيقي.

٦- عودة الحياة أو الإنهيار

الأمل الوحيد المتبقي للمسؤولين المحليين في هذه المرحلة، هو أن يعملوا بمساعدة المؤسسات المتبقية في المنطقة، وبحسب برمجة دقيقة على تشخيص أنواع جديدة من السياح، يستقطبونهم بتغيير أغراض استخدام المنشآت المتوفرة. من نماذج هذه الحالة تحويل الفنادق والبانسيونات إلى مراكز لرعاية المسنين، واستخدام الأماكن الترفيهية لاستراحة هؤلاء الضيوف الجدد. إن الفشل في تجديد حياة المنطقة، يعني تسارع وثيرة الإنهيار، وبقاء المنشآت آثارا يعلوها الغبار تذكر بأيام الإزدهار والعافية.

ويقترح ناكسي (RYAN, 1993, PP. 136-137) من باتلر، متخذاً منحى اتصالاتيا

يشدد على سلوك المجتمع المضيف، فيقرر عند دراسته لتأثيرات السياحة اجتماعيا على مثل هذه المجتمعات، أربع سلوكيات ورؤى متباينة يبيدها المجتمع المضيف حيال تيار التنمية السياحية :

١- الإبتهاج

في هذا الطور الزامن لمرحلة اكتشاف المنطقة، ينظر المضيفون للسياح كضيوف ويستقبلونهم بحرارة. وربما تعزى هذه الحالة إلى إرادة حسن الضيافة لدى أبناء المجتمع، أو رغبتهم في توفير مصدر رزق لهم إذا كانوا مجتمعا فقيرا.

٢- اللامبالاة

إثر الدخول في مرحلة التلاقي والإندسكاك وزيادة أعداد السياح، يكتسب اتصال المضيفين والسياح طابعا رسميا أكثر، وفي المقابل تتضاءل رغبة السياح في التدخل في تفاصيل الحياة اليومية لأهالي المنطقة. ولن تعود لغة السياح الذين يقصدون المنطقة بعد هذا لغة أبناء المجتمع المضيف.

٣- الإستهياء

بدخول مرحلة التنمية، وانقلاب ميزان السكان بين الضيوف والمضيفين، وتراجع المحليين إلى الهامش، تطرا العديد من المشاكل لهؤلاء الناس. تزدحم المحلات التجارية من دون أن يسفر هذا عن تأمين الإحتياجات اليومية للمحليين، إنما تغص الدكاكين بالبيضائع التي يرغب السياح في اقتنائها كالصناعات اليدوية مثلا. وبتضاعف عدد السياح وزيادة عدد السيارات تبعا لذلك، تضغط صعوبات الحياة على المحليين بنحو متواصل ومتفاقم، ما ينمي بذور رؤية مختلفة لأبناء المجتمع المضيف حيال السياح.

٤- العداة

في نهاية اللطاف، وبدخول مرحلة الركود، تفصح مشكلة الإستهياء عن نفسها أكثر من أي وقت آخر، وتقنع المضيفين أن مرد كل هذا التمييز والنواقص هم السياح. وهذا ما يؤدي إلى تكون حالة لدى المضيفين يمكن أن نسميها العداة.

السياحة العامة وعملية العولمة

تحدثنا إلى هنا عن عملية السياحة كإتصال فردي يتمتع بسمات ومميزات خاصة قياسا إلى باقي أنماط الإتصال، وقد يتعرض أحيانا لحالات تشويش واختلال. والآن نحاول الخوض في هل أن الإتصال الفردي الذي تحققه السياحة العصرية، يتم غالبا بشكل متوازن، أم أن عوامل متعددة تعد من مضاعفات الحضارة الغربية، تؤدي إلى توجيه أو تدجين مصطنع ودائم لهذه العملية التواصلية؟ للتوفر على إجابة مناسبة لهذه القضية، يجدر بنا التعمق أكثر في الطابع العام لشتى نواحي الحياة الإنسانية المعاصرة كالإنتاج، والمجتمع، والثقافة، والإتصالات، وبالتالي السياحة.

تنامي الإهتمام بمفهوم "العامة" (Mass) طيلة العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين بين المنظرين والنقاد الاجتماعيين، وأثير كاول نظرية كلاسيكية ترتبط بالثقافة.

بعد الثورة الصناعية الأولى في القرن الثامن عشر التي برمز لولادتها بتاريخ ١٧٥٠ للميلاد. إنطلقت الموجة الثانية للحدثة في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي بظهور المدينة، وسلطة التقنية الحديثة، وعملية التصنيع والإنتاج الوفير "العام"، وتفشي الطابع التجاري، وظهور وسيادة وسائل الإعلام العامة، وبالتالي انتقال الدور الأساس من الإنتاج إلى التوزيع. هذه التحولات التي شهدتها حقل التقنيات استتبعت تغيرات في المجتمع والعلاقات الاجتماعية، أسفرت أخيرا عن تبلور نمط خاص من المجتمعات الإنسانية التي نسميها "المجتمع العام".

المجتمع العام هو في حقيقته حصيلة انهيار التضامانات التقليدية، وتبدد الأمن، وضعف المؤسسات والعلاقات الاجتماعية للماضية، وظهور شكل من الفصام واللاقيمية في المجتمع الحديث. في هذا المجتمع، تحول الإنسان إلى ذرة في المدن العملاقة يتذوق مرارة التوحد الحقيقي والنفي القاسي. هذه العزلة المفروضة، وما ينجم عنها من تعطل شديد للتواصل والإرتباط، مهد الأرضية لهيمنة طبقات جديدة وسيادة صناعات الثقافة في المجتمع العام أي وسائل الإعلام العامة. إن الثقافة الجديدة التي سادت لردم فراغ يعاني منه المجتمع العام بفعل المؤسسات الجديدة المهيمنة عليه، هي ما نسميها بـ "الثقافة العامة".

من السمات المهمة لنظرية "الثقافة العامة" تمييز هذا اللون من الثقافة عن "الثقافة الشعبية" و"الثقافة الراقية". تعبر الثقافة الشعبية عن الحاجات والتطلعات الحقيقية للناس، والتي تتبلور وتظهر تلقائيا في الفلكلور. ومقابل ذلك فإن الثقافة الراقية ثقافة لها استقلالها الخاص، وتعبر عن ذوق فني وأدبي حقيقي لطبقة ممتازة في المجتمع. أما الثقافة العامة فهي

ثقافة مفروضة لا تتفجر تلقائياً وبشكل طبيعي، إنما تفرضها تحولات المجتمع الصناعي بنحو قهري، ويعاد فيها تشكيل التحليلات الأدبية والفنية بشكل كاذب تبعاً لمقتضيات الإنتاج الصناعي الوفير، ليقتصر بها الجميع تحت شعار "الكل متساو في فرص التمتع بالثقافة".

يعتبر النقاد الثقافة الأميركية أبرز مصاديق الثقافة العامة، ويعدون العملية المسماة "أمركة الثقافة" إحدى أهم مضاعفات الثقافة العامة. هذا الفريق يرى أن أمركة الثقافة تشكل النواة الأصلية للثقافة العامة. هناك عدة عوامل ساعدت على ولادة أسهل ونمو أسرع للمجتمع العام في الولايات المتحدة الأميركية، والواقع أن أميركا كانت ثمرة الرأسمالية الأوروبية التي برزت إلى السطح منذ عصر الرأسمالية التجارية، وبهذا يتسنى القول أن أميركا في هذه الفترة هي الأوهى جذوراً وأضعف أصولاً بين البلدان الأخرى. عند هجرة الأوروبيين لهذه الأرض الجديدة، كان السهم الأوفر من نصيب من لم يكن لهم نصيب في أوروبا، أو قل من نصيب منبوذي المجتمع. وقد اصطحبت هذه الطائفة بحسب طبيعتها العناصر الأكثر عامية في ثقافة أوروبا، وأخذتها معها إلى الأرض الجديدة، وتركت العناصر الراقية في المجتمع الأوروبي. في مثل هذه الظروف، أدى الإفتقار للتقاليد الإقطاعية والملكية والأرستقراطية مضافاً إلى التحولات المبكرة في مضمار التقنية، أدى كل هذا إلى أن تكون أميركا مظهراً للثقافة العامة في مطلع القرن العشرين. لذلك انطلقت أول الإعتراضات ضد أميركا وأمركة الثقافة من بريطانيا وفرنسا بوصفهما القمم الأسمى للثقافة الأوروبية.

إن ظهور وتنامي هذه الثقافة الجديدة في المجتمع المعاصر، أسفر عن مضاعفات سلبية أخرى، شكلت المبررات الأصلية لانتقادات وجهت للمجتمع العام، ووسائل الإعلام العامة، والثقافة العامة. التبعية الأولى لهذه الهيمنة تمثلت في ردود الأفعال المحافظة والتحريرية الصادرة عن الثقافة الراقية حيال الثقافة الجديدة بوصفها ثقافة منحطة قائمة على تسافل الذوق الأدبي والفني، وهو ما يتجلى بكل وضوح في روايات وقصص وأفلام الثقافة العامة.

النقد الآخر الذي يوجه لهذه الثقافة هو أن علاقات الأفراد في المجتمع العام كعلاقة حبات الرمل المنفصلة عن بعضها رغم اجتماعها. المثال الناصع لهذه الحالة هي ارتباط مشاهدي الفيلم السينمائي مع بعضهم وهم في صالة العرض. هذا الإتصال الذي يتم بنحو غير مباشر عن طريق اتصال كل فرد بأحداث الفيلم وأبطاله بشكل مستقل، ليس اتصالاً ذهنياً بطبيعة الحال، إنما هو اتصال عصبي قائم على الهياج الروحي. إن الأفراد بإقامتهم مثل هذه الأواصر الكاذبة، يتحلون بجدارة أكبر للعيش في المجتمع العام.

من المفاهيم الأخرى المستخدمة في شرح تبعات الثقافة العامة، مفهوم "الهروب من الحقيقة". ففي المجتمع الذي يشعر فيه الإنسان بالوحدة المريرة رغم تواجده بين الآخرين، يبدو الهروب من حقائق المجتمع الثقيلة أمراً طبيعياً. وبوسع هذا الهروب أن يشمل طيفاً واسعاً من شتى الحالات. فالأفلام التي تتناول مواضيع الهروب من السجن أو من ظروف خطيرة، والرسوم غير الواقعية، والألعاب الكمبيوترية، وألعاب الحقيقة المجازية، تندرج كلها ضمن هذه المقولة.

مفهوم "السلطة" هو الآخر أحد أهم المفاهيم الفاعلة في معرفة المجتمع العام والثقافة العامة. نقاد هذه الثقافة لا يرون في ظهورها انهيار السلطات السابقة، إنما عرضاً جديداً لسلطة جديدة، هي سلطة التقنية الحديثة. والحقيقة أن هؤلاء النقاد لا يرون الثقافة العامة مجرد ثقافة، إنما هي جزء من الجهاز السلطوي العام في المجتمعات الحديثة. فثمة في المجتمع العام علاقات وثيقة بين الثقافة الحديثة ووسائل الإنتاج والتقنية والسلطة. وبالقضاء على التنوع وقمع الأصوات المعارضة في هذه الثقافة، تطرح "صيانة الذات" و"اللذة" كحقائق مركزية تكتسب كل شؤون الحياة معانيها وفقاً لها. (بشيرية ١٩٩٨)

وحيث أن أدوات إدارة الثقافة وصناعة الثقافة تتمتع في هذا النمط الثقافي بأهمية قصوى، لذا تتمتع وسائل الإعلام العامة ومدراها بمكانة ممتازة في المجتمع العام. ولا ريب أن إحدى السبل المهمة لفرض التفوق ولهيمنة الرأسمالية الغربية (والأميركية على رأسها) في المجتمع العام، والحفاظ على هذه الهيمنة العالمية، هو استخدام القدرات الذهنية لوسائل الإعلام العامة في خلق صورة مزيفة للحضارة الغربية وللحضارات والثقافات الأخرى. تستعين وسائل الإعلام هذه بأخر المنجزات الإنسانية في حقل تقنية الاتصالات، لتضاعف في كل حين من سرعة وكيفية واتساع اتصالها، جاعلة الغرب كعبة آمال المنفصلين عن تواريتهم وهوياتهم الذاتية.

والذي يحصل في السياحة العاصرة إنما يحصل وفقاً لهذا النموذج، فالصورة التي تصطنع للبلدان الغربية عبر السياحة، توحى بتفوق كبير تتمتع به من حيث مستوى المعيشة في أذهان البلدان الضيفة. وتحاول البلدان الضيفة بدورها وبالرغم مما تعانيه من فقر وتباينات طبقية، أن توفر هذا المستوى الرفي عند زيارات الأسفاد الغربيين إليها، وإن تحقق لهم ما يشبه حياتهم المصورة في العملية السياحية. وقد تؤدي هذه الظاهرة في حال عدم وجود إدارة قوية، إلى زيادة الإستيراد من البلدان الباعثة للسياح، ما يعيد أرباح السياحة إلى البلدان الغربية، ويساعد بنحو ملحوظ على إيجاد وحفظ صورة التفوق الغربي، وبالتالي تكريس التغريب والسلطوية العالمية للحضارة الغربية، أو العولمة بعبارة أوضح.

إن ما يجعل السياحة في العالم المعاصر، أداة لتكريس وتشديد الهيمنة الثقافية الغربية و عملية العولمة، هو تسرب الطابع العام إلى صميم هذه الممارسة الثقافية القديمة، وتشكل "سياحة جماعية" تسود هنا القطاع من حياة الإنسان.

"السياحة الجماعية" عبارة عن تدفق رتيب لأعداد كبيرة من السياح إلى مناطق معينة لقضاء أيام العطلة. وقد تطورت هذه الظاهرة ابتداء من عقد الستينات في القرن العشرين، مع تراكم الثروة، وتطويل فترات العطل، وانخفاض تكاليف السفر داخل البلدان الصناعية ومنها إلى البلدان الأخرى.

وقد اتجهت هذه الحركة السياحية في البداية صوب مناطق تتمتع بالشمس والرمال والبحر (OISSEVAIN, 2000, P. 383).

شكلت هذه الخصائص الثلاث ومعها "الجنس" بوصفها جزءاً لا يتجزأ من الحضارة الغربية "رباعياً لا مقدساً" (Unholy Quarter) للسياحة الجماعية. إن عبارة "الشمس، الرمال، البحر، والجنس" (Sun, Sand, Sea, Sex) المستعملة من قبل بعض أصحاب الإختصاص، تعبر عن اهتمامهم وشوقهم إلى حقبة ماضية كان السفر فيها وفقاً على الطبقات الراقية والمتوسطة من المجتمع (SELWYN, 2000, P. 564).

والحق أن اكتساب السياحة صبغة عامة، ينبغي أن يعد انحرافاً عن المسار الأصلي لهذه الظاهرة باعتبارها اتصالاً فردياً في حياة الإنسان. التشويش الذي منيت به هذه العملية الإتصالية في الحضارة الغربية، أخطر وأعمق وأوسع من أن يعد تشويشاً كغيره من التشويشات التي قد تطرا أحيانا أشكال الإتصال الأخرى. إن بروز هذا التشويش في عملية الإتصال السياحي، وبما هو منبثق عن تبلور نمط جديد من المجتمعات والثقافة داخل الحضارة المهيمنة ظل مستمراً إلى أن أفضى إلى قلب ماهية هذا النشاط الإنساني. إن السياحة بوصفها ممارسة ثقافية صانعة للحضارات، لم تعد اليوم ذكرى في أذهان المطلعين على التاريخ يصعب جدا إحيائها من جديد.

السبب الذي أدى إلى انحراف السياحة اليوم عن مسارها التواصلي الطبيعي، هو سطحية الإتصال بين السياح ومضيفيهم بفعل تراكم البرامج وال فقرات في السياحة بنوعها العام، وضالة الأوقات المخصصة لإقامة اتصالات وعلاقات معمقة. ويمكن متابعة هذه العملية بكل وضوح في مصير المنطقة السياحية منذ انطلاقتها وحتى النهاية بحسب ما سبق أن أوردناه في نموذجي المراحل الست والمراحل الأربع.

إن جماعية السياحة وضرورة العلاقات شيئا بين الأفراد ذوي الصلة بهذه العملية الإتصالية في معظم جوانبها، تركت آثارها على كافة العناصر المكونة للسياحة. فعلى مستوى السياح، يعد تكون السياح العامين بصفقتهم أضخم الشرائح السانحة عددا، نتيجة طبيعية لهذا الأمر. السياح العامون من أقل الفئات السانحة اتصالا وأضعفها ارتباطا، فهم قلما يتنهبون إلى الظروف التي تحيط بهم في المجتمع المضيف، وعند المغادرة، لا يتركون عن أنفسهم سوى الخراب والأضرار.

مضيفو السياحة الجماعية بدورهم كثيرو التعامل مع السياح، ما يفقدهم تدريجيا محفزاتهم على الإتصال، ويخفض مستوى حسن الضيافة بينهم شيئا فشيئا. وبدخول الشركات السياحية إلى الساحة سنواجه مشكلة أخرى أشرنا إليها فيما سبق. فهذه الشركات المضيضة تصنع صورا نمطية للمجتمع والعالم تحول دون احتكاك حقيقي للسائح بثقافة المضيف.

وعلى مستوى عنصر المحفزات، تقوم هذه الفئة (الشركات) أيضا بإثارة محفزات كاذبة لدى السياح، وإخراع محفزات جديدة تركز إلى الوضع المتوتر في المجتمع العام لتحلها محل حوافز الإتصال المنتج، مما يؤجج نيران هذا الإتصال أكثر من ذي قبل.

وبالنسبة للجماليات والعالم السياحية ينبغي القول أن هدية السياحة العامة للمعالم السياحية ليست سوى تخريب التراث الطبيعي والثقافي للبشرية. إن تشديد السياحة العامة على أنماط معينة من المعالم، والتدفق الهجومي العارم للسياح صوب هذه الأرصدة القيمة، إلى جانب فقدان المحفزات لإقامة نوع خاص من الإتصال يتسم باحترام السياح للمعالم، هي بمجملها الأسباب الرئيسية لهذا التخريب الهمجي.

يكتب أحد الباحثين المعاصرين واصفا السياحة العامة في العالم الراهن مقارنة بالسياحة في العهود الماضية :

"السائح زائر اليوم.. يريد أن يتعلم و يطلع ويكون له موضوع للحوار. السائح هو سيد الحضارات المطلق. المتاحف تشيد من أجله، والفنادق تبني لإجله، والمعابد تعرض لإجله، والقدسات تنزل من عرشها لإجله. يحاول السائح أن يحصل على كل شيء بأسرع وقت. يريد أن يرى بسرعة، وينتفع، ويأخذ ويعود إلى بيته. لا تتسع أعصابه للتتلمذ والتعلم وانتظار تفتح الأزهار كشرط من شروط نضج الثمار في صمت الطبيعة. السائح متسرع لأنه مشتت... إنه مشتت كغبار الإيرادات والطامح المتناقضة.

يريد السائح أن يمنحوا له كل شيء جاهزا، وأن ينزلوا له كل شيء إلى مستوى فهمه وقامته، لذلك فهو يكره تضييع الوقت. إنه يحمل أموالا ويريد شراء كل شيء و الإنتفاع من كل شيء بأقصى سرعة ممكنة، و لهذا نراه يميل إلى البرامج المضغوطة التي تستلزم بدورها اجتماع العالم المرئية والسموعة والتعليمية في نقاط محددة، سواء كانت متاحف، أو معابد، أو قصورا، أو ساحات عامة. حينما وجد السائح تتبدل رقصات المعابد إلى ديكات ملاهي، و تنقلب مراسم الشرف السرية إلى عريضة سيرك، وتتحول المعابد والمساجد إلى أسواق موسمية صاخبة، ويهبط خشوع الزائر وخضوعه إلى سقف التطلع و الفضول، ويمسح شوق الإعترال والخلوات إلى تفجير للملذات.

السبب في أن اللدراء والمسؤولين لا يخشون من السياحة، بل على العكس تماما، يشمرون عن سواعدهم لتشجيعها وإشاعتها و تكريسها، هو أنهم غالبا ما يكونون بدورهم من العامة" (شايبكان، ١٩٧٧، ص ص ٨٢ - ٨٥).

هكذا تقف السياحة اليوم على بعد مسافة شاسعة من شكلها التاريخي الأصلي. ورغم أن الحضارة الغربية ترى نفسها مدينة في قسم كبير من هيمنتها العالمية لدور السياحة الصانعة للحضارة، ولكن في أطوار لاحقة، يمنح هذا الأداء السياحي الدهش مكانه لتكريس هيمنة الغرب والثقافة الغربية على العالم بأسره. والمرد الأساس لهذا الإنحراف الجذري في مسار خلق وتطوير الحضارات الإنسانية، هو سيطرة الطابع العامي على البشر، وانبثاق المجتمع العام تبعا لذلك، ثم الثقافة العامة، ثم الاتصالات العامة، فوسائل الإعلام العامة، والسياحة العامة طبعا كهدية فريدة تقدمها الحضارة الغربية للإنسان المعاصر.

سواء تحرك بنو البشر اليوم داخل أراضيهم، أو تخطوا الحدود الوضعية إلى مناطق أخرى، فهم يسافرون بحوافز مختلفة. كما إن مضيفهم يستقبلونهم بدوافع ومحفزات مختلفة أيضا. ويمكن تلخيص هذه المحفزات بأربع مجاميع عامة هي المحفزات النفسية والإقتصادية والعلمية و الإتصالية. وفي مناخ الثقافة العامة و شيوع السياحة العامة، تختزل كل هذه الأنشطة والحوافز بكل تنوعاتها والوانها البارزة في أساليب السياحة وأنماطها، تختزل في نهاية المطاف لكيلا تفضي إلى شيء سوى تكريس الهيمنة العالمية لثقافة واقتصاد الحضارة الرأسمالية الغربية ولإنجاز ما سميناه " عملية العولمة " طبعا.

المزيد من تفاصيل هذا السياق أوردناه في المخطط رقم (١) في الصفحة التالية:

جديد من السياحة، من حيث خصوصيات الزبائن ونماذجهم السلوكية. تركّز السياحة الجديدة من وجهة نظر (بون) على تجربة موضوع مختلف وتعمق أكبر في تاريخ وثقافة المناطق السياحية، وهي سياحة تتحلّى بوعي أعمق لتأثيراتها على البيئة.

المخطط رقم (٢) : دورة الحياة السياحية

مستوى النمو

إصلاح قوانين الخطوط الجوية		السياحة الحديثة	
أشوق إلى الشمس	التقنية الحديثة	الترحد والتساري	الأسواق المفصلة
النفط الزهيد	أعداد كبيرة	حدود النسبة	من المستهلكين
طائرات الجت	هوط مستوى	التسويق الوفير	الإقبال على
إجازة براتب	السياحة العامة	الإنتاج الوفير	التسمية المدلّمة
نهاية الحرب	التقنية الكمبيوترية	مزيد من	السياحة العامة
العالمية الثانية	السفرات الجماعية	التخطيط والإشراف	
١٩٤٥	١٩٨٥	١٩٦٨	١٩٧٨
			٢٠٠٠
			٢٠٢٠
			سنة

المصدر : لوميسدن، ٢٠٠١، ص ٣٨٧

طبقاً لما ورد في المخطط يعد السلام والاستقرار الذي حل عقب الحرب العالمية الثانية نقطة انطلاق التنمية السياحية، كما أن عوامل من قبيل العطل من دون خصم رواتب، وزيادة أوقات الفراغ، واختراع واستفادة عامة الناس من طائرات الجت، تعتبر منعطفات مهمة في تشكيل وظهور السياحة العامة. وأصل هذا النوع من السياحة سادته على مسرح الأنشطة السياحية حتى أواسط السبعينات من القرن العشرين، وبعد ذلك ونتيجة لبلوغه الحدود القصوى من تطوره، بدأ عده التنازلي، وأفرز في الوقت ذاته أنماطاً جديدة من السياحة النوعية عمل على تنميتها، ويبدو أن هذه الظاهرة لا تزال مستمرة بنحو تدريجي.

"تخمينات عام ٢٠٢٠" التي أعدتها منظمة السياحة العالمية أواخر عقد التسعينات من القرن العشرين، تشير إلى أن نموذج السياحة في المستقبل سيكون أكثر توزعاً وانتشاراً، وسيسافر السياح في جماعات صغيرة بدل أن يسافروا على شكل مجاميع كبيرة، والذين يمارسون السياحة

بشكل مستقل وحر، سيحظون بالسهم الأوفر من السوق. وطبعاً تستثنى من هذه الظاهرة البلدان النامية ذات الأسواق السياحية غير المتكاملة ولكن المتسمة في الوقت ذاته بنموها المتسارع. وستبقى السفريات التقليدية الرامية إلى مشاهدات سطحية لعالم محددة، والهادفة إلى مشاهدة أكبر عدد من المعالم في أقصر وقت ممكن، ومطلوبة ومرغوبة من قبل الأسواق الجديدة غير المتكاملة، بيد أن أعداد المنخرطين في مثل هذه السفريات ستتناقص يوماً بعد يوم. ووفقاً لهذه الدراسة "تخمينات عام ٢٠٢٠"، من المحتمل أن تكون الدوافع الرئيسية للأسفار السياحية في غضون العشرين سنة الأولى من القرن الحادي والعشرين، على النحو التالي :

- إكتشاف أصول ومنايب التراث الثقافي للوطن الأم أو للبلدان الأخرى.
- معرفة قيمة البيئة الطبيعية والثقافية.
- متابعة هواية أو تسلية محددة كالرياضة، أو التوفر على معرفة بالتاريخ العائلي، أو التصوير أو الأبحاث العلمية.
- الإستراحة والتحرر من أعباء الحياة المدنية الحديثة، وقضاء الوقت برفقة العائلة والأقارب.
- وسوف تتمحور الجهود على السفريات الأكثر قيمة وتعلماً والأعمق معنى، بالشكل الذي يحقق تجارب أرسخ تشغل كل حواس الإنسان الخمس. أو أنماط السياحة والسفر التي تخلق الرغبة والجاذبية في هذا الضمير، هي :
- السياحة الطبيعية، وسفريات إكتشاف الطبيعة بصفة أعمق، والتبادل الثقافي عن طريق أنشطة كالسياحة الريفية، والمشي، وتسلق الجبال، وريادة الكهوف، والرياضات المائية، والأسفار التنافسية والتعليمية التي تتخذ من تجارب التعليم موضوعاً رئيسياً لها.
- اللتقيات، والراسيم، والمؤتمرات، والأحداث.
- السفريات الموضوعية للعوائل والشباب والسنين العزاب، والمتقاعدین، المتضمنة للتبضع واقتناء الحاجيات المرغوب فيها، وأنواع الرحلات العلاجية، كالتداوي بالياه المعدنية، والتداوي بالجمال، والطبائبات البديلة، والرياضات القتالية، وكذلك الأسفار الدينية.
- أسفار الزيارات التي تشمل مزارات المسلمين والمسيحيين والبوذيين والطاويين وسائر الفرق والديانات.
- الأسفار البحثية - التعليمية التي تقوم بها مجاميع طلابية بصحبة الأساتذة والباحثين والطلبة الجامعيين الراغبين في إجراء بحوث ميدانية في الطبيعة والثقافة وعلم الإنسان.
- الرحلات الرياضية، لا سيما لعبة الغولف المشهورة لدى شعوب جنوب شرق آسيا، والكوريين واليابانيين، مع مهر جانات رياضية - تقليدية، والقيام بسفريات لحضور وقائع رياضية في بلدان

أخرى.

- أسفار الأعراس وشهر العسل ذات الطبيعة القومية - الثقافية والمألوفة في اليابان وبعض البلدان الأوروبية.

- رحلات العاقين والعاجزين، التي يعد لها على أساس نتائج تتناسب مع نوع إعاقة الأشخاص المسافرين بواسطة كراسي المقعدين، وبتسهيلات مثل المصاعد، والمرايح، والسلالم المنحدرة. (منظمة السياحة والسفر الإيرانية ٢٠٠٠، ص ٥٦-٦٢)

محاولة صياغة نموذج سياحي إسلامي

مجمل هذه المعلومات والتوقعات، يضع أمامنا بالبحاح أنه رغم الظروف الإنتقالي اللامناسب للسياحة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، يبدو أن ثمة أرضية ومناخا مناسباً للتنافس الحقيقي في هذا المجال يتوفر اليوم للمسؤولين والمخططين في البلاد من دون أي مساس بالنوعيات والقيم.

إن افول السياحة العامة وحقبتها السوداء، هو بمنابة البشارة بالنسبة للبلدان والايديولوجيات الدعية تقديم نموذج سياحي جديد. إنه ظرف يتيح لنا تقديم نموذجنا الإسلامي في أسواق التنافس هذه ارتكازا على مبادئنا الدينية المتينة النبعة. وبلحاظ أن كافة الظواهر تكتسب في الإسلام معاني الهبة، سيظهر هذا النموذج متفاوتا بلا مرء عن النموذج السائد لحد الآن في عالمنا المعاصر. ونظرا لما ألحنا إليه من دور السياحة في صناعة الحضارات على امتداد التاريخ الإنساني، يمكن القول أن هذا النموذج سيكون بمنزلة تصحيح للمسار الذي فرض عليه الإنحراف في عهد هيمنة الحضارة الغربية.

في هذا النموذج وفي بعده الإتصالي على الخصوص، يتصل المسلمون أحيانا بغيرهم، ويتصلون مع بعضهم في أحيان أخرى. حينما يتصل المسلمون بغيرهم سياحيا، سيسود إتصالاتهم إبتعاد مزدوج عن ضعف النفس من ناحية، وعن الجور والإجحاف من ناحية ثانية. وبما أن المسلمين يقصدون غير المسلمين بهدف الدعوة القدسة، لذلك سيواجهونهم بأذرع مفتحة، ولكن بصلاية وتماسك في السلوك، ومن هنا يمكن الوثوق بتأثيرهم وجدوى نشاطاتهم، سواء قصدوا الآخرين أو قصدتهم الآخرون.

وفيما يخص الإتصال بين المسلمين أنفسهم، يتجلى قبل كل شئ مفهوم متسام على القيود العنصرية والقومية والقبلية، هو مفهوم الأمة الإسلامية الذي يعنى كافة المسلمين صوب هدف معين. إنه المفهوم الذي تراجع في يومنا الراهن بفعل هيمنة الحضارة الغربية على البلاد

الإسلامية وتكون منظومة الشعب - الدولة. فإذا نشد المسلمون اليوم إحياء حضارتهم الإسلامية، فلا مندوحة أمامهم سوى تطوير الإتصالات فيما بينهم بشتى صنوفها الممكنة ومنها السياحة المنبثقة من النموذج الإسلامي دون النموذج الغربي.

لو اعتبرنا تركيز عملية التقبل الثقافي واتجاهها، تابعين للظروف الأربعة الثقافية، والإتصالانية والإقتصادية والجغرافية التي يعيشها السياح والمجتمع المضيف قبالة بعضهم، فمن المناسب جدا في نطاق التخطيط الثقافي للجمهورية الإسلامية في قطاع السياحة الرامي الى اجتذاب السياح وايغادهم، أن نبنا من البلدان التي نستشعر قريبا اكبر معها على هذه الصعد الأربعة، وعلى رأسها البلدان التي ارتضت لنفسها اسم الإسلام. وبما أن القضايا الدينية والثقافية، والخوف من الآثار التخريبية للسياحة على اللبدان الثقافي، من أبرز هموم المسلمين، بل وكافة المجتمعات المهتمة بصيانة ثقافتها وهويتها الثقافية والتاريخية، يبدو من الجدير القاء نظرة على الظروف والأوضاع المذكورة بتوكيد خاص على موضوع السياحة بين البلدان الإسلامية. القسم المشترك الأهم بين هذه البلدان، هي الثقافة الإسلامية وعلى رأسها القرآن الكريم. وهذه القرابة والمشاركات الثقافية تعمل فضلا عن تسهيل العملية للذكورة، على صيانة المجتمعات المسلمة من مضاعفات السياحة إلى حد كبير. إن بوسع المسلمين عن طريق تنمية الإتصالات فيما بينهم على أساس الهوية الإسلامية الواحدة، أن يقطعوا خطوات متسارعة على سبيل التعارف المتبادل والعميق فيما بينهم، ومسح أدران قرون طويلة من التباعد والإنفصال، كما بمقدورهم التعرف على ما تبقى من مظاهر الحضارة الإسلامية العظيمة الإنسانية وصولا إلى وعي صحيح لهويتهم المشتركة، وعهود عزتهم وجلالهم المرتكن على قاعدة الوحدة والأمة الإسلامية، بل باستطاعتهم عبر التعمق في شتى الأوجه الثقافية لسائر الشعوب المسلمة، الوقوف على الجوانب النسبية من ثقافتهم الخاصة. وحقا، ماذا غير هذا الجهل بالذات وبالآخرين، كان عاملا في فصل المسلمين قرونا طويلة عن بعضهم، وأفضى ناليا إلى تمزقهم وهزيمتهم وتخلفهم على الساحة الدولية؟

على المستوى الإتصالي، بمستطاع اللغة العربية النسبية أن تلعب دورا استثنائيا في خلق هذا التقارب والإتحاد.

ومع أن اللغة العربية - بشكلها الحصري أو بالإشراك مع باقي اللغات - لا تستخدم ولا تفهم اليوم إلا من قبل خمس المسلمين، بيد أنها بسبب ارتباطها بالروح للبثوث في جسد المسلمين والحضارة الإسلامية، أي القرآن الكريم، مضافا إلى رواجها في الراسم والعبادات الإسلامية المختلفة، تمتلك قدرة فائقة على أن تصبح لغة المسلمين المشتركة في كافة أرجاء العالم، والتي

يستخدمونها في جميع اتصالاتهم وعلاقاتهم. أضف إلى ذلك، أن اكتشاف واستثمار هذا الكنز الإصطلاحي الخفي، بوسعه هو الآخر تطوير التواصل بين المسلمين أكثر فأكثر.

من ناحية اقتصادية، أو بعبارة أدق من حيث مستوى التقدم بين بلدان العالم، يبدو رغم التباينات الملحوظة التي تفصل بين البلدان الإسلامية، أن من الممكن تصنيفها ضمن فئتين رئيسيتين، البلدان المتوسطة التنمية، والبلدان الدانية التنمية. وللإيضاح نقول، إن السنوات القليلة المنصرمة شهدت تصنيفا جديدا لبلدان العالم يوزعها على ثلاثة مستويات من التنمية، بدل مصطلحات عائمة نظير العالم الأول والثاني والثالث، أو بلدان الشمال والجنوب. إن تصنيف وضعته منظمة الأمم المتحدة بمؤشر "التنمية الإنسانية" ذي المعايير الثلاثة "إجمالي الناتج الداخلي الحقيقي للفرد الواحد" و"الأمل في الحياة" و"التعليم أو الأمية".

بحسب هذا المؤشر، وبعد استثناء بروناي والكويت الداخليين في عداد البلدان ذات التنمية الراقية في العالم، يعد ٢٥ بلدا إسلاميا ضمن فئة البلدان ذات التنمية المتوسطة في العالم، وهناك ٢٥ بلدا إسلاميا آخر تنتمي للبلدان الدانية التنمية. النقطة الملفتة هي أنه باستثناء البلدان الآسيوية الأربعة، أفغانستان واليمن وبنغلادش وباكستان، تقع كافة البلدان الإسلامية الأخرى ذات التنمية الدانية في القارة الأفريقية (محسنيان راد، ١٩٩٧، ص ص ٦٠٢)، ولا شك أن هذه النقطة تستطیع أن تؤثر وبشكل جاد في تنمية السياحة بين هذه البلدان، وإقامة حلقة متبادلة متساوية فيما بينها، ولعب دور مهم في تقسيم الثروة بشكل عادل بين أقاليم العالم الإسلامي، وبإمكان المؤسسات والتقاليد الإسلامية المشار إليها سابقا إيجاد تسهيلات ملحوظة للمضي في هذا السبيل.

ونظرا للمساحة الجغرافية الواسعة التي تشغلها البلدان الإسلامية، لا يمكن الزعم بأن مسلمي هذه البلدان متساوون في الوصول لكل بقعة من بقاع الكوكب الأرضي، وبنفس السهولة، لكن يتسنى في الوقت ذاته استذكار أنه نادرا ما يفصل بلد أو بلدان غير إسلامية في كل أرجاء المعمورة، بين البلدان الإسلامية بالنحو الذي يجعل وصول المسلمين إلى بعضهم مشويا بصعوبات حقيقية. وبالتالي، كما في الحالة الاقتصادية، يمكن توزيع البلدان الإسلامية من حيث التقارب الجغرافي إلى عدة مجاميع. طبعا ينبغي أن نضيف لكل هذه الطروحات تطور تقنيات النقل والمواصلات في العالم المعاصر، على الرغم من أن مراجعة تاريخ الحضارة الإسلامية يعلمنا أن الفواصل الظاهرية في عهود الإفتقار لهذه التقنيات، لم تشكل إطلاقا موانع تحول دون تواصل المسلمين.

يجدر الذكر هنا بأن هذه الأنشطة وفي رؤية أكثر شمولا سوف لن تقتصر على عملية

السياحة بين البلدان الإسلامية. فسفرات المسلمين إلى البلدان غير الإسلامية واستضافة غير المسلمين في البلدان المسلمة، يمكن أن تكون بدورها ممارسات ذات ثمار طيبة. من زاوية ثقافية واتصالية، فإن السياحة، سواء كانت بين بلدان مسلمة، أو بينها وبين بلدان أخرى، وسواء ساه المسلمون في بلدان غيرهم، أو استضافوا غيرهم في بلدانهم، يمكن أن تكون لها مردودات وقايلات دينية على درجة عالية جدا من الأهمية.

إن ازدهار حركة السياحة بين الأقطار المسلمة، وزيارة السياح المسلمين لمجتمعات إسلامية أخرى، من شأنه تعريف المسلمين ببعضهم وبالمشكلات والسمات الثقافية للمجتمعات المسلمة، والوعي بنقاط الإشراف والإهراق بين الثقافات التي نعرفها إجمالاً باسم "الثقافة الإسلامية". وهذا بدوره يساعد كثيراً في مد الجسور والائتلاف بين المسلمين واحياء مفهوم الأمة الإسلامية من جديد.

من جانب آخر، يمكن لأسفار السياح المسلمين إلى البلدان غير الإسلامية أن تكون بهدف تعريف غير المسلمين بأسس ومبادئ الدين الإسلامي الحنيف. وإيضاح تعاليمه السامية لهم، وبالتالي الدعوة للإسلام، لا سيما بالإسلوب غير المباشر، وعن طريق التعايش مع الناس وعرض السلوك والتعامل الإسلامي، وهو أسلوب ذو تأثيرات أوسع وأرسخ. وبالرغم من أن الفقه في الدين، والتخصص فيه مهمة فنة خاصة من المسلمين كما تشير آية النفر الكريمة: "وما كان المؤمنون لينتروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون" (التوبة/١٢٣)، إلا أن هذا لا يلغي أعباء المسؤولية عن كاهل من يستطيع بأي شكل من الأشكال وبحكم ظروفه التي يعيشها أن ينهض بالدعوة إلى دين الله، خصوصا وأن هؤلاء الأشخاص وبسبب موقعهم غير الرسمي وغير المعلن يستطيعون عبر نفوذ أعمق إلى المجتمع الخاطب من ناحية، واستثمار فرص الحرية الأوسع التي قد لا تتوفر أحيانا للمبشرين الرسميين من ناحية أخرى، يستطيعون ممارسة التبليغ للدين بقايلية وتأثير أكبر. وبمنظرة إجمالية لما أورثنا إياه قائد الثورة الإسلامية الكبير سماحة الإمام الخميني (قدس سره الشريف)، وبغض النظر عن السياح، يبدو أنه يقصد أصل هذا الإستنتاج حينما يحمل مسؤولية تبليغ الدين، وإشاعة الثقافة، وبيان مفاهيم الثورة بالمعنى الأخص، جميع الذين يعيشون بنحو من الأنحاء ظروف التواصل الثقافي وتتاح لهم فرص التبليغ. يقول مؤسس الجمهورية الإسلامية في لقاء له بالرياضيين:

"إنكم باخلاقكم الحسنة وبسلوككم ويتصرفاتكم ستصدرون النحي الإسلامي للجمهورية

الإسلامية إلى الخارج إن شاء الله" (الإمام الخميني، ١٩٨٦، ص ٢٥).

ويقول أيضا على النحو الإجمالي في لقائه بالمشاركين في مؤتمر المجالس ،
 "فضلا عن الزيارات الرسمية، لابد لنا من زيارات غير رسمية. في الزيارات غير الرسمية و فقط
 تستطيعون الإتصال بالناس العاديين في الأحياء والأسواق لكي تنوروهم. إن تواجدكم المتحرر
 من كل الرتوش والتنميقات بين اظهر الناس اكثر جاذبية وانفع لمهتمكم التبليغية" (الإمام
 الخميني، ١٩٨٦، ص ١٩٠).

على أن النقطة التي يبدو أنها اغفلت لحد الآن، هي الفاعلية الدينية للحالة الثالثة المطروحة
 للسياحة في هذه السطور. أي إستقبال السياح غير المسلمين داخل المجتمع الإسلامي. إن تصورنا
 الشائع للتبليغ الديني، هو تواجد شخص نسميه المبلغ وسط مجتمع يريد تبليغه. ورغم أن هذا
 الأسلوب التبليغي لعب طوال التاريخ الإسلامي دورا بارزا ومميزا، ولكن يمكن بموازاته رصد
 حركة تبليغية مؤثرة ولكن خفية الى حد ما واصلت حياتها وفعلها على إمتداد تاريخ الدين
 الحنيف.

إن حالة تواجد مخاطبي التبليغ داخل المجتمع الإسلامي، علاوة على تمتعها بسمات التبليغ
 الدارج، فإنها تضع التلقي أو المخاطب في مناخ له قدرة فائقة على عرض التجانس بين مختلف
 عناصر المجتمع الإسلامي بجوار بعضها. ففي هذه الحالة سيغدو كل واحد من المسلمين مبلغا
 دينيا بلسانه وسلوكه، وليس هذا فحسب بل إن كافة مظاهر المجتمع سوف تهرع لمساعدتهم.
 ويمكن ملاحظة هذا اللون من التبليغ في حالة أسرى الحرب الذين عاشوا بين المسلمين كعبيد
 وإماء خلال فترات من التاريخ الإسلامي. أسرى الحرب الذين كانوا بمشاركتهم في الحروب
 مظهرا للصد عن انتشار الإسلام، يقضون وفق هذه السياسة دورة تبليغية متألقة بين ظهرائي
 عائلة مسلمة فيطلعون على تعاليم الإسلام بشقيها النظري والعملي، ثم يحررون واحدا تلو
 الآخر بذرائع مختلفة مسنونة في الأحكام الإسلامية، والبعض منهم يعودون مبلغين أكفاء إلى
 مجتمعاتهم الأولى يدعونهم إلى الإسلام. وفيما يتعلق بالسياحة أيضا يتسنى التطلع لمثل هذه
 الفاعلية عبر رسم خطط مدروسة.

إلى جانب هذه المسألة، ونظرا لأهمية الأنماط السياحية الثلاثة، يبدو تنظيم رحلات
 للإيرانيين إلى الخارج في الإطار الذي تم إيضاحه، وتشجيع المواطنين على السياحة الداخلية،
 ضروريا ومهما بنفس درجة استقطاب السياح من بلدان أجنبية. بل ربما كانت زيادة أسفار
 الإيرانيين في داخل البلاد، وارتفاع قدرات تواصلهم الثقافي مع أبناء وطنهم، تساعد في تمتين
 البنى التحتية وتنضيج الإدارة السياحية، فضلا عن إسهامها الأساسي في تصحيح نظرة الناس
 للسياحة والسياح الأجانب الذين كانوا دائما ومن منظور تاريخي عام، رسل النهب والتغريب في

هذه البلاد.

النقطة المهمة في جميع الحالات المذكورة، هي تحديد الهدف، وتصميم الآليات اللازمة لبلوغه بحسب النموذج الإسلامي المنتخب. كما إن حالات مثل الإستمتاع بالعالم الثقافية والطبيعية أثناء السياحة الداخلية، لا يمكن أن تمثل هدفاً مناسباً للمخططين وصناع القرار. لقد اتبع السياح على طول التاريخ، بما في ذلك الوقت الراهن، نموذجا واحداً في محفزاتهم على السياحة والسفر، وقد تشتت درجاته أو تضعف بعض أجزائه. وقد مر بنا أن هذه المحفزات تنضوي في أربع فئات رئيسة هي المحفزات النفسية، والإقتصادية، والعلمية، والإتصالية. أما الذي سبب انبثاق نماذج متباينة على امتداد التاريخ لا سيما في الحقبة الحالية، فهو الآليات والأدوات المبتكرة من قبل للضيفين بغية تحقيق مطامعهم من هذه الظاهرة. مع أن السائح قد يدخل البلاد لغايات ثقافية، غير أن نظرة المضيف له ربما اقتصر على كونه مصدراً مالياً، لذلك تصمم الآليات السياحية لذلك البلد بالشكل الذي يدفع السائح إلى ذلك الإتجاه.

والمحصلة النهائية هي أن الرؤية الإسلامية التي تنطوي على غايتين رئيسيتين من السير في أفاق الأرض هما المعرفة والإتصال. ينبثق مفهوم العبرة والعبادة من عملية المعرفة والنظر في التاريخ والطبيعة بوصفهما مصدران مهمان للمعرفة. ويرتكز مفهوم الأمة والدعوة على عملية الإتصال بالمسلمين وغير المسلمين. وتشكل هذه المفاهيم الأهداف الأساسية لتنمية السياحة إلى جانب الأهداف الأخرى التي لا سبيل إلى نكرانها.

المخطط رقم (٣): أنموذج السياحة في الإسلام

النضج والتطور

(السير في النفس)

العبادة	العبرة	الأمة	الدعوة
الطبيعة	التاريخ	المسلمون	غير المسلمين

الاتصال

المعرفة

التباين
والتفضيل

الكرامة
والتسخير

الحركة

(السير في الآفاق)

الحوافز

النفسية والاقتصادية

والعلمية والاتصالية

وحسب هذا الأنموذج، قد لا يفخر المسلمون بزائرهم ما قبل الإسلام عند زيارة السياح للأبنية التاريخية السحيقة القدم، بل ينظرون لهذه العالم بعين الإعتبار، وبعثون تحياتهم ويبدون اعتزازهم بالمسلمين الذين افضت شجاعتهم وصمودهم لسيادة الإسلام في هذه الربوع. وهكذا كانت نظرة مسؤولي البلاد في مستهل حكومة الجمهورية الإسلامية للقصور المتبقية من العهد البهلوي.

وتفسح المسلمون في ربوع الطبيعة يثر إلى جانب أثاره العروفة وغيرها، مشاعر الشكر والإمتنان في نفوسهم، وتعد ممارستهم هذه عبادة بما هي اطلاع على صنع الباري تعالى. وبإمكان تخطيطات مدراء السياحة أن تتخذ لنفسها هذه الوجهة، وهذا ما تجلى في بلدان إسلامية أفقر طبيعة من بلادنا.

زيارة المسلمين لبلدنا، وزيارتنا لبلدانهم، ينبغي أن لا تتمحور حول الشعب - الدولة، وحول تفاخر كل جماعة بما في أرضها. وكما قيل، ينبغي أن يلاحظ غير المسلمين عند زيارتهم لبلدنا وعند اتصالهم بالإيرانيين المسلمين في بلدانهم، ثباتنا على ما نعتبه إسلامياً إلى جانب التزامنا بمبادئ الرأفة والرحمة والتمسك بأصولنا وقيمنا الأخلاقية.

وفيما يتصل بالعالم السياحية، يبدو من المهم الإلتفات إلى جملة نقاط: ثمة في بلادنا العديد من المعالم المتنوعة لاستقطاب السياح. فالآثار الطبيعية من صحار وغابات وجبال مكللة بالثلوج، والآثار والثقافي قبل الإسلام وبعده والتقاليد والراسيم المختلفة، إلى جانب معالم وجماليات أخرى لا تعد ضمن عملية السياحة المعاصرة، تضم حيال السياح مجموعة جدا متنوعة وشيقة من المشاهد السياحية.

يختار السياح المناطق التي يحبونها بحسب دوافعهم المتباينة. وبإمكان كل منطقة لا تتمتع به من معالم خاصة، أن تستضيف مجموعة معينة من السياح فقط. وبالجمع بين هذين اللبدين بوسعنا الإستنتاج أنه ينبغي بالنظر للمعالم المتوفرة، وقابلية كل معلم لاجتذاب مجموعة خاصة من السياح، رسم خطط للبلاد بصنوف السياح الذين نريد استضافتهم. فمثلاً، هل بوسعنا نظراً لسواحل شمال البلاد، إشاعة سياحة طبيعية وترفيهية تأخذ بعين الإعتبار الضوابط الفقهية والثقافية فيما يخص السياح الغربيين، أم أن الضوابط المذكورة تفرض علينا تطوير هذه المعالم في إطار السياحة الداخلية واجتذاب السياح من البلدان الإسلامية؟ في مثل هذه الحالة بوسع السياحة الخاصة والتنوعية أن تكون الخيار الأنسب للسياح الغربيين. وينبغي مراعاة هذه النقطة فيما يتعلق بمختلف أنواع العالم من طبيعية أو ثقافية، وكذلك فيما يرتبط بعودة الأبنية التاريخية لحقبة ما قبل الإسلام أو ما بعده.

المهم في هذا المضمار هو التنبيه إلى أن المعالم السياحية لا تنحصر في النوع الميت منها، إنما المعالم التي تزار وهي تعيش حياتها الطبيعية، بل وقد يشاركها السياح هذه الحياة، بمستطاعها أن تكتسب أهمية سياحية مضاعفة. مساجد المسلمين على سبيل المثال، يمكن أحيانا أن تغدو متاحف تجمع في أروقتها فنون وصناعات المسلمين في العهود الإسلامية، ويمكن أحيانا أخرى أن تكون محلات إقامة جماعات فذة، فتجذب إليها سياحا خاصين بهذه الطريقة.

وفيما يتعلق بالمعالم السياحية أيضا، سيما إذا لم نعتبر هذه العملية مقتصرة على استقبال السياح من البلدان الأجنبية، يتوجب الإلتفات إلى أن وجود العلم بمعناه المعاصر، لا يعد شرطا أساسيا للسياحة حسب الرؤية الإسلامية. فالحركة والسفر ذاته يتمتع في التصور الإسلامي بمنزلة خاصة أهمية فائقة.

وبالتالي، فإن ما يمكن قوله حول بنية السياحة في بلد مثل الجمهورية الإسلامية الإيرانية، هو أن هذه البنية ينبغي أن تنهض بلا شك على أساس القواعد التي تم إيضاحها فيما سبق. وإذا تقرر إدغام المؤسسات المشرفة بأشكال شتى على المعالم السياحية في البلاد، فيجب أن لا تستبعد عن هذا الإدغام مؤسسات مشرفة على شؤون الزيارات الداخلية والخارجية مثل منظمة الحج والزيارة، ومؤسسات أخرى تشرف على المعالم غير المألوفة كمنظمة الإعلام الإسلامي أو مركز شؤون المساجد، وكذلك المؤسسات المختصة بعلاقات إيران الثقافية بسائر البلدان نظير رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية.

ولكن بما أن مهام هذه المنظمات مختلفة من حيث هي تنفيذية أو إشرافية، مضافا إلى أن إدغامها جميعا سيضاعف كثيرا من حجمها بحيث تغدو إدارتها صعبة مستصعبة، يبدو من المناسب فهم الإدغام ضمن حدود التنسيق في رسم السياسات وتنفيذها. ولعل أبرز مظاهر هذا التنسيق، تشكيل قسم ضمن خطط تنمية البلاد يعنى بشرح منسق للبرامج والسياسات التنفيذية في هذا المضمار. كما يبدو حضور ممثلين لهذه المؤسسة في المجلس الأعلى للسياحة أمرا ضروريا. كما إن ارتباط هذا المجلس بأعلى مواقع اتخاذ القرار في البلاد، أي القيادة أو مجمع تشخيص مصلحة النظام، من شأنه تحقيق أكبر قدر من التنسيق والتجانس مع سياسات القطاعات الأخرى في البلاد.

ومن حيث ارتباط المنظمة التنفيذية الحكومية للسياحة بالقطاع الثقافي أو الإقتصادي للدولة، يتسنى القول أن المجلس الأعلى للسياحة بتركيبته المذكورة إذا استطاع النهوض بمهمة التخطيط والبرمجة المتناسقة على أتم الوجوه، فإنه سيكون أنسب جهة لضمانة تنفيذ هذه السياسات، بوصفه جهة أعلى من الوزارات ويخضع لإشراف أكبر مسؤول تنفيذي هو

رئيس الجمهورية، وبعد بمثابة معاونة له، ومؤسسة مستقلة عن المؤسسات الأخرى. وأخير نختم حديثنا بتوكيد العلاقة بين السياحة والعولمة وعالية الدين الإسلامي، مشددين على نقطة أساسية كنتيجة لهذه الدراسة، وهي أننا طالما فكرنا داخل حدودنا، ولم نفكر بالعالم، سنبتلي داخل سجن هذه الحدود بالذين يطبخون في أذهانهم أفكار العولمة وصناعة العالم على أساس من أهوائهم ونزواتهم. إن التفكير بالأمة الإسلامية هو الخطوة الأولى على سبيل نسف هذا السجن والإنعتاق منه. وهو تفكير يحتاج لأكثر من الجلوس في البيت وفتح الأذرع لاستقبال الضيوف. ينبغي تحطيم الأغلال والأصفاد عن الأيدي والأرجل والسر في الأرض لكيلا نكون من الذين قال عنهم القرآن الكريم :

"يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل * إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضره شيئا والله على كل شيء قدير". سورة التوبة - (٢٨ و٢٩)

صدق الله العلي العظيم

فهرس المصادر

- ١- القرآن الكريم، ترجمة المرحوم السيد كاظم معزي.
- ٢- الإمام الخميني، روح الله. (١٩٨٦)، صحيفة النور، الجزء ٥، طهران، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.
- ٣- بشريه، حسين (١٩٩٨). مجموعة تقارير درس نظريات الثقافة المعاصرة، طهران، جامعة الإمام الصادق "عليه السلام"، مرحلة الدكتوراه في الثقافة والاتصالات.
- ٤- منظمة السياحة الإيرانية والعالمية. (٢٠٠٠)، الوضع السياحي الراهن في إيران ، تحليل لنقاط القوة والضعف، الفرص والتحديات، طهران، مكتب مشروع البرامج الوطنية لتنمية السياحة.
- ٥- شايبكان، داريوش. (١٩٧٧)، آسيا في مقابل الغرب، طهران، دار أمير كبير للنشر..
- ٦- لومسدن، لس. (٢٠٠١)، تسويق السياحة، للترجم ، محمد إبراهيم جوهريان، طهران، مكتب الأبحاث الثقافية.
- ٧- محسنیان راد، مهدي. (١٩٩٧)، الصلة والاتصال الجماعي في الدول الإسلامية (تقرير التحقيق بشأن درس الاتصال الجماعي في الدول الإسلامية، الدورة الأولى لمرحلة الدكتوراه للثقافة والاتصالات، جامعة الإمام الصادق "عليه السلام"، التكمير محدود)..
- ٨- معتمد نجاد، كاظم. (١٩٩٢)، وسائل الاتصال الجماعي، طهران، جامعة العلامة الطباطبائي.
- 9- Bittner, J.R. (١٩٨٩), Mass Communication: an Introduction, New Jersey, Prentice Hall.
- 10- Boissevain, Jeremy. (٢٠٠٠), Mass Tourism, in: Jafar Jafari, Encyclopedia of Torism, P. 383, London & New York, Routledge.
- 11- Ryan, Chris. (١٩٩٣), Recreational Tourism, London, Routledge.
- 12- Selwin, Tom. (٢٠٠٠) Sun, Sand, Sea and Sex, in: Jafar Jafari, Encyclopedia of Torism, p. 564, London & New York, Routledge.
- 13- Somovar, Larry A. and Richard E. Porter. (١٩٩٥), Communication Bwtween Cultures, USA, Wasworth.

العولمة من منظور إسلامي

الأستاذ كامل الشريف

الأمين العام للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة

مقدمة

ربما كانت «العولمة» (Globalisation) ومثلها النظام العالمي الجديد (New World Order) تعابير حديثة دخلت في قاموس السياسة المعاصرة، وحددت إتجاهاً جديداً في التعامل الدولي، إلا أن الجوهر أو المحتوى ليس بالشيء الجديد على الإطلاق، كما سنرى بعد قليل، فقد أوضحت مسيرة التاريخ الإنساني الطويل أنه ما من قوة دولية تظهر على المسرح إلا حاولت التمدد على حساب الجيران أولاً، قبل أن تترجع على خارطة العالم بعد ذلك، ومن هنا ظهر ما سمي Pax Romana أو Pax Britanica أو السلام الروماني، والسلام البريطاني، أو غير ذلك من أنواع السلام، التي بدأت بحروب صغيرة لتدمير المقاومة المحلية أو الإقليمية، ثم حاولت فرض نمط خاص من السلام على المنافسين الأقوياء نسبياً، قبل أن تذوي القوة الجديدة وتضمحل إما بعوامل الزمن وأمراض الشيخوخة، أو الصدام مع قوة جديدة تظهر في الأفق، وهكذا دواليك. وفي كل هذه الأحوال يكون التوسع والإمتداد هو أحد العوامل التي تؤدي للإنهيار في المدى الطويل، كما عبر نابليون في مقولة مشهورة حين قال: «أن الإمبراطوريات تموت دائماً بمرض التخمة» وكان جوهرها يعجز عن هضم ما يدخل فيه من الأقاليم والشعوب المختلفة.

وبلاحظ دائماً أن الأهداف الحقيقية للتوسع الإمبراطوري وهي السيطرة والإستغلال وحكم الآخرين، كثيراً ما تختفي وراء إدعاء مرغوب وهو إقرار السلام العالمي، لكنه سلام القبور والجثث الهامدة، التي لا تبدي معارضة أو مقاومة للغزاة الجدد، كما يقول الشاعر الروماني تاسيتوس في أشعاره عن حروب الرومان «أنهم ينهبون، أنهم يذبحون، أنهم يسرقون، هذه الألقاب الشنيعة يسمونها إمبراطورية ، وحين يحيلون الأرض إلى صحراء جرداء يسمونه سلاماً!».

وهذه النزعة القديمة الحديثة تبدو واضحة كلما تحدث السياسيون في الولايات المتحدة والدول الغربية عن فهمهم للسلام العالمي والإستقرار الدولي بقوة الأحلاف العسكرية، والتدخل

السلح، وفرض الحصار والعقوبات على كل من يحاول أن يشذ عن الخطوط المرسومة لدوام الهيمنة الغربية على مصائر الشعوب، وتبدو هذه النزعة أوضح ما تكون في تخطيط الصهيونية العالمية المتحالفة مع الغرب، والتي استطاعت أن تتسلل لقلب التحرك الغربي، حين تدعي هي أيضا العمل للسلام، ولكن من خلال ديمومة الظلم، وبقاء الإحتلال، وتصفية الشعب الفلسطيني، والإنطلاق بعد ذلك للسلام العالمي الإسرائيلي Pax Judaica وهم يغنون أنشودة السلام التي صورها تاسيتوس!

هذه النزعة الامبراطورية وجدت في الغرب طبقة من الفلاسفة والكتاب، الذين يرتادون آفاق التوسع ويتطوعون برسم الاطوار الفكري للاستعمار الجديد أمام الساسة والقادة، أو يتخيلون الاخطار المستقبلية التي يمكن أن تهدد الامبراطورية من الداخل أو الخارج، ويصعب تحديد من يقوم بالدور الأول في المعادلة، إلا أن المسلم به ان المؤسسة السياسية الغربية تستفيد فائدة كبرى من انتاج مراكز الدراسات الاعلامية والاستراتيجية، عكس دول المشرق حيث يقع طلاق بائن بين الفكر وصناعة القرار السياسي، وحيث ينظر كل فريق للأخر بعين الريبة والحذر.

لقد نشر الباحث الاستراتيجي صموئيل هانتينغتون مقالا مشهورا في مجلة الشؤون الخارجية في صيف ١٩٩٢، تحت عنوان «صدام الحضارات» ثم ضم اليه أبحاثا أخرى في كتاب، وأضاف على العنوان القديم «إعادة رسم النظام العالمي»، وقد التزم الكاتب عبر مقالاته تقسيم العالم الى نوعين من الناس: الغرب والباقي West and the Rest وكاننا نشهد عودة نزعات القرن الثامن عشر العنصرية التي صورها كيبيلنج «الشرق شرق والغرب غرب، ولن يجتمعا!».

لقد أخذ الكاتب على عاتقه تحليل ملامح الحضارات المعاصرة ومكوناتها بهدف واحد، هو تأكيد حتمية مصادمتها للغرب، وكيفية الوقاية من الخطر، ثم ينتهي للتساؤل التحذيري «عما اذا كانت المؤسسات الدولية وتوزيع القوة. وسياسات واقتصاديات الدول، في القرن الواحد والعشرين ستعكس قيم الغرب ومصالحه، أم انها ستتشكل أولا بقيم الاسلام والصين ومصالحهما؟ وقال «ان النظرة الواقعية في العلاقات الدولية توحى بأن الدول التي تمثل الحضارات غير الغربية سوف تتحالف لتقيم توازنا مع قوة الغرب المسيطرة^(١)، وقد عكس هذا الاتجاه الكاتب الاميركي الياباني الأصل «فرانسيس فوكاياما» في كتاب اثار نشره اصلاء واسعة بعنوان «نهاية الحضارة والرجل الأخير».

والكتاب كله يدور حول فكرة واحدة، هي ان الحضارة الغربية هي نهاية المطاف، وآخر ما يمكن أن تفرزه العبقرية الانسانية، وليس امام الآخرين سوى أن ينتظموا في هذا الصف!

ومن الضروري القول أن مولد الإمبراطوريات ونموها وتوسعها لا يأتي - تماماً - وفق تخطيط مسبق، ترتبط فيه المقدمات بالنتائج، وكثيراً ما يأتي ثمرة لعوامل «ديناميكية» داخلية يصعب تحديدها في الدولة نفسها أو في المنطقة المحيطة بها، وهي أقرب ما تكون إلى قوانين الطبيعة «التي تركه الفراغ» كما يقول رابيليه، ذلك أن الرياح تندفع من مناطق الضغط العالي إلى الضغط المنخفض، في سلسلة من الأسباب يعرف الإنسان بعض حلقاتها، حتى يصل إلى الأسباب المجهولة، والأسئلة الحائرة التي لا يجيب عنها سوى القرآن الكريم في قوله، «الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسّطه في السماء» وأسلوب التتابع في الأسباب الطبيعية (Cosmologique) هو الذي اعتمده بعض الفلاسفة لتأكيد وجود الذات الإلهية والخاصة إن في أسباب قيام الإمبراطوريات واتساعها، جوانب يصعب إخضاعها للبحث العلمي المجرد.

نقول كل ذلك لكي نصل إلى مجموعة من الحقائق أولها أن «العولمة» الراهنة كما نراها الآن هي الشراب القديم في أنية جديدة «وإنها لا تعدو أن تكون أسلوباً مختلفاً تمليه ظروف الزمن وطبيعة المرحلة، وأن أهم دواعي نجاحه وخصوصاً في المنطقة العربية - الإسلامية هو حالة «الفراغ» والتفكك التي تصبغ حياتنا السياسية والاقتصادية والفكرية، وسوف نتعرض لذلك في اختصار.

الغرب... والعولمة.. والنظام العالمي الجديد

في دراسات حول الأدب الألماني قال توماس كارليل، «أن عناصر ثلاثة هي عماد الحضارة الغربية، البارود، والطباعة، والديانة البروتستانتية» وإذا اعتبرنا العنصر الثالث أمراً يعكس حماس الكاتب للمسيحية عموماً ولذهبه بشكل خاص، ويشكل اعترافاً بعلاقة «التبشير» بالتوسع الاستعماري للدول المسيحية، وأن ذلك التوسع قام - ولا يزال - على دعائم القوة المسلحة، ووسائل النشر والإعلام، ولانزال هذه السمات واضحة للعيان، بل تزداد ضراوة مع تطور وسائل الحرب وأسلحة الدمار، واتساع حقول الإعلام الغربي عبر أجهزة وأدوات غير مسبوقه في قوتها ومدى انتشارها وتأثيرها.

واندفاع الحضارة الغربية نحو العالمية ظاهرة قديمة قبل عصر كارليل في القرن الثامن عشر، فحين كانت قوة الدول الغربية في طريقها للنمو كانت الدولة العثمانية أهم مراكز المقاومة في طريق الانحدار، وكانت تحتل - بجدارة - مكانة «رجل أوروبا المريض»، وتفقد مواقعها واحداً بعد الآخر. ولم تعطل الحربان العالميتان الأولى والثانية قوة المد الغربي، رغم أنها

كانت حروباً بين الدول الغربية نفسها، - على الأغلب - إلا أن الطرف المنتصر كان يواصل مسيرة التقدم، ومثال ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية استفادت من الأبحاث الألمانية حول الطاقة النووية، وورثت إنجازات الريخ الثالث واليابان في مجال الصناعات الحربية الأخرى، كما أن الصراع بين الدول الغربية لم يؤد لظهور محور جديد حقيقي على المستوى العالمي، وهذه الظاهرة - في ذاتها - تستحق الاهتمام، ذلك أن الحروب وخصوصاً الحروب الكبيرة كانت دائماً تهيء الظروف لظهور قوى جديدة، إلا أن عجز الحربين العالميتين عن إفراز مثل تلك القوى لم يكن - أيضاً - من قبيل المصادفة، لأن الدول «الغربية» المنتصرة حرصت قبل نهاية الحرب الثانية على تعطيل مسيرة التاريخ أو خيل إليها أنها تفعل ذلك، فكان مؤتمر يالطا «فبراير ١٩٤٥» الذي ضمن توزيع أسلاب المحور على الدول المنتصرة، وقسم مناطق العالم بينهم حتى تلك التي لم تصلها الحرب، وذلك لكي تمنع قيام محاور جديدة، وتعطل ماسمي حينذاك **New Polarisation** (الاستقطاب الجديد).

وقد يثير التساؤل أننا أدخلنا الاتحاد السوفيتي في المنظومة الغربية، والحقيقة أن هناك أكثر من سبب لذلك، فروسيا القيصرية كانت تعتبر نفسها دائماً دولة أوروبية، وشريكا أصيلاً في الحضارة الغربية «السيحية» ولم يغير الاتحاد السوفيتي هذه النظرة، وكانت الشيوعية هي الأسلوب المختار لتوسيع تخوم الإمبراطورية الروسية، وسحق مقاومة الشعوب للغلبة، ولاسيما الشعوب الإسلامية في القوقاز، فالخلاف - إذن - لم يكن على الأهداف النهائية بقدر ما كان على الوسائل وأسلوب الخطاب لتحقيق تلك الأهداف.

وإذا كانت «العولمة» المعاصرة قد اعتمدت الغزو الثقافي كأحد الأسلحة لحماية الغزو السياسي والاقتصادي، وشل القدرات الوطنية عن المقاومة، فهو سلاح قديم أيضاً استخدمه الاستعمار القديم على نطاق واسع، وخصوصاً في العالم الإسلامي، فالدولة الشيوعية حرمت دراسة القرآن الكريم، وأغلقت المدارس الدينية، ومنعت بناء المساجد، إلا في الإطار الذي يخدم السياسة الشيوعية، ويفتح لدعاياتها مسارب في العالم الإسلامي، في الوقت الذي اعتبرت «الإلحاد» المحور الأساسي للثقافة والفكر، وقرضته مادة إجبارية في برامج التعليم، وتعاملت مع الدين كقوة «معوقة للحضارة ويجب أن تقاوم بشدة»^(١).

ومع اكتمال دائرة الشيوعية نحو الدمار الشامل، ظهر أن هذه الأساليب المصطنعة لم تستطع أن تكبح تطلعات الإنسان نحو الله أو تعلقه بجزات الأجداد. لقد زرت الاتحاد السوفيتي خلال العقود الأخيرة للتغلب وشاهدت التجربة عن كثب، وأذكر في منتصف السبعينات أن

حكم بريجنيف أنني تابعت صحف الحزب الشيوعي ونشراته تتحدث عن «فضيحة» كبرى في بشكريا وتدعو لحاكمة المحافظ وقوميسار الحزب، أما الفضيحة فقد كانت العثور على مدارس قرآنية سرية، بعد عقود مستمرة من غسل الأدمغة ومطاردة الدين، وقد ظهر أن هذه «الفضيحة» كانت أوسع مدى حين زرت موسكو في أواخر حكم غورباتشوف وهو عاكف على تفكيك آلة الحزب الشيوعي الصلدة، حيث قال لي الوزير المختص بشؤون الأديان في جلسة ودية «لقد اكتشفنا وجود أكثر من خمسة آلاف مسجد ومدرسة يعملون سرا طيلة هنا الوقت، دون علم الحكومة أو سلطات الحزب».

وقد التقت الشيوعية مع الفكر الغربي في أن كلاهما كان يعتقد أنه يملك النظرية الحضارية المتفوقة، وأنه مدعو لفرض هذه الحضارة على الشعوب المختلفة التي لا تعرف مصلحتها، ومن هنا برز الحديث عن «الرسالة الحضارية» لبريطانيا وفرنسا في الشرق، ومن ذلك ما لخصه جول هيرمند (Harmand Jules) أحد أهم الدعاة للاستعمار الأوروبي في بداية القرن حيث قال، «أن من الضروري القبول بمبدأ هام كنقطة انطلاق، أن هناك طبقات من السلالات والحضارات، وإننا «الغربيون» ننتمي إلى السلالة العالية والحضارة المتفوقة. إن القاعدة الشرعية للفتوحات الغربية ضد السكان المحليين، هو الاقتناع ليس فقط بقوتنا العسكرية، والاقتصادية، والألية، ولكن بتفوقنا الأخلاقي. أن شرفنا يرتكز على هذه الموهبة، ويؤكد حقنا في قيادة الإنسانية، والقوة العسكرية ليست إلا وسيلة لتحقيق هذه الغاية»^(٢).

دور الولايات المتحدة الأمريكية

جاء دخول الولايات المتحدة الأمريكية في الحلبة الدولية وسط هالة عريضة من الآمال والتوقعات الزاهية «أليست هي الأرض للعودة للمهاجرين الأحرار الذين فروا بأديانهم وعقائدهم من الإضطهاد والتعصب في القارة القديمة؟ كما أشار صمويل آدمز أحد قادة الثورة الأمريكية في إحدى خطبه «طرردوا من كل زوايا الأرض، لكن عشقهم لحرية الفكر، وحق الاختيار في قضايا الضمير، قادهم لهذا البلد السعيد كملجأ أخير» وقد ساعد على رسوخ هذه الآمال عوامل كثيرة منها أن الولايات المتحدة قارة مزامية الأطراف كثيرة العدد، غزيرة الثروات ولا تحتاج للتوسع الإقليمي، أو المزيد من مصادر الثروة، وهذه الحقائق يمكن أن تجعل منها قاعدة لتحقيق التوازن العالمي، ومناصرة قضايا الحرية والإستقلال، ومن الإنصاف القول أن التاريخ الأمريكي قد إشتهل على مواقف شددت إليها عواطف الشعوب الصغيرة ردحا من الزمن،

كإعلان مبادئ ويلسون الشهيرة التي أكدت الالتزام بحرية الشعوب، والعدالة للعدو والصديق، والسلام الدولي عن طريق عصبة الأمم، أو كما حددها ويلسون نفسه في خطاب شهر حيث قال: «تعاون عالمي لإحقاق الحق، تقوم به شعوب حرة، لجلب السلام والأمن لجميع الأمم، والتي تجعل من العالم - أخيراً - عالماً حراً» غير أن هذه الآمال لم تلبث أن ذابت واحدة بعد الأخرى أمام رغبات السيطرة وأطماع السياسة الواقعية، ونفوذ الشركات الصناعية الكبرى، ووصلت الحضيض مع قوة «اللوبي» الصهيوني وتأثيره الواسع في دنيا المال والإعلام على النحو المعروف. لقد اكتسب الدور الغربي زخماً مضاعفاً مع دخول الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، ولم يكن دخولها سعيًا وراء مصالح إستراتيجية أو دفاعاً عن النفس بقدر ما كان إنحيازاً للأصل، ونجدة للأسرة الواحدة، التي عبر عنها ونستون تشرشل حين قال في إحدى خطبه: «كثيراً ما تنسى حقيقة أن الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا تتحدثان لغة واحدة هي الإنجليزية».

لقد قُبل الكثير عن الهجوم الياباني على بيرل هاربور «ديسمبر ١٩٤١/٧» وأنه كان السبب المباشر في دخول أمريكا الحرب إلى جانب الحلفاء الغربيين، ولكن الحقيقة هي أن الرئيس روزفلت كان يعمل بجد لإقناع الشعب الأمريكي بالانضمام للحلفاء وسط معارضة قوية خصوصاً من جانب الأنعزاليين، ولم يمنعه ذلك من إستفزاز اليابان بكل الوسائل وإستدراجها للحرب، كقيامه بإرسال الخبراء والأسلحة لدعم الجهود الحربية الصيني ضد اليابان^(١). وفي الوثائق التي نشرت بعد الحرب ظهر أن روزفلت قد ابتهج بالهجوم الياباني إيما ابتهاج لأنه أعانه على اكتساح معارضة المعارضين.

لقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية شريكاً رئيسياً نشطاً في التحالف الغربي في الحرب العالمية، وكان دخولها ساحة الحرب سبباً مباشراً لرجحان الكفة ضد المحور، وهي التي دعمت الإتحاد السوفياتي وساعدته على إستيعاب الهجوم الألماني، وباشرت بتنظيم مؤتمر يالطا الذي أشرنا إليه، ثم أخذت تدريجياً تتسلم زعامة المعسكر الغربي، وتمهد - بعد ذلك - لدورها «الأحادي» على المسرح الدولي ضاربة بعرض الحائط مصالح وآراء حلفاء الأمم.

في عدد خاص أصدرته مجلة الشؤون الخارجية الأمريكية «سبتمبر / أكتوبر ١٩٩٧ عن عالم المستقبل حدد الكاتب يوسف جوف حلقات الإستراتيجية الأمريكية بين الحربين، ومجمل الظروف التي انتقلت بها من دور الشريك في التحالف الغربي، إلى مقعد الزعامة العالمية المنفردة، وعقد مقارنات ذكية مع عدد من الخيارات السياسية العالمية والإستراتيجية، إبتداءً من

فردريك الكبير، مروراً ببنابليون وبسمارك، والساسة البريطانيين، وأوضح أن الولايات المتحدة قد استفادت من دروس التاريخ، وانتهت إلى نمط جديد من القوة الإمبراطورية أطلق عليها القوة الناعمة **Soft power** وقد جاء في مقاله مايلي: «لا يجب أن نقع في التقدير الخاطئ فإن القوة الضاربة **Hard power** لا يزال لها مكان في السياسة الأمريكية، لأنها المحصلة النهائية في منطق القوة، ولكن في منطقة التعامل اليومي فإن القوة الناعمة **Soft power**، هي العملة الناجحة، لأنها الأقل إكراهاً، والأقل ظهوراً. ومضى الكاتب قائلاً: «لقد كان الأسلوب التقليدي أن تضطر الدول الأخرى لأن يفعلوا ما نريد ولو باستخدام القوة المسلحة، ولكن اليوم فإن الفائدة الأكبر تتحقق حين تجعل الآخرين يريدون ما نريده، وذلك يتوقف على مقدار الإغراء الذي تحمله الأفكار، والبرامج والعقائد، والمؤسسات» ونوع الجوائز التي تقدم ثمناً للتعاون^(١٠). ومضى الكاتب في عقد المقارنات بين مغريات التعامل مع الولايات المتحدة في حقول الصناعة والتجارة، مروراً بتفوق الجامعات الأمريكية على نظيراتها الأوروبية، ولم ينس أفلام هوليوود، ومسلسلات التلفزيون الأمريكي!

لقد اعتمدت الولايات المتحدة وسائل كثيرة لإرساء قواعد «العولمة» الأمريكية الأحادية، أحياناً بمشاركة من حلفائها الغربيين، وأحياناً بأعمال فردية ضد معارضة أولئك الحلفاء، ومن أبرز تلك الوسائل إنشاء منظمة الأمم المتحدة، وأجهزتها السياسية والمالية والثقافية كالبنك الدولي، ومنظمة اليونسكو ومنظمة حقوق الإنسان، وغيرها، وكلها تخضع للتوجيه الأمريكي الواضح أو المستتر، وقد وضع الآن أن من أهداف إنشاء الأمم المتحدة هو منع قيام المحاور الجديدة، بدعوى الحفاظ على السلام والاستقرار الدوليين، أما الغرض الحقيقي فهو تنفيذ السياسة الأمريكية، وكان أول البراهين على ذلك - ولما يمض على إنشاء المنظمة سوى بضع سنين - إصدار قرار تقسيم فلسطين بإنشاء الدولة العبرية خلافاً لمنطق العدالة والتاريخ، (١٩٤٧) ثم الهجوم الأمريكي على كوريا الشمالية، تحت إعلام الأمم المتحدة (١٩٥٠)، ولاتزال الأمم المتحدة حتى اليوم تقوم بدور الغطاء الدولي لسياسات الولايات المتحدة في مهاجمة الدول الصغيرة، أو فرض الحصار عليها لأتفه الأسباب، وحين تحاول الكتل الدولية أو الإقليمية أن تعيد منظمة الأمم المتحدة إلى الدور الذي حدده ميثاقها العلني، تبادل الولايات المتحدة إلى استخدام حق النقض، وإبطال أي قرار لا ترضى عنه، وخصوصاً فيما يتعلق بإسرائيل. ويساعدها على ذلك وجود مقر المنظمة الدولية وأكثر المؤسسات العاونة على الأراضي الأمريكية، وقد أشهت الولايات المتحدة سلاح التهديد عند أول مبادرة إستقلالية من جانب الأمم المتحدة، فقلصت

إشراكاتها المالية لسنوات طويلة، ومارست الضغط لمنع إعادة ترشيح بطرس غالي للأمانة العامة، أما اليونسكو فقد حرصت على أن تغطي هذه المؤسسة الجانب الثقافي من المخطط الأمريكي، وحين حاول مديرها العام السنغالي أحمد مختار أمبو أن يسلك طريقاً محايداً في مسألة (إسرائيل) والقدس أوقفت دفع إشراكاتها السنوية لأحراج المدير العام، ثم عملت على إخراجه من المنظمة.

و حين شعرت الولايات المتحدة أن خطة «العولمة» الأحادية تمضي في ربح رخاء دون أي معارضة جدية، أخذت تعزز هذا الإنتصار في ميادين أخرى، وتمهد السبيل أمام إمبراطورية حقيقية تتفق مع سابقتها في الأهداف وتختلف عنها في وسائل السيطرة، من ذلك المؤتمرات الدولية التي تعقد لترويج النظريات الأمريكية، حول الإرهاب، وحقوق الإنسان، ودور المرأة، والإسكان، وغيرها من القضايا، وكان أقرب الشاهد وليس آخرها - حتماً - ما يسمى قانون مكافحة التمييز الديني الذي يعطي للولايات المتحدة - وحدها - حق تصنيف الدول وموقفها من الأقليات الدينية، ثم توقيع العقوبات عليها من خلال الأمم المتحدة والبنك الدولي وغيرها من الأجهزة الدولية العاملة معها، وكما استطاعت أن تضع حركة التحرر الوطني الفلسطيني تحت لافتة الإرهاب الدولي، فقد تنجح في وضع أي حركة للتوعية الدينية أو الإنبعاث الإسلامي، تحت مظلة إضطهاد الأقليات الدينية^{١٦}. وقد جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١، والتي لا يزال يحيط بها الغموض لتعطي للولايات المتحدة مبرراً للعُدوان على نطاق عالمي فكان احتلال أفغانستان واحتلال العراق على النحو المعروف، وهناك دلائل وبراهين كثيرة أن خطط السيطرة والتوسع الإمبراطوري لن تقف عند هذا الحد.

لقد ألقى الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون في كتابته المشهور «إنتهاز الفرصة» الضوء على اتجاهات السياسة الأمريكية، بل واجهها في فرض «العولمة» الغربية في مرحلة تاريخية جعلت منها الظروف القوة الدولية الوحيدة دون منافس، فبعد أن استعرض التطورات التي أدت لإنهيار الإتحاد السوفياتي «كدولة» عظمى، وقيام حكومة غير شيوعية لا تستطيع أن تلعب دوراً مؤثراً في الخارج^{١٧} وبعد أن استعرض - مطولاً - المجالات السياسية والإقتصادية التي يمكن للولايات المتحدة أن تؤكد فيها زعامتها المنفردة، خلص للقول «تقليدياً، فإن الدول قد إختارت أن تشن الحرب تبعاً لمصالحها. وليست الولايات المتحدة إستثناء من هذه القاعدة، وأن كان قادتها مثل وودرو ويلسون، وفرانكلين، وروزفلت قد استطاعوا بمهارة أن يضعوا لواءهم للحرب في نطاق المبادئ المالية للشعب الأمريكي، وإلى حد كبير حاول الرئيس بوش أن يتبع

هذا التقليد خلال حرب الخليج «الفارسي»، وهذا الأسلوب لا يجب أن يدمغ باعتباره «ميكافيلية» انتهازية، وذلك لأن مبادئنا النالية ليست قوة أخلاقية محرّكة فحسب، ولكنها وسيلة رئيسية لخدمة مصالحنا الوطنية^(٧). ويلاحظ أن الرئيس نيكسون حرص طوال الكتاب أن يضع للسياسة الأمريكية أهدافاً «مثالية» كالديمقراطية والعدالة والسلام، على الصورة «الأحادية» التي تحقق مصالح الولايات المتحدة.

بعض مجالات «العولمة»

تعرضنا - حتى الآن - للعولمة، وصنوها (النظام العالمي الجديد) ودوافعها الحقيقية. ومن النقاط البارزة التي أشرناها ونرجو أن نذكر بها، حقيقة أن الظروف الدولية المعقدة في مرحلة من المراحل تجعل أمثال هذه التطورات تبدو وكأنها مصادفة، أو قدر محتوم نرى نتائجها ولا نرى (كل) دوافعها، بحيث يصبح الدور البشري هو دور «انتهاز الفرصة» كي نستعير تعبير نيكسون أو إستغلال الطرف، وركوب الموجة الندفعة، وهذه الحقيقة لا تصلح لتشخيص الموقف الأوروبي - الأمريكي فحسب، ولكن يجب أن تؤخذ في الاعتبار عند البحث في موقفنا كعرب ومسلمين من «العولمة» والنظام العالمي الجديد، وقدرتنا على المقاومة المباشرة لتيار دولي غلاب؟ أو مسيطرة التيار وأخذ حسناته الواضحة والتوقي من سيئاته الكثيرة؟ وكيف يمكن ذلك؟ مما سنتعرض له بعد قليل.

يتحدث الغربيون عن الديمقراطية - مثلاً - ويعترونها شرطاً للتعامل مع الدول، غير أنهم يستخدمون مقياسين يظهر بينهما التناقض الواضح أولهما، فهمهم هم للنظام الديمقراطي السائد عندهم. والثاني إختيار النمط الذي يتفق مع سياساتهم ويخدم أغراضهم، بصرف النظر عن الظروف الخاصة للمجتمعات الإنسانية التي يتعاملون معها، مما يذكرنا بكلمة الإستعماري العتيق لورد بلفور حين وقف في مجلس العموم يثني على اللورد كرومر السدوب السامي البريطاني وسياسته في قمع المصريين ويقول عنهم «أنهم فقدوا كل حس بالنظام وأن الفوضى هي قاعدة حضارتهم»^(٨)!

ويقال ذلك عن حزمة المبادئ الأخرى كالحرية والعدالة وحقوق الإنسان والمرأة. بالرغم من ظهور شقوق كثيرة في تطبيق هذه المبادئ في الولايات المتحدة نفسها وفي الغرب بصورة عامة، وإذا كان من مظاهر «العولمة» انهيار السدود بين الحضارات والثقافات فعلياً أن نتوقع المزيد من العادات الغربية في القرية العالمية الصغيرة، ولدينا من ذلك بدايات لا تخطئها العين، تظهر في

المطاعم، والأزياء، والتقاليد الإجتماعية، التي تأتي مع الكتاب، والكاسيت، والأفلام، والمسلسلات التلفزيونية، وليس لدينا حتى تلك «الحمية» الفرنسية التي تحاول أن تصدر قوانين لحماية تراثها الثقافي أمام إندفاع المد الأمريكي! وقد ينبري من السطحيين من يقول، وأي خطر حقيقي يمكن أن يهددنا، إذا شاعت هذه المطاعم والأزياء، والتقاليد، والجواب هو المثل الفرنسي المشهور الذي يقول، «أخبرني ماذا تأكل، أخبرك من أنت» فالأكل والمشرب والتسليه واللباس تجلب معها مفاهيم بلد المنشأ وعاداته، وذلك يوضح الصلة الوثيقة بين هذه «الخدمات» وبين انفراط الأسرة، وضعف التدين، وانتشار الكحول والخدرات، والجريمة المنظمة.

وإذا كانت هذه هي المؤثرات الثقافية والإجتماعية، فإن الجانب الإقتصادي أكثر خطراً، لأن أمام كل مطعم أو مقهى أو متجر من الماركات الغربية المشهورة يقام في بلادنا بنهار أمامه عشرات المؤسسات الوطنية الوليدة، التي لا تملك أسباب المنافسة، مما يزيد من معدلات الفقر والبطالة، ويهز أركان الإستقرار الاجتماعي، ناهيك عن النزيف النائم الذي يمثل هروب رؤوس الأموال الوطنية.

غير أن الميل للتأثير على الثقافة الإسلامية قد اكتسب في الآونة الأخيرة شكل البرامج العملية والمؤسسات الثقافية، فعلى سبيل المثال أنشأت الإدارة الأمريكية مكتبة خاصة في وزارة الخارجية للعلاقات مع العالم الإسلامي، وأنشأت محطة إذاعة وتلفزيون باسم «سوا» الغرض منها بث برامج معينة وإعطاء اهتمام خاص للشباب وكان المقصود هو إنشاء جيل منحرف متحلل يشن الحرب على تقاليد قومه وثقافتهم.

غير أن مجال الإقتصاد يتجاوز هذا المدى المحدود إلى صميم الهيكل الإقتصادي الوطني والقومي، فحين يقع الضغط لتأكيد حرية التجارة، والإستيراد والتصدير، والعمالة، وحرية الإستثمار، وغير ذلك من التسهيلات، فإن الطرف المستفيد حتماً هو الدول المتقدمة صناعياً، والشركات المتعددة الجنسيات، التي تملك رؤوس الأموال الضخمة، وتستطيع أن تصير على المنافسة حتى تقضي على المؤسسات المحلية، وتخلو لها الأسواق فتفرض الأسعار التي تعوض خسارتها أضعافاً مضاعفة، وقد ظهرت بوادر الخطر في بعض الدول العربية التي استخفت بالشركات الإسرائيلية وفتحت لها المجال في بلادها.

ومن الواضح أن المؤسسات المالية الدولية كالبنك الدولي وصندوق النقد والصناديق الأخرى تمارس دوراً خطيراً ينسجم مع هذا التخطيط، وقد رأينا أن الضغط التحكيمي الإعتباطي على سياسة التخصيص، وإبعاد الدولة عن واجبها في التخطيط المتكامل والرقابة، وخصوصاً أمام

ضعف استعداد القطاع الخاص في أكثر البلاد، قد أدى لإنهيار كثير من الشركات الإستثمارية في البلاد العربية، علاوة على أن تطبيق ما يسمى «التصحيح الإقتصادي» العشوائي للفروض من الخارج، قد أضعف القدرة الشرائية للمواطن العربي، وجعله عاجزاً عن تأمين السلع الضرورية للعيش، مما تسبب في إنتفاضات الخبز، وثورات الجوع.

وفي كل هذه المشاريع المشتركة علينا أن نتبين الأصبغ اليهودي الصهيوني الذي يشارك في التخطيط ثم يستفيد منه في دعم الأقتصاد الإسرائيلي، وإخضاع الأقتصادي العربي للدخول تحت ظلاله.

هذه بعض العناوين العامة للأثار السلبية التي يمكن أن تأتي بها «العولمة» في الجوانب الإجتماعية والإقتصادية، ولا شك أنها تحتاج لدراسات تفصيلية متخصصة يضيئ عنها هذا المجال، غير أن الجذر الذي يحكمها كلها هو ما بدأنا به البحث، وهو أن هدفها الأوحد هو إزالة الحدود والقيود أمام ثقافة مغايرة وما يتبعها من القيم والتقاليد، والإستياء على الثروات الوطنية، وتقليص الأسواق الوطنية إلى أسواق إستهلاك لترويج منتجات الشركات الأجنبية، وتراكم أرباحها.

المسلمون... والاسلام... أمام العولمة

والآن، ماذا بوسع الدول الإسلامية ان تفعل؟

لا يمكن لأحد أن ينصح بمحاربة «العولمة» أو التصدي لها ومقاطعتها لأسباب كثيرة منها، أولاً، أنها ظاهرة عالمية يصل تأثيرها عبر أقنية مفتوحة لا حصر لها في وسائل الإعلام، وحرركة السياحة، والإتصال المباشر بين الشعوب.

ثانياً، إن طبيعة النظام العالمي تقوم على التبادل، والتعامل المشترك، والإعتماد المتبادل، ويستحيل على أي طرف أن يحبس نفسه داخل أسوار العزلة.

ثالثاً، أن الدول العربية والإسلامية لا تزال في أولى مراحل البناء الاجتماعي والإقتصادي وهي بحاجة لرؤوس الأموال، والأجهزة، والخبرات المدربة.

رابعاً، إن أغلب الدول العربية والإسلامية لا تزال تعيش نهاية مرحلة الإستعمار الأجنبي، وما تركه من حدود، وعداوات، وخلافات ولا تزال جسورها موصولة بالسيد القديم أكثر من إتصالها بالبحر والأكوة.

خامساً، أن مؤسسات الوحدة والتضامن العربية والإسلامية لم تثبت وجودها للأسباب السابقة، وعجزت أو تمنع الدول الأعضاء عن الوفاء بالالتزامات المقررة، أو التقيد بالقرارات التي تشارك في وضعها، والأرجح أن يحاول مد العولة اكتساحها حتى لا يبقى مجالاً للمقاومة.

الواقع - إذن - أن المقاطعة أمر مستحيل، ولا يبقى إلا الحل الآخر وهو أسلوب «التخير» وقبول الجوانب الحسنة ورفض المساوئ ولا يتأتى ذلك - بطبيعة الحال - إلا بسياسة مستقلة، وقدرات مادية ومعنوية تحمي ذلك الإستقلال، وهنا يبدو واضحاً أنه لا غنى عن توحيد مواقف الدول العربية والإسلامية، وتقنية مواردها وطاقاتها في خطط موحدة، وبعث الحياة في مؤسسات التنسيق والتعاون العربية والإسلامية، وفي طلبعتها منظمة المؤتمر الإسلامي، وجامعة الدول العربية، كما لا بد من تنفيذ قرارات كثيرة علاها الغبار حول السوق المشتركة، وإعادة النظر في الرسوم الجمركية، وحرية انتقال البضائع والأيدي العاملة، والمشاريع المشتركة في ميادين الإعلام، أي باختصار أن تعمل طواعية بين دولنا، ما يطلبه منا قصرنا أسياذ «العولة» ودعاتها. هذا عن الظروف الواقعية التي تضع المسلمين أمام العولة، فمانا عن موقف الاسلام نفسه؟

لكي يستطيع المسلم أن يحدد دوره إزاء «العولة» والنظام العالمي الجديد، لابد أن يعرف أولاً موقف الإسلام كعقيدة من هذه التبدلات فمن للفروض أن الانسان للمسلم يبني مواقفه كلها على أساس الفهم الصحيح للإسلام والالتزام بتعاليمه ومبادئه، وأول آثار الإلتزام أنه يمنح صاحبه مقياساً ثابتاً يزن به الأمور ويحدد الجوانب التي تتفق مع نظرة الإسلام الكلية للحياة والناس، كما يحدد للصلحة الإسلامية أيضاً، وفي قضية شديدة التعقيد، كثيرة المداخل والشبهات كـ «العولة» تزداد الحاجة لهذا الميزان العقائدي الثابت، ولو كانت ظاهرة «العولة» الراهنة تتفق مع باطنها، وشعاراتها مع حقيقتها، فيجب أن تلقى من المسلمين تأييداً غير محدود.

إن الإسلام يتجه - بطبيعته - نحو العالمية، وينظر للكون والجنس الإنساني الذي يسكنه ككيان واحد وأسرّة واحدة، ويذكر في هذا السياق التذكير القرآني الكثير بالأب الأول، والأم الأولى، وما في ذلك من تطابق الصفات، ووحدة المصير، ورفض التمايز بسبب العصبية أو اللون أو اللغة، وقد جاء في الحديث الشريف «الناس لأدم وأدم من تراب» وحدد الإسلام ميزاناً وحيداً للتفاضل بين بني البشر، هو ميزان التقوى، وما تنطوي عليه هذه الكلمة الجامعة المانعة من إستحضار مخالفة الله في كل أمر، والحذب على عباده، والحرص على إعمار الكون، وإشاعة الخير والصلاح بين ربوعه «أن اكرمكم عند الله اتقاكم».

وقد تحدث القرآن الكريم عن الأمة الواحد أكثر من مرة، وكان التذكير برابطة النسب «الأيماي» يأتي مباشرة بعد ذكر السلسلة الطويلة من النبوات السالفة، وكان المقصود هو رفض العلاقات العصبية السلالية وإرجاع الجيل المسلم إلى مكانه من الدوحة التي إتصلت أسبابها بالسماء، «وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون» وقد تقع في بداية النقلة من حال الجاهلية للإيمان هفوات وأخطاء تخالف روح العقيدة، فيأتي الرد عليها حاسماً حتى يصبح الخطأ نفسه هو الدرس الباقي المتألق، فحين يغفل خالد بن الوليد عن الأسس الاجتماعية الجديدة ويذكر زنجياً بلونه وأصله، يتدخل الرسول (ص) بنفسه ليقول له «أنتك أمرؤ هيك جاهلية!» ويشيد الرسول بسلطان الفارسي وبلال الحبشي ويرفع شأنهما بجمع من وجوه قريش وساداتها».

ولم تقف هذه المبادئ عند الحدود النظرية المثالية، ولكن طبقت عملياً في المجتمع الإسلامي الأول، حتى رأينا الموالى من غير العرب يتصدرون مكان القيادة، ومع إنساع الرقعة الإسلامية واحتواء حضارات عريقة ولغات عديدة، ترعرعت العلوم والمعارف، وبرزت ساسة ومفكرون وفلاسفة من الفرس والترك، والروم، واليهود، واستطاع موسى بن ميمون أن يكتب أشهر كتبه في أصول الدين اليهودي، ويوجه الرسائل للجاليات اليهودية المنتشرة في العالم يحتثها على التمسك بدينها وثقافتها وهو يعمل طبيباً للأسرة الأيوبية في مصر، واستطاع يوحنا الدمشقي أن يكتب كتباً في اللاهيات المسيحية وهو يعمل وزيراً للمالية في قصر الخليفة الأموي في دمشق، وفي الحالتين حصل العالمان على إذن ولي الأمر المسلم مع أن كتبهما اشتملت على غمز مباشر أو غير مباشر في الإسلام. ولم يكن هناك حرج أن تنتقل القيادة السياسية للعالم الإسلامي برمتها من ديار العرب، وأن تصبح الجزيرة العربية نفسها مهد الرسالة ومنتزل الوحي جزءاً من الإمبراطورية العثمانية، «التركية» وأن يقود دولاً إسلامية، ملوك من الترك والألبان والأكراد وغيرهم.

والإسلام يحث الناس على التعايش الآمن، والنجرة الحسنة، والمشاركة الفاعلة في الخير العام، ومع أنه يركز على الإيمان بالله وتوحيده توحيداً خالصاً، إلا أنه لا يعتبر ذلك شرطاً للمعاملة الحسنة ومنع الظلم وحفظ الحقوق، وإتاحة فرص العيش الكريم أمام الناس جميعاً، كما لم يفرض على الشعوب التي ارتضت الإنتماء إليه ثقافة خاصة أو لغة بعينها، بل وصف إختلاف اللغات والحضارات بأنه آية من آيات الله التي تدل على قدرته ووحدانيته، وينبغي إحترامها والمحافظة عليها «ومن آياته خلق السموات والأرض وإختلاف السننكم والوانكم»^(٩).

ووجود الآية الكريمة في سورة الروم تنطوي على دلالة عميقة ذلك أن بدايات السورة حملت البشرى لأسرة الإيمان من العرب والرومان بنصر قريب بعد هزيمة ساحقة على يد الفرس الوثنيين في ذلك الحين، كما أن الآية جاءت وسط آيات أخرى من آيات الله الباهرة في الخليفة والطبيعة وسريان الرياح ونزول المطر، وإنبات الشجر والتمر، حتى لكان المقصود هو تركيز المقارنة، فكما أن الإختلاف في الأوقات والنواسم سبب للخصب والخير والجمال، فالإختلاف في الحضارات والثقافات والتقاليد، يغني التجربة الإنسانية، ويحفز الإنسان ليقتبس من غيره، ويقدم له أحسن ما لديه من علم أو معرفة.

إن «العولة» التي نرجوها لنا وللناس هي التي تسير وفق هذه الخطوط الربانية، أن تكون متصلة بنور الخالق والإيمان به حتى لا تضل ولا تتعسف، ولا تحيل العالم إلى غابة كبيرة يأكل فيها القوي الضعيف، ويجب ألا تعني طغيان ثقافة بعينها على ثقافات الآخرين، أو تستغل عوامل القوة المتاحة لها، لكي تمحو حضاراتهم وتقاليدهم وثقافتهم، فمثل هذا الهدف جدير بأن يخلق عوامل المقاومة والرفض ويهيئ المجال للعنف والحروب الصغيرة والكبيرة، إضافة إلى أنه يحرم العالم من التجارب الإنسانية الغزيرة التي يستحيل احتكارها، والتي أسهم فيها العلماء والحكماء في كل أرض، وصدق الله العظيم «ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة»^(١). وقوله تعالى «ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة»^(٢).

شبابنا... والعولة

من الطبيعي أن ينتهي هذا البحث إلى السؤال الطبيعي عن دور الشباب المسلم من هذه الهجمة الضارية ونقول، - ابتداء - أن النظرة الواقعية تجعل من الصعب أن تحدد دوراً للشباب المسلم بمعزل عن دور الأمة كلها بحكوماتها وشعوبها وأجهزتها السياسية والاقتصادية، ذلك أن طبيعة «العولة» تتجه إلى كل مناحي حياتنا لتؤثر فيها ضمن تخطيط شامل متكامل، وينبغي أن يكون التعامل معها من نفس العيار، سواء كنا ننشد الاستفادة من الفرص الإيجابية التي تقدمها وهي موجودة فعلاً، أو نريد التوقي من المحاذير والاختطار. ومن المؤسف أننا حين نستعرض مواقف الدول العربية - الإسلامية فرادى أو جماعة أزاء مخاطر «العولة» لا نملك سوى أن نقول مع القرآن الكريم، «يرتد البصر خاسئاً وهو حسير»، إلا أن ميدان الحكومات يبقى هو الميدان الأول للعمل الإسلامي المنظم والتأثير عليها كي تنفض غبار الكسل والتواكل يبقى أوجب الواجبات.

ان المنظمات الاسلامية الشعبية التي تتميز بأنها تضم أعدادا كبيرة من القادة الناضجين الواعين الذين صقلتهم التجربة، ولهم حضورهم المؤثر ونفوذهم الواسع في بلادهم، وتمنحهم صلتهم المباشرة بقطاعات عريضة من الشعب المسلم، هذه المنظمات تستطيع أن تمارس ضغوطا «ودية» مؤثرة على مواقف الحكومات، شريطة أن تنسق خطواتها ضمن برامج مدروسة تضمن الاستمرار والمتابعة، ومواكبة ظروف الحركة وتطورها الكثيرة العقدة. من واجب الشباب المسلم أن يدعم هذه المنظمات، ويقدم لها الخدمات «التطوعية» حتى يعينها على أداء هذه الأدوار الهامة في حياة الأمة ومستقبلها.

وإنشاء الشباب المسلم في هذه المنظمات الخيرية الدعوية المقبولة ببعده عن الوقوع في حبال تيارات مريبة غامضة لا نجرؤ على محاكمة نوابها ولكن محصلاتها النهائية تصب في جداول الأعداء، وتعين على تنفيذ مخططاتهم في شق صفوف الأمة، وزعزعة الإستقرار، وتعطيل مسيرة الإقتصاد حتى في صورته المتواضعة.

إن بعض الأسلحة المعاونة للعولمة - بقصد أو غير قصد - هي تشجيع الفساد والإنحلال، والإستغراق في الشهوات، وتبذير المال القليل على مسابرة المظاهر وحمى الإستهلاك، وبحسن بالشباب المسلم صنعا إذا نظم نفسه في جماعات تقيم لنفسها مجالاتها الخاصة من الدراسة الفريدة، والرياضة البدنية، والتهو البريء، وتتعاون على مكافحة هذه الأوبئة من خلال المساجد، والمراكز الثقافية، ووسائل النشر المتاحة، ومثل هذا النشاط الواضح البريء لا يمكن إلا أن يلقي التأييد من الأجهزة الرسمية والشعب على حد سواء.

لاشك أن من الجوانب الإيجابية للعولمة التي لا يستطيع أحد أن يتحكم فيها، إن إنهيار الحدود، وسهولة الإتصال وافتتاح الأسواق، وتداول المخترعات سوف يجعل المعرفة متاحة ميسورة، وواجب الشباب المسلم أن يقبل بشجاعة وحماس على العلم، وإكتساب العارف والمهارات، ولاسيما إستخدام التقنية الحديثة التي باتت تفتح آفاقاً واسعة لإنسان الغد.

لقد اتبحت لنا فرص عدة للقاء انماط من الشباب المسلم الذين تنعكس فيهم هذه الآمال. شباب يتفجرون حماسا وغيره على الاسلام، ويبنون محيطهم الاجتماعي العائلي على اساسه، لكن ذلك لا يمنهم من تحصيل أرقى مراتب العلم والخبرة في الفنون الحديثة، ويحتلون أدق المناصب الفنية في الحكومات الاجنبية والشركات، التي تنق في امانتهم وكفاءتهم معا، وهو امر يدعو للاعجاب والاعتزاز. هذا النمط من الشباب المسلم هو من ندخر لرفعة الدين وعزة المسلمين. وهنا هو النموذج الذي ندعو للاقتداء به والسير على منواله.

ان العولمة بقدر ما يظهر عليها من علائم القوة والسطوة، تحمل معها بذور ضعفها وانهارها، ومن شأن هذه البذور أن تزداد نموا كلما اتسعت الدائرة وتعددت مناطقها ومسارها. وأول نقاط الضعف أنها نظام مادي صرف يقوم على الجشع والسيطرة والاستغلال، وشهوة الكسب، ويثير أكثر الميول وضاعة في النفس الانسانية، ميول التقليد الأعمى، وعشق المظاهر، والتبذير، والاستسلام للشهوات، وبتعبير آخر اطلاق الوحش البدائي الذي يقطن اعماق الانسان، وتحطيم تلك الكوايح الاخلاقية التي جاء بها الأنبياء، وصاغها الفلاسفة والحكماء. ومن شأن هذه الميول أن تزداد ضراوة كلما اشتدت التناقضات التي تصد مع المادية كالتطبيقية والظلم الاجتماعي، وتفاوت الدخول، وغلبة الاستهلاك على الانتاج، وفي غيبة التدين وانحسار القيم والأخلاق، تصل هذه التناقضات ذروتها في موجات العنف، والارهاب، والحروب الأهلية، وتقع الصورة التي حذر منها القرآن الكريم امثال هذه المجتمعات «قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهاهم العذاب من حيث لا يشعرون»^(٣٣). وعلى شبابنا أن يحيطوا انفسهم علما بنقاط الضعف في هذه الظاهرة، وان يستعينوا بالله والايمان به والتمسك بالاسلام، حتى يحصنوا انفسهم واهليهم والبيئات التي يعملون فيها، وهذا الميدان الواسع يحتاج الى تعاون منظم بين المنظمات الاسلامية المعنية بالشباب.

و«العولمة» بعد ذلك هي نوع جديد من أنواع الاستعمار، فيه كل مافي الاستعمار القديم من صفات، وله ما لسلفه من الأهداف والغايات، غير أنه ظن انه استفاد من دروس الماضي، حين اخفى مخالب الاستعمار القاسية تحت الفاظ ناعمة كالالتعاون، والشراكة، والنشاط المتبادل، وحشد الى جوار القوة العسكرية هبمنة للمال والاقتصاد والتكنولوجيا الحديثة ووسائل الثقافة والاعلام، واسباب التسلية والترفيه. وهذه الهجمة الكاسحة على مناطق الضعف والفراغ سوف تحدث اثرها دون شك، لكن ذلك سوف يكون لدى محدود، يطول أو يقصر وفقا للنظروف، وهو ما تنبأ به ايضا هنتنجتون وفوكوياما وغيرهم من الكتاب الاستراتيجيين الذين اشرنا اليهم، ودون أن نضطر للاقتباس من نظرياتهم ونبوءاتهم، فان تاريخ الاستعمار القديم يؤكد أن كل موجة من موجاته قد حملت معها عوامل انهيارها منذ البداية، بحيث بانث خطوط الصلة واضحة بين مراحل النشوء ومراحل النهاية والدمار، كما صورها الحكيم الروماني بلوتارك وهو يقف على اطلال روما حين قال «ان أول رجل تسبب في خراب الامبراطورية هو الذي بنا يقدم لها الغنائم والأسلاب»، لأنه اثار لدى أهلها غول النهب والسيطرة من ناحية، والرفض - في المدى الطويل - من سحق الهوية، وتدمير الثقافة، واستلاب خيرات الشعوب، نقول

كل ذلك من منطلق التحليل الواقعي للتاريخ والظروف القائمة، دون أن يغيب عن الذهن أن دور المسلمين ليس بالضرورة محاربة العولمة أو الحرص على أجهاضها، ولكن محاولة اكتمال النقص، وإضفاء المسحة الانسانية «الإسلامية» عليها، ومنعها من التبول، والانفرادية والاستبداد.

ونختم هذا المقطع من البحث بما بدأنا به بأن قدرة الأمة الإسلامية على مواجهة هذه التحديات الكبيرة، وتأدية الواجب في حماية الإسلام والمسلمين، والإسهام الإيجابي في المسيرة العالمية، هو الفهم الصحيح للإسلام، وإبراز ما فيه من حسنات يحتاجها الإنسان المعاصر والترفع عن الخوض في الفرعيات الهامشية، وكبح النزعات للذهبية والطائفية الضيقة، التي كثيرا ما تحجب نور الإسلام وإنسانيته وعالميته، واتساع آفاقه.

الهوامش

- 1- The Clash of Civilization And The Remaking of World Order Samuel P.Huntington p.185
- 2- Marxism and the National Question, Sect 6
- 3- Edward Said "Culture and Imperialism" p. ٣٧٥
- 4- The Final Secret of Pearl Harbor; Rear Admiral Robert A.Theobalol
- 5- Foreign Affairs "How America Does It?" Josef Joffe
- 6- Richard Nixon (Seize the Moment) p.14

٧ - المصدر نفسه صفحة ٢٠٠،

٨ - الاستشراق، ادوارد سعيد.

٩ - الروم ٢٠.

١٠ - اللاتفة / ٤٨ .

١١ - هود / ١٨ .

١٢ - النحل / ٣٦ .

جامعة الأمة الإسلامية

(مشروع في كنف معطيات وصيغة النظرة
للمسؤولية للإسلام)

البروفيسور حميد مولانا

أستاذ في العلاقات الدولية ورئيس قسم الدراسات العليا في الإتصالات العالمية بجامعة أميركا في واشنطن

الغزو والهجوم الأميركي البريطاني للعراق وفرض الهيمنة واحتلال هذا البلد الإسلامي دون موافقة مجلس الأمن الدولي، والرفض وحالات الاستنكار الشديدة من قبل مختلف الدول وإجماع غالبية الرأي العام العالمي في هذا الصدد، يدل على أن ظاهرة ما يطلق عليه بالعولمة، وتحويل النظام الدولي المعاصر إلى نظام عالمي، ما هو إلا ضرب من الخيال ليس إلا..

لقد أثبتت تجارب العقد الأخير وما نشهده اليوم، الحركة المضطربة لعولمة السلطة والثروة والقيم، التي تميز التحولات والتغيرات في عالمنا المعاصر بنوع من نزعة الهيمنة تختلف عما كانت عليه في القرن الماضي.

لقد أظهرت الحرب الأنكلوأميركية المتفرقة في العراق وجود مؤشر لتيار آخر أيضاً نلاحظه منذ أمد في العالم الإسلامي والتاريخ المعاصر، يمتاز بكونه يتوفر على اتجاهين متباينين، الأول هو الصحوة وتعبئة المسلمين والأمة الإسلامية نحو التفتيش عن أنموذج وحدوي تحرري، والآخر تشرذم وتبدد وفرقة دول البلاد الإسلامية.

في العديد من البلدان الإسلامية هنالك هوة متعمقة بين الأمة الإسلامية (الشعوب والمجتمعات) وبين الأنظمة الحاكمة في هذه البلاد والديار الإسلامية، بحيث أنها من حيث العلاقات والصلات العالمية المنبثقة عنها في إطار النظام التقني والإقتصادي والسياسي والثقافي لعالم اليوم، لا تعطي مفهوماً للصلات والعلاقات العالمية والعامة من حيث الإنطباع على نحو الإجمال.

الموضوع الثاني الذي ينبغي علينا دراسته وبحثه على نحو دقيق هو ظاهرة التجديد الإسلامي على مدى ربع القرن الأخير، لا سيما منذ عهد انتصار الثورة الإسلامية في إيران وحتى يومنا هذا.

وتشتمل هذه الظاهرة بدورها على بعدين أساسيين هما: الأول، مقاومة ومقارعة الأمة الإسلامية لتحديث وعصرنة التسلط الغربي، والثاني الجهود والمحاولات في إيجاد نظام إسلامي تخطى نظام الشعب - الدولة الحالي، وبعبارة أخرى أن الإسلام والنورة الإسلامية هما للعسكر الوحيد المهم والفاعل الذي انبثق بإزاء الهيمنة والعصرنة الغربية، وأن الإسلاميين والأمة الإسلامية هما الوسط الوحيد والجماعة اللذان يطالبان بشكل جاد بنظام سياسي واقتصادي وثقافي عام.

الموضوع الثالث في هذا المفهوم والبحث، هو عالمية الإسلام من حيث ماهيتها.

فقبل كل نموذج وأطروحة موجودة في التاريخ، هناك النموذج الإسلام العضد والمشبع بالعالمية، والمركّز إلى أساس العالمية، فمنذ القرون الأربعة عشر الماضية، وعلى مدى برهات متعديّة، كان الإسلام وقيل تداول المصطلح المعاصر العولمة والعالمية والتحول إلى النظام العالمي، واستحالته إلى نموذجاً في عهدنا هذا، كان الإسلام ولأول مرة في التاريخ ليس من قدم للمجتمع البشري الإطار والنظريات والاسس الشاملة للعالمية وحسب، بل واستطاع أيضاً في ظل فترة وحيزة تطبيق هذه العالمية على أساس عقائدي إيماني في الأوساط والياديين الإجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية والثقافية.

فتعاليم الإسلام العالي تقول (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء، لقد سفّقت الثورة الإسلامية في إيران ظاهرتين هامتين في القرن العشرين، الأولى أساس وبنية النظام الشعبي- الرسمي، والأخرى الحدائوية أو نزعة العصرية الغربية، وعملت على ترسيخ وتطبيق رؤية للعولمة الإسلامية وعالميتها بما يتجاوز الحدود السياسية والقومية والعرقية والقبلية ويتعداها.

إن أحد المصادر العظمى للاقتدار في العلاقات الدولية هو تحديد المسؤوليات المعاصرة، فكل جماعة أو فرد أو شعب يستطيع تحديد مسؤولياته الأنية، وسيجد نفسه سباقاً في العالم، واليوم وعلى الرغم من المشاكل والعقبات الكبرى التي يجري اصطناعها في العالم للحؤول دون تنامي الثورة الإسلامية الإيرانية، إلا أن الإسلام صار في صلب حياة القرن الحادي والعشرين، هذا فضلاً عن أنه أحيى في ذات الوقت النموذج الكسح للعصرية في مغلف وقالب العولمة والعالمية، لتستحيل بلدان كإيران إلى التراس الوحيد للمقاومة والصمود بوجه النظام العالي.

المسلمون في شتى أرجاء الدنيا يواصلون وكما نشهده في فلسطين المحتلة ومختلف البقاع مقاومتهم وجهادهم على مدى هذه العقود، لكنهم يفتقرون للأسف إلى نظام دولة رسمي إسلامي، وهذا الأمر يثير بذاته تساؤلاً كبيراً، هل إن عالم الأمة الإسلامية قد تحرى الصمت إزاء موضوع عولمة الاقتصاد والثقافة والتكنولوجيا المعاصرة التي تأتي إتماماً للهيمنة السابقة، وأنه سيبقى لا أبالياً تجاه هذا الأمر؟ فينساق رويداً رويداً باتجاه الذوبان آخر الأمر في النظام العالي الاستكباري الحالي أكثر فأكثر، أم أنه سيتولى دوره التاريخي ليقدّم للعالم استدلالاته الفكرية ورؤاه التطبيقية عن وعي تام في إطار عالمية الإسلام، عبر تحريه للاتحاد والوحدة ودرك الواقع القائم، بدلاً عن الانفصالات والارتدادات الأنية وطرح المشاريع المتناثرة والمتفرقة ذات للسحة الشكلية التي نلاحظها هذه الأيام تتفتق عن بعض الحكومات والجماعات بالبلدان الإسلامية؟ .

إن مشروع تأسيس جامعة للأمة الإسلامية، وهو الموضوع الرابع في مقالنا وبحثنا، ليشكل خطوة على نهج عولمة الإسلامية وفي خضم انبثاقه وتركيبته، ويصب في مجرى إنشاء نظام عالي جديد يتخطى حدود النظام الشعبي- الرسمي وسفاسف عولته.

تشكل جامعة الأمة الإسلامية بوصفها تركيبة عالمية تحررية وحدوية من مجتمع وحكومة إسلامية، ويؤسس مفهوم (الأمة) ثقل هذه الجامعة ومحورها، وهي في حقيقتها تعد إطاراً اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وثقافياً وتقنياً وعسكرياً لعالمية النظام الإسلامي.

ولا يرتبط مفهوم الأمة هنا بمفهوم المجتمع أو ما يرادفه في المعرفة وعلم الاجتماع وعلم السكان الغربية، فمفهوم الأمة يغطي ابعاد الشعب والجماعة والمجتمع والدولة والاقتصاد، ومن هنا تكون جامعة الأمة الإسلامية تركيبة حكومية، رسمية، شعبية، تسمو على الانتماء، المذهبي والتوحيدي والأيدولوجي للمسلمين.

و جامعة الأمة الإسلامية ليست شبيهة للاتحاد الأوروبي، ولا هي شئ يماثل الولايات المتحدة الأمريكية، وعليه فإنها تختلف تماماً مع مسميات من قبيل اتحاد الدول الإسلامية والاتحاد الشعبي للبلدان الإسلامية، ولا تناظر عناوين منظمات مثل منظمة مؤتمر البلدان الإسلامية، إذ ان الفلسفة والفكر السياسي الغربيين تصران على الفصل دوماً بين المجتمع والحكومة.

فعلى مر قرون استندت الفلسفات السياسية والاجتماعية الغربية على موضوعين منفصلين لكنهما مترابطين فيما بينهما، هما المجتمع والحكومة، مجتمعات تتلاشى، ومجتمعات تظهر الى الوجود، وحكومات تولي، واخرى تنشأ في ميدان الوجود. وكما قلت مراراً، إذا كان المجتمع أو البحث في مجال المجتمع هو جوهر الفلسفة الاجتماعية الغربية، فإن صراع المجتمعات والواجهة الاجتماعية والاجتماعية ستجد سبيلها في التقاطع على هذا النهج.

إن مفهوم المجتمع المدني (الحضاري) هو مفهوم وظاهرة غربية، ومسعى آخر يتوخى التفتيش والعثور على مجتمع تتمايز فيه حقوق الحكومة والافراد عن بعضها بشكل سافر، بينما لا توجد مثل هذه الفجوة بين الشعب والحكومة وبين المجتمع والدولة في عالمية الاسلام ومفهوم الأمة.

منذ عهود القرون الوسطى في الغرب، وخصوصاً في عصر (سان بنديك) وكتابات (السير توماس مورتا) ونتاجات المفكرين السياسيين ورجال الاجتماع في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من امثال برونون وماركس ودوتوكويل وغيرهم، كان موضوع المجتمع يؤيد الصلة والشيجة بين الانسان والعالم الطبيعي، وبين الجماعات والظواهر الفيزيائية، فكان هذا الموضوع يسر غور الابعاد التقنية والسياسية البيروقراطية، بل وحتى علوم الحياة والبيئة في المجتمع، ويرتكز الى نظام تعدد الاحزاب، لكنه ظل مخفياً على صعيد التضامن بين الوجوه المختلفة للأنشطة والفعاليات الانسانية كوحدة واحدة.

لقد عملوا على فصل الشؤون العسكرية والسياسية والاقتصادية والبيروقراطية والفكرية، كلها، عن بعضها البعض، وكان التأكيد جارياً على مؤثر فاعل وحيد في النزاع الاجتماعي ووجود موروث اجتماعي في صلب آخر.

وكانت المجتمعات تشدد على ظواهر وحيدة متفردة مالوفة أو جرى اطلاق المسميات

عليها، كالدين والسياسة.

فعلى سبيل المثال، ما هو مدى ردود الفعل التي أوردتها موضوع المجتمع الديني في الغرب على عدم جدوى ومحدودية المجتمع السياسي، مما نشهده في كتابات ونتائج مفكرين ومنظرين من أمثال اغوستين واكوينس ولوثر وكالفين وكيفارد.

وطبيعي ان يكون انبثاق جامعة الأمة الإسلامية من الأسفل، أي من اوساط المواطنين والجماعات والزعماء الإسلاميين، فتتخذ لنفسها بعدا وتعبئة عالمية، ثم تكتسح (الحكومات الإسلامية)، ذلك لإن الحكومات القائمة في الدول الإسلامية تقوم على اساس النموذج الشعبي _ الرسمي الغربي، وتنظر بما تتصف به من مزية اللادينية (العلمانية) أو شبه العلمانية والاشعبية والتفردية (الديكتاتورية)، الى كل لون من الوان الالتحام والاتحاد والوحدة من منظور وزاوية الصالح الوطنية والقومية والفئوية، ومن منظور الفلسفة السياسية الغربية المهيمنة في عالم اليوم والنظام الذي يسود العالم.

إن ازمة الشرعية السياسية في العالم الإسلامي وبلداته في هذا العصر ليست في التغييرات والتطورات الواردة على النموذج الشعبي _ الرسمي أو النموذج الحكومة الوطنية، وإنما في اصل وجود مثل هكنا نظم سياسية والتعارض معها، وعلى وجه الاجمال فان النظام الشعبي _ الرسمي يحمل برأينا في ثناياه التناقض مع الثقافة السياسية والعالية للإسلام، وهو العلة والندبر الاساسيان لأزمة الشرعية السياسية والرسمية في البلدان الإسلامية.

لم يعد ممكنا بعد في عالم اليوم القبول التقليدي للعلاقات الدولية، أي العلاقات المتبادلة بين الحكومات ونخبة صناع القرار، على أنها تنحصر في مجرد الدراسات السياسية والإقتصادية. إن الشيء المهم في هذه البرهة الناشطة في ظاهرها بالإنفعالات الدولية والعالية، هو عجز الدول التي يطلق عليها بأنها نامية، ومن بينها البلدان الإسلامية، في التأثر وترك البصمات على مسيرة التطورات العالمية الجارية، مما يمكن أن يعبا به على أقل تقدير.

إن مفهوم العالمية المتداول حاليا لا يتطابق مع مفهوم العمومية، فالإلمام بمعرفة اطروحتين متقاطعتين على الصعيد العالمي، يعد أمرا لا تنفك ضرورته تجاه ما ينبثق من قومية وعرقية في ظهور جديد، في مقابل حركة شمولية كاسحة، برزت التحرك صوب النزعة الإقليمية الذي يتشكل للوهلة الأولى في نطاق اقتصادي، يعكس صورة التقنيات والمنتجات الصناعية حديثة الظهور.

إن زوال بريق السيادة الوطنية، واقول نظام القوة المعروف بالنظام الشعبي _ الرسمي في الوجودات الحديثة للدول الهامشية هي من بين الأبعاد المهمة لهذه الظاهرة.

جامعة الأمة الإسلامية التي نقترحها هاهنا، هي الأمة الإسلامية الواحدة المؤلفة من وحدة كافة البلدان الإسلامية المتحدة، وأن جامعة الأمة الإسلامية، هي الأمة الواحدة للإسلام التي تختلط النظام الشعبي الرسمي وخلفته وراءها.

لقد جرى استخدام مفهوم الأم في المشروع المقترح (جامعة الأمة الإسلامية) على صورته الشاملة والموسعة، وهو يغطي كافة الجوانب الإجتماعية والسياسية والإقتصادية والرسمية. ونعني بالأمة هو تقصيصها في مرحلة المجتمع. الدولة، وليس اعتبارها منفذاً في الشؤون الفردية والجماعية أو في المستويات المتخصصة والرفيعة لعلم الإجتماع والعلوم السياسية والإقتصاد الخاص بها.

وفي ظل الظروف الراهنة التي تعيشها دول البلدان الإسلامية وتبعيتها القائمة للنظام العالمي الحالي، لا ينبغي عقد الآمال على تر حيب الجميع أو حتى غالبية الحكومات الموجودة في البلدان الإسلامية بفكرة ومقترح تأسيس جامعة الأمة الإسلامية بكونها نظاماً مستقلاً وواحداً، وذلك لأن ابتكار وتأسيس مثل هذه الجامعة يعرضان المصالح الفردية والجماعية للنخب الحاكمة إلى المخاطر، ويهددان ركائز السلطات القائمة بمواجهة تحديات. لكن تنامي ونضج مثل هذه الحركة عبر وعي وتعبئة وتنظيمات أكثر من مليار ونصف مليار مسلم في العالم قد تخطى الحدود، وجعلها تستحيل إلى حركة عالمية ممكنة التحقق، بل وضرورية في حقيقة الأمر.

في هذه الظروف، تعيش الحركات والنهضات الإسلامية في غالب الأمر بمستوى وطني وقومي في حدود البلدان، وهي تفتقر لقيادة ومرشد دولي وعالمي.

وفي خضم الأوضاع الراهنة فإن الحركات الشعبية على مستوى الأمة هي الوحيدة التي ستكون سبباً لانتقال السلطة وتغيير وتعديل وإصلاح المستويات العليا والحكام والحكومات، وليس العكس، لأن التجربة أثبتت في المجتمعات الإسلامية خلال بضعة القرون الماضية وبشكل جيد، أن عصرات القوة ومشاعرها كامنة في أوساط المجتمعات الإسلامية، وأن القادة المحنكين والناجحين المؤمنين بعالية الإسلام قد هبوا من بين ظهراني المواطنين.

إن النهضات الإسلامية الظاهرة خلال القرن الأخير ولاسيما الثورة الإسلامية الإيرانية لهي أفضل أنموذج لهذه الحركة، حيث يمكن الاستفادة من انتقال السلطة على المستوى العالمي من تجارب العقود القليلة الماضية.

إن جامعة الأمة الإسلامية وعلى العكس من الإتحاد الأوروبي وبقية الإتحادات المعانلة الوطنية منها والإقليمية والعالمية، لا تستطيع أن تتلبس في بدايتها بمظهر الإتحادات الجمركية والمالبة والإقتصادية بل وحتى السياسية الرسمية، وذلك لأن مركات عالمية الإسلام والرسوخ على المستوى الدولي بالقيم والأخلاق الإسلامية، ينبغي أن تكون متسقة ومعنفة.

إن أنموذج عالمية الأمة الإسلامية تختلف عن الأنموذج الرأسمالي الإمبريالي وعن الليبرالية الحديثة وعن العلمانية المعاصرة، فهي تقف على أطراف النقيض من تلك، لأن الأزمة والصراع التكتيكي اللذين يحصلان إنما هما بحاجة لأنموذج يقوم بفرض ذلك على أنموذج آخر بينما التسلط في إطار أنموذج الأمة الإسلامية محظور.

الأزمة العالمية الراهنة وفي الحقيقة الأزمة الحالية في الغرب تتمثل في أن العولمة (العالمية)

التي ينسدها الغرب ويدافع عنها، تروم فرض قيمها وأخلاقياتها على المجتمعات الإسلامية وعلى الآخرين. وهي علاوة على ذلك تمتلك ركائز مادية واقتصادية وثقافية غير انها تفتقر للنظرية والأفق السياسي والاجتماعي، وكما دلت تجارب وارقام العقود القليلة المنصرمة، فإن مثل هذه العولمة والعالية قد فرضها من الأعلى على الأسفل، ووجدت بذلك وجودها.

إن ضرورة إعادة النظر في التغييرات الحاصلة في النظام الدولي والعالمي المعاصرين، تحتم من خلال التطرق العابر لوصف الظروف وإيلاء الاهتمام بتمخض معايير ومؤشرات جديدة وبالجدوى التنامية للعوامل الثقافية المعنوية والدينية، وأقول اقتدار السلطة، وبالنتيجة التغير في المفاهيم والأساليب النظرية، لتحتم علينا بحث ودراسة مايلي،

ما هو المقصود من العالمية؟ وكيف يتسنى تطبيقها؟ ومن هو الذي أو ما الذي يتولى إدارة دفتها؟ وما هي الأخلاقيات الجديدة التي تشتمل عليها مثل هذه البنى والتركيب؟ وأي نوع من الأفراد تؤمن لهم مصالحهم عبر ذلك؟ وإذا كانت الجماعات البشرية بعيدة عن بلوغ مرحلة العولمة، إذن ما هي المؤشرات والدلائل التي ينبغي أن تتوفر عليها العولمة والعالمية الإسلامية؟ وإذا كان العالم يتحرك باتجاه سلطة القطب الواحد، فما الذي يمكن أو يجب أن يكون عليه هذا القطب السلطوي؟ وما هي محاور الحركة والاقسام على إنشاء وتأسيس جامعة الأمة الإسلامية التي تنطوي على تعدد الشعوب والثقافات والتركيب التعددية المحلية والاقليمية؟ للدليل التي توصل لها الغرب في بضعة القرون القليلة الماضية تركز على أن السلم والديمقراطية يمكن تكريسها على المستويين الوطني والدولي من خلال التنمية الاقتصادية والاتحادات والأسواق الحرة والاستثمارات، وإن العلمانية هي المنقذة للبشرية .

إن التجارب التي تمخضت عنها الحربان العالميتان الأولى والثانية، والحرب الباردة، وانهايار الاتحاد السوفيتي، وظهور النزعة العرقية في أوروبا، والقومية في أميركا، والخلافات السياسية والثقافية في الاتحاد الأوروبي، والمعارك الإقليمية بدءاً من كوريا وفيتنام وحتى حرب الخليج الفارسي والهجوم الأخير على العراق، جعلت هذه النظرية والاصطوح في ظل كل ذلك عديمة الجدوى، واليوم فإن المحللين الغربيين الذين يدافعون عن حركة العولمة المعاصرة ويتبنونها، يقومون عادة بتسويق مشروع عن كيفية إجراء تعديلات في مرحلة الحداثة وبما يصطلح عليه فوق الحداثوية، رغم أن إحدى النتائج الأولية للتحديث هي هذه (العالية). وهذا الشيء هو الذي يؤدي إلى تدمير بقية الثقافات باعتبار انتشاره عن طريق انتشار المراكز الغربية في عرض الدنيا.

إن عولمة العالم لهي أمر غير متسق، يحقق في ذات وقت الحياض والتواصل، الانهيار والزوال. فهو يخلق أشكالاً جديدة من التبعية المتبادلة التي تنعدم فيها أنباء الآخرين.

ما يستند إليه هؤلاء المنظرون في استدلالهم يشتمل على التناقض من حيث الجوهر والمناهية، فإذا كانت العولمة هي أساس العصرية، وإذا كانت النقلة إلى العولمة تحقق حسب

الفهوم الغربي علماً مستقلاً لا يوجد فيه مكان للآخرين، إذن كيف سيتسنى للثقافات غير الغربية المساهمة ولعب دور في توفير ظروف و مستلزمات الحداثة؟! فضلاً عن ذلك، وإذا كانت الحداثة على حد زعم هؤلاء المحللين الغربيين تمتد نظرها صوب المستقبل على نحو ذاتي، وتتكهن بالمستقبل على أنه جزء من الحال، فتقوم في النهاية بعكس صورة كيفية التقدم في المستقبل، فإن المستقبل على أساس ذلك سيكون لصالح المالك المطلق إلى حد بعيد، وأن الحداثوية عندئذ سوف لن تشكل هيمنة قطعية للغرب تضمن الفترة الراهنة له وحسب، بل وانها ستجعله يمسك ببرائنه تلابيب المستقبل على هذا الأساس.

لقد مني احتكار النخبة والغرب وهيمنتهم اليوم على العارف والعلوم و السياسة والاقتصاد، بالفشل. وما يشهده عالم اليوم يختلف عما كان عليه في القرن التاسع عشر وحتى مطلع القرن العشرين، فالقدرات العلمية والفكرية وبقطة الجماهير قد تجاوزت حدود القارتين الأوروبية والأميركية. فإذا كانت العصرية والعولمة تتحققان في المجتمعات عبر توفير الاجواء الحرة، وإذا كان نضوج الديمقراطية والمجتمع المدني (الحضاري) له صلة مباشرة بتنامي مثل هذه الاجواء على حد قول الغرب، فينبغي والحال هذه أن يتم التصديق بأن وجود الاجواء الرحبة والتنوع التي تركزت في نصف القرن الماضي على أساس السنة الإسلامية وبمساهمة تقنيات المعلومات والاتصالات بين مسلمي العالم وفي داخل وخارج البلدان الاسلامية، ستمهد الظروف المطلوبة لانبثاق نهضة تنمي مشروع تأسيس جامعة الأمة الاسلامية وتحقق العالمية والسيادة الشعبية الاسلامية.

إن مقترح انشاء جامعة للأمة الاسلامية، وعلى الرغم من اعتماده على وعي المسلمين في العالم وتعبئة الراي العام الاسلامي، إلا أنه لا يغفل أبداً دور رجال الحكم والحكومات الاسلامية الأصلية في هذا العصر ممن يمتلكون القدرة على تولي دورهم على المستويين الوطني والدولي وفي اوساط للمنظمات و المؤسسات الدولية.

إن الوحدة الاسلامية، والسيادة الشعبية الإسلامية، والأمة الاسلامية، والعالية الاسلامية، والحرية والعدالة الاجتماعية، والقوانين والرؤى الاسلامية ينبغي أن تحل محل عبارة السياسة الخارجية الدولية، وذلك لما لتلك التسميات من هوية اسلامية، وأن يعمل (المسلمون) على احترام قيمهم الثقافية والاجتماعية والدينية.

قد يمكن تطبيق نهضة جامعة الأمة الاسلامية في بضعة بلدان اسلامية في بداية الانطلاق، لكن مثل هذه الحركة لو جرت انارتها بدقة وبصيرة ستجد لنفسها توسعاً وانتشاراً تدريجياً، فتتضم بعد تغير البنى السياسية والاقتصادية التي ستنبثق على شكل محلي و وطني، كل البلدان والدول الاسلامية في كنف عضويتها ومشاركتها.

إن التحولات و التبدلات التي تحصل هذا اليوم جراء ازدياد أعداد السكان والتنمية التعليمية والتربوية، والتقدم التقني، وما يطرأ على الاتصالات و المعلومات من تبدل على المستويين الانساني

والمؤسساتي، لا يمكن أنكارها. فلو لم يمتلك المسلمون والأمة والدول الإسلامية خطة ودورا محددتين في مواجهة هذه التحولات، فإن الآخرين سيوظفونها لصالحهم، كما حصل في الثورة الصناعية قبل بضعة قرون، حيث سيكونون رهن سيطرة وقوانين وأخلاقية هذا الحدث. العولة الغربية الحالية وعلى النقيض من الماضي لا تولي اهتماما صرفا لاحتلال الأراضي والثروات والعمالة والموارد الطبيعية، وإنما هدفها الرئيس السيطرة واحتلال العقول، وتعبئة المسلمين والسيطرة عليهم كمستهلكين ومتقبلين لمنتجات وخطابات العولة ضمن المنفذين لها. إن التناقضات الموجودة في قضية العولة والتحول إلى النظام العالمي حمة في هذه البرهة، وما لزمة السيادة الشعبية في الغرب إلا نموذج من بين نماذج هذه التناقضات، في حين أن الاتحاد الأوروبي مهد أوروبا من خلال المؤيدين العالميين، فجعله يتحدث باسم الوحدة الاقتصادية والسياسة لأعضائه.

أمريكا تتحدث عن حق سيادتها الوطنية واطروحة حق الشفعة (حق الهجوم والوصول الأولى)، ففي التاريخ السياسي والدولي للغرب لا يوجد هناك خير للحقوق والقوانين العالمية، حتى جاء جان بودين (١٥٣٠-١٥٩٦م) برسائله المتعلقة بمبدأ السيادة ثم هوغو غروتوس الهولندي (١٥٨٢-١٦٤٥م) حيث وضع في السنوات اللاحقة بكتابات التي تناولت العلاقات الدولية، أسس الحقوق الدولية في أوروبا، وبانتهاء حروب الثلاثين عاما في سنة ١٦٤٨م وتوقيع معاهدة وستفالي للسلام، جرى التعرف على مبدأ السيادة الوطنية واطار النظام الشعبي الرسمي، من قبل البلدان الأوروبية.

لقد تأسست الحقوق والقوانين الدولية المعاصرة من حيث المبدأ على ما ذهب إليه هؤلاء المفكرون الأوروبيون، ومن هنا باتت هذه القوانين مشربة بالنظريات والرؤى والتجارب الثقافية والتاريخية والدينية الغربية.

وهنا لابد من أن نذكر أول وأشمل قانون دولي وضع في تاريخ الإنسانية، هو ما وضعه الإسلام، وبالضبط قبل (١٠٠٠) عام من تاريخ وضع الأوروبيين للحقوق والقوانين الدولية للعالم، ففي الحقوق والقوانين التي أقرها الإسلام هناك مبدأ الحاكمية الإلهية وليس الحاكمية الوطنية، حيث يأخذ بالحسبان مصالح الأمة وليس مجرد المصالح الوطنية، وهذا للمبدأ يهتم بالأمن البشري وليس بالأمن الداخلي والوطني لوحدهما، ويقوم مبدأ العدالة الاجتماعية كأساس للتشريع، لا مبدأ الاقتصاد السياسي والنفعة.

إن أسس السيادة والحاكمية الوطنية والمصالح الوطنية قد جرت صياغتها وتحديدها من قبل القوى الغربية الكبرى، حيث تقوم هذه القوى بإدارة دفة الحكم في النظم العالمية والوطنية ومن بينها الأنظمة القائمة في البلدان الإسلامية، هذا في الوقت الذي يتم سحق مفهوم الحاكمية والسيادة الوطنية تحت الأقدام، جراء ما يمارسه أصحاب اللعب السياسية الدولية من إجراءات وممارسات. إن العديد من ذوي الاختصاص قد أدلوا بدلوهم فيما يتعلق بموضوع العولة

والانتقال الى النظام العالمي، حيث وسمه البعض منهم بأنه نتاج فرعي لا يمكن تفاديه والتوصل عنه في التكامل والتقدم البشري، وكان هذه الظاهرة موضوعا مبرما لا يمكن التوصل عنه لأنه يجري ضمن سياقات سلطة القوانين الطبيعية. لكن هناك رؤية أخرى أيضا تفيد بأن العولمة والانتقال الى النظام العالمي المعاصر لا يشكل انبثاقا بالضرورة عن تقدم طبيعي يسير العلاقات والصلات والاتصالات للوقوف لدى البشرية وضمن الثقافات الانسانية المتنوعة في ارجاء المعمورة، بل ان هذا الأمر هو نتاج بشري من صنع الانسان، وهو ارادة وانتخاب من مجموعة من الدول الكبرى والشركات متعددة الجنسيات والمنظمات الدولية التي تستفيد من ظهور مثل هذه الظاهرة للعروفة بالعولمة والانتقال الى النظام العالمي.

وتأسيسا على ذلك فإن العولمة في عصرنا الحالي هي ظاهرة معقدة تستبطن في داخلها تيارين وقوتين متناقضتين هما: اولا التنمية الاقتصادية الهائلة والابتكارات التقنية، وثانيا انعدام التماثل والتكافؤ للتفاقم في الازمة الاجتماعية الثقافية، والاضراب الفردي.

ان عبارة العولمة تماثل في هذه الأيام عبارة (التنمية الوطنية) التي اطلقت قبل عدة عقود، من حيث تاريخها القصير للغاية، وهي في بعض جوانبها نتاج ملفق لاعلام النظام السائد في العالم المعاصر. فمنذ عدة قرون وحينما كانت المحافل والمجتمعات والشعوب والحضارات تتحدث عن العرقية والقومية والأثنية والانتماءات الاقليمية، كان الاسلام المدرسة الوحيدة التي تتحدث عن عالمية (الاسلام) وعولته والانتقال الى نظام العالمي.

ان عالمية الاسلام تتميز بكونها فريدة من نوعها من جانبين: الاول ان العالمية الاسلامية وليدة من نسخيتها النظرية والمذهبية والشكلية لعولمة الهية دقيقة ومنظمة وشاملة، تسودها العدالة. والآخر ان الاسلام هو للمدرسة الوحيدة التي منحت هذه الرؤية العالمية تطبيقاتها العملية في التاريخ، فقد لعب ظهور الاسلام وانتشاره في التاريخ الانساني دورا فاعلا إلى حد استثنائي في منح الثقافة والاقتصاد والعلوم والمعارف وجهتها العالمية.

العلاقات التجارية والاقتصادية والمالية الدولية كانت سائدة في مستويات دولية محدودة منذ عمق التاريخ وخلال القرون الوسطى، لكن اول نظام عالمي للاقتصاد والتجارة والمالية في التاريخ وضع على يد المسلمين في حوالي القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين. وما طريق الحرير الذي يمتد من الصين وحتى سواحل البحر الابيض المتوسط إلا تجل ملموس في حقيقته للنظام الاقتصادي العالمي. وعقب ثلاثمائة عام، أي في القرن السادس عشر جرى لأول مرة إحلال النظام اتراسمالي كنظام عالمي محل النظام الاسلامي.

ان عالمية الإسلام قد جرى تأسيسها على ركيزة الأخلاق الإسلامية في حين ان العولمة الغربية المعاصرة تتعطش للعثور على أخلاق تختص بها هذه الظاهرة، وتعني عالمية الإسلام انطاؤها على الإنفتاح على كل العالم، في حين أن الليبرالية العالمية تعني جر العالم وعولته باتجاهها وهو ما يعني بالضرورة التضاد بين العالميتين.

في العالم القديم، كانت القوانين الآشورية والبابلية واليونانية والروسية تستقي معينها من العفاند والمدارس المشتركة، حيث عملت على دفن آمال وتطلعات ملوك فارس وفراعنة (مصر) في التراب.

مسلة حمورابي (٢٠٨١ قبل الميلاد) التي تعتبر أمثلة الحضارة السومرية، وقانون ولانحة الحكم العرفي للروم والذين اكتسحا في القرون المتأخرة المسيحية نفسها، لم ينجح أبدا في عرض مداليلهما النظرية والعلمية بما يتخطى حدودهما العالمية الإدارية عند عمليات الغزو، وقد منيت جراء ذلك أفكارهم ونظرياتهم ومتبنياتهم وعولتهم بالفشل وأقول إمبراطورياتهما المضمحلة.

إن العالمية الإسلامية لتنتطوي على أبعاد مختلفة، فعالية اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن والإسلام، ودولية الفارسية والتركية وانتشارهما في آسيا وأوروبا وشمال أفريقيا وفي مناطق المحيط الهندي وآسيا الوسطى والشرق الأوسط، واتساع رقعة انتشار اللغة الجديدة (السواحيلي) في قارة أفريقيا، وظهور لغات محلية في بلدان مثل نيجيريا الحديثة، إنما يعود الفضل في ذلك كله لعالية الإسلام والعلاقات الثقافية، والسياسية، والاقتصادية للعالم الإسلامي في الإختلاط والتلاحق والإتصال مع المجتمعات والتجمعات الجغرافية والعرقية المختلفة.

لقد كان نظام الأعداد والأرقام والهندسة العالمية في عالم اليوم من ابتداع وهدية المسلمين على نهج العالمية (الإسلامية)، وأن التطور وعولة العلم والمعرفة من الجبر والفلك والطب وحتى إعادة صياغة أسس علم المعرفة والمجتمع والسكان والنفوس، قد وجدت مداها من عالمية الإسلام. ثم إن الحج هو مظهر عظيم لعالية الإسلام ينعدم مثيله في أي من المناهج والمدارس الدينية والسياسية والاجتماعية.

فمن الزاوية العالمية لقضية الحج هو أنه يشكل أكبر حدث للوسط الثقافي يحصل بصورة مستمرة منذ بزوغ الإسلام وحتى يومنا هنا على مستوى عالمي.

والحج هو الحدث التواصلي الإتصالي الفردي والثقافي الوحيد لدى الأمة، مما لا يركز إلى الوسائط المؤسسية والإعلامية ولا للوسائل والعدات والتقنيات، ويقوم في الأساس على ثلاثة مواضيع؛ هي الخلقة والوحدة والأمة.

والحج هو التعبئة العالمية والشعبية الوحيدة، التي تقام من أجل السلام والأمن، فالملتقيات بأسرها والؤتمرات العالمية يعرف الأشخاص فيها بمسميات مهنتهم، مواطنتهم، وانتماءاتهم، وأعرافهم، وأزيانهم، وخرواتهم، وسلطانهم بينما في عالمية الإسلام، ينفي الحج وهو أحد فرائض الإسلام المتعددة هذه المؤشرات الخاصة بالهوية بعيدا، فالحج إذن مؤتمر للأمم المتحدة.

والقرآن الكريم هو اليوم أكثر الكتب المتداولة نسخا وأعضمها قراء، بلغته الأصلي، على مر التاريخ الإنساني.

والسلمون يتلون القرآن الكريم بلغته الأم (العربية) ولا يقرأونه بترجمته، بينما الإنجيل

للمسيحي أعظم كتاب مترجم من حيث عدد النسخ. إن أغنى المصادر الطبيعية من الثروات النفطية والغازية، وأهم المراكز الاستراتيجية والسوقية كقناة السويس ومضيق جبل طارق والدرديبل ومضيق هرمز، وأغزف الأديان سكانا في العالم هم المسلمون. المسلمون أيضا يشكلون أكبر الجاليات المهجرة في أوروبا (٢٠ مليوناً) وفي أمريكا (٧ ملايين)، وباتي الإسلام من بعد المسيحية من حيث عدد أتباعه الذين تعج بهم كافة قارات وأرجاء العالم. وفوق كل هذا وذاك فإن العولمة الغربية العاصرة، لا تتيسر بدون ضم وزج العالم الإسلامي معهم، وفي ظل هذه الظروف السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية خضع العالم الإسلامي والأمة الإسلامية بالذات في خضم المقطع الزماني هذا من امتداد التاريخ لاهتمام دهاقنة اللعب السياسية في النظام العالمي، وفي أحيان كثيرة لهجمتهم وعدوانتهم واحتلالهم. إن جامعة الأمة الإسلامية، هي الرد على التحديات والتساؤلات هذه. (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) سورة المؤمنون _ (٥٢).

مراحل الوطنية والعالية (العولمة)

الشعب	الحكومة	الشعب	الحكومة
		الحركة الوطنية	الحركة العالمية

مراحل العالمية الإسلامية

الأمة الإسلامية	الحكومة	الأمة الإسلامية	جامعة الأمة
على مستوى	الإسلامية	على المستوى	الإسلامية
البلد		العالي	
العالية الإسلامية		العالية الإسلامية	

- ويمكن للراغبين بالإطلاع على نظريات الكاتب بشأن ظاهرة العالمية والإسلام، الرجوع إلى الكتب والمقالات المعنونة التالية:
- ١- حميد مولانا، إنهيار وظهور العصرية، دار صبح للنشر، طهران، ٢٠٠١.
 - ٢- حميد مولانا، إلى أين يذهبوا بنا، مؤسسة كيهان للنشر، طهران، ٢٠٠١.
 - ٣- حميد مولانا، المجتمع المدني: نقد وتحليل، مركز نشر أكاديمية الثقافة الإسلامية، طهران، ٢٠٠٣.
 - ٤- حميد مولانا، عبور من النزعة الحدائوية، مركز نشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٩٩٣.
 - ٥- حميد مولانا، الإتصالات والثقافة في القرن الحادي والعشرين، الفصلية البحثية لجامعة الإمام الصادق "عليه السلام"، العدد الرابع، صيف ١٩٩٧.
 - ٦- حميد مولانا، التبادل غير المتعادل في ثقافة العالم الراهنة، رسالة الثقافة، معاونية الشؤون الدولية بوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، السنة الأولى، العدد الثاني، شتاء ١٩٩٠.
 - ٧- حميد مولانا، "البحوث الثقافية للعولمة"، الفكر الصادق، المجلة البحثية لجامعة الإمام الصادق "عليه السلام"، العدد الخامس، شتاء ٢٠٠١.
 - ٨- العالم الإسلامي ووسائل الإعلام العالمية، (العدد الخاص بالحوار مع البروفيسور حميد مولانا)، كيهان الثقافية، السنة التاسعة عشرة، العدد ١٨٩، حزيران ٢٠٠٢.
 - ٩- حميد مولانا، مقالات الأفاق في كيهان: "الإقتصاد السياسي للعولمة" ٢٥ تموز ٢٠٠٢، "الأزمة الإقتصادية وعولمة وسائل الإعلام" ٨ آب ٢٠٠٢، "محصلة عولمة الثقافة" ١ آب ٢٠٠٢، "العولمة، التحديات والإجابات" ١٥ آب ٢٠٠٢، "الغزو الإقتصادي والحاكمية الوطنية" ١٣ تموز ٢٠٠٢، "نحو عالمية إسلامية" ٢٠ كانون الثاني ٢٠٠٢.

العولة والتعاليم الإسلامية

الفرص والأخطار

الدكتور غلام علي افروز

أستاذ في جامعة طهران

خلال العقد الأخير، حظي مفهوم العولمة (Globalization) بما ينضوي عليه من أسس نظرية متباينة وزوايا فكرية مختلفة باهتمام لفيث من ذوي الرأي والساسة، وشغل حيزاً ملحوظاً من المداولات والنتائج الفكرية على نطاق مختلف الأوساط والشرائح.

وفي الحقيقة أن العولمة محصلة أخذة في الاتساع بحيث طالت كافة المبادي الاقتصادية والإجتماعية والثقافية وجعلت دول العالم برمتها تخوض غمارها سواءً بشكل مباشر أم غير مباشر. وبعبارة أخرى، فإن العولمة هي عبارة عن محصلة لجملة من تطورات متسارعة في عصرنا الراهن تلقي بظلالها على الحدود السياسية والإقتصادية وتوسع مديات الإتصالات الألكترونية وترفع من مستوى العلاقات الإجتماعية_ الثقافية على النمط الحديث.

ذلك أن مفهوم العولمة هو ظاهرة متعددة الأبعاد، وأن أثارها تتسلل قسراً إلى كافة الأنشطة الاقتصادية والتكنولوجية والسياسية والقانونية والإجتماعية وخاصة الثقافية للمجتمعات البشرية.

ولعله يمكن النظر لقضية العولمة في السنوات الأخيرة من زوايا ثلاث مختلفة.. الأولى هي أن العولمة بمثابة ضرورة حتمية لا مناص عنها.. ويذهب أنصار هذه الرؤية إلى حد الإفراط في نظرتهم لمحصلة العولمة ويعتقدون بأنه لا بد من توظيف كافة الإمكانيات العالية بأقصى قوة وسرعة ممكنة من أجل التعجيل في تفعيل فكرة العولمة. وكما لا يخفى أن هذه النظرة تنضوي على مفهوم للعولمة ممزوج بهيمنة قوة السوق العالمية، وفي هذا السياق تعمد الإمبريالية الأميركية والأوروبية وبشتى الأساليب إلى التغفل وبسط هيمنتها أكثر فأكثر من خلال تأسيس وتوسيع الشركات المعروفة بما يسمى بمتعددة الهويات وزرعها في دول مختلفة.

وإلى جانب التأكيد على ظاهرة العولمة، يرى أنصار هذه الرؤية بأنه قد ولى عصر نفوذ وسلطة "الدولة" و"الشعب"، وأن محصلة العولمة وسيادة الإقتصاد وهيمنة سوقه ستقود إلى بروز نظام اجتماعي جديد.

الرؤية الثانية للعولمة هي رؤية نقدية يخالفها شيء من الشك "Sceptics".. أنصار هذه الرؤية يرون أن فكرة العولمة بمعناها الدقيق لا تعدو في الوقت الراهن كونها حلم وهدف مثالي

ولا ينبغي تجاهل قدرة وقوة وأهلية الدول والشعوب المستقلة وتوفير المزيد من عوامل عزلة الدول الفقيرة.

إذ لا ينجم عن العولمة وهيمنة الأقوياء سوى تهميش الدول الفقيرة.

وفي الحقيقة أن العولمة تجربة لا يمكن أن يتمخض عنها سوى الإجحاف في توزيع الدخل على صعيد العالم، وكذلك إضعاف دور الدول في النشاطات الاقتصادية فضلاً عن ضعف وشانج التبعية الوطنية والثقافية.

أما الرؤية الثالثة لفهوم العولمة فيطرحها جمع من ذوي الرأي الذين يذهبون إلى ضرورة النظر لقضية العولمة من زاوية كونها محصلة استحالة أو تحول "Transformationalists" "غيدنز" ١٩٩٩ "Giddenz". إن هذه المجموعة تعتبر وإلى جانب إقرارها بالعولمة كمحصلة، أن العولمة هي صيغة تغيير وتحول تدريجي، ويقولون بأننا نطوي حالياً مرحلة انتقالية ستمنح السياسة والإقتصاد فيها القرن القادم صورة جديدة لن يكون للمنتوجات والتقنيات الوطنية والشركات المحلية والصناعات اليدوية فيها حيزاً يذكر، كما لن يكون هناك مفهوم للإقتصاد الوطني بالمعنى الشائع في عالمنا اليوم.

ولا يخفى حسب هذه الرؤية بأنه حينما تفقد مفاهيم ومصاديق كالشركات الوطنية والصناعات الوطنية والإقتصاد الوطني معناها المعاصر فإنه يصعب بطبيعة الحال التحدث بعد ذلك بمقولة الثقافة الوطنية (هيلد ١٩٩٩ "Hell" ورايش "R-Rich" عام ١٩٩٨).

ورغم أن النظر لقضية العولمة يطغى عليها عادة الرؤية الاقتصادية لكن إفرازاتها السياسية والثقافية كانت بدرجة من الظهور ما يجعل التفكير بظاهرة العولمة دون الأخذ بعين الاعتبار الأبعاد السياسية والجوانب الثقافية على نحو الخصوص، أمراً بعيداً عن المنطق. من هنا اهتم كثير من ذوي الرأي على الصعيد العالمي (واترز "Waters" ١٩٩٥ وليتل "Little" ١٩٩٦) في بحوثهم بالتعاطي مع ظاهرة العولمة من اتجاهين مع الأبعاد الاقتصادية والسياسية والثقافية واعتبروا أن الخوض في القضايا الثقافية ضمن إطار محصلة العولمة ضرورة لا محيص عنها. لذا كان لزاماً أن يجري الإهتمام بقضية العولمة من الأبعاد الثلاثة الاقتصادية والسياسية والثقافية..

الف: العولمة الاقتصادية

تولي العولمة الاقتصادية أهمية خاصة للأمور التالية..

- _ حرية وتوسيع نطاق التبادل الإقتصادي.
- _ التصحيح والتوازن في أنشطة الإنتاج.
- _ الإستثمارات المشتركة.
- _ تنمية وتطوير الأسواق العالمية.

ب : العولمة السياسية

- تشمل الجوانب السياسية للعولمة قضايا منها..
- _ نشر مراكز القوة على الأصعدة العالمية.
- _ تفوق وسيطرة المنظمات الدولية القوية على الأنظمة الوطنية.
- _ توسيع نطاق الإتصالات الدولية.
- _ تعزيز ودعم السياسات العالمية المشتركة وإضعاف المكانة الوطنية.

ج : العولمة الثقافية

كما تمت الإشارة انفاً، شكلت الإفرازات الثقافية لأبعاد العولمة هدفاً بالنسبة لمنظري ظاهرة العولمة والنظام العالمي الحديث. من هنا فإن بعض هؤلاء (ليتل، ١٩٩٦ وغيدنز، ١٩٩٩) يذهبون إلى أنها مصحوبة بإفرازات ثقافية مثل..

- _ إضمحلال وزوال التعددية الثقافية والثقافات الوطنية تدريجياً.
 - _ نشر شبكات للمعلوماتية الألكترونية والبحث المتواصل للمعلومات سمعياً وبصرياً وبصيغة عالمية (بعبارة أخرى، الإذاعة والتلفزيون العالميان).
 - _ إضمحلال وزوال المدارس المختلفة تدريجياً!
- في ظل الإفرازات القسرية لفكرة العولمة والتحرك نحو النظام العالمي الحديث، شعرت كثير من الدول والشعوب والمجتمعات بالخطر المحقق وسعت إلى اتخاذ آليات خاصة للتصدي لهذا الخطر.

على سبيل المثال، شهد عصر العولمة ظهوراً مجدداً للوطنيين في مختلف مناطق العالم سيما بعض دول أوروبا، وهذه الحقيقة يمكن ملاحظتها عبر إعادة صياغة شاملة للهوية على أساس وطني. ذلك أن أكثر إفرازات عولمة الإقتصاد وتدويل المؤسسات السياسية وضوحاً هو الإضمحلال والزوال التدريجيين للفكر والتحرك ذوي النزعة الوطنية. بعبارة أخرى، فإن فكرة

النزعة الوطنية وخاصة الثقافة الوطنية التي هي بمثابة لب الشعب آيلة إلى الضعف والإضمحلال بشكل ملحوظ وذلك لأسباب عديدة منها هيمنة الإقتصاد العالمي وإشاعة الثقافة اللاتية من البث الألكتروني الواسعة النطاق والغزو المستمر ضد مفهوم الشعب والشعوب المستقلة تحت يافطات من قبيل القبلية والتخلف المدني.

وفي معرض الرد على مثل هذه الظاهرة، عمدت الثقافة الوطنية التي تستشعر الخطر إلى إعادة بناء المجتمع الوطني من خلال إيجاد وصيانة وتعزيز الهوية الثقافية (يوشينو "Yoshin"، ١٩٩٥).

على هذا الأساس يمكن تبرير بروز صور كثيرة من النزعات الوطنية للثقافة والجمعيات الإقليمية ضمن مفهوم رد الفعل في مقابل أخطار الأبعاد المختلفة للعولمة.

وعلى نحو العموم، تعتبر النهضات الوطنية والإنتفاضات الثقافية في العقد الأخير هي بمثابة رد فعل في مقابل ثلاثة أخطار.

ومن وجهة نظر رواد وقادة النهضات الوطنية الثقافية، فإن العولمة تعني:

الف، زعزعة الحكم الناتي واستقلال أنظمة الإتصال للشعوب.

ب، زعزعة العلاقات الإجتماعية وهيكلية الإنتاج والعمل.

ج، جعل العوائل تواجه أزمة واتساع دائرة غياب الأمن.

من جهة أخرى، تجد المجتمع المدني في عصرنا الراهن، وليد المرحلة الصناعية، تتفكك وأواصره بسرعة فيما الدولة الوطنية تسير إلى الوهن يوماً بعد آخر، أما فكرة الجمعيات الثقافية التي تشكل مقاومة جديدة تظهر بصفة مصادر للهوية.

إن الهوية بالنسبة للناس هي مصدر المعنى والتجربة اللذين يزيّن كيانهم.. الهوية محصلة التوصل إلى المعنى أو منح المعنى على أساس ميزة ثقافية أو مجموعة مترابطة من الميزات الثقافية تفضل على باقي مصادر المعنى، إذ تجريد الهويات الوطنية والثقافية من معناها واحد من الإقرارات المشؤومة للعولمة.

إن الحركة المتسارعة والمفاجئة للمجتمعات والنزعة التجريدية للقوة في شبكة من أجهزة الحاسوب، قضت على الآليات الموجودة لممارسة الرقابة الإجتماعية والانفتاح السياسي!! وصار كثير من الناس في مختلف أرجاء المعمورة يشعرون بعد أن فقدوا هويتهم الثقافية والوطنية بالعجز والهوان جراء فقدانهم القدرة على السيطرة على حياتهم الإجتماعية.

وتشير الدراسات إلى أن الفراغ الفكري والروحي قاد إلى تزايد معامل انعدام الإستقرار لدى

العوائل التي هي بمثابة الحلقات الرئيسية للمجتمعات ومماريس الدفاع عن القيم والثقافة. إن منحني غياب الاستقرار والوهن في نظام العوائل بلغ حداً من الإنحدار ما جعل النظام العائلي يواجه أزمة حقيقية وجادة، وأن كثيراً من العوائل صارت بمختلف الأساليب والأنماط عرضة للإصابة.

التزايد المتورد لأرقام الطلاق في مختلف نقاط العالم وخاصة الدول الغربية، الأزمات الناجمة عن الطلاق، ضعف قيم الزوجات الشرعية والقانونية وإشاعة الحياة المشتركة بين النساء والرجال بدون عقد زواج (Partnership)، وتزايد معدل اعمار المجتمعات، والترغيب غير المنطقي للمرأة على استقلالها اقتصادياً والتفرد بالتحكم في شؤونها، والولادات غير الشرعية والرسمية وبالتالي الشيوخ الكبير للكابة والإضطراب والإدمان على المخدرات ومنتوجات وسائل الإعلام الألكترونية وكذلك الإنحلال الثقافي .. كل ذلك زرع أساس العائلة القدس وفاقم من الأزمات الإجتماعية. ليس عيباً أن يحظى الزواج ومؤسسة العائلة بأهمية أكثر من سائر الأمور في الثقافة والقيم الإسلامية حتى صار المسلمون يولون لأمر الزواج الشرعي وتشكيل العائلة كل هذه الأهمية الفائقة، وهو السبب في تعرضهم دوماً لغزو ثقافي مستمر من قبل الإمبريالية الإعلامية والمنادين للنظام العالمي الحديث.

في عام ١٩٩٥ قدم المجلس الأعلى للسكان (Population Council) تقريراً عن التحول والأضرار التي أصابت العوائل في مختلف مناطق العالم.. التقرير يشير إلى تزايد حالات الطلاق بشكل ملحوظ، فقد ارتفع مؤشر الطلاق من العام ١٩٧١ ولغاية العام ١٩٩٠ في غالبية الدول الأوروبية إلى الضعف، علماً أن هذه الأرقام لا تشمل حالات الإنفصال غير الرسمي (غير المسجل) والتي تفوق نسبتها المئوية الرقم المذكور إلى حد كبير.

أكثر من خمسين بالمائة من النساء في كثير من الدول الغربية كأمريكا وإسبانيا والمكسيك لم يدخلن في عش الزوجية فيما أكثر من خمسين بالمائة من أطفال دول أمريكا وشمال أوروبا وأفريقيا ولدوا من امهات عازبات لم يتزوجن بصيغة شرعية ورسمية!! وفي كثير من الدول الغربية هناك نسبة مئوية ملحوظة من النساء يضعن حملهن الأول قبل زواجهن الأول!! أما الإضطرابات النفسية والكابة اللذان يمثلان مرض عصرنا الراهن فنسبة المصابين بهما من الشباب وكبار السن في غرب الكرة الأرضية هي نسبة ملفتة للإنتباه بحيث أن أكثر من نصف أسرة مستشفيات أمريكا مخصصة للمصابين بأمراض نفسية.

نعم! الهجمات الموسعة والمتزايدة لمنظري النظام العالمي الحديث، هؤلاء المهاجمين الذين

يحملون بأيديهم مشاعل الثقافة، يعملون منذ أمد على إشاعة اللاأبالية وتهميش المعتقدات الدينية وإضعاف التبعيات الثقافية وزعزعة القيم الأخلاقية للشرائح المختلفة خاصة الأطفال والياقنين في مختلف أنحاء العالم.

وفي العصر الراهن والظروف الراهنة، لا شك أنه يمكن للتعاليم الإلهية والقيم الدينية بصفاتها أهم مصدر لبناء الهوية أن توفر غطاءً أمنياً ومستقراً للأفكار الاقتصادية لمنظري العولمة والنظام العالمي الحديث وتلبي على أكمل وجه المتطلبات والإحتياجات الفطرية في كافة المجتمعات ولكافة الأجيال وفي كل العصور.

إن الإنسان يعيش اليوم وأكثر من أي زمن مضى في حالة من الغموض والتعارض الروحي.. ففكرة العولمة الاقتصادية وانعكاساتها لا تعتبر الإنسان سوى أداة لا تريد منه سوى الإنتاج وضخ الأسواق العالمية بما يجعلها مزدهرة، أما ما تريده له _ في أحسن الأحوال _ الإستفادة من النتوجات الألكترونية الحديثة والاتصالات الدولية والحصول على رفاه نسبي والسعي لإرضاء جانب الإثارة للمادية لديه.

إن ما يرسمه عصر العولمة للخصال الشخصية للإنسان، هو تكوين صورة عن إنسان لا هو متعلق بالماضي ولا هو متفائل بالمستقبل، لا هو يحمل هوية محددة ولا هو ينتمي لقومية معينة، لا هو يتمتع بالراحة ولا هو ينعم بالسكينة، لا هو مفعم بالأحاسيس ولا هو عاطفي، في حالة من الحيرة المستمرة قد شغله حب النفس والإهتمام بها، يتسم بالطمع، إنتهازي، ذو نزعة مادية يبحث طوال الأربع والعشرين ساعة عن اللذة، لا يهدأ ولا للحظة واحدة، يملأ وجوده الإضطراب والهلع والكآبة والشعور بفقدان الأمن. كالتائه الذي لا هو يعرف من هو ولا يدري ما هي غايته أو منزله، قد سجن وجوده بين جداري الحياة الدنيوية، ولا يرى في نفسه رقياً وتطوراً. هذا الإنسان له حاجة كبيرة لم يجر تلبيتها، إنه بحاجة للتفتح، بحاجة للإفصاح عن مواهبه، بحاجة للفلاح والصلاح، في قاعدة من الإيمان والهدوء الأزلي.

والإسلام قدم أكمل جواب لأكثر احتياجات الإنسان، والتربية الإسلامية مهدت أنسب أرضية لنمو وتفتح وكمال شخصية الإنسان.

فالإسلام ومنذ أن بزغت أشعته على وجه البسيطة، جاء بأغنى نداء عالمي وأكثرها خلوصاً.. ومع إلقاء نظرة عامة على تعاليم القرآن الكريم يتضح لنا بكل سهولة أن الكتاب العزيز يوجه خطابه الرئيس إلى الناس في كافة العصور (يا أيها الناس) وليس لعرق أو قوم أو مجتمع خاص. إن نداء الإسلام الحنيف والقرآن الكريم هو نداء عالمي وشامل.

أول بناء للمجتمع والدولة الإسلامية قد شيد على يد رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم بصورة بحيث يمكن أن تكون أسس هذا المجتمع وموازينه التي شملت كافة الأقليات انموذجاً يحتذى به لدى كافة الناس.

لقد أرسى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذي جاء بأفضل أنموذج للنظام العالمي الحديث وقدم ميثاقاً خالداً لحقوق الإنسان (الناس في الإسلام سواء ..)، دعائم عالية الإسلام ومنها كانت انطلاقة فكرة عولة الاجتماع الإنساني.

وخلاصة القول هو أن على المسلمين أن يحملوا في أذهانهم دوماً فكرة خالدة وعالية وشمولية ويكونوا أفضل قدوة لكافة بني جلدتهم في كل مكان.

وشمولية القيم الإسلامية هي من البلوغ ما يجعلها تلبي كافة الإحتياجات الفطرية والروحية والعرفية لكافة الأقليات الدينية والأحرار والواعين.

إن أشد ما يجعل للمسلمين يشعرون بالفخر هو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء برسالة لهداية الناس وإرشادهم إلى الفلاح "قولوا لا إله إلا الله تفلحون"، والتطور وتفجير الطاقات والقدرات وقال "الدين هو العقل والعقل هو الدين". بعبارة أخرى، كل من له دين فهو ممن له عقل بالتأكيد وأن كل من له عقل وفكر فهو متدين وموحد. ذلك أن كافة الأوامر والنواهي الدينية في النظام الإسلامي يجب أن تكون قائمة على الخصائص والإحتياجات العيشية والعرفية والروحية للإنسان. ومن هنا اعتبر الإسلام أن كل ما يقره العلم والمنطق من أنه يحول دون نمو الإنسان بدنياً ومعرفياً ونفسياً واجتماعياً هو حرام وممنوع. وأن كل ما يسهم في نمو الذهن والسلامة الروحية والاجتماعية للإنسان يكون الناسي والعمل به مرجواً وحلالاً وواجباً.

ومثل هذا الأصل يمكن أن يكون سائداً ونافذ المفعول بالنسبة لكافة الناس الواعين والأحرار في كافة أرجاء المعمورة وفي كل مكان.

إن ما يميز التعليم والتربية الإسلامية عن البرامج التعليمية والتربوية للدول الغربية هو، ما تحمله هذه البرامج من أهداف وتوجهات. فبالقاء نظرةٍ مُثلاً على المصادر التعليمية والتربوية في الدول الغربية تتضح لنا خلاصة أهداف التعليم والتربية في المجتمعات الغربية على صعيد الأطفال والياقعين، وهي عبارة عن:

١_ معرفة الذات.

٢_ إقامة علاقة مفيدة ومؤثرة ومتبادلة مع الآخرين.

٣_ تحمل المسؤولية الإجتماعية.

٤_ اكتساب مكانة إجتماعية!!

من جهة أخرى، ومع الإمعان فيما جاء في المصادر الإسلامية نعرف ان أهداف التعليم والتربية المهمة على صعيد الأطفال واليا فعين في المدارس تشابه إلى حد كبير الأهداف الأربعة المذكورة أعلاه. وبعبارة أخرى، يبدو أن الأهداف التربوية والتعليمية متشابهة لدى الجانبين سوى أنه هناك بلوح في الأفق تباين أساس يميز أهداف النظام التربوي الإسلامي عن سائر أهداف البرامج التربوية الغربية هو الهدف النهائي والغاية والإتجاهات للبيئة في فحوى البرامج التربوية والتعليمية.

الهدف الغائي في الأنظمة التربوية الغربية وفي محصلة العولة، الإنضمام للإستثمار العالمي والسيطرة على حركة السوق والحصول على الرفاهية. في حين يتمثل الهدف الغائي في النظام التربوي الإسلامي هو التخلص من قيود التبعية الدنيوية والتحرر من الإهتمام بالنفس والطمع وبلوغ مرحلة الفلاح والخلوص والتوحيد والكمال وتفجر الطاقات.

من هنا فإن البرامج والإتجاهات التعليمية للأهداف الأربعة المشار إليها ستختلف في ظل الأهداف الغائية، ففي الغربية الغربية والعلمانية وغاوية الحصول على الرفاهية فإن الهدف من "معرفة الذات" يكون محدوداً جداً ولا يتعدى دائرة المعرفة المادية للذات والأنانية والإهتمام بالنفس واعتبار نفسه بأنه هو الأفضل في حين تكون معرفة الذات في التربية الإسلامية وغاية الفلاح هي مقدمة لمعرفة الحقيقة ومعرفة الله سبحانه وتعالى.^(١)

في إطار غاية التمتع بالرفاهية فإن الهدف من "إقامة علاقة مفيدة ومؤثرة ومتبادلة مع الآخرين" يكون عادة لرفع مهارة الإتصال بالآخرين وإقامة علاقات إجتماعية وعرض السلع التجارية الأمر الذي يتم اليوم من خلال شبكات الأنترنت، فيما النظرة في التربية الإسلامية وفي إطار الغاية المتمثلة بالفلاح تذهب إلى أن أهم رسالة تقع على عاتق الإنسان في إقامة علاقات مفيدة ومؤثرة مع الآخرين، في أفضل صورها، هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والهداية والرقابة المتبادلة والجماعية فضلاً عن العلاقات الإجتماعية وصلة الرحم والإرشاد المتبادل. ورغم أن الغاية التربوية من الحصول على الرفاهية يكون الهدف فيه من "تحمل المسؤولية

١- (من عرف نفسه فقد عرف ربه) الإمام علي بن ابي طالب "عليه السلام".

الإجتماعية" في الأساس، تحمل المسؤوليات ضمن المهام والخيارات والمسؤوليات الإدارية والقانونية والمهام الشخصية للكلف بها واحترام القانون إلا أنه ومن منظور القيم الإسلامية وفي إطار غائية الفلاح يدخل تحمل المسؤولية ضمن دائرة توظيف الإنسان أقصى طاقاته ومؤهلاته ولا تتحدد بالخيارات والواجبات القانونية، ولذا فالمسلمون مكلفون في الظروف الخاصة بتحمل المسؤولية بقدر المستطاع والتفكير دوماً بمساعدة سائر أخوتهم للمسلمين "من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس بمسلم".

ثم انه وفي غاية الحصول على الرفاهية يكون الهدف من بلوغ "الإكتفاء الإقتصادي" في افضل ظروفها الحصول على افضل الإمكانيات المادية والإنضمام للإستثمار العالي، بينما يكون الأمر من زاوية القيم الإسلامية وضمن غاية بلوغ مرحلة الفلاح والنجاح هو السعي والحرص على بذل الجهود وحث الخطل في الميادين الإجتماعية وتجنب الإهتمام بزبينة البدن والتكدي وتجنب التعدي على آتاعاب وأجور الآخرين، ذلك أن كافة قيم الإنسان تكمن في سعيه وكدحه، "ليس للإنسان إلا ما سعى".

وفي الحقيقة أن ما يميز أهداف التعليم والتربية الإسلامية عن أهداف وبرامج التعليم في العالم المادي والتي تسود كثيرا من دول العالم خاصة أميركا وأوروبا عبارة عن: أولاً، النظرة الغائية ومراعاة قيمها في التقرب إلى ذات الحق المقدسة ومرتبة التوحيد وتفتح الوجود والنجاح والفلاح.

ثانياً، تطابق وتماشي النظرة الغائية مع السمات والمتطلبات الفطرية والروحية والعرفية والإجتماعية لدى كافة الناس على مر العصور وتوالي الأجيال. إن كافة الأهداف والبرامج التربوية للإسلام قائمة على أساس الفطرة والعقلانية "ولدينا كتاب ينطق بالحق".

خلاصة القول، إذا كانت محصلة العولمة وتبلور النظام العالمي الحديث يشكلان تهديدا للإقتصاد الوطني والسياسة الوطنية والهوية والثقافة الوطنيتين للدول والشعوب فإن ذلك سيكون فرصة بلا شك لتفتح وازدهار الفكر الإسلامي والهوية الإسلامية اللذين ينهضان برسالة القيادة الفكرية لكافة الناس الأحرار والباحثين عن الحقيقة في عالم الوجود وذلك استنادا للأصول والمبادئ الفطرية والعقلانية والمنطقية لتعاليم الإسلام وقيمه ذات الصبغة العالمية والشمولية.. هذا الفكر الذي يضمن سلامة وتسامي فكر وروح الجميع في مقابل الإفرازات المضرة للعولمة من خلال التحصن بقوتي العاطفة والعرفية.

المصادر

- غلام علي افروز (٢٠٠٢)، طبيب النفس للعائلة، إصدارات الأولياء والعلمين.
- غلام علي افروز (١٩٩١)، الأهداف والأساليب في التعليم والتربية الإسلامية، الفصلية الخاصة بكلية علم النفس والعلوم التربوية بجامعة طهران.
- محمد مهدي بهكيش (٢٠٠٢)، الإقتصاد الإيراني في قاعدة العولمة، ني للنشر - طهران.
- ك.، غريفمان، ترجمه للفارسية، محمد رضا فرزین (١٩٩٩)، نظرة على العولمة وقنطرة الإقتصاد، إصدارات منظمة التخطيط والميزانية.
- Giddens, A (1999) the Third way, Cambridge, Polity Press.
- Held, D (1999) Global Transformation, Politics, Economics and Culture Cambridge, Polity press.
- Lambert, D (2001) Citizenship Through Secondary Geography, Routledge Falmer. London.
- Little, A. W. (1999) Globalisation, Qualifications and Livelihoods, Special Issue of Assessment in Education 7,3.
- Robertson R. (1992) Globalization: Social Theory and Global Culture, London: Ssge.
- Unesco (2001) Statistical Year book.
- United Nations (1995) world population Prospects, N.Y.
- Yoshino, K (1999) Cultural Nationalism in Contemporary Tapan, London; Routledge.
- Waters, M. (1995) Globalisation, London and New York: Routledge.

تقارير وتوصيات

تقرير الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي بشأن التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين^(١)

نبذة مختصرة عن الاجتماعات السابقة للجنة الخبراء

* الاجتماع الأول

١ / تنفيذًا للتوصية الصادرة عن الاجتماع الحادي عشر للجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك الذي عقد في طرابلس ، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، في الفترة من ٨ إلى ١٣ سبتمبر ١٩٩٦ م ، بشأن تشكيل لجنة خبراء يوكل إليها بحث أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين ، قام معالي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي بتشكيل لجنة خبراء من ذوي الخبرة والاختصاص لبحث أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين.

٢ / اجتمعت اللجنة في القاهرة بجمهورية مصر العربية في الفترة من ١٢ إلى ١٤ شوال ١٤١٨ هـ الموافق لـ ٩ - ١١ فبراير ١٩٩٨ م وقامت اللجنة بدراسة أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين وكيفية مواجهتها .

٣ - شارك في الاجتماع كل من

- الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي

- فخامة المشير عبدالرحمن سوار الذهب

١ - مقدم إلى الاجتماع الرابع للجنة الخبراء الكلفة ببحث أوجه التحديات ، طهران ، الجمهورية الإسلامية

الإيرانية ، ١٢ - ١٤ جماد الأولى ١٤٢٤ هـ (الموافق ١٢-١٤ يوليو ٢٠٠٣ م).

- رئيس مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية . الخرطوم
 . معالي الدكتور محمد أحمد الشريف
 أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية . طرابلس
 . فضيلة الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة
 أمين عام مجمع الفقه الإسلامي بجدة
 . معالي الدكتور عبدالسلام العباد
 وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية . الأردن
 . معالي الأستاذ كامل شريف
 الأمين العام للمجلس الإسلامي العالی للدعوة والإغاثة بالقاهرة
 . معالي الدكتور عبدالحميد أبو سليمان
 مدير الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا
 . معالي الدكتور ناصر الدين الأسد
 رئيس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية . عمان / الأردن
 . سعادة الأستاذ عبدالجليل غزوي ممثلاً لمعالي الدكتور عبدالكبير العلوي الدغري، وزير
 الأوقاف والشؤون الإسلامية في المملكة المغربية
 . سعادة الأستاذ قاسم الزهري
 الرباط . المملكة المغربية
 . سعادة الدكتور مانع بن حماد الجهني
 الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي . الرياض
 . سعادة السفير الدكتور فتحي مرعي
 مستشار وزير الخارجية ومقرر لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك . القاهرة
 . سعادة الأستاذ سمير الهضبي
 كاتب وباحث إسلامي، القاهرة . جمهورية مصر العربية

وقد حضر عن الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي كل من:

- سعادة السفير الدكتور الهادي عبدالله حنيتش

المفوض العام والمشرف على شؤون الدعوة

- سعادة الأستاذ احمد صالح الطيب

مستشار معالي الأمين العام

- سعادة الأستاذ أحمد التازي

مستشار معالي الأمين العام

- سعادة الأستاذ احمد البسيط

مشرف الدعوة بالأمانة العامة

لقى الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي كلمة بين فيها التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في العصر الحديث، وذكر أن هذه التحديات ذات ارتباط وطيد بأوضاع العالم الإسلامي في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية وغيرها.

وأشار معاليه إلى أن هناك كثيراً من المغالطات التي تشوه صورة الإسلام، مذكراً بأنه من اللازم التصدي لهذه المغالطات بنشر الصورة الصحيحة عن الإسلام وعقيدته وتعاليمه ودعوته الإنسانية المبينة على الاعتدال وترك الغلو والتشدد والشطط والتعنّت.

وأكد معاليه أن التصدي لهذه التحديات يتطلب إمكانيات كبيرة واستعداداً كبيراً وجهداً متواصلًا.

وانهى معاليه كلمته قائلاً: إن علينا لمواجهة هذه التحديات، أن نقدم البدائل الممكنة للأوضاع الحالية مهتدين في ذلك بشريعتنا السمحة، ومؤكدين أن منهاج الله خير من منهاج البشر " ولكل جعلنا شرعة ومنهاجاً ".

قامت الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي برفع تقرير وتوصيات الاجتماع الأول للجنة الخبراء إلى المؤتمر الإسلامي الخامس والعشرين لوزراء الخارجية الذي انعقد بدولة قطر في الفترة من ١٥ - ١٩ مارس ١٩٩٨م.

طالب المؤتمر الإسلامي الخامس والعشرين لوزراء الخارجية في قراره رقم 25/38 ت

بشأن أنشطة الدعوة وإعادة تنشيط لجنة تنسيق العمل الإسلامي فريق الخبراء المعني بالاستمرار في دراسة أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين باتخاذ المزيد من الخطوط العملية البناءة لمواجهة هذه التحديات والتصدي للدعاية السلبية وإزالة وتصحيح كل صور سوء الفهم وتقديم الصورة الحقيقية للإسلام كدين للسلام والمحبة والحرية.

وتنفذا للتوصية الصادرة عن اجتماع لجنة الخبراء الذي عقد في القاهرة بضيافة كريمة من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في الفترة ما بين ٩ و ١١ فبراير ١٩٩٨ م والتي نصت على "قيام منظمة المؤتمر الإسلامي بالاستعانة بعدد من الخبراء لدراسة أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين وكيفية مواجهتها".

قامت الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي بالكتابة إلى أصحاب المعالي أعضاء لجنة الخبراء بتاريخ ١٧ يونيو ١٩٩٨ م بغرض تكليف من يرويه أهلاً لوضع دراسات مختلفة حول أوجه التحديات كي تتدارسها لجنة الخبراء وتناقشها وتوصي بما يجب أن تضطلع به منظمة المؤتمر الإسلامي والمنظمات الرسمية والشعبية لكسب معركة التحديات والتقدم والإنجاز العلمي على النحو التالي:

رقم	الموضوع	المؤلف
١	التحدي النفسي للعرقي التربوي ، خطوط عريضة.	د. عبدالحميد أبو سليمان ، مدير الجامعة الإسلامية العالية - ماليزيا.
٢	الأمة وتحديات القرن الواحد والعشرين محور التحدي النفسي - التربوي.	د. نزار العائني، أستاذ علم النفس التربوي - الجامعة الإسلامية العالية - ماليزيا.
٣	التحدي الثقافي في القرن الواحد والعشرين.	د. عبدالعزيز برغوث، الجامعة الإسلامية العالية - ماليزيا.

٤	العولة وأبعاد التحدي النفسي والفكري ، خطوط عريضة.	د. عبدالحميد أبو سليمان ، مدير الجامعة الإسلامية - ماليزيا.
٥	المجال الإعلامي في مواجهة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين.	د. موسى الكيلاني - الأردن.
٦	التحدي الثقافي في القرن الواحد والعشرين.	د. محمد بن ناصر - الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا.
٧	العولة وأثرها على العالم الإسلامي.	د. مانع بن حماد الجهني ، الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض.
٨	مشاكل التخلف العلمي والتكنولوجي الذي يواجهه العالم الإسلامي في القرن الحادي والعشرين.	د. هشام الخطيب - الأردن
٩	الإعلام في قمة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في هذا القرن.	د. موسى الكيلاني - الأردن
١٠	الإسلام والحداثة	د. مصطفى حسين أبو الشيخ د. شوكت على درويش - الأردن.
١١	التحديات التي تواجه العالم الإسلامي في القرن الحادي والعشرين وكيفية مواجهتها.	د. مانع بن حماد الجهني ، الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي ، عضو مجلس الشورى ، السعودية - الرياض.

* الاجتماع الثاني

عقدت الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي الاجتماع الثاني للجنة الخبراء في بامباكو (جمهورية مالي) يومي ٣ و ٤ ديسمبر ١٩٩٨م بضيافة كريمة من جمعية الدعوة.

لقى الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي كلمة أشار فيها إلى التحولات السياسية والعلاقات الدولية التي تشكل ملامح النظام العالمي الجديد، وخطورة هذه التحولات والتحديات على المجتمعات الإسلامية، وأشار إلى دور العالم الإسلامي المنشود في توجيه النظام العالمي الجديد نحو الإخاء والتعاون والتكامل بدلاً من الصراع.

كما تحدث في الاجتماع معالي الدكتور محمد أحمد شريف، أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، حيث أشار بدور الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي واهتمامه بفعاليات لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشتركة في مجال الدعوة.

كما أشاد بدولة مالي ممثلة في رئيسها فخامة ألفا محمد كوناري، الذي أعاد إلى معالي ذات التراث الإسلامي العريق هويتها وأصالتها.

قام السادة المشاركون في الاجتماع الثاني للجنة المذكورة باستكمال بحث ما دار في الاجتماع الأول والذي أوصى بدراسة بعض القضايا وعلى رأسها قضية العولمة، وقضية التحدي الفكري والنفسي، وكذلك قضية الحداثة والعلمانية، وقضية الثقافة والتربية.

طالب مؤتمر القمة الإسلامي التاسع الذي انعقد في الدوحة بدولة قطر يومي ١٦ - ١٧ شعبان ١٤٢١هـ الموافق ١٢ - ١٣ نوفمبر ٢٠٠٠م في قراره رقم ٩/٤٠ - ن - ق.١، فريق الخبراء المعني بمواصلة متابعة استكمال ((دراسة أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين باتخاذ المزيد من الخطوات العملية لمواجهة هذه التحديات والتصدي للدعاية السلبية وتصحيح كل صور سوء الفهم وتقديم الصورة الحقيقية للإسلام)).

- تنفيذاً للتوصية رقم ٢٥/٩ - ث، الصادر عن اللجنة الإسلامية للشؤون الاقتصادية والثقافية والاجتماعية في دورتها الخامسة والعشرين التي انعقدت في مدينة جدة في الفترة من ١٩ - ٢٢ يناير ٢٠٠٢م حول دراسة أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي

والعشرين والتي تدعو " فرقة الخبراء لمواصلة بحث التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية مع الاستعانة بعدد محدود من الخبراء في الشؤون الاقتصادية وفي شؤون التربية والتعليم والإعلام".

* الاجتماع الثالث

- تم عقد الاجتماع الثالث للجنة الخبراء في مدينة طرابلس بالجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى في الفترة من ١٣ إلى ١٥ أبريل ٢٠٠٢م بضيافة كريمة من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

- شارك في أعمال هذه اللجنة أصحاب المعالي والسعادة أعضاء لجنة الخبراء من عدد من أقطار العالم الإسلامي من ذوي الكفاءة والاختصاص.

- وتم التأكيد خلال المناقشات على ضرورة الخروج بتصوير متكامل لعمل اللجنة حتى تؤدي مهامها في كافة المجالات التي تستأثر اهتمام قادة الأمة الإسلامية ومفكريها. وقد ناقش المجتمعون التحديات وتقسيماتها وأثارها على مستقبل الأمة الإسلامية، وكذلك تناولت المناقشات منهجية العمل للتصدي لهذه التحديات، والخطط الكفيلة لمواجهتها. وركزوا على أن طبيعة هذه التحديات تحوي جديدا في كل يوم (مرفق).

أقر المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية في دورته التاسعة والعشرين التي انعقدت في الخرطوم خلال الفترة ٢٥ - ٢٧ يونيو ٢٠٠١ في قراره رقم ٢٩/٢٩- ث حول دراسة أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين، توصيات الاجتماع الثالث للجنة الخبراء التي انعقدت في طرابلس بالجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى.

* وبناء على دعوة كريمة من المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بطهران في الجمهورية الإسلامية الإيرانية انعقدت لجنة الخبراء في دورتها الرابعة هذه في الفترة من ١٢-١٤ يوليو ٢٠٠٣م، وذلك لمواصلة بحث ودراسة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين وسبل مواجهتها والخيارات المطروحة والإمكانات المتاحة.

طالب المؤتمر الإسلامي الثلاثين لوزراء الخارجية الذي انعقد في طهران بالجمهورية

الإسلامية الإيرانية في الفترة من ٢٨ - ٣٠ مايو ٢٠٠٣م في قراره رقم ٣٠/٤٢/ت حول التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين، فريق الخبراء المعني (بمواصلة متابعة استكمال دراسة أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين باتخاذ المزيد من الخطوات العملية لمواجهة هذه التحديات والتصدي للدعاية السلبية وتصحيح كل صور سوء الفهم وتقديم الصورة الحقيقية للإسلام.

كما دعا فريق الخبراء لمواصلة بحث التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، وسبل مواجهتها، مع الاستعانة بعدد محدود من الخبراء في الشؤون الاقتصادية وشؤون التربية والتعليم والإعلام. ويهدف هذا الاجتماع كذلك إلى متابعة تنفيذ القرارات الصادرة عن المؤتمرات الإسلامية والتي تدعو فريق الخبراء إلى مواصلة بحث التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية وسبل مواجهتها، ووضع منهجية عمل لاستقصاء التحديات الحقيقية التي تستهدف الأمة الإسلامية، لما تحويه من جديد في كل يوم، الأمر الذي يتطلب مرونة ووعياً وحضوراً دائماً لمواجهتها.

القرارات الصادرة عن لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة بمنظمة المؤتمر الإسلامي

قرار رقم ٢٥/٣٨ - ث

بشأن أنشطة الدعوة واعادة تنشيط لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك

إن المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية المنعقد في دورته الخامسة والعشرين (دورة من أجل غد افضل لشعوب الأمة الإسلامية) في الدوحة بدولة قطر خلال الفترة من ١٧ إلى ١٩ ذو القعدة ١٤١٨هـ الموافق ١٧-١٥ مارس ١٩٩٨م.

إذ يشير الى احكام ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي.

وإذ يستلهم بلاغ مكة المكرمة الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامية الثالث.

وإذ يذكر ببيان دكاكر الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي السادس.

وإذ يستذكر أيضا إعلان النار البيضاء الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي السابع.

وإذ يذكر كذلك بالقرار رقم ٢١/٢٢ - ث، الصادر عن الدورة الحادية والعشرين للمؤتمر

الإسلامي لوزراء الخارجية بالموافقة على وضع إستراتيجية الدعوة الإسلامية بما يتفق ومضمون

وثيقة الإستراتيجية النقاشية التي وافق عليها مؤتمر القمة الإسلامي السادس.

وإذ أخذ علما بتقرير الأمين العام حول هذا الموضوع.

١. يطلب من الدول الأعضاء اتخاذ الخطوات اللازمة لإدراج إستراتيجية العمل الإسلامي

المشترك في مجال الدعوة التي وافق عليها المؤتمر الإسلامي الثالث والعشرون لوزراء الخارجية

ضمن السياسات الوطنية التي تتبعها الدول الأعضاء في شتى المجالات التعليمية والتربوية

والإعلامية ومجالات الدعوة الإسلامية وغيرها كمنهاج تسرشد به بشأن العمل الإسلامي

المشرك.

- ٢- يوصي لجنة تنسيق العمل الإسلامي بوضع آلية تضمن إنضمام للمنظمات الإسلامية إلى عضويتها إذا توفرت فيها الشروط المناسبة.
- ٣- يقر التوصيات التي تضمنها تقرير اجتماع لجنة الخبراء التي اجتمعت في القاهرة في شهر فبراير ١٩٩٨م، المكلفة ببحث أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين. وتدعو الدول الاعضاء الى التعاون والمساهمة في تنفيذ هذه الاقتراحات والتوصيات.
- ٤- يكلف فريق الخبراء المعني بالاستمرار في دراسة أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين باتخاذ المزيد من الخطوات العملية البناءة لمواجهة هذه التحديات والتصدي للدعاية السلبية وازالة وتصحيح كل صور سوء الفهم وتقديم الصورة الحقيقية للإسلام كدين للسلام والمحبة والحرية.
- ٥- يدعو المراكز الثقافية الإسلامية ومراكز الدعوة بتوعية حجاج بيت الله الحرام بنسك الحج والعبادات قبل قدومهم الى المشاعر المقدسة لأداء فريضة الحج.
- ٦- يدعو الى عقد المزيد من الندوات حول الثقافة والدعوة الإسلامية بعد ان ثبت جدوى الندوات السابقة.
- ٧- يرحب بدعوة الجمهورية الإسلامية الإيرانية لإستضافة الإجتماع الثاني عشر للجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة في طهران يومي ٢٥ و ٢٦ مايو ١٩٩٨م.
- ٨- يشكر صندوق التضامن الإسلامي والبنك الإسلامي للتنمية وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية وغيرها من المؤسسات الإسلامية على مساهمتها المادية القيمة في عقد الندوات الإسلامية التي اقامتها منظمة المؤتمر الإسلامي.
- ٩- يطلب من الأمين العام متابعة هذا الموضوع ورفع تقرير عنه للدورة القادمة للمؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية.

قرار رقم ٢٧/٤٠ - ث

حول نشاطات الدعوة وإعادة تنشيط لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك

إن المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية في دورته السابعة والعشرين (دورة الإسلام والعولمة) المنعقدة في كوالالمبور بماليزيا ، خلال الفترة من ٢٤ إلى ٢٧ ربيع الأول ١٤٢١هـ الموافق ٢٧ - ٢٠ يونيو ٢٠٠٠م.

إذ يستذكر القرار رقم ٨/٣٦ - ث (ق.١) الصادر عن الدورة الثامنة لمؤتمر القمة الإسلامية في طهران.

وإذ يستذكر أيضا القرار رقم ٢٦/٤١ - ث الصادر عن الدورة السادسة والعشرين للمؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية.

وإذ يشير إلى أحكام ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي.

وإذ يستلهم بلاغ مكة المكرمة الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي الثالث

وإذ يذكر ببيان دكار الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي السادس.

وإذ يستذكر إعلان الدار البيضاء الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي السابع.

وإذ يذكر بالقرار رقم ٢١/٣٢ - ث، الصادر عن الدورة الحادية والعشرين للمؤتمر الإسلامي

لوزراء الخارجية حول الموافقة على وضع استراتيجية الدعوة الإسلامية بما يتفق ومضمون وثيقة الاستراتيجية الثقافية التي وافق عليها مؤتمر القمة الإسلامي السادس.

وبعد أن أخذ علما بتقرير الأمين العام عن هذا الموضوع:

١. يطلب من الدول الأعضاء اتخاذ الخطوات اللازمة لإدراج استراتيجية العمل الإسلامي

المشرك في مجال الدعوة التي وافق عليها المؤتمر الإسلامي الثالث والعشرون لوزراء الخارجية

ضمن السياسات الوطنية التي تتبعها الدول الأعضاء في شتى المجالات التعليمية والتربوية

والإعلامية وفي مجالات الدعوة الإسلامية وغيرها كمنهاج تسترشد به حول العمل الإسلامي

المشرك.

- ٢- يوصي لجنة تنسيق العمل الإسلامي بوضع آلية تضمن انضمام المنظمات الإسلامية إلى عوزيتها إذا توفرت فيها الشروط المناسبة.
- ٣- يدعو المراكز الثقافية الإسلامية ومراكز الدعوة بتوعية حجاج بيت الله الحرام بنسك الحج والعبادات قبل قدومهم إلى المشاعر المقدسة لأداء فريضة الحج.
- ٤- يعرب عن شكره لكل من حكومة المملكة العربية السعودية والحكومة الإندونيسية والحكومة الماليزية والجمهورية الإسلامية الإيرانية وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس والأزهر الشريف على استضافة اجتماعات لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة.
- ٥- يشكر صندوق التضامن الإسلامي والبنك الإسلامي للتنمية وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية والهيئة الخيرية الإسلامية بالكويت والندوة العالمية للشباب الإسلامي ووزارة الأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية وغيرها من المؤسسات الإسلامية على مساهمتها المادية القيمة في عقد الندوات الإسلامية التي أقامتها منظمة المؤتمر الإسلامي.
- ٦- يقر التوصيات والقرارات الصادرة عن لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في دورتها الثانية عشرة المنعقدة في طهران في مايو ١٩٩٨م ويحث على عقد اجتماع الخبراء لمراجعة وتقويم مسيرة لجنة العمل الإسلامي المشترك بتقديم مقترحات عملية لتذليل العقبات التي تواجهها وتطوير آليات العمل والمتابعة والتنفيذ.
- ٧- يكلف فريق الخبراء المعني بمواصلة متابعة استكمال دراسة أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين باتخاذ المزيد من الخطوات العملية لمواجهة هذه التحديات والتصدي للدعاية السلبية وتصحيح كل صور سوء الفهم وتقديم الصورة الحقيقية للإسلام.
- ٩- يطلب من الأمين العام متابعة هذا الموضوع ورفع تقرير عنه للدورة الثامنة والعشرين للمؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية.

مشروع قرار رقم ٩٠/٤٠ - ث

حول نشاطات الدعوة وإعادة تنشيط لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك

إن مؤتمر القمة الإسلامي في دورته التاسعة المنعقدة في الدوحة - قطر، خلال الفترة من ١٦ إلى ١٨ شعبان ١٤٢١هـ الموافق ١٢ - ١٤ نوفمبر ٢٠٠٠م.

إذ يستذكر القرار رقم ٨/٣٧ - ث (ق.١) الصادر عن الدورة الثامنة لمؤتمر القمة الإسلامي في طهران.

وإذ يستذكر أيضا القرار رقم ٢٧/٤٠ - ث الصادر عن الدورة السابعة والعشرين للمؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية.

وإذ يشير إلى أحكام ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي.

وإذ يستلهم بلاغ مكة المكرمة الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامية الثالث .

وإذ يذكر ببيان دكار الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامية السادس.

وإذ يستذكر إعلان الدار البيضاء الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي السابع.

وإذ يذكر بالقرار رقم ٢١/٣٢ - ث، الصادر عن الدورة الحادية والعشرين للمؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية حول الموافقة على وضع استراتيجية الدعوة الإسلامية بما يتفق ومضمون وثيقة الاستراتيجية الثقافية التي وافق عليها مؤتمر القمة الإسلامي السادس.

وبعد أن أخذ علما بتقرير الأمين العام عن هذا الموضوع:

١- يطلب من الدول الأعضاء اتخاذ الخطوات اللازمة لإدراج استراتيجية العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة التي وافق عليها المؤتمر الإسلامي الثالث والعشرون لوزراء الخارجية ضمن السياسات الوطنية التي تتبعها الدول الأعضاء في شتى المجالات التعليمية والتربوية والإعلامية وفي مجالات الدعوة الإسلامية وغيرها كمنهاج تسترشد به حول العمل الإسلامي المشترك.

٢- يوصي لجنة تنسيق العمل الإسلامي بوضع آلية تضمن انضمام المنظمات الإسلامية إلى

عضويتها إذا توفرت فيها الشروط المناسبة.

٢- يدعو المراكز الثقافية الإسلامية ومراكز الدعوة بتوعية حجاج بيت الله الحرام بنسك الحج والعبادات قبل قدومهم إلى المشاعر المقدسة لأداء فريضة الحج.

٤- يعرب عن شكره لكل من حكومة المملكة العربية السعودية والحكومة الإندونيسية والحكومة الماليزية والجمهورية الإسلامية الإيرانية وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس والأزهر الشريف على استضافة اجتماعات لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة.

٥- يشكر صندوق التضامن الإسلامي والبنك الإسلامي للتنمية وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية والهيئة الخيرية الإسلامية بالكويت والندوة العالمية للشباب الإسلامي ووزارة الأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية وغيرها من المؤسسات الإسلامية على مساهمتها المادية القيمة في عقد الندوات الإسلامية التي أقامتها منظمة المؤتمر الإسلامي.

٦- يقر التوصيات والقرارات الصادرة عن لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في دورتها الثانية عشرة المنعقدة في طهران في مايو ١٩٩٨م ويحث على عقد اجتماع الخبراء لمراجعة وتقويم مسيرة لجنة العمل الإسلامي المشترك بتقديم مقترحات عملية لتذليل العقبات التي تواجهها وتطوير آليات العمل والمتابعة والتنفيذ.

٧- يكلف فريق الخبراء المعني بمواصلة متابعة استكمال دراسة أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين باتخاذ المزيد من الخطوات العملية لمواجهة هذه التحديات والتصدي للدعاية السلبية وتصحيح كل صور سوء الفهم وتقديم الصورة الحقيقية للإسلام.

٨- يدعو إلى عقد مزيد من الندوات حول الثقافة والدعوة الإسلامية على أن يتم ذلك بالتنسيق مع اللجنة الإسلامية.

٩- يطلب من الأمين العام متابعة هذا الموضوع ورفع تقرير عنه للدورة العاشرة لمؤتمر القمة

الإسلامي.

قرار رقم ٢٨/٧ - ث

حول نشاطات الدعوة وإعادة تنشيط لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك

إن المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية في دورته الثامنة والعشرين (دورة السلام والتنمية - انتفاضة الأقصى) المنعقدة في بامالكو - مالي خلال الفترة من ٤ إلى ٦ ربيع الثاني ١٤٢٢هـ الموافق ٢٥ - ٢٧ يونيو ٢٠٠١م.

إذ يستذكر القرارات الصادرة عن مؤتمرات القمة الإسلامية والمؤتمرات الإسلامية الأخرى خاصة الدورة التاسعة لمؤتمر القمة الإسلامي.

وإذ يذكر بالقرار رقم ٢٧٢٢ - ث، الصادر عن الدورة الحادية والعشرين للمؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية حول الموافقة على وضع استراتيجية الدعوة الإسلامية بما يتفق ومضمون وثيقة الاستراتيجية الثقافية التي وافق عليها مؤتمر القمة الإسلامي السادس.

وبعد الاطلاع على التوصيات الصادرة عن الدورة الرابعة والعشرين للجنة الإسلامية للشؤون الاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

وبعد أن أخذ علماً بتقرير الأمين العام عن هذا الموضوع.

١. يوصي بمتابعة ما تضمنته أهم الفقرات العاملة من القرار رقم ٩/٤٠ - ث (ق.١) الصادر

عن الدورة التاسعة لمؤتمر القمة الإسلامي وهي كالاتي:

١. مطالبة الدول الأعضاء اتخاذ الخطوات اللازمة لإدراج استراتيجية العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة التي وافق عليها المؤتمر الإسلامي الثالث والعشرون لوزراء الخارجية ضمن السياسات الوطنية التي تتبعها الدول الأعضاء في شتى المجالات التعليمية والتربوية والإعلامية وفي مجالات الدعوة الإسلامية وغيرها كمنهاج تسترشد به حول العمل الإسلامي المشترك.

ب - مطالبة لجنة تنسيق العمل الإسلامي بوضع نظم تضمن انضمام المنظمات الإسلامية

إلى عضويتها إذا توفرت فيها الشروط المناسبة.

- ج - دعوة المراكز الثقافية الإسلامية ومراكز الدعوة إلى توعية حجاج بيت الله الحرام بنسك الحج والعبادات قبل قدومهم إلى المشاعر المقدسة لأداء فريضة الحج.
- د - اعتماد التوصيات والقرارات الصادرة عن لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في دورتها الثانية عشرة المنعقدة في طهران في مايو ١٩٩٨ م، والحث على عقد اجتماع الخبراء لمراجعة وتقويم مسيرة لجنة العمل الإسلامي المشترك بتقديم مقترحات عملية لتذليل العقبات التي تواجهها وتطوير آليات العمل والمتابعة والتنفيذ.
- هـ - تكليف فريق الخبراء المعني بمواصلة متابعة استكمال دراسة أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين باتخاذ المزيد من الخطوات العملية لمواجهة هذه التحديات والتصدي للدعاية السلبية وتصحيح كل صور سوء الفهم وتقديم الصورة الحقيقية للإسلام.
- و - الدعوة إلى عقد مزيد من الندوات حول الثقافة والدعوة الإسلامية على أن يتم ذلك بالتنسيق مع اللجنة الإسلامية للشؤون الاقتصادية والثقافية والاجتماعية.
- ٢- يعرب عن شكره لكل من حكومة المملكة العربية السعودية والحكومة الإندونيسية والحكومة الماليزية والجمهورية الإسلامية الإيرانية وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس والأزهر الشريف على استضافة اجتماعات لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة.
- ٢- يشكر صندوق التضامن الإسلامي والبنك الإسلامي للتنمية وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية والهيئة الخيرية الإسلامية بالكويت والندوة العالمية للشباب الإسلامي ووزارة الأوقاف والدعوة والإرشاد بالملكة العربية السعودية وغيرها من المؤسسات الإسلامية على مساهمتها المادية القيمة في عقد الندوات الإسلامية التي أقامتها منظمة المؤتمر الإسلامي.
- ٤- يطلب من الأمين العام متابعة هذا الموضوع ورفع تقرير عنه للدور التاسع والعشرين للمؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية.

قرار رقم ٢٩/٢٩ - ث

حول دراسة أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين

إن المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية في دورته التاسعة والعشرين (دورة التضامن والحوار) المنعقدة في الخرطوم - جمهورية السودان خلال الفترة من ١٤ إلى ١٦ ربيع الثاني ١٤٢٣هـ الموافق ٢٥ إلى ٢٧ يونيو ٢٠٠٢م.

إذ يستذكر القرار رقم ٢٥/٢٨ - ث الصادر الصادر عن المؤتمر الإسلامي الخامس والعشرين لوزراء الخارجية، وكذلك القرار رقم ٢٦/٤٠ - ث الصادر عن المؤتمر الإسلامي السادس والعشرين الذي انعقد في واغادوغو وكذلك القرارات الإسلامية ذات الصلة وأخرها تقرار رقم ٢٨/٧ - ث الصادر عن المؤتمر الإسلامي الثامن والعشرين لوزراء الخارجية الذي انعقد في باماكو، والذي ينص على تكليف فريق الخبراء بمواصلة متابعة استكمال أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية.

وإذ يذكر بالقرار رقم ٩/٤٥ - ث (ق.١) الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي التاسع الذي انعقد في الدوحة بدولة قطر يومي ١٦ و ١٧ شعبان ١٤٢١هـ الموافق ١٣ و ١٤ نوفمبر ٢٠٠٠م الذي ينص على تكليف فريق الخبراء المعني بمواصلة متابعة استكمال دراسة أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين باتخاذ المزيد من الخطوات العملية لمواجهة هذه التحديات والتصدي للدعاية السلبية وتصحيح كل صور سوء الفهم وتقديم الصورة الحقيقية للإسلام.

وإذ يشير إلى أحكام ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي.

وبعد أن أخذ علماً بتقرير الأمين العام عن هذه الموضوع، يوصي بالآتي:

١. يدعو فريق الخبراء بمواصلة بحث التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، وسبل مواجهتها، مع الاستعانة بعدد محدود من الخبراء في الشؤون الاقتصادية وفي شؤون التربية والتعليم والإعلام.

٢. يدعو فريق الخبراء بالعمل على وضع منهجية عمل لاستقصاء التحديات الحقيقية التي

تستهدف الأمة الإسلامية.

- ٢- يوصي لجنة الخبراء بدراسة بعض القضايا وعلى رأسها قضية العولمة وقضية التحدي الفكري والنفسي، وكذلك قضية الحدادة والعلمانية وقضية الثقافة والتربية.
- ٤- يدعو اللجنة إلى توسيع دائرة الخطاب الحضاري إلى مختلف فئات الأمة الإسلامية وتوعيتها على مسؤولياتها في مواجهة التحديات والحلول الممكنة لمواجهةها وتمكين الأمة الإسلامية من القيام بدورها الحضاري.
- ٥- يدعو إلى ضرورة العمل على القضاء على الفقر والجهل والمرض من حيث أنها من أهم التحديات في المجتمعات الإسلامية، وتشكل في الوقت نفسه أهم عوائق التنمية.
- ٦- يدعو إلى ضرورة الاهتمام بتربية النشء تربية إسلامية ونفسية ومعرفية صحيحة.
- ٧- يحث المؤسسات العلمية والبحثية على تقديم دراسات علمية في القضايا المستقبلية الهامة للأمة، وما تواجهه من تحديات.
- ٨- يقر التوصيات الصادرة عن الاجتماع الثالث للجنة الخبراء المكلفة ببحث واستقصاء أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين الذي انعقد في طرابلس في الفترة من ١٣ إلى ١٥ إبريل ٢٠٠٢م.
- ٩- يشيد ويعتمد الاستراتيجية والخطة المتوسطة المدى التي أعدتها الإيسيسكو من أجل مواجهة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في المجالات التربوية والعلمية والثقافية في القرن ٢١، وتدعو الإيسيسكو إلى تقديم دراسة متكاملة في هذا الموضوع إلى الدورة العاشرة لمؤتمر القمة الإسلامية.
- ١٠- يعرب عن شكره لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس على استضافتها للاجتماع الأول والثاني والثالث للجنة الخبراء.
- ١١- يطلب من الأمين العام متابعة تنفيذ هذا القرار، وتقديم تقرير في الموضوع إلى الدورة الثلاثين للمؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية.

قرار رقم ٣٠/٤٣ - ث

حول دراسة أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين

إن المؤتمر الإسلامي الثلاثين لوزراء الخارجية انعقد في طهران بالجمهورية الإسلامية الإيرانية خلال الفترة من ٢٧ إلى ٣٠ ربيع الأول ١٤٢٤هـ الموافق ٢٨ - ٣٠ مايو ٢٠٠٣م.

إذ يستذكر القرارات الصادرة عن مؤتمرات القمة الإسلامية والمؤتمرات الإسلامية الأخرى خاصة الدورة التاسعة لمؤتمر القمة الإسلامي.

إذ يستذكر القرار رقم ٢٥/٢٨ - ث الصادر عن المؤتمر الإسلامي الخامس والعشرين لوزراء الخارجية، وكذلك القرار رقم ٣٠/٤٠ - ث الصادر عن المؤتمر الإسلامي السادس والعشرين الذي انعقد في واغادوغو وكذلك القرارات الإسلامية ذات الصلة وآخرها القرار رقم ٢٨/٧ - ث الصادر عن المؤتمر الإسلامي الثامن والعشرين لوزراء الخارجية الذي انعقد في باماكو، والذي ينص على (تكليف فريق الخبراء بمواصلة متابعة استكمال أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية).

وإذ يذكر بالقرار رقم ٩/٤٥ - ث (ق.!) الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي التاسع الذي انعقد في الدوحة بدولة قطر يومي ١٦ و١٧ شعبان ١٤٢١هـ الموافق ١٢ و١٣ نوفمبر ٢٠٠٠م الذي ينص على «يكلف فريق الخبراء المعني بمواصلة متابعة استكمال دراسة أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين باتخاذ المزيد من الخطوات العملية لمواجهة هذه التحديات والتصدي للدعاية السلبية وتصحيح كل صور سوء الفهم وتقديم الصورة الحقيقية للإسلام».

وإذ يشير إلى أحكام ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي.

وبعد أن أخذ علما بتقرير الأمين العام عن هذه الموضوع.

١- يدعو فريق بمواصلة بحث التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، وسبل مواجهتها، مع الاستعانة بعدد محدود من الخبراء في الشؤون الاقتصادية وفي شؤون التربية والتعليم والإعلام.

٢- يدعو فريق الخبراء بالعمل على وضع منهجية عمل لاستقصاء التحديات الحقيقية التي

تستهدف الأمة الإسلامية.

- ٣- يوصي لجنة الخبراء بدراسة بعض القضايا وعلى رأسها قضية العولمة وقضية التحدي الفكري والنفسي، وكذلك قضية الحداثة والعلمانية وقضية الثقافة والتربية.
- ٤- يدعو اللجنة إلى توسيع دائرة الخطاب الحضاري إلى مختلف فئات أبناء الأمة الإسلامية وتوعيتها على مسؤولياتها في مواجهة التحديات والحلول الممكنة لمواجهتها وتمكين الأمة الإسلامية من القيام بدورها الحضاري.
- ٥- يدعو إلى ضرورة العمل على القضاء على الفقر والجهل والمرض من حيث أنها من أهم التحديات في المجتمعات الإسلامية، وتشكل في الوقت نفسه أهم عوائق التنمية.
- ٦- يدعو إلى ضرورة الاهتمام بتربية النشء تربية إسلامية ونفسية ومعرفية صحيحة.
- ٧- يحث المؤسسات العلمية والبحثية على تقديم دراسات علمية في القضايا المستقبلية الهامة للأمة، وما تواجهه من تحديات.
- ٨- يقر التوصيات الصادرة عن الاجتماع الثالث للجنة الخبراء المكلفة ببحث واستقصاء أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين الذي انعقد في طرابلس في الفترة من ١٣ إلى ١٥ إبريل ٢٠٠٢م.
- ٩- يشيد ويعتمد الاستراتيجية والخطة للتوسطة المدى التي أعدتها الأيسيسكو من أجل مواجهة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في المجالات التربوية والعلمية والثقافية في القرن ٢١، ويدعو الأيسيسكو إلى تقديم دراسة متكاملة في هذا الموضوع إلى الدورة العاشرة لمؤتمر القمة الإسلامي.
- ١٠- يعرب عن شكره لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس على استضافتها للاجتماع الأول والثاني والثالث للجنة الخبراء.
- ١١- يطلب من الأمين العام متابعة هذا الموضوع ورفع تقرير عنه للدورة الحادية والثلاثين للمؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية.

توصية رقم ٢٩/٢٦ - ث

حول دراسة أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين

إن اللجنة الإسلامية للشؤون الاقتصادية والثقافية والاجتماعية المنعقدة في دورتها السادسة والعشرين في جدة - المملكة العربية السعودية خلال الفترة من ٩ إلى ١٣ ذو القعدة ١٤٢٣هـ الموافق ١١ - ١٥ يناير ٢٠٠٢م.

إذ يستذكر القرارات الصادرة عن مؤتمرات القمة الإسلامية والمؤتمرات الإسلامية الأخرى خاصة الدورة التاسعة لمؤتمر القمة الإسلامية.

وإذ تستذكر القرار رقم ٢٥/٢٨ - ث الصادر عن المؤتمر الإسلامي الخامس والعشرين لوزراء الخارجية، وكذلك القرار رقم ٢٦/٤٠ - ث الصادر عن المؤتمر الإسلامي السادس والعشرين الذي انعقد في واغادوغو وكذلك القرارات الإسلامية ذات الصلة وأخرها القرار رقم ٢٨/٧ - ث الصادر عن المؤتمر الإسلامي الثامن والعشرين لوزراء الخارجية الذي انعقد في باماكو، والذي ينص على (تكليف فريق الخبراء بمواصلة متابعة استكمال أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية).

وإذ تذكر بالقرار رقم ٩/٤٥ - ث (ق.١) الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي التاسع الذي انعقد في الدوحة بدولة قطر يومي ١٦ و ١٧ شعبان ١٤٢١هـ الموافق ١٢ و ١٣ نوفمبر ٢٠٠٠م الذي ينص على (يكلف فريق الخبراء المعني بمواصلة متابعة استكمال دراسة أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين باتخاذ المزيد من الخطوات العملية لمواجهة هذه التحديات والتصدي للدعاية السلبية وتصحيح كل صور سوء الفهم وتقديم الصورة الحقيقية للإسلام).

وإذ تشير إلى أحكام ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي.

وبعد أن أخذت علماً بتقرير الأمين العام عن الموضوع.

١. تدعو فريق الخبراء بمواصلة بحث التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، وسبل مواجهتها، مع الاستعانة بعدد محدود من الخبراء في الشؤون الاقتصادية وفي شؤون التربية والتعليم

والإعلام.

- ٢- تدعو فريق الخبراء بالعمل على وضع منهجية عمل لاستقصاء التحديات الحقيقية التي تستهدف الأمة الإسلامية.
- ٣- توصي لجنة الخبراء بدراسة بعض القضايا وعلى رأسها قضية العولمة وقضية التحدي الفكري والنفسي، وكذلك قضية الحدانة والعلمانية وقضية الثقافة والتربية.
- ٤- تدعو اللجنة إلى توسيع دائرة الخطاب الحضاري إلى مختلف فئات أبناء الأمة الإسلامية وتوعيتها على مسؤولياتها في مواجهة التحديات والحلول الممكنة لمواجهتها وتمكين الأمة الإسلامية من القيام بدورها الحضاري.
- ٥- تدعو إلى ضرورة العمل على القضاء على الفقر والجهل والمرض من حيث أنها من أهم التحديات في المجتمعات الإسلامية، وتشكل في الوقت نفسه أهم عوائق التنمية.
- ٦- تدعو إلى ضرورة الاهتمام بتربية النشء تربية إسلامية ونفسية ومعرفية صحيحة.
- ٧- تحت المؤسسات العلمية والبحثية على تقديم دراسات علمية في القضايا المستقبلية الهامة للأمة، وما تواجهه من تحديات.
- ٨- تقرر التوصيات الصادرة عن الاجتماع الثالث للجنة الخبراء المكلفة ببحث واستقصاء أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين الذي انعقد في طرابلس في الفترة من ١٣ إلى ١٥ إبريل ٢٠٠٢م.
- ٩- تشيد وتعتمد الاستراتيجية والخطة المتوسطة المدى التي أعدتها الإيسيسكو من أجل مواجهة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في المجالات التربوية والعلمية والثقافية في القرن ٢١، وتدعو الإيسيسكو إلى تقديم دراسة متكاملة في هذا الموضوع إلى الدورة العاشرة لمؤتمر القمة الإسلامي.
- ١٠- تعرب عن شكرها لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس على استضافتها للاجتماع الأول والثاني والثالث للجنة الخبراء.
- ١١- تطلب من الأمين العام متابعة هذا الموضوع ورفع تقرير عنه للدورة الثلاثين للمؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية.

تقرير وتوصيات الاجتماع الرابع للجنة الخبراء المكلفة ببحث واستقصاء أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين

طهران : الجمهورية الإسلامية الإيرانية

١٢ - ١٤ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ (الموافق ١٢ - ١٤ يوليو ٢٠٠٣م)

تنفيذا للقرار رقم ٩/٤٠- (ق.ا) الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامية التاسع الذي انعقد في الدوحة بدولة قطر في الفترة من ١٢-١٣ نوفمبر ٢٠٠٠، بشأن أنشطة الدعوة وإعادة تنشيط لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك، والذي تنص فقرته العاملة السابعة على تكليف فريق الخبراء المكلف بمواصلة متابعة استكمال دراسة أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين باقتراح المزيد من الخطوات العملية لمواجهة هذه التحديات والتصدي للدعاية السلبية وتصحيح كل صور سوء الفهم، وتقديم الصورة الحقيقية للإسلام. وكذلك القرار رقم ٣٠/٤٢/ث الصادر عن المؤتمر الإسلامي الثلاثين لوزراء الخارجية الذي انعقد في طهران بالجمهورية الإسلامية الإيرانية في الفترة من ٢٨ - ٢٠ مايو ٢٠٠٢م في قراره رقم ٣٠/٤٢- ث حول التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين والذي يدعو فريق الخبراء المعني بمواصلة متابعة استكمال دراسة أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين باتخاذ المزيد من الخطوات العملية لمواجهة هذه التحديات والتصدي للدعاية السلبية وتصحيح كل صور سوء الفهم وتقديم الصورة الحقيقية للإسلام، كما دعا فريق الخبراء لمواصلة بحث التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية وسبل مواجهتها مع الاستعانة بعدد محدود من الخبراء في الشؤون الاقتصادية وفي شؤون التربية والتعليم والإعلام.

قام معالي الدكتور عبد الواحد بلقزيز، الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي بدعوة لجنة الخبراء لعقد اجتماعها الرابع في مدينة طهران بالجمهورية الإسلامية الإيرانية في الفترة

من ١٢ - ١٤ يوليو ٢٠٠٣ ، باستضافة كريمة من المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بالجمهورية الإسلامية الإيرانية.

الجلسة الافتتاحية

افتتحت أعمال الاجتماع الرابع للجنة الخبراء يوم السبت ١٢ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ الموافق ١٢ يوليو ٢٠٠٣م، وحضر افتتاح أعمال اللجنة - إضافة إلى أعضائها- السيد وزير الثقافة والإرشاد الإسلامي بالجمهورية الإسلامية الإيرانية معالي الأستاذ أحمد مسجد جامعي وعدد من أعضاء المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية وبعض رؤساء الجامعات الإيرانية وعدد من أعضاء السلك الدبلوماسي الإسلامي المعتمدين في طهران ولقيف من الشخصيات الإيرانية ذات الاهتمام بقضايا العالم الإسلامي إضافة إلى رجال الصحافة والإعلام.

بدأ الاجتماع بتلاوة من آيات الذكر الحكيم، وتحدث بعدها السيد سالم العجلي الهوني، الفوض العام والمشرف على شؤون الدعوة فتوجه بالشكر والتقدير إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية رئيسا وحكومة وشعبا، مقدرا مساهماتها في مجال العمل الإسلامي المشترك ودعمها لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وأثنى على جهود المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية وتكرمه باستضافة هذا الاجتماع، وأشاد بدور أمينه العام سماحة آية الله الشيخ محمد علي التسخيري على ما يقوم به من جهود من أجل نهضة الأمة وتوحيد طاقاتها العلمية والفكرية.

وتحدث بعد ذلك معالي الأستاذ أحمد مسجد جامعي، وزير الثقافة والإرشاد الإسلامي في الجمهورية الإسلامية الإيرانية فرحب بالآخوة أعضاء اللجنة وأثنى على جهودهم مشيرا إلى جملة من التحديات التي تواجه الأمة والتي تقتضي منا التعامل معها بكامل المسؤولية التي تحقق للأمة ذاتها وتصون لها انتماءها الديني وهويتها الثقافية، مؤكدا أن ذلك يجب أن يتم في إطار الانفتاح على الثقافات الأخرى وتشجيع روح الإبداع لدى الشباب المسلم في مناحي الفكر والفن والثقافة في إطار نوابت ديننا وقيم عقيدتنا وفي اعتزاز ببارئنا الحضاري.

ثم تحدث معالي الأستاذ كامل الشريف الأمين العام للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة باسم أعضاء اللجنة فحيا الجمهورية الإسلامية الإيرانية على احتضانها هذا الاجتماع، وتقدم بالشكر والتقدير إلى المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية لتكرمه باستضافة هذا الاجتماع مشيرا إلى أن ذلك ليس إلا جزءا مما توليه الجمهورية الإسلامية

الإيرانية لقضايا الأمة الإسلامية وما تساهم به من أجل النهوض بها ومواجهة التحديات التي تواجهها وخاصة في الوقت الذي تحولت فيه تلك التحديات إلى أخطار تهدد ديننا وثقافتنا مؤكداً على أهمية العودة إلى كتاب الله الذي يدعونا إلى الاعتصام بحبله وعدم التفرق شيعاً ومذاهب (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا).

وتحدث في ختام الجلسة الافتتاحية سماحة آية الله الشيخ محمد علي التسخيري الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ميرزا نور الثورة الإسلامية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية في طرد الطاغوت والانتصار لقيم ومبادئ الإسلام، مؤكداً أن هذه الثورة ستبقى بإذن الله وفيه لمبادئها قوية بإرادة علمائها الذين انتصروا للإسلام. وعبر عن ترحيب المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب باستضافة هذا الاجتماع وتقديم شكره لأعضاء اللجنة الذين تجشموا مشاق السفر واتوا إلى طهران من أجل التباحث في أمر التحديات التي تواجه الأمة والسبل الكفيلة بمواجهتها وتمنى لاجتماعهم النجاح والتوفيق. وعلى مدى ثلاثة أيام تناول أعضاء اللجنة بالدراسة والتحليل عدداً من الأوراق والأبحاث والمداخلات والمناقشات التي تناولت منهجية العمل لمواجهة التحديات والآليات اللازمة لتنفيذ الخطط الكفيلة بالتعامل مع تلك التحديات تعاملاً يحافظ على كيان الأمة ويصون خصوصيتها الثقافية.

وقد استعرضت اللجنة خلال الاجتماع بعض الأفكار التي تصب في اتجاه بلورة خطة عمل على المدى القصير والمدى البعيد، تغطي التحديات الداخلية والخارجية.

وفي هذا السياق تدارست اللجنة الأوراق والأبحاث التالية:

١. تقرير وتحذير، فضيلة الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة، الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي.
٢. العولمة من منظور إسلامي، معالي الاستاذ كامل الشريف، الأمين العام للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة.
٣. التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية المأزق والمخرج، معالي الاستاذ سمير الهضيبي رئيس مركز البحوث والترجمة. القاهرة.
٤. الإسلام بين الاجتهاد والجهاد، الاستاذ الدكتور محمد الشحومي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس.

٥. التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين وكيفية مواجهتها، فخامة المشير عبد الرحمن محمد حسن سوار الذهب، رئيس مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية، الخرطوم.
 ٦. آراء حول عالمية الإسلام والعولمة، سماحة آية الله الشيخ محمد علي التسخيري الأمين العام للمجمع العالي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
 ٧. الحملة الإعلامية ضد الإسلام والمسلمين، الدكتور صالح بن سليمان الوهبي، الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض.
 ٨. أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، السفير الدكتور فتحي مرعي، مستشار وزير خارجية جمهورية مصر العربية، القاهرة.
 ٩. الحوار والتحدي الحضاري، الأستاذ إبراهيم الربو، كاتب إسلامي إسباني، الرباط.
 ١٠. التحديات الاقتصادية التي تواجه الأمة الإسلامية، الدكتور محمد نهاونديان، مساعد وزير الاقتصاد الإيراني، طهران.
 ١١. الحدائق، حجة الإسلام سماحة الشيخ محمود محمدي عراقي، رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، طهران.
 ١٢. الحدائق والتعليم والتربية الإسلامية: الفرص والتحديات، الأستاذ الدكتور غلام علي افروز، طهران.
 ١٣. العولمة... غربنة العالم وأسلمته، الإسلام المخيف والعصرنة المضخمة، الدكتور سعيد رضا عاملي، طهران.
 ١٤. أنموذج السياحة الإسلامية في عصر العولمة، موقع الأمة والدعوة الإسلامية، الدكتور محمد هادي همايون عضو الهيئة العلمية بكلية الثقافة والاتصالات بجامعة الإمام الصادق(ع)، طهران.
 ١٥. الإصلاح الفكري والتربوي: أهم التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين، الدكتور عبد الحميد أبو سليمان، رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ورئيس مؤسسة تنمية الطفل، الرياض.
- وبعد مناقشات مستفيضة حول موضوع الاجتماع تم التوصل إلى التوصيات التالية:

التوصيات

- ١- تؤكد اللجنة على ان مدرستي الحداثة والعودة لهما العديد من الجوانب السلبية التي تستهدف الشخصية الاسلامية في ثقافتها وأصالتها وانتماؤها الحضاري، والتشويش على فكر شبابها مما يحتم تكاتف الجهود من أجل التصدي لذلك الخطر من جهة، ومن جهة اخرى استثمار كل ما تطرحه من جوانب ايجابية ومن تقنيات تحقق توصالا مع الآخر بهدف ارساء دعائم التعاون والسلام في العالم .
- ٢ - على الدول الإسلامية رفع مستوى التكامل الاقتصادي المتعدد الجوانب بينها والتخطيط الجاد لتأسيس السوق الإسلامية المشتركة التي تمت الموافقة عليها في مؤتمر القمة الاسلامي الثامن الذي انعقد في طهران، بما يحقق قدرا مناسباً من التنمية الاقتصادية والاجتماعية ويمكن البدء بالدول التي تجد نفسها مؤهلة لذلك. وتؤكد اللجنة على لزوم تشكيل اللجان المتخصصة للتخطيط المطلوب.
- ٣- تؤكد اللجنة على أهمية الإستمرار في دعم منظمة المؤتمر الإسلامي بما يمكنها من الاضطلاع ببرامج دعوية وثقافية وتربوية تدعم اصالة الامة وتعزز انتماءها الحضاري ونهية ارضية مناسبة للوحدة الاسلامية فكريا وسياسيا.
- ٤- تطوير الخطاب الديني في المجتمعات الإسلامية، بحيث يتم التركيز على تناول المشكلات الاجتماعية وخاصة بالنسبة للشباب، وعدم الإفراط في الترهيب بل الاهتمام بالترغيب، في وسطية لا تقبل الغلو والشطط ولا تنحدر إلى التفریط والتساهل.
- ٥- التأكيد على المبدأ الاسلامي الداعي الى انتهاج اسلوب الحوار أساسا لحل مشاكل المجتمع الانساني في احترام كامل للخصوصيات الثقافية والعقدية، وتدعو المنظمات الاسلامية الى الاستمرار في برامج الحوار الديني والثقافي مع الاديان والثقافات الاخرى وتفعيلها بما يؤكد على تكامل الحضارات ورفض حتمية صراعها وبما يرسى دعائم الحق والعدل والسلام في العالم.
- ٦ - تطوير المناهج الدراسية وخاصة في مرحلة التعليم الاعدادي والثانوي ، بما يوفر للطلاب قدرا اكبر من التفكير وقدرا اقل من التلقين والحفظ، وادخال المناهج التربوية التي تعد الشباب والشابة لمواكبة روح العصر دون إخلال بالقيم الدينية والسلوكيات الرائدة.
- ٧- إعطاء قضايا المرأة المسلمة أهمية خاصة ، وتأكيد حصولها على الحقوق التي منحها لها الشريعة الاسلامية الغراء، ومقاومة ضغط التقاليد والأعراف التي تخالف الشريعة، وتكبل

انطلاق المرأة المسلمة ومشاركتها في كافة مناحي الحياة في ضوء المساواة التي تقرها الشريعة.

٨- تشجيع المؤسسات العلمية والبحثية وتحقيق التواصل بينها ودعمها لتقديم دراسات وأبحاث رصينة في مختلف المجالات الإسلامية وخصوصاً في المجالات التي تعتمد على العقيدة، وتهتدي بالوحي، وتستعين بالعقل والعلم بما يخدم القضايا الحالية والمستقبلية المهمة للأمة وما تواجهه من تحديات، مع أهمية الاستفادة منها في اتخاذ القرارات السياسية والاقتصادية.

٩- إيلاء الشباب المسلم الأهمية التي يستحق باعتبارهم يجسد مستقبل الأمة ويشكل امتداداً لحضارتها وذلك بإفصاح المجال لاسهاماته الفكرية وبتاحة الفرصة أمامه للإبداع، وربط الصلات بين الشباب المسلم بإقامة المخيمات وتنظيم الأنشطة الثقافية والرياضية المشتركة، وفتح مجالات واسعة للحوار بين التنظيمات والمؤسسات الشبابية في العالم الإسلامي.

١٠- دعم البرامج التربوية العلمية والثقافية للأقليات الإسلامية في العالم بما يحافظ على هويتها الثقافية وانتمائها الإسلامي وبما يجعل من أعضائها مواطنين صالحين في المجتمعات التي يقيمون فيها، في ظل احترام كامل لقوانين تلك المجتمعات. وتعبير اللجنة عن امتنانها للدول التي اتخذت خطوات ملموسة لتنظيم أوضاع الأقليات الإسلامية فيها بما يحقق تلك الغايات .

١١- تنبيه اللجنة الى خطورة الانحراف بمفاهيم بعض المصطلحات وخلط معانيها، وفي هذا الصدد فإنها تؤكد على أن الدفاع المشروع عن الأوطان والذود عن الحرمات أمر تقره كل الأعراف والوثائق الدولية، وهو مناقض لمفهوم الإرهاب الذي يستهدف ترويع الأمنين ويسعى للفساد في الأرض وإشاعة الظلم فيها.

١٢- تعبّر اللجنة عن قلقها من الضغوط التي تمارس على العمل الخيري الإسلامي تحت ذرائع مكافحة الإرهاب، وتحذر من الانعكاسات السلبية لذلك التوجه وتناشد دوائر صنع القرار في الدول الإسلامية أن ترفض الإنصياع لتلك الضغوط وتشجع العمل الخيري باعتباره أساساً من أسس التضامن الإسلامي

١٣- دعم الجهود الرامية الى انشاء جمعيات للإعلاميين في العالم الإسلامي للارتقاء بالمهنة الإعلامية وتحقيق تواصل أكثر فاعلية بين رجال الاعلام في العالم الإسلامي، وفتح المجال للقطاع الأهلي في مجال التلفاز خاصة القنوات الفضائية، وإعطائه مزيداً من الحرية للتحرك،

- ودعم برامج المنح الطلابية في مجال الدراسات الاعلامية للطلاب المسلمين من البلدان الفقيرة.
- ١٤- ترسيخ ثقافة الوحدة الاسلامية على مرجعية الكتاب والسنة، وتجاوز كل أسباب الخلاف الطائفي والمذهبي، وتشجيع المبادرات الفكرية والعلمية التي تحقق ذلك الهدف وتسعى الى التقريب بين المذاهب والمدارس الفكرية الاسلامية، بما يمهد الطريق الى استنهاض الأمة من خلال مشروع حضاري متكامل .
- ١٥- إنشاء مراكز في الدول الاسلامية متخصصة في تتبع ما ينشر عن الاسلام والمسلمين في الغرب من أكاذيب وإفترافات والرد عليها بشكل علمي وموضوعي.
- ١٦- وجوب الإهتمام بتشجيع الفنون في دول العالم الاسلامي واقامة مهرجانات ومعارض مشتركة، ووضع حواجز وجوائز تنمي روح الإبداع في مجالات الفنون المختلفة، ودعم الاشتراك في المسابقات الدولية.
- ١٧- معالجة الفقر والجهل باعتبارهما من أخطر التحديات في المجتمعات الاسلامية، والتأكيد على القيم الاسلامية في التكافل الاجتماعي، وتشجيع الهيئات الخيرية التي تسعى الى تنمية المجتمعات الاسلامية في مختلف أنحاء العالم.
- ١٨- تعبير اللجنة عن دعمها لمقاومة الشعب الفلسطيني الذي يسعى الى التحرر من نير الاستعمار الصهيوني واستعادة كامل حقوقه المشروعة بما في ذلك حق العودة وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف ، وتدعم كل الخطط التي تحقق سلاما عادلا وشاملا .
- ١٩- تثنى اللجنة على البحث المقدم من اللجنة العلمية للمؤتمر السادس عشر للوحدة الاسلامية بعنوان " آراء حول عالمية الاسلام والعولمة"، وقررت اعتباره وثيقة تضم الى هذا التقرير.
- ٢٠- مطالبة منظمة المؤتمر الإسلامي والمؤسسات الثقافية والعلمية المنبثقة عنها بإيلاء الاهتمام المناسب بالعقول المهاجرة والعمل على استمرار تواصلها مع أوطانها وإرتباطها بثقافتها والإستفادة القصوى من إمكاناتها العلمية.
- ٢١- اعتمدت اللجنة البيان الختامي للمؤتمر العالمي السادس عشر للوحدة الاسلامية المنعقد طهران واشادت به واعتبرته وثيقة رسمية وقدمته كاملا لمؤتمر القمة الاسلامي القادم في كوالالمبور للمصادقة عليه.

كلمات الشكر

١. وجهت اللجنة الشكر لعالي الدكتور عبد الواحد بلقزيز الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي للجهود الموصولة التي يبذلها معاليه من أجل الدفع بالعمل الإسلامي المشترك في كافة المجالات.
- ٢ - أعربت اللجنة عن شكرها وتقديرها لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية وأمينها العام الدكتور محمد أحمد الشريف على استضافته للاجتماعات الثلاثة السابقة للجنة وعلى دعمه المتواصل.
٣. وأعربت اللجنة عن فائق تقديرها لسماحة آية الله الشيخ محمد علي التسخيري الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ورئيس لجنة الخبراء لإستضافة هنا الاجتماع، وعمله الدؤوب على إنجاح مهمة هذه اللجنة.
- ٤ أعربت اللجنة عن امتنانها للجمهورية الإسلامية الإيرانية لحسن وفادتها وتقديم كافة التسهيلات اللازمة لنجاح مهمة اللجنة.
- ٥ قررت اللجنة ارسال برفقة شكر لفخامة الرئيس محمد خاتمي على حرص فخامته على تعزيز أواصر التعاون الإسلامي والدفاع عن قضايا الأمة الإسلامية.

أسماء السادة أعضاء لجنة الخبراء المكلفة ببحث واستقصاء أوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن العادي والعشرين وكيفية مواجهتها المشاركين في الاجتماع الرابع للجنة الخبراء (طهران)

١. فخامة المشير عبد الرحمن محمد حسن سوار الذهب، رئيس مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية. الخرطوم.
٢. فضيلة الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة، الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي. جدة.
٣. معالي الاستاذ كامل الشريف، الأمين العام للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والأغاثة، القاهرة.
٤. فضيلة الشيخ محمد علي التسخيري، الأمين العام لمجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية. طهران.

٥. معالي الدكتور صالح بن سلمان الوهيبي، الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض.
٦. السفير دكتور فتحي مرعي، مستشار وزير خارجية جمهورية مصر العربية، القاهرة.
٧. الأستاذ سمير الهضيبي، رئيس مركز البحوث والترجمة، القاهرة.
٨. الأستاذ إبراهيم الربو، كاتب وباحث إسلامي، إيسيسكو، الرباط.
٩. السيد محمد محمد الشحومي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى.
١٠. الأستاذ رياض عبد الله العبيد، الملكة العربية السعودية.

وهد الامانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامي،

١. السفير سالم العجيلي الهوني، المفوض العام والمشرف على شؤون الدعوة.
٢. الدكتور أحمد إسماعيل البسيط، مسؤول شؤون الدعوة.

- - -

اسماء الشخصيات العلمية والثقافية المشاركين في الاجتماع الرابع للجنة الخبراء

المكلفة ببحث اوجه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن ٢١

- ١- سماحة الشيخ محمد حسن اخري/ معاون الدولي لمكتب الإمام القائد.
- ٢- سماحة الشيخ المولوي محمد اسحاق مدني/ مستشار رئيس الجمهورية في شؤون اهل السنة.

- ٣- سماحة الشيخ نور اللهيان/ رئيس المدارس والمراكز العلمية في خارج البلاد
- ٤- سماحة الشيخ الدكتور عبد الكريم بن أزار الشراي / رئيس جامعة المذاهب الإسلامية
- ٥- سماحة حجة الاسلام السيد مجتبي الحسيني / ممثل الامام القائد في محافظة

بلوستان

- ٦- سماحة الشيخ محمد شيخ الاسلام / ممثل منطقة كردستان في مجلس الخبراء
- ٧- الأستاذ الدكتور محمد نهاونديان / استاذ جامعي
- ٨- الأستاذ الدكتور قنيري/ استاذ جامعي
- ٩- معالي الأستاذ احمد مسجد جامعي/ وزير الثقافة والارشاد الإسلامي

- ١٠- سماحة الشيخ محمد سعيد نعماني/ مستشار وزير الإرشاد في الشؤون الدولية
- ١١- سماحة حجة الاسلام والمسلمين سيد حامد علم الهدى/ مساعد المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية
- ١٢- سماحة الشيخ محمد مهدي نجف/ رئيس مركز الانترنت والعلومات لمجمع التقريب بين المذاهب الاسلامية.
- ١٣- الأستاذ الدكتور محمد حسن تيرانيان/ استاذ جامعي
- ١٤- الأستاذ عبد الحميد طالبی/ معاون جامعة المذاهب الاسلامية
- ١٥- سماحة آية الله الشيخ مقتدایي / الرئيس السابق للمحكمة العليا
- ١٦- سماحة حجة الاسلام والمسلمين سيد جلال الدين ميرآقايي/ معاون المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية للشؤون الدولية.
- ١٧- سماحة آية الله الشيخ محمد مهدي الأصفی/ الأمين العام لمجمع اهل البيت.
- ١٨- سماحة الشيخ امينيان/ المدير العام للندوات والمؤتمرات في رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية.
- ١٩- سماحة الشيخ عباس براتي/ باحث ومفكر.
- ٢٠- سماحة الشيخ محمود محمدي العراقي/ رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية.
- ٢١- الأستاذ الدكتور غلام علي افروز / استاذ جامعي.
- ٢٢- سماحة حجة الاسلام الشيخ ابو الفضل كلشن/ مدير التخطيط في المجمع.

آراء حول عالمية الإسلام والعولمة

قدمها

آية الله الشيخ محمد علي التسخيري

نيابة عن

اللجنة العلمية للمؤتمر (الساوس) عشر للدوحة (الاسلامية بطهران)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الانبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين وصحبه الكرام وبعد..

فانه بمناسبة مولد الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) وحفيده الامام الصادق(عليه السلام) عقد المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية مؤتمره السنوي، وهو المؤتمر السادس عشر للوحدة الاسلامية، في الفترة ما بين ١٤-١٧ ربيع الاول ١٤٢٤ هـ الموافق ١٦ - ١٩ مايو ٢٠٠٣ م وموضوعه هذا العام هو (العالية الاسلامية والعولة) ، لما يمر به العالم والامة الاسلامية بالخصوص من تحديات هائلة في هذا المجال.

وقد حضره جمع غفير ضم العلماء والفكرين من شتى انحاء العالم الاسلامي.

وفي ختام المؤتمر توصل المؤتمر الى مايلي:

اولا : في مجال العالمية الاسلامية

- ١- ان الاسلام وهو الرسالة التوحيدية الالهية الخاتمة والخالدة يدعو اتباعه الى منطلق الحوار والتواصل الفكري والتألف القلبي والعمل على تحقيق وحدة المجتمع الانساني.
- ٢- ولا كانت الرسالة الاسلامية الخالدة رسالة منسجمة مع الفطرة الانسانية - وهي العنصر الاصيل الذي يشترك فيه جميع افراد البشر - فانها تعتمد منطلق الافناع وحرية الاختيار العقدي لتنفذ الى واقع النفس الانسانية وتحقق الايمان الكامل بها، كما تعتمد في نظامها الاجتماعي منطلق العدالة - وهو المطلوب المشترك لكل الانسانية - ليجعلها محور التألف والتعاون المشترك لها.

كما اتصفت بالرونة اللازمة التي تستوعب مختلف العصور وانماط التنوع الثقافي والاجتماعي في اطارها القيمي العام، وتجب عن كل متطلبات المسيرة الانسانية العادلة

والحاجات المعنوية بشكل كامل.

٢- يملك الاسلام نظرة ايجابية لمستقبل العالم. ويدعم الاتجاه العالمي نحو التقارب الانساني والفطري ونظام الحق والعدالة، ويؤكد انتصار الحق على الباطل في النهاية.

ثانياً: الاتجاه الانساني والتقني نحو العالمية

١. ان التقدم التقني للمعلومات والعلاقات والمهد للتطورات الاساسية للعلاقات الانسانية في ابعادها المختلفة ظاهرة ايجابية تستطيع من خلال تأكيدها على العدالة والحرية والقيم الاخلاقية ان توجد حركة انسانية مشتركة، وتنمية حقيقية شاملة للمجتمع الانساني.
- ٢- ان اتساع العلاقة بين اسواق السلع والعمالة ورأس المال، ونمو التجارة والاستثمار العالمي، وتوفر أنماط واسعة من التعاون العلمي والتقني، يجب ان لا يدخل في اطار الاحتكار، وان يأخذ بعين الاعتبار الخصوصيات التي تتطلبها عملية التنمية للاقطار النامية، وهو بذلك يوفر فرصاً وتحديات جديدة للبلدان الاسلامية لتحل مواقعها اللائق بها في منظومة الاقتصاد العالمي بفضل تعاونها الشامل واعتمادها سياسات منسقة ومتكاملة.
- ٣- ان رفع مستوى التوعية المتبادلة لدى شعوب العالم في الموضوعات المختلفة، وتصعيد الرغبة في اشباع الحاجات المعنوية والاخلاقية من قبل المثقفين والشرائح الاجتماعية المتنوعة سيوفر القاعدة الصالحة لتنمية شعور مشترك واستجابات فعالة في الوعي الانساني العام بما يحقق رفضاً لعوامل الظلم والفساد وتمهيداً ليسطرة القيم الاخلاقية العامة.

ثالثاً: العوثة المادية Materialistic Globalization

١. ان النظرة المصلحية الضيقة، والنزعة المادية الجشعة، والاستغلال النفعي للاخلاقي، لتحقيق التسلط السياسي الاقتصادي، وفرض النمط الثقافي الاحادي على الآخر يعوق المسيرة الانسانية العالمية نحو الوحدة والكمال. وان الفلسفة المادية المنهزمة التي تهبط بالهوية الانسانية السامية الى الحضيض، وعبر تحويل النسبي القيمي الى مطلق، تعمل على اختلاط الحق بالباطل، والتعامل مع القيم الاخلاقية والحقوق الانسانية على اساس من منطق القوة، فهي تفقد الصلاحية والاعتبار المنطقي والعلمي الضروري لهداية المسيرة الانسانية العالمية، وهو الامر الذي يجب الوقوف بوجهه لكي تبقى المسيرة الانسانية في خطها المستقيم.

- ٢- من الخصائص السيئة للعولمة للمادية اتساع الظلم في العالم، والقوارق في الدخل بين الاقطار الفقيرة والغنية، والطبقات المحرومة والرفهة، وعدم منح الفرص المتكافئة والمساعدة لنمو الاقطار النامية، وفرض السياسات التمييزية، وتشديد الاحتكارات التقنية والعلمية.
- ٣- ان العولمة المادية بدلاً من تقبل المشاركة والتنوع الثقافي تعمل على فرض ثقافتها المادية، واضعاف القيم الاخلاقية، ومحو الهويات الثقافية للشعوب، وفرض التسوية الثقافية من خلال استثمار الانحصار الاعلامي. وان اتساع الرقعة العالمي للعولمة المادية دفاعاً عن الثقافات المحلية يعبر عن الفشل الذريع لهذا الهجوم الثقافي، لان العولمة المادية ترفض المشاركة والتنوع الثقافي وتعمل على فرض ثقافتها المادية، واضعاف القيم الاخلاقية، ومحو الهويات الثقافية للشعوب، وفرض التسوية الثقافية من خلال استثمار الاحتكار الاعلامي.
- ٤- ان العولمة المادية تسير باتجاه فرض النفوذ السياسي للقوى العظمى ونفي السيادة الوطنية. وان التسلط العولي سواء كان من خلال الشركات المتعددة الجنسية غير المسؤولة بالنسبة للمصالح العامة، او كان من خلال احتكار عدد من القوى الكبرى، هذا التسلط يحجم كل مبادئ الحرية والديمقراطية وبالتالي سيبقى محكوماً بالفشل لنقضه الحقوق التي قررها الله - تعالى - للبشرية، مثله مثل كل الامبراطوريات العالمية المستبدة في تاريخ الانسان.

رابعاً: ضرورة المواجهة

رغم ان التطورات التقنية فرضت اتساع ظاهرة العولمة في العلاقات الانسانية الا ان القبول بالعولمة المادية ليس امراً لا مفر منه. في حين تستطيع كل الشعوب للمشاركة في صياغة الماهية العالمية والابداع فيها. فان المسيرة الحالية تحتاج الى تصحيح، وعلى المجتمعات - وخصوصاً الاسلامية - ومنقفيها ورجالها المسؤولين ان يعملوا على التصحيح المطلوب بالاستعانة بما تملك من امكانات ثقافية غنية.

خامساً: اساليب العمل الاقتصادي

١- ان الاقطار الاسلامية تستطيع من خلال رفع مستوى التعاون الاقتصادي المتعدد الجوانب فيما بينها، والاستفادة من امكانات التعاون الاقليمي في اطار القوانين الدولية، ان

تحقق استعدادا اكبر لاستغلال الفرص ومقاومة تحديات العولمة المادية بالتخطيط الجاد والمرحلي لتأسيس السوق الإسلامية المشتركة الذي تمت الموافقة عليه قبل (٥) سنوات في مؤتمر القمة الثامن بظهران.

٢- ان التعاون التام بين النظام المصرفي في الدول الإسلامية وتجمع الرساميل الإسلامية، له دوره في دعم المشاريع التنموية المشتركة، لكي تتم السيطرة على نقص الرساميل في مجال التنمية الاقتصادية للاقطار الإسلامية.

٣- ان التعاون العلمي والتقني بين الجامعات والمراكز البحثية في الاقطار الإسلامية، وتخصيص الارصدة المالية للبحوث والتنمية لتنفيذ المشاريع الاقتصادية المشتركة، والتعاون في اعداد الكوادر والكفاءات اللازمة وتأسيس مراكز للمعلومات، وتركيز العلاقة بين النخب والكوادر، ذلك كله ضروري لتعزيز التنمية المستدامة.

سادساً : اساليب العمل الثقافي

١- عرض ونشر الصورة الإسلامية للثقافة العالمية المشتركة واحبب العلماء والفكرين المسلمين، وان تدوين الاعلان الاخلاقي العالي على اساس من التعاليم الانسانية للانبياء الالهيين يشكل محورا مشركاً لكل المتدينين والساعين نحو المعنويات في سبيل قيام اتجاه انساني سليم.

٢- ان التاكيد على العناصر الثقافية الغنية للحضارة الإسلامية، وتقوية عناصر الهوية الواحدة للامة الإسلامية، والسعي لوحديتها، يقوي من قدرة الجيل الشاب المتطلع التعرف على هويته المستقلة.

٣- ان التعريف بحقيقة الصور الغرضية والشوهة العروضة عن الاسلام، واحلال الصورة الواقعية والانسانية للتعليمات الالهية محلها وبالتالي عرض (العالية الإسلامية) يتطلب التعاون بين وكالات الانباء، ووسائل الاعلام الإسلامية المسموعة والمرئية والمقروءة بالتعاون الوثيق والعمل الجاد لايجاد شبكات اسلامية مستقلة لتحقيق هذا الغرض.

٤- العمل على الاستفادة الصحيحة والاخلاقية من تقنية المعلومات والاتصالات الحديثة، والتخطيط للاستفادة منها في مجال التربية والتعليم العام والجامعي للاقطار الإسلامية وتوفير الارض الصالحة للاستفادة العلمية والتجارية السليمة من الانترنت.

٥- يستطيع الكتاب والمحققون، والفنانون ان يسهموا في رفع مستوى الوعي والمعرفة لدى

جيل الشباب المسلم عبر عرض النماذج الإسلامية الثقافية الرائعة، وإنتاج الآثار الفنية بشتى أنواعها. وينبغي أن يزامن تطور التخطيط التأكيد على الأصالة الثقافية والتاريخية واعتبارها من أولويات مهمات الحكومات الإسلامية.

٦- أن من واجب العلماء والمفكرين المسلمين اليوم بذل أقصى الجهود للتوعية بالتحديات الفكرية في العالم من قبيل العولمة، والتخلف الاقتصادي، والعلمانية وحقوق الإنسان والموقف من الإرهاب، والسيادة الشعبية في إطار القيم الدينية، والتعريف بأساليب العمل الإسلامي تجاهها، وأن اتساع التعاون الفكري وإقامة المؤتمرات الدولية يمكنهما تسريع وتعميق الحركة المنتجة للفكر الإسلامي.

٧- أن الحوار بين الثقافات والتواصل الفكري بين الأديان، والتقريب بين المذاهب الإسلامية يعد تحركاً واعداً يساهم في تحقيق (العالمية الإنسانية) ويفضح التحرك المتمحور حول ادعاء صراع الحضارات، وإحياء الحروب باسم الدين والنزاعات الطائفية.

٨- أن التوسع في استخدام الأنترنت يشكل حالة جديدة لتبادل المعلومات وتواصل الثقافات، ولكي نضمن الحرية والمساواة في الاستفادة من ذلك والخلاص من الاحتكار والتعدي على خصوصيات الأفراد وحقوقهم الشخصية، بل والاعتداء على الأخلاقية الإنسانية من اللازم أن يتم توافق عالمي لتعريف ورسم وتنفيذ برنامج الحقوق والأخلاق في الأنترنت ويمكن أن تكون مقترحات المفكرين المسلمين خطوة على هذا الطريق.

٩- أن مواجهة (العولمة للمادية) لا تقتصر على المفكرين المسلمين فالكثير من الحركات القومية والاجتماعية والفكرية عملت على الوقوف بوجه آثارها السلبية، وأن التعاون المبني مع المعارضين الذين يدعون إلى عالمية إنسانية يمكنه أن يترك أثره في التفهم الأوسع لرسالة الإسلام العالمية.

سابعاً: أساليب العمل السياسي

١. أن فرض نظام القطب الواحد في السياسة العالمية يعد حركة رجعية تتنافى مع العالمية الإنسانية.

وكذلك فإن الموقف النحاز في العلاقات الدولية، الذي بلغ بعداً جديداً عبر الاعتماد على القوة العسكرية التي تركت آثارها السلبية على دور الأمم المتحدة والمنظمات الدولية على

اساس احترام حق السيادة للشعوب، امر يشكل خطراً محققاً على حقوق الانسان والعالمية الانسانية، وأن طرح فكرة الحرب الاستباقية لتبرير اي مغامرة عسكرية يمثل مؤسراً الى خطر حقيقي يهدد الاخلاق والحقوق الانسانية.

٢- ان الارهاب بكافة اشكاله - بما في ذلك ارهاب الدولة - مدان اسلامياً لانه يشكل اعتداءً على الحرية والحقوق الانسانية، والصورة المغرضة التي تنسب اساليب الارهابيين الاجرامية الى الاسلام وهو دين السلام والحرية، تشكل كذبة كبرى تبرر الاقدام على ضرب الحرية والاعتداء على الحقوق الانسانية للمسلمين، بما يتطلب مواجهة كل الاساليب الارهابية والمبررة للارهاب.

٣- ان كفاح الشعوب لتحقيق استقلالها، وتقرير مصيرها، ومقاومة الظلم والاحتلال امر مشروع تقره الاديان الالهية، والاعراف والقوانين الدولية.

٤- ان العمل على صيانة حقوق الاقليات الاسلامية التي تقع ضحية الارهاب الاعلامي ضد الاسلام وتعرض حقوقها المدنية للاعتداء الفردي والاجتماعي امر ضروري.

٥- يجب العمل الجاد على إثارة الضمير العالمي ضد الجرائم التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني لعقود من الزمن على يد العصابات الصهيونية المدعومة من قبل امريكا وباقي القوى الشيطانية، كما يجب تقديم كل انماط الدعم لهذا الشعب المناضل وجهاد مقاومته وانتفاضته المباركة.

٦- ان الشعب العراقي السلم الذي عانى طويلاً من نظام صدام الفاسد للعادي للاسلام ليستحق اليوم ان يتمتع بحقوقه الاساسية في الاستقلال وتقرير المصير واختيار حكومته المنسجمة مع قيمه ومبادئه الاسلامية بعيداً عن اية سلطة او احتلال غاشم.